



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية اللغة العربية - الدراسات العليا
فرع «الأدب»

٧٣٦

الشَّجَرَةُ

مَظَاهِرُهُ وَأَسْرَارُهُ

١٤١٧ هـ

بحسب مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد

عبد الرحمن محمد الشجراني

إشراف

الدكتور علي محمد حسين العجاري

١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م



٧٣٦

المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

المقدمة

اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلا . الحمد لله الذي علم الإنسان البيان ، وخصه من بين مخلوقاته بالمقل واللسان ، وأنزل كتابه بلسان عربي مبين ، فجعله " بيانا للناس " وهدى وموعظة للتحقين . والصلاة والسلام على النبي العربي الأُمِّي ، سيد الفصحاء ، وإمام اللفاء ، الذي ألهم ربّه - عز وجل - روائع البيان ، واخصّه بفصاحة اللسان ، واقتنّ عليه - عز وجل - بقوله :

﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ . وأعوذ بك اللهم من فتنة القول ، وتشقيق الكلام ، كما أعوذ بك من فتنة العمل ، وأعوذ بك من التكلف لما لا أحسن ، كما أعوذ بك من العجب بما أحسن ، وأعوذ بك من السلاطة والبهذر ، كما أعوذ بك من الميّ والحصر .

أما بعد : فإن أشرف الحقائق التي يسمي المرء الى طلبها : المعرفة بالله - جل ثناؤه - ، وأحق الكتب بالقراءة والتدبر : كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله عليه وسلم ، وأولى العلوم بالدراسة والتذكر : علوم اللغة العربية ، ولا سيما علم البلاغة ، ذلك العلم الخطير الذي يسهل العقول ، وينير الأفئدة ، ويقوم الألسنة ، وينص الأذواق ، ويهدي سابعه للطريق الأثقل ، والسبيل الأقوم .

وإنّ ما يزيد هذا العلم رفعة وسوا ، أنه يدرس كتاب الله عز وجل ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفوة الكلام العربي من شعرونثرو ، في نطاق أشرف لغة على وجه الأرض ، فزاد شرفه شرفا ، ونمت رفعتة ، وعلا قدره .

إنّ أن علم البلاغة هو الذي يجلّي هذه اللغة للعقول ، ويقرّبها للأفهام ، ويخلصها من كل التباس ، ويصقّيها من كل شائبة ، فيجعل خفيّها ظاهرا ، ويبيّن ما قريبا ، ومجهولها معروفا ، ووحشيّها مألوفا .

كما لا أنسى أستاذي الفاضل - الدكتور علي المصاري - أمد الله
 في عمره ونفع به - حينما كان يدافع عن هذه البلاغة ، ويدفع عنها كل
 اتهام ، في عاطفة مشوبة ، يورثها حب صيق لهذا العلم سواء كان ذلك
 في محاضراته أو في كتبه - .
 وقد استوقفتني أمر التكرار كثيرا ، وبخاصة التكرار في القرآن الكريم ،
 وحاولت أن أفهم أسرار تلك الظاهرة ، حتى قبض الله لي أمر هذه الدراسة ،
 فوجدت الفرصة سانحة لذلك ، فاستخرت الله عز وجل وقدمت إلى ما قررت ،
 وأقدمت على ما قدمت من نية وأمنية ، بمعون من الله - تعالى - وفضل .
 ولا أزم بهذا أني قد درست هذه الظاهرة ، أو فيتها حقها من
 الشرح والابضاح ، أو أني قد أوصدت الباب في وجه أي تعديل أو تصحيح ،
 أو زيادة وإضافة ، ولكنه جهد العقل ، يروجوه أن يكون بداية لخدمة
 كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، في هذا المجال ،
 ولكل بداية قصور .

وقد جعلته في ثلاثة أبواب . وقسمت الباب الأول إلى فصلين :
 تحدثت في الفصل الأول منه من أصل التكرار - واشتقاقه ، وعن أصل صيغة
 تفعال ، وهل يجوز كسرهما ؟ ، كما تحدثت فيه عن الفرق بين التأكيد
 والتكرار ، وأنواع التأكيد ، وتشابه التكرار والتأكيد اللفظي ، وفائدة التوكيد ،
 والفرق بين التأكيد والتكرار . كما تحدثت فيه عن التكرار والإطناب ، والتكرار
 والتطويل .

وخصصت الفصل الثاني للحديث من علاقة التكرار بعلم البديع ، وعن

تاريخ التكرار .

أما الباب الثاني فقد قسمته إلى فصلين :

جعلت الفصل الأول للحديث عن الدلالة الصوتية للتكرار بين الجمال والقبح ،
 وعن مراتب القبح وذكرت فيه المرتبة الأولى من هذه المراتب ، وهي :
 الحروف المتنافرة ، والمرتبة الثانية : وهي الحروف الحلقية ، والمرتبة الثالثة :

في ألفاظ مكررة ، كما تحدثت من قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ .

وفي الفصل الثاني تحدثت من ثلاثة أمور :

الأول - المعاطلة والتكرار وجعلتها خمسة أقسام :

تكرار حروف الرباطات - تكرار الإضافات - تكرار الصفات - تكرار

الأسماء - تكرار الأفعال .

أما الأمر الثاني - فهو أنواع التكرار والترديد ، والتمطيف ، والترجييع ،

وذكرت فيه الفرق بين الترديد والتصدير ، وبينه وبين التكرير ،

وبينه وبين التلطيف .

وتحدثت بعد ذلك عن الأمر الثالث وهو أقسام التكرار .

وفي الباب الثالث ، ذكرت في الفصل الأول منه : أسرار التكرار

في القصص القرآني ، وآراء العلماء في تكرار القصص بخاصة وذكرت آراء :

ابن قتيبة ، والفخر الرازي ، والزرقي ، والسيوطي الذي ذكر الحكمة

في عدم تكرير بعض القصص . كما ذكرت آراء العلماء في التكرار بعامة

وذكرت فيه آراء العلماء : سيبويه ، الجرجاني ، الفراء ، ابن جني ،

ابن فارس ، الثعالبي ، الجاحظ .

أما الفصل الثاني ، فقد خصصته لأغراض التكرار ودواعيه في القرآن

ثم في الشعر .

وقد جمعت في هذا البحث مواد كثيرة من الأخبار والآثار والآراء

فأنصرف هي إلى اختيار الأنسب واللائم أحيانا ، وإلى مناقشة ما بين

يدى من مواد مختلفة أحيانا أخرى ، أو إلى تخرجها وتحقيقها .

وقد حذفتم كثيرا من تلك المواد ، واستبعدت منها أشياء أخرى لا طائل

من ورائها في البحث ، وقدّمت وأخّرت ، وعدّلت وأضفت ، فوجدت أن الأمر

على خلاف ما كنت أظن ، وأنتى لو ظلمت أنقع وأقلب وأحذف وأضيف لن

أنتهى من هذا البحث .

وكنيت أتنى لو أهدت فصولا لدراسة بعض الآيات المكررة في القرآن ،

أو لتحليل بعض القصص المكرر ، وفصلا عن التكرار في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن ذلك لم يتيهر لما لمست من اتساع البحث وفيضان جوانبه ، فقد خرج بي الى أشياء لم تكن في الحسبان ، فوجدتني أدرس علم الأصوات ودلالات الألفاظ ، وأهبط في كتب النحو والصرف وفي قواعد اللغة ، وأنقب في كتب القراءات والتفسير وأسانيد الأحاديث . ولهذا ، فقد اكتفيت بما قدمت .

وبعد : فهذا اختياري أقدمه لكم ، وعقلي أعرضه عليكم ، فان أصبت فمن فضل الله وتوفيقه ، وإن وقع بعض القصور فهذا من ضعف الإنسان وجهله . وإني حين أقدم هذه الرسالة للمناقشة أشكر جنيل الشكر أستاذي الفاضل : الدكتور علي المصاري على ما أولاني من عطف ، وعلى ما فرغني به من تشجيع ، فقد كان له الفضل — بعد الله عز وجل — في إخراج هذا البحث ، إذ علني أصول النقد ، وفتح عيني على موارد العلوم ، وأرشدني بعلمه وتوجيهاته السديدة ، وضحني غرض التعبير ، واحترام الآخرين ، وكان دقيقا في نقده ، رقيقا في ذوقه ، غزيرا في علمه فلم يترك شاردة ولا واردة في هذه الدراسة إلا درسها فجزاه الله عنى خير الجزاء .

كما يسرني أن أتقدم بوافر الشكر والاحترام ، وبالغ التقدير والعرفان ، إلى مقام وزارة المعارف الموقر ، التي هيأت لي سبيل هذه البعثة العالية ، وتفضلت علي بهذه الفرصة الفالية ، وتكرمت مشكورة بمساعدتي وبالإعناق علي طوال مدة الدراسة ، فطوّلت علي طولا ، وطوّلت لي تطويلا .

كما أقدم شكرى الوافر ، وشائى العاطر ، الى المسؤولين في جامعة أم القرى على قبولهم واستضافتهم ، وعلى رعايتهم وعنايتهم ، وأخص بالشكر سعادة عميد كلية اللغة العربية د . عليان بن محمد الحازمي ، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا العربية د . حسن محمد باجودة ، كما أشكر أساتذتي الكرام ، ولا سيما أولئك الذين تشرفت بالتململ على أيديهم مرتين ، في مرحلتين ، مرة في مرحلة البكالوريوس ، وأخرى في مرحلة الدراسات العليا : الأستاذ الدكتور حسن باجودة ، والأستاذ الدكتور محمود حسن زيني ، والأستاذ الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، فجزى الله الجميع عني — ومن كل طالب علم — خير الجزاء .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

البَابُ الأوَّلُ

التَّكْرَرُ

أصله واشتقاقه ، وموقعه من علوم البلاغة

الفصل الأول

أ - أصل التكرار واشتقاقه :

هو مصدر على صيغة "تفعّل" مأخوذ من "كرر" ، وأصله الرجوع ، وبمعنى كذلك الإعادة وترديد الصوت . قال ابن منظور : " الكرّ : الرجوع . يقال : كرّه وكرّ بنفسه ؛ يتعدّى ولا يتعدّى . والكرّ : مصدر كرّ عليه يكرّ كراً وكُرّوا وتكرّرا : عطف . وكرّ عنه : رجع ، وكرّ على العدو يكرّ ، ورجل كزار ومكرّ ، وكذلك الفرس . وكرّر الشيء وكرّره : أماده مرة بعد أخرى . والكرّة : المرة ، والجمع : الكرّات . ويقال : كرّرت عليه الحديث وكرّرتّه إذا رددته عليه . وكرّرتّه من كذا كرّة ، إذا رددته . والكرّ : الرجوع من الشيء ، ومنه التكرار " (١) .

وكرّرت الشيء تكرّيرا وتكرّرا ، والتكرّة بمعنى التكرار ، وكذلك التكرّة والتكرّة والتدرة .

ولو تأملنا في العادة التي كتبها " ابن منظور " ، لوجدنا أن مادة

" ككرر " تفيد معاني عديدة ، فهي تعني :

- ١ - الرجوع إلى الشيء ، أو التراجع ، فالكرّ : الرجوع على الشيء ، وتكرّكر الماء : تراجع في مسيله ، وتكرّكر من ذلك : أي رجع ، من كرّرتّه مني إذا دفعته وردّ دته .

(١) لسان العرب مادة : ككرر . ت : يوسف خياط ، دار لسان العرب

- ٢ - الرد أو المتروك أو المتروك يد : كركره عن الشئ : دفعه ورد : وتكرر الرجل في أمره أي ترد : والمكرر من الحروف الراء وذلك لأنك اذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير بها فيه من التكرير ، والكركة : صوت يردده الانسان في جوفه ، وكركة الرحى تردادها .
- ٣ - كما أنها تعني حدوث صوت تكرر : فالكريم : صوت في الصدر مثل الحشرجة ، أو صوت مثل صوت المختنق أو المجهد ، والكريم : بحة تعترى من الفجار ، والكركة : ضرب من الضحك .
- ٤ - المود والاعانة والدوران : الكرة : بحث للخلق واعادة خلقهم ، والكرتان : الفداة والعشى ، وكرورا الأيام : دورانها ، وتكرير الشئ : اعادته ، والكركة : اداة الرحى وترديدتها .
- ٥ - الربط : الكر : قيد من ليف أو خوص ، أو الحبل الذي يمد به على النخل ، أو تقاد به السفن في الماء .
- ٦ - الجمع : الكر : ما ضم ظَلَفَتِي الرجل وجمع بينهما وهو الأديم الذي تدخل فيه الظلقات من الرجل .
- والكركة : تصريف الريح السحاب اذا جمعت بهد تفرق ، والكرار : الجماعات ، واحدها : كركره ، والكر نهر : والكر للكر من أسد الآبار ، وقيل : هو الموضع الذي يجمع فيه الماء لاجن ليصفو ، والجمع كرار ، والكر كور : واد يمد القمر بتكر كرفيه الماء ، فكانها من تسمية المثل باسم صفة من صفات الحبال ، وكذلك الكيال لما كان يدرعوا متكررا في امتلائه وفي صبه سمي : كرا وان لم يكن للطعام صوت فان التسمية تكون لتكرر الحركة ، وعليه فان الكيال ان لم يدرعوا متكررا ولا حركة متكررة فلا يسمي كرا .

وانذا انتقلنا بهذا المفهوم العلم الى المفهوم الخاص للكلمة

" التكرار " فسنجد :

١ - أن التكرار يعنى جميع تلك المعانى . فالتكرار يعنى الرجوع والترديد الصوتى والاعادة وهذا أمر معلوم ، ويعنى كذلك الربط أو الجمع ، ويظهر هذا فى تكرار الجملة ، فانظر الى الفاصلة المكررة (١) فى سورة " الرحمن " على سبيل المثال ، تجد أنها أى الفاصلة المكررة تجمع حثرتين من معان فى /، وكان بقيمة الآيات ماء يصب فى قنوات الفواصل أو كأن آيات السورة كعبات المسبحة تنظمها وتربطها هذه الجملة المكررة ، ولو نظرنا الى قصيدة فى موضوع الفزل فسنجد أن اللفظة المكررة هى لب الموضوع ، وعليها اعتماده ، وأن فيها مجامع أفكاره ومنها يفرق كلماته على سائر القصيدة ، فتكون كالخيل يربط بين أبيات القصيدة أو كما يربط الروى وزن القصيدة وقافيتها .

- ٢ -

نلاحظ فى الأصل اللفوى لـ " التكرار " وجود علاقة صوتية أو حركية تكاد توجد فى جميع مشتقاتها ، ففي صوت الرعى : استفرار لنفخة رتيبة تلاحقة ، وفى حشرة الصدر توافق صوتى متشابه ، وفى الضحك أو الكركرة مقاطع لا تغلو من تناغم واختلاف ، وفى خرير الماء تناسق صوتى كذلك فكان تناغم الصوت وتكرره فى انسجام ، وتألفه فى نظام صوتى شرط فى التسمية ، وهو كذلك فى التكرار ، فان التكرير اللفظى ترديد لنفس الصوت لأنه لعادة للفظ أو للجملة سواء كان ذلك متعاقبا أم متراخيا .

(١) * فبأى آلا * ربكلا تكلمنا * -

أصل صيغة "تفعّال" :

معلوم أن لفظة " التكرير " مصدر صريح من " فعل " بتشديد
اليمين ، ولكن من أي فعل اشتقت صيغة " تفعّال " ؟ ، هل من " فعل " بدون تشديد أم أنها مشتقة من " فعل " بالتشديد ؟ .
فالمصريون يقولون انها مشتقة من " فعل " المخفف ، وجىء
بالصدر على ذلك الوزن للتكثير ، بينما قال جماعة من الكوفيين بالرأى الثاني ،
ورجحوه " ابن مالك " وغيره ، لكون هذا المصدر للتكثير ، قال فى
" التسهيل " : (وقد يفتنى فى التكثير من " التفعيل " " التفعّال ") (١) ،
(و " فَعَّلَ " المضعف كذلك ، ولكونه نظير التفعيل باعتبار الحركات والسكات
والزوائد ومواقفها ، وهل هو سماعى أو قياسى قولان) (٢) .
وقال " السيرافى " : (" الفرا " وغيره من الكوفيين يجعلون
" التفعّال " بمنزلة " التفعيل " ، والألف عوضا من اليا ، ويجعلون ألف
التكرار والترداد بمنزلة ياء تكرير وترديد . والقول ما قاله " سيهوبه "
لأنه يقال التلماب ولا يقال : التلميب) (٣) .
لكى أجد فرقا دقيقا بين الصيغتين ، فصيغة " تفعيل " لا تمدو كونها صيغة نحوية صرفية وان استعملها البلاغى فللتأكيد فقط ، بخلاف صيغة " تفعّال " التى لا تمنى مجرد الحدث وانما تحوى فوق ذلك دلالة وافية بالمضمون الذى يريد به البلاغى منها ، كما أن صيغة " تفعّال " أقدر على الإيحاء بالاستمرار ، وأبلغ فى تصوير تكرر الفعل . ففرق كبير بين التطيير والتطيار والتسيير والتسيار ، والتذكير والتذكار ، والتكذيب والتكذاب .

(١) التسهيل لابن مالك ، ت: محمد كامل بركات ص ٢٠٦ .

(٢) حاشية الصبان ٣٠٩/٢ .

(٣) الكتاب ٨٤/٤ .

وقد أثبت المحقق النحوي ذلك حيث يقول "سيمسومه" عن التهذار، والتلماب، والترداد، والتصفاق (وليس شئ من هذا مصدر فعلت، ولكن لما أردت التكرير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلت على فعلت) (١). وقد جاءت بعض هذه الصا در في الشعر فكانت وافية بالمقصود الذي يريد منها الشاعر حيث اختارها دون سواها، قال "أرو" القيس:

فدعها سكب وسح وديمة ورش وتوكاف وتسهملان (٢)
وقال "طرفة بن المبد":

وتفرى اللحم من تمدائها والتغالي فهي قب كالمجم (٣)
سألوا منا للذي معرفنا بقولنا يوم تحلاق التلم (٤)
وقالت "الخنساء":

فان تك مرة أودت به فقد كان بكثرة قتالها (٥)
وقال "القع الكدى":

وبأنفه شق تلاءم فاستوى سقى المداد فزاد في تلامه (٦)
وله تراجمة بالسنة لهم تبيان ما يتلون من ترجماسه

(١) الكتاب ٤: عهد السلام هلزون ٨٤/٤.

(٢) ديوانه ص ٢٠٧، "سح الماء: صبه، وسح الماء: بنفسه: سال من فوق وكذا المطر والدع ما بها رث" و"وكف البيت أى قطروا به وعد و (وكيفا) و (توكافا) أيضا. مختار الصحاح للرازي.

(٣) ديوانه ١١٣، (وتفرى: تقطع وذهب. والتغالي: التبارى فى المدو، التمداء: المدو، وقوله: "كالمجم" شبه الخيل فى صلابتها وضمها بالمجم وهو النوى) ١١٤ من شرح الأعلام الشنترى لديوانه.

(٤) ديوانه ص ١٠٩ (٥) ديوانها ص ١٢٢.

(٦) الحيوان للجاحظ ٦٥/١، ٦٦.

وقال "المتنبي" :

(١) لا يذكر الخير ان ذكرت ولا تميمك المقلتان تو كافا

وقال :

(٢) فان حطك من تكرارها شرف وحط غيرك منها الشيب والكبر

ألا يوحى ذلك بأنها ليست مجرد "صدر" ! وأن فيها شيئا من روح الاسمية ! ولعل هذا ما جعل النحويين ينفون المصدرية مما كان على صيغة "تفعال" مكسورا فمضهم قال بأنها اسم والبعض الآخر قال : انها اسم صدر .

هل يجوز الكسر في تا " التكرار " ؟

تا " تكرار " ليس لها الا الفتح ولا يجوز كسرها ، لأن المصادر انما تجىء على " التفعال " بفتح التاء ومثل " ابن منظور " لذلك بالتذكير والتكرار والتوكاف . ولم يجىء بالكسر الا حرفان وهما الشبان والثلقاء (والمرب تقول : بينت الشئ تبيينا وتبينانا بكسر التاء ، وتفعال بكسر التاء يكون اسما ، فأما المصدر فانه يجىء على تفعال بفتح التاء مثل : التكذاب والتصادق وما أشبهه ... ولا يقيس عليهما . وقال " كراع " : التبيان " : مصدر ولا نظيره الا التلقاء (٣) . ونقل في موضع آخر أن " أبا سعيد الضرير " قال " لا بى عمرو " : ما بين تفعال وتفعال ؟ فقال : تفعال اسم وتفعال بالفتح مصدر .

(١) ديهوانه ٢٩٣/٢ ، قال " المكي " : " التوكاف تفعال من

الوكف وهو جريان الماء .

(٢) ديهوانه ٩٧/٢ ، يقول بتكرار الاغوام عليك يزيد شرفك وعلوك ، كما

يزداد غيرك شيبا وهرما .

(٣) لسان العرب بمن .

وقال "الجوهري" أن (التَّلَقُّ) مصدر مثل اللِّقَاءِ وجلس تَلَقَّاهُ ،
 أى هذا (١) ، وقد ذكر "ابن سيده" عشرة مصادر للفعل "لقى" ثم
 قال : (والاسم التَّلَقُّ) (٢) ، وقال "الواحدى" : (التَّلَقُّ : جهة
 اللِّقَاءِ ، وهى جهة المقابلة ولذلك كان ظرفاً من ظروف المكان ، يقال : فلان
 تَلَقَّاهُ كـ كما يقال : هو هذا كـ ، وهو فى الأصل مصدر استعمل ظرفاً) (٣)
 وروى "الواحدى" من "الزجاج" أنه قال (تَبَيَّاناً فى معنى اسم
 البَيَّان ومثل التَّبَيَّان التَّلَقُّ) (٤) .
 ونقل من الكوفيين والبصريين أنهم قالوا : (لم يأت من المصادر
 على تَفْعَالِ الا حرفان ، تَبَيَّان وتَلَقَّاهُ ، وإذا تركت هذين اللفظين استوى
 لك القياس فقلت فوكل مصدر : تَفْعَالِ بفتح التاء مثل : تَسْيِيرُ
 وتَذْكَارُ وتَكْرَارُ ، وقلت فى كل اسم : تَفْعَالِ بكسر التاء مثل :
 تَقْصَارُ وتَحَالُ) (٥) .
 وقد نقل "أبو حيان التوحيدي" (٦) من بعض أهل اللغة ستة عشر
 اسماً لا يوجد غيرها وهى : التَّبَيَّان والتَّلَقُّ ومَرَّ تَبَهِواً من
 الليل ، وتَبَهِرَاك ، وتَبَشَارُ ، وتَبْزَاعُ وهى مواضع ، وتَبْسَاحُ للدابة
 المعروفة ، والتَّبْسَاحُ الرجل الكذاب أيضاً ، وتَبْجَافُ ، وتَبْشَالُ ، وتَبْرَادُ (٧)
 بيت الحمام ، وتَبْلَاقُ .. وهو ثوبان يلفقان ، وتَبْلِقَامُ : سريع اللحم ،

- (١) الصحاح للجوهري لقي ، ومختار الصحاح للرازي .
- (٢) المحكم لابن سيده لقي .
- (٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ٩٠/١٤ .
- (٤) التفسير الكبير ٩٩/٢٠ .
- (٥) التفسير الكبير ٩٩/٢٠ ، وهو من رواية ثعلب عن الكوفيين
 والهرد عن البصريين .
- (٦) الامتاع والموازنة ، ت : أحمد أمين ، أحمد الزين ٣٤٢/٢ .
- (٧) جاء فى كتب اللغة : الثمرات وهو بيت صغير فى بيت الحمام لبيضه .

ويقال : أُنْتُ لِلنَّاقَةِ عَلَى تَضْرَابِهَا ، أَيْ عَلَى الْوَقْتِ الَّذِي ضَرَبَهَا الْفَحْلُ فِيهِ ، وَتَضْرَابٌ كَثِيرُ الضَّرْبِ ، وَتَقْصَارُ وَهِيَ الْمَخْنُوقَةُ ، وَتَنْبَالٌ وَهُوَ الْقَصِيرُ ، وَالْحَادِرُ كَيْفَهَا عَلَى تَفْعَالٍ بِفَتْحِ التَّاءِ .

وبغضِ النظرِ من كَوْنِ صِيْفَةِ "تَفْعَالٍ" أَسْمًا أَوْ مَصْدَرًا أَوْ ظَرْفًا ، فَكُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ "تَفْعَالٍ" بِفَتْحِ التَّاءِ وَ"تَفْعَالٍ" بِكسْرِهَا ، وَعَلَى أَنَّ مَا جَاءَ عَلَى "تَفْعَالٍ" بِكسْرِ التَّاءِ جَاءَ قَلِيلًا وَغَيْرَ مَطْرُودٍ وَعَلَى أَنَّ "تَكَرَّارًا" لَيْسَ فِيهَا سِوَى الْفَتْحِ ، وَلَا يَجُوزُ كسْرُهَا الْبَتَّةَ ، وَلَمْ أَجِدْ مَنْ قَالَ بِكسْرِهَا غَيْرَ "الدُّكْتُورِ عَبْدِ النُّعْمِ السَّيِّدِ حَسَنٍ" ، الَّذِي قَالَ (تَكَرَّارٌ بِفَتْحِ التَّاءِ مَصْدَرٌ وَبِكسْرِهَا اسْمٌ) ^(١) ، وَلَعَلَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ عُمُومِ قَوْلِهِمْ : تَفْعَالٌ بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ وَبِكسْرِهَا اسْمٌ ، وَلَكِنْ تَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمَكْسُورَ مِنْهَا مَحْدُودٌ فِي أَسْمَاءٍ مَعْدُودَةٍ وَغَيْرِ مَطْرُودٍ ، فَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ ، وَلِأَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي الْمَصَادِرِ الْعِنِيَّةِ لِلْمَالِفَةِ بِزِيَادَةِ التَّاءِ أَنَّ تَأْتِي عَلَى تَفْعَالٍ بِفَتْحِ التَّاءِ (كَالْتَقَاتٍ وَالتَّضْرَابِ إِلَّا التَّلْقَاءُ وَالتَّيْبَانِ فَانْهَمَا شَذَا فَأَتِيَا بِالْكَسْرِ تَشْبِيْهُمَا لِهَمَا بِالْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْمَصَادِرِ نَحْوِ : التَّسَاحِ وَالتَّقْصَارِ - وَهُوَ الْقِلَادَةُ) ^(٢) .

وَلِأَنَّ الثَّابِتَ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ أَنَّ التَّفْعَالَاتِ بِالْكَسْرِ كَالْتَّيْبَانِ وَالتَّلْقَاءِ (لَيْسَ بِمَصْدَرٍ بَلْ بِمَنْزِلَةِ اسْمِ الْمَصْدَرِ) ^(٣) ، وَهُوَ بِذَلِكَ قَوْلُ "سَيِّدِي" : (وَأَمَّا التَّيْبَانُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْفَعْلِ لِعَقْبِهِ الزِّيَادَةُ ، وَلَكِنَّهُ بَنَى هَذَا الْبِنَاءَ فَلَحَقَهُ الزِّيَادَةُ كَمَا لَحَقَتْ الرَّئِيسَانِ وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ "التَّقَاتِ" ، وَلَوْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ

(١) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ، د . عبد النعم السيد حسن ص ١٠ .

(٢) من كلام السيرافي ، الكتاب ٨٥/٤ .

(٣) ح الصبان ٢٠٩/٢ .

فتحوا للثاء ، فلما هي من بنيت كالغفارة من أفرت ، والنبات من
أبت . ونظيرها : التَّلَقَا ، وانما يريدون : اللقيان (١) .

وقال " الراعى " :

(٢) (٣)

أملت خيرك هل تلتى مواعده ، فاليوم قصر من تلقائك الأمل

وقد وردت صيغة " تفعّال " بالكسر أربع مرات في القرآن ، ووردت لفظية

" تلقا " ثلاث مرات في قوله تعالى * وإذا صرفت أبصارهم تلقا أصحاب

النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين * (٤)

وفي قوله تعالى * قل ما يكون لى أن أهدله من تلقا نفسى * (٥)

وفي قوله تعالى * ولما توجه تلقا مدين قال عسى ربه

أن يهدينى سوا السبيل * (٦)

(١) ذكره صاحب لسان العرب والمصادر في ذلك ثلاثة عشر صدرا

تقول : لقيته لقا ، ولقا ، وتلقا ، ولقها ، ولقيما ، ولقيانا ، ولقيانا

ولقيانة ، ولقية ، ولقيما ، ولقى ، ولقا .. ولقاة

(٢) شمر الراعى النعمري ص ٢٣٣ .

وقال شارح الكتاب : كنت أو مل من خيرك وأترقب فى لهفة ما هو

أقل ما حصلت عليه الآن عند لقاءك ، فقد أعطيتنى فوق ما كنت آمل .

والشاهد فى " التلقا " بالكسر بمعنى اللقيان : الكتاب ٨٤ / ٤ ، ٨٥ ،

١ هـ وقوله قوله :

وما صرمتك حتى قلت معلنة لا ناقة لى فى هذا ، ولا جمل

قال ابن برى : صوابه أملت خيرك بكسر الكاف ، لأنه يخاطب محبوبته

قال : وكذا فى شمره وفيه عن تلقائك بكاف الخطاب . اللسان مادة : لقا .

(٣) الكتاب ٨٤ / ٤ ت : عبد السلام هارون . والبيت موجود فى شرح شواهد

سبويه للسيرافى ت : د . محمد على الريح هاشم ٢٩٥ / ١ .

(٤) الأعراف آية ٤٧ . قال المعبرى : (تلقا) هو فى الأصل مصدر ، وليس

فى المصادر تفعّال — بكسر التاء — الا تلقا وتبيان ، وانما يجهل ذلك

فى الأسماء نحو التمثال ، والتساح ، والتقصار . وانتصاب تلقا هاهنا

على الظرف ، أى ناحية أصحاب النار . التبيان فى أعراب القرآن للمعبرى ٥٧١ / ١ ، ٥٧٢ ،

(٥) يونس آية ١٥ . قال الزمخشري : " من قبل نفسى ، وقرى بفتح التاء "

الكشاف مج ٢ / ٢٢٩ .

(٦) القصص آية ٢٢ ، قال " ابن قسيبة " : " تلقا مدين " أى تجاه ..

بينما جاءت لفظة "تبيان" مرة واحدة فقط في قوله تعالى :
 * ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ * وهدى ورحمة وبشرى
 للمسلمين * (١) .

أما صيغة "يُفَعَّل" (كَلِمَةُ تِلْكَ) ، وَتَقْطَعُ ، وَتَقْطَعُ ، وَتَقْطَعُ ،
 وَتَكَلِّمُ ، وَتَقْطَعُ ، وَتَقْطَعُ (٢) فإنها ليست ما نحن فيه .

== مدبرين ونحوها . وأصله " اللقاء " زهدت فيه التاء . قال
 الشاعر :

فاليوم قصر من تلقائه الأمل

أى من لقاءه أ. هـ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣١ ٣٣٢٠ .
 وهذا عجز بيت للرأى و صدره :

ألمت خيرك هل تأتى مواعده

ديوانه ص ٢٣٣ واللسان مادة : لقاء .

(١) النحل آية ٨٩ . قال الزمخشري " تبياناً " بياناً بليفاً ، ونظير
 تبيان تلقاء في كسر أوله ، وقد جاوز الزجاج فتحه في غير القرآن أ. هـ
 الكشاف ج ٢ / ٤٢٤ .

(٢) المزهر في اللغة للسيوطي ٨٤ / ٢ .

ب - الفرق بين التأكيد والتكرير

التأكيد :

التكرير باب كبير يأتي التأكيد كالفرض له ، لأن التكرير كما أثبت العلماء أبلغ من التأكيد ، ومن قال بذلك " الزركشى " فى كتابه " البرهان " فقد قال : (واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد)^(١) وقال بذلك " السيوطى " .^(٢) ، وتابعه " الكفوى " .^(٣) وأثبتنا أن التكرير من محاسن الفصاحة . والتأكيد بحث من مباحث النحو ، فهو الضرب الأول من التوابع الخمسة وهى : التأكيد والصفة وعطف البيان والبدل والمطف بحرف^(٤) .

- (١) البرهان للزركشى ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ١١/٣ .
- (٢) ونص صارت : (وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط) معترك الأقران فى اعجاز القرآن ت : على محمد الجاوى ، القسم الأول ٣٤١ .
- (٣) فى الكليات لأبى البقاء الكفوى - دار الطباعة المامرة ، بولاق ، ونصها : " والتكرير أبلغ من التأكيد " ص ١٠٩ .
- (٤) وقد رتب هذا الترتيب فقدم التأكيد لأن التأكيد هو الأول فى معناه لأن النعت يتضمن حقيقة الأول وحالا من أحواله والتأكيد يتضمن حقيقة لا غير ، فكان مخالفا له فى الدلالة ، وقد يكون النعت بالجملة وليس كذلك التأكيد . كذا قال شارح الفصل . وقال أيضا : اعلم أنه يقال تأكيد وتوكيد بالهمزة والواو الخالصة ، وهما لفتان وليس أحد الحرفين بدلا من الآخر لأنهما يتصرفان تصرفا واحدا ، ألا تراك تقول : أكد يؤكد تأكيداً وؤكد يؤكد توكيدا ، ولم يكن أحد الاستمالين أغلب فيجمل أصلا فلذلك قلنا انهما لفتان ٣٩/٣ . بينما جاء فى شرح ابن هشام أن الهمزة مدلة الفاعل على القياس فى نحو " فأس ورأس " شرح قطر الندى ٢٨٩ .

التأسيس :

والتأكيد هو (أن يكون اللفظ لتقرير معنى الحاصل قبله وتقويته ، والتأسيس هو أن يكون لافادة معنى آخر لم يكن حاصل قبله ، ويسمى الأول اعادة والثاني افادة ، والافادة أولى ، واذا دار اللفظ بينهما تمين العمل على التأسيس) (١) ، وقد تحدث " البركسي " عن التأكيد على أنه فائدة من فوائد التكرير وذكر أنه أبلغ منه (لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد ، فان التأكيد يقرر ارادة معنى الأول وعدم التجوز) (٢) .

وقد قال الزمخشري في قوله تعالى * كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون * (٣) ، ان الثانية تأسيس لا تأكيد لأنه جعل الثانية أبلغ في الانشاء ، وفي " ثم " (دلالة على أن الانذار الثاني أبلغ من الأول وأشد ، كما تقول للضوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل) (٤) . وقد قال " عز الدين بن عبد السلام ت. ٦٦ هـ " عنها انها من تكرير التأكيد وقال ان المعنى (ألباكم التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد للمعاد ثم زجرهم عن التكاثر بقوله " كلا " ثم هددهم بقوله " سوف تعلمون " ثم أكد الزجر الأول بـ " كلا " الثانية ثم أكد التهديد بـ " سوف تعلمون .. ثم أكد الزجر بـ " كلا " الثالثة ، فزجرهم ثلاث مرات للاهتمام بزجرهم عن ذلك وهددهم على ذلك مرتين للاهتمام بالاستعداد للمعاد) (٥) . ويحتمل أن يكون منه قوله تعالى * وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين * (٦) وقوله * فقل كيف قدر ، ثم قل كيف قدر * (٧)

-
- (١) الكليات للكهوي ص ١٠٨ . (٢) البرهان ١١/٣ .
 (٣) التكاثر ٣ ، ٤ . (٤) الكشف ٢٨١/٤ .
 (٥) الاشارة الى الایجاز ٢٧٥ . (٦) الانفطار ١٧ ، ١٨ .
 (٧) ١٩ ، ٢٠ من سورة المدثر .

قال " ابن محقوب الحفري " : (وفي المطف بهم دلالة على أن الانذار الثاني الذي اعتبره المتكلم أوكد وهو في رعايته وقصده أبلغ ، كما يقول القائل : أقول لك لا تفعل ثم تتقوى قريحته على النهي بأبلغ من الأول فيقول ثم أقول لك لا تفعل ، ويبان ذلك أن أصل ثم افادة التراخي والحمد الزماني ، وقد استمير للتراخي والحمد المنوي بمعنى أن المطفوف قد تكون مرتبته أعلى أو أدنى مما قبله فتستعمل فيه تنزيلا للتفاوت في الرتبة منزلة التفاوت في الزمان ... ومنه الحديث : (من أولى الناس بالهجرة رسول الله ؟ فقال : أمك ، ف قيل : ثم ماذا ؟ قال : أمك ، ف قيل : ثم ماذا ؟ قال : أمك) ، لأن المراد أن مرتبة الهرب لأب أدنى من مرتبة البر بالأم ، لأنه بعبء في الزمان كما لا يخفى ، وإذا كان كذلك فدخلها على الجملة المذكورة سواء كان مضمونها أعلى عند المتكلم ، فلذلك دلت الآية على أبلغية الانذار المضمون للجملة الثانية ، لأن الأبلغية علو في المرتبة في قصد المتكلم ووجه الشبه بين الهمدين التفاوت بين مشتركين في أسرها في الجملة وهو ظاهر ^(١) . فان قيل : أنه لا يجوز المطف مع التأكيد فيقال حينئذ : ان الجملة الثانية ليست مؤكدة بل هي تأسيس ، والتأكيد وقع في تكرار التأسيس ، ليكون أبلغ من التأكيد ، لأنه كما سبق أن قال " الزركشي " أن التأكيد يقصد إرادة معنى الأول وعدم التجوز .

(١) شروح التلخيص ، شرح مواهب الفتح ٢١٩/٣ والحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أموك .

(وللمطف يحصل بتكرار الاسناد وفائدته : زيادة تقرير لثبوت النسبة أو طلبها ، وفائدة التأكيد تقرير الاخبار بالنسبة ، ولا أقول بذلك مطلقا بل حيث لا الهاس بأن يكون المخبر به أو المطلب لا يقبل التكرار ، مثل : صمت أس وصت أس أو صم غدا وصم غدا) . (١)
وما يدل على هذا كلام " الزمخشري " المتقدم عن الآية السابقة ،
ومنه قول الشاعر :

ألا يا أسلى ثم أسلى ثمت أسلى (٢) .

قال " السبكي " : " فإذا قلت : سوف تعلم ثم سوف تعلم كان أجود منه بخير مطف ، لأنه بالمطف لا يكون خبرا مؤكدا بل خبر من ، وبدون المطف يكون تأكيدا وخبرا واحدا ، وهو أجود لجريه على غالب احتمال التأكيد ولعدم احتمال التعمد المخبر به ، ولتعلم أن التأكيد بينه وبين التابع خصوص وعموم من وجه " . (٣)

وقد ذكر " الزركشي " في " البرهان " أن بدر الدين بن مالك (٤)
أطلق في شرح الخلاصة أن الجملة التأكيدية قد توصل بماطف ، ولم تختص بشم ، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص ، وليس كذلك ، فقد قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعد واتقوا الله (٥) .

(١) شروح التلخيص ٨٧/٣ .

(٢) هو عجز بيت من ثلاثة أبيات لحميد بن ثور الهلالي . قال لما حذر عمر

رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء ذكر النساء :

تجرّم أهلوها لأن كنت شمرا جنونا بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب اليهم علقته سوى أنني قد قلت : يا سرحة أسلى
بلى فأسلى ثم أسلى ثمت أسلى ثلاث تعيات وإن لم تكلمسى
يقال تجرم على فلان أي أوهى ذنبا لم أفعله ، وأشمر جنونا : أي
خالطه الجنون ما هام بها ، والسرحة : شجرة من الغضاه كى بها عن
المرأة أ. هـ ديوانه ص : ١٣٣ .

(٣) شروح التلخيص ٨٨/٣ . (٤) هو ابن جمال الدين بن مالك صاحب

(٥) الآية ١٨ من سورة الحشر .

(فان المأمور فيها واحد ، كما قاله النحاس والزمخشري والامام فخر الدين
والشيخ عز الدين ، ووجهوا ذلك على احتمال أن تكون " التقوى "
الأولى مصروفة لشئ " غير " التقوى " الثانية ، مع شأن ارادته ^(١)
فان أجيب بأنهم قد قالوا انه تأكيد (قلت : يريدون ما ذكرناه
من تأكيد المأمورية بتكرير الانشاء لا إنه تأكيد لفظي على ما
يصرفه من نظر كلامهم ، ولو كان تأكيدا لفظيا لما فصل بالمطاف
وتسمية النعمة لئلا ذلك تأكيدا مجاز أو على ما أردناه ، وفي
خصوص هذه الآية الكريمة لو كان توكيدا لما فصل بينه وبين
مفعوله بقوله تعالى * ولتنظر نفس * فان قلت : " اتقوا " الثانية
مطووفة على " ولتنظر " ، قلت : قد اتفقوا على أن * وقولوا للناس
حسنا * ^(٢) مطووف على * لا تعبدون الا الله * ^(٢) لا على قوله
* وبالوالدين احسانا * ^(٢) وهو نظير ما نحن فيه ، وقوله تعالى :
* يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ^(٣)
وقوله تعالى * فاذكروا الله عند الشجر العرام واذكروه * ^(٤) يحتمل
أن يكون اصطفا من وذكر من وهو الأولى في الذكر ، لانه
محل طلب فيه تكرار الذكر ، والظاهر أنه ليس ما نحن فيه ^(٥)
وقد استشهد " الزركشي " بالآيات السابقة جميعها وزاد عليها قوله
تعالى حكاية من موسى عليه السلام * كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا * ^(٦) .

-
- | | |
|-----------------------|----------------|
| (١) النهران ١٢/٣ | (٢) البقرة ٨٣ |
| (٣) آل عمران ٤٢ | (٤) البقرة ١٩٨ |
| (٥) شروح التلخيص ٨٨/٣ | (٦) طه ٣٣ ٣٤٠ |

وقوله : * أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فسى
أعناقهم وأولئك أصحاب النار ^(١) . (كرر " أولئك ") ^(٢) . وكذلك
قوله * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * ^(٣) ، وكذا
قوله * فلما أن أراد أن يسطش بالذى .. * ^(٤) الى قوله :
* .. من الصالحين * ^(٥) (كررت " أن " فى أربع مواضع تأكيداً) ^(٦) .
وقوله * قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين * وأمرت لأن أكون
أول المسلمين * ^(٧) .

ثم رجع بنا القول الى التأسيس فنجد أن " السبكى " يستدل
على ما سبق من كلامه بقول " الأمدى " وغيره من لا يحصيهم عدداً
أن نحو : (صم يوم الجمعة وصم يوم الجمعة صحيح ويكون أمراً
مرتين ونحو : صل ركعتين وصل ركعتين هل هو تأسيس أو تأكيد
قولان ، لا يقال تكرير ، ذلك تحصيل الحاصل ، لا نأقول : طلب
الشيء مرتين ليس تحصيلاً للحاصل بل طلب بعد طلب كما يدمو
الإنسان ربه بالحنفرة مراراً كثيرة ، نعم إنما يستنع ذلك فيما يلزم
فيه تحصيل الحاصل وهو الانشاء غير الطلبى مثل : أنت طالق
وأنت طالق ، فإنه ثبت عليه أثره بالأول فلا يمكن انشاء إسقاط
تلك الطلقة بعد وقوعها ، وكذلك الخبر قد يقصد الإخبار به
مرتين ، وقد أمر الله تعالى فى كتابه المزمز بالصلاة غير مرة .
فإن قلت : فيحصل بذلك الالتباس فإن المطف يقضى المفارقة فيظن
أن المأمور به ثانياً والخبر به ثانياً غير الأول ! قلت : إنما أقول به
حيث لا إبهام لقومنة أولان ذلك الشيء لا يعقل التكرار) ^(٦) .

(١) الرعد : ٥٥ . (٢) البرهان ١٣/٣ (٣) البقرة : ٥
(٤) القصص : ١٩ (٥) الزمر ١١/١٢٠
(٦) شروح التلخيص ٨٨/٣ ٨٩٠ .

أنواع التأكيد :

هو على نوعين : تكرر صريح ، وغير صريح ، أولفطى
ومضموى .

فاللفطى هو (اعادة اللفظ الاول بعينه) (١) سواء كان

اسما مثل :

أخاك أخاك ، ان من لا أخاله كساع الى الهيجا بغير سلاح (٢)

أو فعلا كقوله :

فأين الى أمن النجاة بهفلتى أتاك أتاك اللاحقون احبر احبر (٣)

(١) شرح قطر الندى ت : محمد بن محمد بن عبد الحميد ص ٢٨٩ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه فى الكتاب ٢٥٦/١ ، وهو لمسكين

الدارمى فى الأغاني ٢٠٨/٢٠ وقد أنشده ابن هشام فى

أوضحه (رقم ٤٥٨) وفى شذور الذهب (رقم ١٠٦) وهو

فى الخزانة ٣ : ٦٥ رقم ١٦٧ ، وحذف العامل فى

الاسم الاول فى مثل هذه العبارة واجب لا يجوز ذكره ، لأنه كره

الاسم الواحد مرتين ، فكان اللفظ الثانى موزع من ذكر العامل ،

وهم لا يجمعون فى كلامهم بين الموزع والمموز عنه .

(٣) كراستشهاد النجاة بهذا البيت ولم ينسبه أحد منهم لقائل معين .

قال ابن هشام ص ٢٩١ : وتقدير البيت : فأين تذهب الى أمن

النجاة بهفلتى ؟ فحذف الفعل العامل فى أمن الاول ، وكسر

الفعل والمفعول فى قوله " أتاك أتاك " و" اللاحقون " : فاعل به

" أتاك " الاول ، ولا فاعل للثانى ، لأنه إنما ذكر للتأكيد ، لا ليسند الى

شئ ، وقيل : انه فاعل بهما معا ، وذلك لأنهما اتحدتا لفظا

ومعنى نزلا خذلة الكلمة الواحدة ، وقيل : انهما تنازعا قوله " اللاحقون "

ولو كان كذلك لزم أن يضر فى أحدهما ، فكان يقول : أتوك أتاك

اللاحقون ، على أعمال الثانى ، وأتاك أتوك ، على أعمال الاول ، وقوله

" احبر احبر " تكرر للجملة ، لأن الضمير المستتر فى الفعل فى

قوة الطفوظ به أ . هـ .

أو حرفاً كقوله :

لا لا أبوح بحب بشنة انها أخذت على مواثقا وعهودا (١)

أوجطة كقولك : " جاءني زهد ، جاءني زهد " على اختلاف بينهم في ذلك .

(والتأكيد اللفظي أوسع مجالا من التأكيد المعنوي ، لأنه يدخل

في المفردات الثلاث وفي الجمل ، ولا يستفيد بظهور أو ضمير معرفة

أو نكرة ، بل يجوز مطلقا ، إلا أن السماع في بعضها أكثر ، فلا

يكاد يسمع أو يخل إن إن زهدا قائم ، وإنما أكثر ما يأتي في

تكرير الاسم والجملة (٢) .

توكيد الضائمر :

وكما توكد الظهيرات فإن الضميرات توكد كذلك .

قال " سيبويه " : " اعلم أن هذه الحروف كلها — ويقصد بها

ضائمر الرفع المنفصلة — تكون وصفا للمجرور والرفوع والمنصوب الضميرين ،

وذلك قولك : مررت بك أنت ، ورأيتك أنت ، وانطلقت أنت ، وليس

وصفا بمنزلة الطويل إذا قلت : مررت بزهد الطويل ، ولكنه بمنزلة

نفسه إذا قلت : مررت به نفسه وأتاني هو نفسه ، ورأيتة هو نفسه . وإنما

تريد بهن ما تريد بالنفس إذا قلت : مررت به هو هو ، ومررت به نفسه (٣)

(١) البيت لكثير عزة . والشاهد فيه قوله " لا لا " فإن الثاني من هذين

الحرفين توكيد لفظي للأول ضمها ، والأولى في هذا البيت أن يكون

لجميل بن معمر لكن لم أجده في ديوانه . ووجدت في ديوان " كثير "

قوله :

لا تفدرن بوصل عزة بعدما أخذت عليك مواثقا وعهودا

ديوانه (٤٤) .

(٢) الأشباه والنظائر ١ / ٢ .

(٣) الكتاب ٢ / ٣٨٥ ت : عبد السلام هارون . دار الكتاب العربي القاهرة .

هذا عن تأكيد المتصل بالمنفصل وعن تأكيد المنفصل بمثله يقول في موضع آخر :

(وتقول : جربتك فوجدتك أنت أنت ، ومثل ذلك أنت أنت ، وان فعلت هذا فأنت أنت ، أى فأنت الذى أعرف ، وأنت الجواد والجلد ، كما تقول : الناس الناس ، أى الناس بكل مكان ، وعلى كل حال كما تصرف) (١) .

فان قيل : ان هذا من اختصاص النحويين فما الداعي لذكره ههنا ؟ (قلت : ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة ، وأولئك لا يتعرضون اليه ، وانما يذكرون عدد الضمائر وأن المنفصل منه كذا ، والمتصل كذا) (٢) .

وأما توكيد المتصل بالمتصل : فكقوله تعالى * فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . . قال : ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا * (٣) .
وسمى " ابن الأثير " على هاتين الآيتين بقوله : (وهذا بخلاف قصة السفينة فانه قال فيها * ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا * (٤) والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى (٥) ، فقال في الأولى * ألم أقل انك . . * وقال في الثانية * ألم أقل لك انك * . وانما جىء بذلك للزيادة في مكافئة المتاب على رفض الوصية مرة على مرة ، والوسم بعدم الصبر .

- (١) الكتاب ٣٥٩/٢ .
- (٢) المثل السائر ت: بدوى طهانة ١٩١/٢ .
- (٣) الكهف : ٧٤ - ٧٥ .
- (٤) الكهف : ٧٢ .
- (٥) أى أكد الضمير في قصة الغلام ولم يوكده في قصة السفينة التي هي الأولى في الترتيب القرآني .

وهذا كما لو أتى الانسان ما نهى عنه منه ، فقلته وعنفته ، ثم
أتى ذلك مرة ثانية ، أليس أنك تزد في لومه وتمنيفه ؟ وكذلك
فعل ههنا ، فانه قيل في الامة أولا : ألم أقل أنك * ، ثم
قيل ثانيا : ألم أقل لك أنك * ، وهذا موضع يدق من المثور عليه
ببادرة النظر ، ما لم يحط التأمل فيه حقّه (١) .

توكيد المتصل بالمتصل :

نحو قوله تعالى : فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا
لا تخف إنا أنزلناك * (٢) ، فتوكيد الضمير ها هنا في قوله
تعالى : إنا أنزلناك * (٢) (أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت
في نفسه للخلبة والقهر . ولو قال : " لا تخف إنا أنزلناك * أو " فأنزلناك *
الأنفى " لم يمكن له من التقرير والاثبات لنفى الخوف ما لقوله :
إنا أنزلناك * (٣) .

ويذكر " ابن الأثير " أن في هذه الكلمات الثلاث وهي قوله :
إنا أنزلناك * ، أنت ، الأنفى ، ست فوائد ذكرناها تكرر الضمير في قوله
" إنا أنزلناك * " ولما اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المكانة
في التقرير لخلبة " موسى " والاثبات لقهره .

قال " سيهويه " : (فإن نعمته حسن أن يشركه الظاهر ، وذلك
قولك : ذهبت أنت وزيد * ، وقال الله عز وجل : اذهب أنت وربك * (٤)
و * اسكن أنت وزوجك الجنة * (٥) . وذلك أنك لما وصفته حسن الكلام

(١) المثل السائر : ١٩٣/٢ (٢) طه : ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) المثل السائر : ١٩٤/٢ (٤) المائدة : ٢٤ .

(٥) البقرة ٣٥ ، الأعراف ١٩ .

حيث طوّله وأكّده كما قال : قد عدت أن لا تقول ذاك فان
أخرجت لا قبح (الرفع) . فأنت (وأخواتها) تقوى الضمر
وتصير عوضاً من السكون والتفخيم و (من) ترك الملاحة في (مثل)
ضرب . وقال الله عز وجل * لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا (ولا حوطاً)^(١)
حسن ليكان لا ()^(٢) .

توكيد المنفصل بمنفصل :

وأما توكيد المنفصل بمنفصل مثله ، فنقول أبي تمام :
لا أنت أنت ولا الديار ديار خفّ الهوى وتولّت الأوطار^(٣)
فقوله " لا أنت أنت ولا الديار ديار " : (من المليح النادر في هذا
الوضع لأنه هو هو والديار الديار ، وإنما البواعث التي كانت تهتم
على قضاء الأوطار زالت فبقى ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ،
ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار)^(٤) .

تشابه التكرار والتأكيد اللفظي :

هذا ، وقد اختلف النحويون في قوله تعالى * كلا إذا دُكَّت
الأرض دكّاً دكّاً ، وجاء رُكّك واللك صفاً *^(٥) ، فمضهم قال بأنها
من تأكيد الاسم ، وبعضهم أخرجها منه . ومن قال بالرأى الأول ،
" السيوطي " في كتابه " معترك الأقران في اصجاز القرآن " ^(٦) فقال

(١) الانعام ٠١٤٨ (٢) الكتاب ٢٧٨/٢ ٠٣٧٩٠

(٣) ديوانه ٠١٦٦/٢ (٤) المثل السائر : ١٩٧/٢

(٥) الفجر : ٢١ ٠ ٢٢٠

(٦) معترك الأقران : ١ / ٠ ٣٣٩

بأن الآيتين من باب التأكيد اللفظي وزاد عليهما قوله تعالى
 * قَوَارِعَ قَوَارِعَ * ^(١) وأضاف أن التأكيد اللفظي يكون في
 اسم الفعل أيضا ومثل له بقوله تعالى * هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا
 تُوعَدُونَ * ^(٢) كما أنه أجاز تأكيد الجلة بالجمة وجملة
 منه قوله تعالى * فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * ^(٣)
 وأردف : (والآخران اقتران الثانية بـ "ثم") ^(٤) نحو :
 * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا تُدْرِكُ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ^(٥)
 وقد جاء في التفسير في معنى الآيتين السابقتين - أن
 معناه (دكا بعد دك كقوله : حسبه بابا بابا ، أى كرر عليها
 الدك حتى عادت هباء منبثا) ^(٦) ، وأن معنى * صفا صفا * (ينزل
 ملائكة كل سما فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس) ^(٦)
 والسبب في هذا الخلاف عائد الى اختلاف فهمهم للمعنى (فمن قال
 انهما من التوكيد اللفظي قال : ان الدك سيقع على الأرض مرة واحدة
 وان الملائكة سيصفون صفا واحدا . وانما أكد كل من الدك والصف
 لتفخيم أمرهما وتهويل ما يتبعهما .
 وهو يد ذلك في جانب الدك قوله تعالى * وَحُطِّتِ الْأَرْضُ
 وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * ^(٧) . ومن قال انهما ليستا
 ان الدك سيقع مرتين ، وأن الملائكة سيصفون في صفوف عدة ويكون
 المعنى على ذلك دكا بعد دك وصفا بعد صف أو دكا فدكا وصفا
 فصفا) ^(٨) .

-
- (١) الانسان : ١٥ ، ١٦ . (٢) الموزنون : ٢٦ .
 (٣) الشرح ٥ ، ٦ . (٤) محترك الاقران : ١ / ٣٢٩ .
 (٥) الانقطار : ١٢ ، ١٨ .
 (٦) الكشاف ٢٥٣ / ٤ ، وقال الرازي مثل ذلك في تفسيره الكبير (١٧٣ / ٣) ١٧٤ .
 (٧) الحاقة : ١٤ . (٨) ظاهرة التكرار في القرآن الكريم د . عبد الغنى السيد
 حسن ١٩ .

وقد اختلف النحويون في تأكيد الجمل أيضا ، فقد أجازها
" السيوطي " كما تقدم ، وبجيزه " ابن عميش أيضا بقوله :
(وتقول : ضربت زيدا ضربت زيدا ، وجاءني محمد جاءني محمد ،
والله أكبر ، الله أكبر) (١) .

لكننا نجد من بمنه بقوله : (وكذلك ليس من تأكيد الجملة
قول المودن : " الله أكبر الله أكبر " خلافا لـ " ابن جنى " ، لأن الثاني
لم هو " تبه لتأكيد الأول ، بل لإنشاء تكبير ثان ، بخلاف قوله :
" قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة " ، فإن الجملة الثانية خبر ثان ،
جنى " به لتأكيد الخبر الأول) (٢) .

وإذا تأملنا الشبه القوي بين التكرار والتأكيد اللفظي ووجدنا
أنه يجوز تكرار الاسم والفعل واسم الفعل والحرف وتأكيد كل
ذلك ، وعلمنا أنه يجوز تكرار الجملة وأن التأكيد طريق من طرق
التكرار فما المانع إذن من تأكيد الجملة بالجملة ؟

النوع الثاني : التأكيد المعنوي :

وهو بالفاظ محصورة منها : النفس والعين وكل وكلا وكتما
وأجمع وجمعا ، وجمعها وهو " أجمعون وجمع " (وأكتمون
وأهتمون وأههون اتهامات لـ " أجمعون " لا يجئن الا على إثره .
وعن ابن كيسان : تبدأ بأيهن شئت بعدها ، وسمع أجمع أبص ،
وجمع كتع ، وجمع يتع ، وعن بعضهم : جاءني القوم أجمعون) (٣) .
وهناك نوعان آخران للتأكيد وهما : تأكيد الفعل بمصدره : وهو عوض

(١) شرح المفصل لابن عميش : ٤١/٣ .

(٢) شرح قطر الندى ، تأليف محمد بن عبد الحميد : ٢٩٢ .

(٣) شرح المفصل ٤٦/٣ .

عن تكرار الفعل مرتين ، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل ، وذلك
مثل قوله تعالى * وكلم الله موسى تكليماً * (١) .

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد نحو : * اذكروا
الله ذكراً كثيراً * (٢) و * سرحوهن سراهاً جميلاً * (٣) ، وقد يضاف
وصفه إليه نحو * اتقوا الله حق تقاته * (٤) .

وقد يوءد كد بمصدر فعل آخر نحو * وتبتل إليه تبتيلاً * (٥)
والمصدر : تبتيلاً ، والتبتيل مصدر بتل . أو يوءد كد باسم من نيابة
عن المصدر نحو * أنبتكم من الأرض نباتاً * (٦) أي أنبتا ، ان النبات
اسم عين .

ومن أنواع التأكيد : الحال الموءدة نحو قوله تعالى :
* يوم أهبث عيا * (٧) وقوله تعالى * ولا تمشوا في الأرض مفسدين * (٨) .

فائدة التوكيد :

تمكين المعنى وتقرير الموءدة وما علق به في نفس السامع
واماطة الشبهة التي ربما خالجت ، وإزالة الغلط في التأويل .
وذلك من قبل أن المجاز كبير في كلامهم فقد يعمرون بأكثر الشيء
من جميعه وبالسبب من السبب ، فقد يقال : قام زيد ويكون القائم
غلامه أو ولده ، وجاء القوم ويكون الجاني أكثرهم ، وإذا كان كذلك
وقلت : جاء زيد ، ربما تتوهم من السامع غفلة عن اسم للخبر منه

- | | |
|--------------------|----------------------|
| (١) النساء : ١٦٤ . | (٢) الأحزاب : ٤١ . |
| (٣) الأحزاب : ٤٩ . | (٤) آل عمران : ١٠٢ . |
| (٥) المزمل : ٨ . | (٦) نوح : ١٧ . |
| (٧) مريم : ٣٣ . | (٨) البقرة : ٦٠ . |

أوزهاها عن مراده فيحمله على المجاز ، فيزيل تكرير الاسم ذلك
الوهم فنقول : جاءني زيد زيد ، أو جاءني زيد نفسه ،
فيذهب التأكيد بظن المخاطب من ارادة المجاز ، وكذلك الحال
في : جاءني القوم كلهم أجمعون ، ومعناها واحد في التأكيد ،
فان جمعت بينهما فللحالفة في التأكيد ، وقد ذهب قوم الى أن في
" أجمع " فائدة ليست في " كل " وذلك ليس بسديد ، والصواب
أن معناها واحد من قبل (أن أصل التأكيد اعادة اللفظ وتكراره ،
وانما كرهوا تواليهما بلفظ واحد فأبدلوا من الثاني لفظا يدل على
معناه فجاءوا بكل وأجمع ليدلوا بهما على معنى الأول ، ولو كان في
الثاني زيادة فائدة لم يكن تأكيدا لأن التأكيد تكين معنى الواحد (١) ،
وذلك كقولك ضربت ضربا فان المصدر ههنا تأكيد بخلاف قولك
ضربت ضربا شديدا ، فانه ليس بتأكيد لأنه قد دل على ما لم يدل عليه
الفعل ، وكذلك الحال فيما لو دل " أجمع " على ما لم يدل عليه
الأول ، فانه لن يكون تأكيدا ، فلو أريد بـ " أجمع " معنى
الاجتماع ، لوجب نصبه على الحالية .

وانذا اجتمعت ان واللام كان بمنزلة تكرير الجلة ثلاث مرات ،
لأن إن أفادت التكرير مرتين ، فاذا دخلت اللام صارت ثلاثا
(وعن الكسائي ، أن اللام لتوكيد الخبر و " إن " لتأكيد الاسم ، وفيه
تجاوز ، لأن التأكيد انما هو للنسبة لا للاسم والخبر) (٢) ، وكذلك
نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا ، والخفيفة بمنزلة
تكريره مرتين .

(١) شرح الفصل لابن يعيش ٤١/٣ .

(٢) البرهان ٤٠٩/٢ .

(وقال " سيبويه " فى نحو " بالهمزة الألف والها " لحقت

" أيا " توكيدا ، فكانك كررت " ما " مرتين ، وصار الاسم تنبيها ،
هذا كلامه وثبته " الزمخشري " (١) .

وبمناسبة الحديث عن " إن " فقد روى أن بعض المتفلسفين

قال : انى لأجد فى كلام العرب حشا . أجدهم يقولون : عبد الله

قائم ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم .

فالألفاظ متكررة والمعنى واحد وركب عليه بأن المعانى مختلفة لاختلاف

الألفاظ ، فالأول اخبار عن قياسه ، والثانى جواب عن سؤال سائل ،

والثالث جواب عن انكار منكر قياسه ، وقد أفرد الامام عبد القاهر لـ

ومواقفها فصلا فى " دلائل الامجاز " (٢) وتتبع الفروق بين دخولها وعدمه ،

وذكر كثيرا من نواتجها وخصائصها ، ومن لطائف تأثيرها .

الفرق بين التأكيد والتكرار :

و يستخرج من خلال الفروق السابقة بين النعت والتوكيد أن التوكيد

يختلف عن التكرار فى أمور دقيقة ، وفوارق لطيفة ، ويظهر ذلك

فيما يلى :

١ - أن التأكيد اللفظى تتمدد ألفاظه وكذلك التكرار إلا أن هنا فرقا

دقيقا وهو " أن التأكيد لا يزد على ثلاثة " (٣) .

٢ - لا يجوز أن تحذف المؤكدات بعضها على بعض ، بينما يجوز

ذلك فى التكرار كما سبق أن أوضح العلماء فى قوله تعالى : * كلا سوف

تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون * (٤) .

(١) معترك القرآن ١/ ٢٣٧ .

(٢) دلائل الامجاز من ص ٢٤٢ الى ٢٥٢ ط . السيد محمد رشيد رضا .

(٣) معترك القرآن ١/ ٢٤٣ . (٤) التكاثر : ٣ ، ٤ .

٣ - يجوز أن يقع الفصل بين المكرر من ، ولا يجوز ذلك في التأكيد ، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده ، وذلك مثل قوله تعالى ﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ﴾ ^(١) ونحو قوله تعالى ﴿ إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ ^(٢) .

٤ - التأكيد اللفظي يكون بتكرار اللفظ الأول أو مرادفه نحو قوله تعالى ﴿ ضيقا حرجا ﴾ ^(٣) بكسر الراء ، وقوله ﴿ غرابيب سود ﴾ ^(٤) ، والتكرار المعنى لا يكون كذلك فلا بد فيه من إعادة الألفاظ بمعناها ، ويمكن أن يكون الترادف ولا سيما بين الجمل تكرارا في المعنى ، وهذا بفضل التكرار التأكيد في هذا الموضع ، فالتكرار المعنوي لا حدود له ، بينما يقتصر التأكيد المعنوي على ألفاظ معينة ومحدودة .

٥ - للتكرار أغراض بلاغية كثيرة ، ومعاني عديدة تفهم من سياق الكلام - وسنتعرض لهذا الباب - بينما يأتي التأكيد في أغلب الكلام المكرر غرضا من أغراض التكرير ، وأما التأكيد فلم يله معنى أو غرض في الغالب إلا معاني جانبية قليلة وهي في حقيقتها لا تخرج من خدمة التكرير . هذا ، وقد ربط الشيخ " عز الدين بن عبد السلام " بينهما في معرض حديثه عن التكرير ودلالاته فقال : (وأعلم أنه لا توكد المراب إلا ما تهتم به فإن من اهتم بشئ أكثر ذكره ، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد ، وكلما خف ^{خف} التأكيد ، وإن توسط الاهتمام ، توسط التأكيد) ^(٥) .

-
- | | | | |
|-----|-----------------------------|-----|-----------------|
| (١) | الحشر : ١٨ | (٢) | آل عمران : ٤٢ . |
| (٣) | الأنعام : ١٢٥ . | (٤) | فاطر : ٢٧ . |
| (٥) | الإشارة إلى الإيجاز : ٢٧٤ . | | |

٦ - للتأكيد طرق متعددة محصورة وهناك طرق أخرى كما لتقدم
مثلا وما عدا ذلك فطريقه التكرار ، فنستطيع أن نقول ان كل
تأكيد لفظي تكرار :

(وهو سبحانه وبفارقته ، ويزيد عليه وينقص منه ،
فصار أصلا برأسه ، فانه قد يكون التأكيد تكرارا كما تقدم
في أمثله ، وقد لا يكون تكرارا كما تقدم أيضا ، وقد يكون
التكرار غير تأكيد صناعية وان كان مفيدا للتأكيد معنى^(١) .

٧ - ويفرق بين التأكيد اللفظي والتكرير بعدة أمور منها :

أ - فهم المعنى .

ب - فهم الغرض الذي كانت الاعداد من أجله .

ج - سياق الكلام .

د - الذوق البلاغي والحس النحوي .

والحاصل مما سبق أن التكرير والتأكيد اللفظي يلتقيان تارة

وتارة يفرقان ، وبينهما أوجه اختلاف وشبه عديدة غير هافية ،
ويمكن استنتاجها - أعني أوجه الشبه - من ذكر الفروق السابقة بينهما
ولم أفعل ذلك لوضوحها ولخشية الإطالة .

وهذا الاتفاق والاختلاف يسلنا الى أن هناك ارتباطا وثيقا بين

النحو والبلاغة ، وأن فهم المعنى مرتبط بالنحو ، وأن النحو يساعد
على ادراك البلاغة ، وأن البلاغة تساعد على فهم الدلالات والملاقات
والأغراض السوقة في الكلام ، وهذا ما سبق أن قاله الامام
عبد القاهر . وبهذا نكون قد أوضحنا الأمور

التي من أجلها عقدت هذا الفصل وهي :

- ١ - شرح أمر التوكيد حتى بان أن بينه وبين التكرير اتفاقا واختلافا .
- ٢ - أن التأكيد والتكرير داخلان في الاطناب ، خلافا لمن قال بخير هذا .
- ٣ - أن التكرير أبلغ من التأكيد وأنه - أي التكرير - من حسن الفصاحة .
- ٤ - أن التكرير أعم وأوسع مجالا من التأكيد اللفظي .

ج - التكرار والاطناب

التكرار وسيلة من وسائل الاطناب ، بل ان علماء البلاغة قد عدّوه باباً من أبوابه ، والتكرار طريق من طرق تأكيد المعنى وتكثيره ، وهو علاوة على ذلك سبيل من سبل الخالفة ، وكما أن في زيادة الحرف والحرفين قوة للمعنى ، فكذلك في زيادة الكلمة والكلمتين أو الجملة ، وهذه الزيادة اللفظية تستوجب زيادة معنوية ومن هنا كان التكرار معنى : التقرير والتأكيد والمدح والتهويل والمبالغة .

وتبرز قيمة التكرار المعنوية - ولا أقول الفنية - في تجريد من الكلام الذي أتى فيه التكرار فاقراً سورة الرحمن ، ثم تخيل السورة بدون الجملة المكررة * فبأي آلاء ربكما تكذبان * (١)

(١) سورة الرحمن .



فانك تحسن على الفور أنك أفقدت السورة روحها ونضجها وأن من السورة كلها ومفزاها في تلك الآية المكررة . وافعل مثل ذلك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الشعر الذي جاء فيه تكرار فانك تحسن فرقا شاسعا في الحالتين .

وقد عدّه بعضهم من البديع وهذا خطأ في تصوري ، وفي تصور البلاغيين أيضا ، فاننا نستطيع أن نستغنى عن البديع ومحسناته في الكلام ولكننا لا نستطيع أبدا أن نستغنى عن الكلام نفسه حتى لو تكرّر . ولأن من التكرار ما يكون تكرارا للمعنى ويكون بغير اللفاظ الأولى ، ويشتمل على فائدة معنوية جديدة أيضا ، فيكون بذلك اطنابا لا محالة لأنه يدخل حينئذ في تعريف الاطناب نفسه وهو : " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة " .

ثم ان الاطناب فيه تأكيد ومبالغة ، فلا هو بالحشو ولا بالتطويل ، وما كان التكرار الا للتأكيد والمبالغة . (واذا كان التكرير هو ابرار المعنى مرتداً فنه ما يأتي لفائدة ، ومنه ما يأتي لغير فائدة . فاما الذي يأتي لفائدة فانه جزء من الاطناب وهو أخص منه ، فيقال حينئذ : ان كل تكرير يأتي لفائدة فهو اطناب ، وليس كل اطناب تكريرا يأتي لفائدة .

وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه ، فيقال حينئذ : ان كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل ، وليس كل تطويل تكريرا يأتي لغير فائدة (١) .

ومن أجل ذلك قيده " الخطيب القزويني " حينما تحدث عن

(١) الثل السائر ٣٥٨/٢ ط : نهضة صرمت : د . بدوي طبانه .

أقسام الاطناب حيث قال : (واما بالتكرير لنكسة)^(١) ، وانما جاء هذا القيد (لأجل أن يكون اطنابا لأن التكرار اذا كان لغير نكسة كان تطويلا ، فلما كان التطويل ظاهرا في التكرار عند عدم النكسة قيد بها)^(٢) .

وبهذا يتضح أن التكرار اطناب وأنه في موضعه لا بمقل روعة من الاجاز . ولولا أهمية الصرب وحاجتهم الى الحفظ ، لطفى الاطناب على كلامهم ، ومعلوم أن كل من أوجز بوصف بالبلاغة الا أنه لا يوصف بالمي من أطنب وانما العيب في الاجاز المخل ، والاطناب المخل . قال " المسكوي " : (المنطق انما هو بيان ، والبيان لا يكون الا بالاشباع ، والشفاء لا يقع الا بالاقناع ، وأفضل الكلام أبعده ، وأبعده أشده احاطة بالمعاني ، ولا يحاط بالمعاني احاطة تامة الا بالاستقصاء ، والاجاز للخواص ، والاطناب مشترك فيه الخاصة والمامة ، والفهي والفتن ، والرهض والمرتاح ، ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية في افهام الرعايا)^(٣) .

وقال " أبو المباس " : (من كلام الصرب الاختصار الفهم ، والاطناب الفهم ، وقد يقع الايمان الى الشئ فيمنى عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل : لعة دالة . وقد يضطر الشاعر المطلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغرق ، واللفظ المستكره ، فان انحطفت عليه جنتنا الكلام غطنا على موارره^(٤) ، وسترنا من شينته)^(٥) .

(١) الايضاح للقزويني : ١١٣ .

(٢) شروح التلخيص ج ٣ / شرح الدسوقي ٢١٨ . (٣) الصناعتين : ١٩٦ .

(٤) المصوار : بالفتح : العيب ، يقال سلعة ذات موار وقد يضم ، مختار الصحاح للرازي .

(٥) الكامل للمبرد م . نهضة صرت : محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٢/١ .

والقول القصد أن للاطناب مواضع ومرتفع ، وللايجاز مواقع
وضائع ، ولكل موضع وحاجة ، وكما أن في الحذف إيجازا وبلاغة ،
فكذلك في زيادة الذكر - أي في التكرير - اطنابا وبلاغة . إلا أن
الاطناب يفضل الإيجاز في أنه يلبي حاجة الألفهام ، وبخاصة الخواص
والعوام ، وفي أنه يبسط الفكرة ويشرحها ، ويبرز القول في وضوح
وما من متكلم أراد لكلامه القول والتأثير إلا أثر الاطناب وتمدد التكرار ،
ولذلك نجد أن نسبة الفهم ، ومقدار الاستيعاب ومدى التأثير
عند الاطناب أحسن وأقوى منها عند الإيجاز (وهذا ليس بمحمود في
كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب ، بل لكل مقام مقال ، ولو كان
الإيجاز محمودا في كل الأحوال لجرد الله تعالى في القرآن ، ولم
يفعل الله ذلك ، ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للإيجاز ،
وكرر تارة للألفهام . . . وليس يجوز لمن قام مقامنا في تضييض على
حرب أو جمالة بدم^(١) أو صلح بين مشائر أن يثقل الكلام ويختصره ،
ولا لمن كتب إلى عامة كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز . ولو كتب
كاتب إلى أهل بلد في الدعاء إلى الطاعة ، والتحذير من المصيبة كتاب
" يزيد بن الوليد " إلى " مروان " حين بلغه تلكو^٢ ، في يبعثه :
" أما بعد ، فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فاعتمد على
أيتها شئت والسلام " ، لم يعمل هذا الكلام في أنفسها عليه
في نفس مروان ، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ، ويميد ويمد ،
ويمذر ويمذر) (٢) .

بالشيء والترغيب فيه ،

(١) التضييض : الأغراء ، والجمالة : بفتح الحاء : الكفالة ، والحميل : الكفيل

وزنا ومعنى . والمشائر : جمع مشيرة .

(٢) أدب الكاتب لابن قتيبة ص : محمد بن عبد الحميد ص ١٥ (١٦٠) .

اذن ، فالاطناب مطلوب فما كل الناس بلغوا يستطيعون بلاغة
الاجاز ، وليس كل الناس سواهم في فهم الاشارة ولا في حسن الاستماع ،
فكان التكرار مطلوباً لذلك .

التكرار والتطويل :

ولكن هناك فرقاً بين الاطناب والتطويل ، (فالاطناب بلاغة ،
والتطويل رقى ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ،
والاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزهة محتوى على زيادة فائدة^(١))
والتكرار بمنزلة سلوك طريق مرتين أو سلوك طريقين يختلف أحدهما
عن الآخر .

قال " القاضي عبد الجبار ٤١٥ هـ " : (ان التطويل انما يبعد
عيباً في المواضع التي يمكن الاجاز ويغنى عن التطويل فيها ،
فأما اذا كان الاجاز متمذراً أو ممكناً ، ولا يقع به العنى ، ولا يبعد
مسدّ التطويل ، فالتطويل هو الأبلغ في الفصاحة ، ولذلك استحبوا
في الخطب وعند الحملات ، والمعارض التي يحتاج فيها الى اصلاح
ذات الالين ، وتقرير الأحوال في النفوس التطويل وعابوا فيه الاجاز^(٢) .
ومعلوم أن ليس في التكرار تطويل الا اذا كان لفهم فائدة ، وذلك
كقول الحطيئة :

ألا عبداً هندٌ وأرضٌ بها هندٌ و هند أتى من دونها النأى والهند^(٣)

(١) الصناعتين ١٩٢ .

(٢) المفنى ت : أمين الخولى م . دار الكتب ٤٠١ / ١٦ .

(٣) ديوانه : ٢٩ .

فقله : - الهمد - همد - النأى ، تطويل لا فائدة من ورائه ،
وتكرير معنوى غير مفيد (والمرى الفصح الفطن اللقن برسى
بالقول مفهوما ، ويرى ما همد ذلك من التكرير مرقيا) (١) .

ولذلك عاب النقاد (٢) التكرير الزائد غير المفيد فى قوله :

النأى والهمد - ولم يعب أحد تكرير اسم محبوبته لأن فى ذلك
تلذذا ومدحا وتفهيمًا ومعانى أخرى لا تتمتع زائدة ولا غير مفيدة
ولا تتمتع تطويلا لأن التطويل مذموم فى البلاغة و يكون دليلا على
عجز صاحبه ، وقصور قدرته ، وقصر باعه ، بينما يدل الاطناب
على سعة أفق صاحبه ، وعلى تمرسه وقدرته على التصرف فى وجوه
البيان .

ولا يقصد " القاضى عبد الجبار " من التطويل ما ذمه البلاغيون ،
ولكنه يقصد به الاطناب فقد أتى به مقابلا للايجاز ، ولأنه قد أثبت
التطويل فى بعض آيات القرآن ، فهو اذن يقصد الاطناب لأن كلام
الله عز وجل منزّه عن التطويل المذموم .

واذا أردنا أن نستأنس برأى " ابن الأثير " فى هذا الموضوع
فإننا نجدّه صحيرا فى الشبه بين الاطناب والتكرير والتطويل ، وحمد
أن أنعم النظر فى الاطناب وجدّه (ضربا من ضروب التأكيد التى يوتى
بها فى الكلام قصدًا للمبالغة ، ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه
لا يشاركه فيه غيره) (٣) ووجد أن علماء البيان قد اختلفوا فيه

-
- (١) الكامل للسرد ، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم ٣٢/٣٠ .
(٢) قال المسكوى : (فقله " النأى " مع " الهمد " فضل ، وان كان قد
جاء من هذا الجنس فى كلامهم كثير) الصنائع : ١١٤ .
(٣) المثل السائر ، م : نهضة مصر ، ت : د . بدوى طهانة ٣٥٥/٢ .

مثل "الفانصى" و "المسكرى" الذى ألحقه بالتطويل فهو يخطئه
فى ذلك و يعيب عليه قوله (ان كتب الفتوح وما جرى مجراها ما يقرأ
على عوام الناس فينفى أن تكون مطولة مطناً فيها)^(١) و يصفه
بالفساد (لأنه ان معنى بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد
استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم ، وان
معنى بذلك أنها تكون مكررة المعانى ، مطولة الألفاظ قصد الافهام العامة
فهذا غير مسلم ، وهو ما لا يذهب اليه من عنده أدنى معرفة بعلم
الفصاحة والبلاغة . ويمكن فى بطلانه كتاب الله تعالى ، فانه لم
يجعل لخواص الناس فقط ، وانما جعل لمواضعهم وخواصهم ، وأكثره لاهل
جميعه مفهوم الألفاظ للعوام ، الا كلمات معدودة ، وهى التى تسمى
غريب القرآن وعلى هذا فينفى أن تكون الكتب جميعها ما يقرأ
على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة مفهومة ، وكذلك الأسماء
والخطب ، ومن ذهب الى غير ذلك فانه بنجوة عن هذا الفن . وعلى
هذا فان الاطناب لا يختص به عوام الناس ، وانما هو للخواص ، كما
هو للمواضع^(٢) ثم يرجع اسم الاطناب الى اشتقاقه فيصل
الى أن معناه الصالفة فى ايراد المعانى ، وما أنها - أى الصالفة -
حاصلة فى جميع أنواع علم البيان ، فينفى افراد الاطناب بذكر
عده (والذى يحد به أن يقال : " هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"
فهذا حده الذى يميزه عن " التطويل " ، إذ " التطويل " هو " زيادة
اللفظ عن المعنى لغير فائدة " .

(١) المثل السائر ، م . نهضة مصر ، ت : د . بدوى طبانة ٢ / ٣٥٥ .

(٢) نفس المرجع : ٢ / ٣٥٦ .

ولما للتكرير ، فإنه : " دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، كقولك
لن تستدعيه : أسرع أسرع ، فإن المعنى مردد ، واللفظ واحد ^(١) .
ثم يوضح أن من التكرير ما يأتي لفائدة فيكون جزءا من
الاطناب ، ومنه ما يأتي لغير فائدة ، فيكون جزءا من التطويل ، ويكون
بذلك قد أدخل التكرير في الاطناب بعد أن أخرجه منه ، وكأنه
يريد أن يقول :

إن التكرير يكون تكريرا لفظيا ، فيكون تكريرا محضا ،
ويكون معنويا ذا فائدة ، فيكون اطنابا ، ويكون لفظيا أو معنويا
بلا فائدة ، فيكون تطويلا . ولا داعي لمناقشة هذا التقسيم لأنه
أفرد للتكرير بابا وقسمه فيه تقسيمات بدعية ، ولكن الذي أود أن
أناقشه باختصار اتهمه " للمسكوي " بالخطأ ، ولقوله بالفساد ،
" فالمسكوي " لم يلحق الاطناب بالتطويل وهو العالم بالبيان ،
والناقد البصير ، فقد فرّق بينهما بقوله : (الاطناب بلاغة ،
والتطويل عي) ^(٢) فلا وجه لاتهام " ابن الأثير " ، وأما اتهم
قوله بالفساد ، فهو فاسد ، فإن " المسكوي " لم يخص الموام بالاطناب
وهو القائل : (والابحاز للخواص ، والاطناب مشترك فيه الخاصة
والعامة ، والخبى والظن . . .) ^(٣) .

ولا مانع عند كل البلغاء في أن تكون كتب الفتوح وما جرى مجراها
(مكررة المعاني ، مطولة الألفاظ قصد لفهم العاصفة) ^(٤)

(١) المثل السائر ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) المناهضتين : ١٩٧ .

(٣) المرجع نفسه : ١٩٦ .

(٤) المثل السائر ٢ / ٣٥٦ .

لأن هذا التكرير والتطويل معناه (أن تكون ذات معان متعددة
قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة) (١) فاسلم به "ابن الاثير"
وبالم يسلم هوشى* واحد ولكن صافه فى عبارات مختلفة ، وما اتهم
به "المسكوى" باطل ولم يقل به ، بل ان فى أقوال "المسكوى" دلائل
كثيرة تدحض اتهام "ابن الاثير" واتهامات أخرى معها لم يقل بها
"المسكوى" (٢) .

وفى رأى أن الاطناب يكون للموام وهم به أخص ، وإذا لم
يكن الاطناب والتكرير فى أكثر حالاته للموام فلن يكون لهم
الاجاز بطبيعة الحال حتى إن القرآن الكريم نفسه اذا خاطب
القرشيين أوجز وكفى ، وأشار وأوحى ، وإذا خاطب بنى اسرائيل
كثر وشرح ، ولكن ليس معنى هذا الكلام أن الخواص لا يحتاجون
الى الاطناب ، أو أن العوام فى غنى عن الاجاز .

ثم رجع بنا القول الى التكرير وعلاقته بالاطناب والتطويل ،
لنجد فى الطراز مذهباً جديداً فى تعريف الاطناب فالملوى يخرج
التكرير من الاطناب ، لأنه حرف الاطناب بأنه زيادة اللفظ على
المعنى لفائدة جديدة من غير تردد (فقولنا : هو زيادة اللفظ
على المعنى ، عام فى الاطناب ، وفى الألفاظ المترادفة كقولنا : ليث
وأسد ، فإنه كله من باب زيادة اللفظ على معناه) (٣) .

ثم يخرج التطويل لأنه زيادة من غير فائدة ، ويخرج
الألفاظ المترادفة لأنها زيادة فى اللفظ على المعنى لفائدة

(١) المثل السائر ٢/٣٥٦ .

(٢) انظر الصناعتين ١٩٦ الى ٢٠١ .

(٣) الطراز للملوى ٢/٢٣٠ .

لفوية ، ولكنها ليست جديدة ، ثم يخرج التوكيد اللفظية مثل :
اضرب اضرب ، لأنها زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة وهو
التأكيد (لكنه ترديد اللفظ وتكريره ، بخلاف الاطناب فإنه خارج
عن التأكيد)^(١) ويتضح بهذا خلطه بين التكرير والتأكيد
والترديد ، ثم يقول :

(فصارت الأُتور التي يلبس بها الاطناب ثلاثة : التطويل ،
وهو مزيد من غير فائدة ، والتكرير ، والترادف ، وقد خرج التكرير
بقيد الترديد ، وخرج الترادف بقيد الفائدة الجديدة ، وخلص
باعتبار هذه القيود عن غيره من سائر الحقائق ، فكان حاصل الاطناب الاشتداد
في المبالغة في المعاني ...)^(١) ، وبعد ذلك يتهم " المسكوي " بـ
بنفس الاتهام الذي اتهم به " ابن الأثير " .. وهو اتهام قد اتهمه
إياه أخ من قبل .

ولو أنعمنا النظر في تلك القيود والاحترازاات التي وضعها
" الملوي " لوجدنا أن كل ما أخرجه من الاطناب داخل في صميمه ،
وتمت إليه بأكثر من سبب ولا يفصل منه إلا كما يفصل الضو
من النار . فالألفاظ المترادفة بيان واطناب وقد اعتبرها البلغاء
اطنابا وجعلوها ضمن مواضعه ، ولم يخرجوا عنها إلا ما كان لغير
فائدة — وهو ما سواه بالحشو الذي يفسد المعنى وقد لا يفسده —
ومعنى هذا أنهم يعتبرون المترادف بياناً واطناباً ، وتوضيحاً وإسهاباً ،
ويقولونه لونا من ألوان الزيادة المعنوية التي تؤكّد المقصود وتقويه ،
وتشرح الفاض وتجلّيه .

(١) الطراز للملوي ٢/٢٣١ .

وعليه فاني أستطيع أن أقول : إن التكرير ما هو الا ترادف
 بين لفظتين ، أو ترادف بين جملتين : فلا أول كقولك : اصمت
 لا تتكلم أو أظمني ولا تمصني وانه قوله تعالى ﴿ لا تبقي ولا تذر ﴾ ^(١) ،
 والفرض من هذا الترادف أو التكرير : " التأكيد " والحالفة كما يقال :
 صد صدني وأعرض صدني ^(٢) . والثاني ، كقولك : آسرك بالمصروف
 وأنهاك من المنكر ، وانه قوله تعالى ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
 ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب ﴾ ^(٣) .
 وأما قوله (من غير ترديد : يحترزه من التواكيد اللفظية
 كقولنا : اضرب اضرب ، فانها زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة
 وهو التأكيد ، لكنه ترديد اللفظ وتكريره بخلاف الاطناب فإنه خارج
 من التأكيد) ^(٤) . فان الترديد غير التأكيد ، والتأكيد غير الترديد ،
 والتأكيد يختلف من التكرير .
 وأما اخراجه التأكيد من الاطناب فلم يخل به أحد ، ولا يستطيع
 أي ناقد أن يفصل بينهما لأن كل اطناب تأكيد غالبا .

-
- (١) المدثر : ٢٨ .
 (٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ٢٠٢/٣٠ دار الكتب العلمية
 طهران ط ٢ .
 (٣) المدثر ٣١ . قال في التفسير الكبير : المقصود من اعادة هذا
 الكلام هو أنه حصل لهم يقين جازم ، بحيث لا يحصل عقيبها
 اليقظة شك ولا ريب ٢٠٢/٣٠ وقال الزمخشري : لأنهم اذا جمع
 لهم اثبات اليقين ونفى الشك كان أكد وأبلغ لوصفهم بسكون
 النفس وثلج الصدر ، ولأن فيه تمريضا بحال من عداهم . .
 الكشف ١٨٥/٤ ، دار المصرفة بيروت .
 (٤) الطراز للملوي ٢٣١/٢

وأما للتباس الاطناب بالتكرير - على حد قوله - فأمر مردود من قبل البلاغيين الذين عدوا التكرير بابا من أبواب الاطناب ، وذكره ضمن أقسامه وشرحوه ومثلوا له ، لأنهم يعرفون الاطناب بأنه تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة ، ولم يخرجوا الترادف ولا الترديد ولا التأكيد ولا التكرير ، لأن هذه طرق من طرق الاطناب ، أو تكون أغراضا له ، وهى على كل حال لا تخلو من فوائد وروافد تُمدد المعنى واللفظ وتمنعهما قوة وثانة ولذلك لم تكن زائدة الا زيادة فيها فائدة ، والزيادة المفيدة فى الاطناب لا تخرج من التأكيد ان لم تكن تكريرا معنويا ، وفى الايضاح بعد الإبهام تكرير وتأکید حينما يذكر المعنى مرتين ، وفى ذكر الخاص بعد العام تكرير وتأکید حينما يذكر المعنى مرتين : مرة فى معرض العموم ، وأخرى فى معرض الخصوص ، وفى التوشيع تكرير وتأکید ، وفيه يتم تفسير المعنى بإعادة ذكره ، وفى التذليل والاعتراض تكرير وتأکید ، بل إن "الملوى" نفسه قد شهد بذلك حين قال عنه : (الاعتراض قد يدخل لفائدة جارية مجرى التأكيد وقد يكون داخلا لغير فائدة) (١) وقال من أكثر أمثله انها جاءت للتوكيد ، فكيف يكون التأكيد أو التكرير خارجين عن الاطناب ؟

لكننا نجد أن "الملوى" حينما تكلم من "التكرير فى المعنى دون اللفظ" كان يتكلم عن التأكيد ، وكانت جميع أمثله هى نفس حقيقة الأمر أمثلة لأقسام الاطناب ، وسأورد بعض تلك الأمثلة : قال تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ (٢)

(١) الطراز : ١٦٩/٢

(٢) الأحزاب : ٧٢

يقول " العلوى " : ان " الجبال " (وارد على جهة التأكيد الممنوى وفائدته تعظيم شأن هذه الأمانة المشار إليها وتفخيم حالها)^(١)
ثم يقول من قوله تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر *^(٢) ، فقله " يدعون إلى الخير " عام في كل شئ ، وإنما كسر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جهة التأكيد والمبالغة^(٣) .

ومن قوله تعالى * فيها فاكهة ونخل ورمان *^(٤) يقول :
(فإنما خص النخل والرمان بالذكر وإن كانا داخليين تحت الفاكهة ، تعظيما لأمرهما ومبالغة في رفع قدرهما)^(٥) .

و يستمر في سرد الأمثلة من الآثار والأحاديث والأشعار حتى يقول ما قاله " المقنع الكندي " في الحساسة :

وإن الذي بيني وبين بنو أمي وبين بنو عيسى لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدوا مجدى بنيت لهم جدا^(٥)
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم وإن هم هؤوا غيى هويت لهم جدا
" أنها من التوكيد الممنوى " .^(٦)

ان ما ذكره العلوى في هذه الأمثلة في باب التأكيد أو التكرير الممنوى صحيح لا أنكره ، لكنى أريد أن أثبت ما نفاه من علاقة التأكيد والتكرير بالأطناب فكل الأمثلة السابقة التى يقول إنها تكرير وتأکید لا تخرج من الأطناب بحال من الأحوال فبعضها

(١) الطراز : ١٨٤/٢ (٢) آل عمران : ١٠٤

(٣) الطراز : ١٨٤/٢ (٤) سورة الرحمن : ٦٨

(٥) ديوان الحساسة لأبى تمام ١١٧٩/٣ ، والبيت الثانى " فان يأكلوا لحمى " .

(٦) الطراز ١٨٥/٢

من "الاضاح بعد الابهام" والآخر من "ذكر الخاص بعد العام".
وكذلك ما جاء في شعر "قايوس بن وشكبير" :

(١) قل للذي بصروف الدهر عتونا هل فائد الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر يملو فوقه جيف وتستقر بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم لا عد دلتها وليس يكسف الا الشمس والقمر
فهو اضاح بعد ابهام ، وتذليل غير جار مجرى المثل ، أو اعتراض
كما جاء في قوله تعالى :

(٢) * فلا أقسم بمواقع النجوم ، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم *
وقد قال عنها : فقول "وأنه لقسم" انما ورد على جهة التأكيد لقوله
"فلا أقسم" على جهة المزينة لكونه قسما بالفا عظيما (٣) .
فهذا مع أنه تكرير وتأکید ، الا أنه اذئاب ويسونه اعتراضا ، وكذلك
البيتان اللذان استشهد بهما وتكلم فيهما من التأكيد وهما :

(٤) فدعوا نزال ، فكنت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل
وقول الآخر :

(٥) ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن قلول من قراع الكتائب
وأما بيت طرفه :

(٦) فسقى ديارك غير مفسد هاء صوب الربيع ودبة تهمي
فهو وان قال عنه إنه (وارد على جهة التأكيد بصيغة الاستثناء) (٧) ،

(١) لقايوس بن وشكبير : بنية الدهر ٦١/٤ .

(٢) سورة الواقعة : ٧٥ - ٧٦ . (٣) الطراز ١٨٢/٢ .

(٤) ربيعتهن مقروم النسي ، الصمد ٨/٢ ، نقد الشعر لا سامة بن منقذ

١٢٥ وهو موجود كذلك في حماسة أبي تمام بشرح المزدوقي ٦٢/١ .

(٥) للنايفة الذبياني ٤٧ ، وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٦) ديوان طرفه ص ٩٢ . (٧) الطراز ١٨٨/٢ .

الا أن علماء اللهاغة بدرجونه في باب الاطناب ويسمونه تكميلا
أو احتراسا .

فكل الأمثلة السابقة التي تحدث عنها " الملوى " فـ
معرض حد يسه عن التكرير أو التأكيد ، إنما هي في الحقيقة أمثلة لأقسام
الاطناب ، فقد أتى بأمثلة فيها توضيح بمد ابهام ، أو ذكر للخاص
بمد العام أو تذهيل أو تكرير أو اعتراض أو مخالفة ، وكل ذلك
تأكيد وتكرير له مساس شديد بالاطناب وله به علاقة وشيجة .
وأستطيع بمد هذا أن أقول : إن التأكيد والتكرير لا يخرجان
من الاطناب ، ولا يخرج الاطناب عنهما ، وإذا كان الاطناب خيمة
فإن عمودها التأكيد وطينها التكرير ، وهذا يتضح بطلان قول
" الملوى " : (فصارت الأمور التي يلحس بها الاطناب ثلاثة : التطويل
وهو مزيد من غير فائدة ، والتكرير ، والترادف) (١) .

*

للتكرار علاقة وثيقة بمعظم أنواع الديدع سواء ما كان منها تابعاً للمعنى أو ما كان تابعاً للفظ . وكما تغلغل التكرار في علمي البيان والمعاني ، تغلغل كذلك في معظم أنواع الديدع .
 أولنا : أن معظم أنواع الديدع لها علاقة بالتكرار ، فكثير منها يرتكز على تكرار كلمة أو كلمتين ، أو حرف أو حرفين ، في بداية الكلام أو في نهايته ، وسأعرض لبعض ذلك وأشير له شعراً ونثراً لا يبين مدى صلة هذا العلم بالتكرار ، ولا أصل من ناحية أخرى إلى أن التكرار - دعاء العربية - ينشر غلاله على كثير من أبواب الكلام ويزنها بوشى من الانسجام ، ويظهرها بأفانيس من التألف ، فمن ذلك :

أولاً - رد المعجز على الصدر :

وهو في النثر : (أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أو المتجانسين ، أو المطبقين بها ، في أول الفقرة ، والآخر في آخرها) (١)
 كقوله تعالى * وتخشى الناس واللّه أحق أن تخشاه * (٢) . وقولهم :
 " الحيلة ترك الحيلة " ، وكقولهم : " سائل اللّيم يرجع ود معه سائل " ، وكقوله تعالى * استغفروا ربكم إنه كان غفارا * (٣)
 وكقوله تعالى * قال إني لمعلم من القالين * (٤) ، وفي الشعر :
 (أن يكون أحدهما في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر الثاني) (٥) ، فمثال الأول ، قول الشاعر -
 الأقيشر الأسدي (٥) :

سريع إلى ابن العمّ ملطّم وجهه وليس إلى داعي الندى يسرع

(١) الإيضاح للقروني ٥٥٤٣/٢ .

(٢) آية ٣٧ من سورة الأحزاب ، وهي مثال لرد المعجز على الصدر في المكرر بين ، أي المتفقين لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والمطابقين بها .

(٣) آية ١٠ من سورة نوح ، وهي شاهد لرد المعجز على الصدر في الاشتقاق .

(٤) الشعراء ١٦٨ ، وهي شاهد على رد المعجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق .

(٥) البيت في الصناعتين ٤٠١ ، وفي الديدع لابن المعتز ٤٨ ، وخزانة البغدادي ٤٨٨/٤ .

والثاني كقول " الصمة " (١) :

تتبع من شهيم عرار نجلد فابعد العشية من عرار

والثالث كقول " أبى تمام " (٢) :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً فمارلت بالبيض القواضب مغرماً

والرابع كقول " ذى الرمة " (٣) :

وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا ، فاني نافع لى قليلها

والخامس كقول " القاضي الأرجاني " (٤) :

دعاني من ملا مكما سفاها فداعي الشوق قبلكما دعاني

والسادس كقول " الثعالبي " (٥) :

واذا البلاء بل أفصحت بلغاتها غانف البلاء بل باحتساء بلا بل

(١) شميم : شم ، والعرار : النرجس البري . والبيت للصمة بن

صد الله القشيري ، حماسة العزوقي ١٢٤٠/٣ والبيت غير منسوب

في نوادر أبى زيد . ٢٦١ .

(٢) البيض الأولى : جمع بيضاء ، وصف للمرأة ، الكواعب : جمع كاعب

وهي الفتاة التي نهد ثدياها ، والبيض الثانية : جمع أبيض وهو

السيف ، والقواضب : القواطع . والبيت في ديوانه بشـسـرح

الصولي ٤٥٩/٢ .

(٣) معرج مصدر ميمي بمعنى التعرج وهو الوقف والتلبث وفي

الديوان : الا تملل ساعة ، والتعلل : التشاغل والتلهي .

والبيت في ديوانه ٦٣٤ .

(٤) دعاني الأولى : اتركاني ، سفاها : سفاها وجهلا وحقا .

ودعاني الثانية : ناداني ، والبيت في الايضاح للقزويني ٤٥٠/٢ وهو في

معاهد التنصيص ٢٦٥/٣ .

(٥) البلاء الأولى : الطيور المفردة ، أنف : أزح وأبعد ، البلاء

الثانية : الأشجان ، واحتساء : شرب ، وبلاء الاخرة : جمع بلاء

وهو قاة الابريق ، صربه عن الخمر الحالة فيه ، والبيت لعبد الطك بن

محمد الثعالبي صاحب اليتية وهو في التبيان للمكبري ١٢٦/٣ .

والسابع كقول الحريري (١) :

فشفوف بآيات الثاني

وافتون برنات الثاني

والثامن كقول "القاضي الأرجاني" (٢) :

أطلتهم ثم تأملتهم

فلاح لي أن ليس فيهم فلاح

والتاسع كقول "المحترى" (٣) :

ضرائب أبدعتها في السباح

فلما نرى لك فيها ضربها

والعاشر كقول "أمرى القيس" (٤) :

إذا المرء لم يخزن عيلسانه

فليس على شيء سواء يخزان

والحادى عشر كقول "المهلبي" (٥) :

قدع الوعيد ، فما وعيدك ضائري

أظن أجنة الدباب بخير

(١) هو القاسم بن علي المعروف بالحريري ، مشفوف : مولى . آيات

الثاني : القرآن . رنات : أصوات . الثاني الأخيرة : الأوتار .

والبيت في معاهد التنصيص ٢٧١/٣ وفي الإيضاح ٥٤٥/٢ .

(٢) أطلتهم : جعلتهم أطل ورجائي ، تأملتهم : تدبرتهم وفكرت فيهم .

لاح لي : ظهر لي . فلاح : فوز وصلاح حال ، واسه أحمد بن

محمد بن الحسين ، الإيضاح ٥٤٦/٢ وفي معاهد التنصيص ٢٧٢/٣ .

(٣) ضرائب : جمع ضريبة وهي سجية ، أو هي جمع على غير قياس وأعهـ

ضرب بمعنى شكل أو صنف . أبدعتها : اخترعتها . السباح : الجود ،

ضربها : نالها وشيلا ، وقد نسب البيت للمحترى غالب شراح

التلخيص وإنما هو للقاضي الأرجاني أخذه من قول المحترى :

بلونا ضرائب من قد نرى فما ان رأينا لـ "فتح" ضربها

وهذا البيت في ديوان المحترى ١٥١/١ وقد نسب "الهاسي" في

معاهد التنصيص ٢٧٨/٣ للسرى الرفاء ، وكذلك فعل الثمالبي ١٣٣/٢ .

(٤) يخزن : يحبس ويحفظ والبيت في ديوانه ٢١٠ .

(٥) نسبه صاحب الدر الفريد لعبد الله بن محمد بن عينة المهلبى ،

والبيت رواه الهاسي في معاهد التنصيص ٢٨٨/٣ شاعدا لرذ العجز

على الصدر ، واستشهد به الخطيب القزوينى دون أن ينسب له أحد .

والثاني عشر قول "أبي تمام" (١) :

وقد كانت المبيض القواضب في الوغى

بواتر فهي الآن من بعده بتر

وقد جعل "ابن معصوم" (٢) أقسام "رد المجز على الصدر" ستة عشر

نوعا وهي : أن يقع أحد اللفظين في آخر البيت ، والآخر في صدر

المصرع الأول أو حشو أو عجزه ، أو صدر المصراع الثاني فهذه

أربعة أقسام ، وعلى كل تقدير : فاللفظان إما مكرران أو متجانسان

أو ملحقان بهما ، فتصير الأقسام اثني عشر حاصلة من ضرب أربعة

في ثلاثة ، وباعتبار أن الطحنيين قسمان : لأنه إما أن يجمعهما

الاشتقاق أو شبه الاشتقاق تصير الأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب

أربعة في أربعة .

والذي يهنا هنا هو وجود لفظين مكررين في كل شاهد

ما سبق ، فلا يوجد شاهد من شواهد رد العجز على الصدر

إلا وفيه تكرار لفظي .

ثانيا : التجنيس :

وهو أن (٣) تجيء الكلمة تجانسا أخرى وتشبهها في تأليف

حروفها ، أو يكون تجانسا في تأليف الحروف دون المعنى . وسمى

جناسا لما فيه من المماثلة اللفظية ، والمماثلة الصوتية .

والجناس كله تكرير : فنه ،

١ - ما يكون في اللفظ والمعنى من طريق الاشتقاق أو غير

(١) المبيض القواضب : السيوف ، بواتر : جمع باتر بمعنى قاطع . بتر :

جمع أوتر بمعنى قليل الفائدة . ديوانه : ٨٣/٤ .

(٢) أنوار الربيع ٩٤/٣ - ١٠٦

(٣) الهدى مع لابن المعتز : ٢٥ .

— كالتصريف — كقوله تعالى : * ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم * (١)
وقوله عز وجل * أزلت الآفة * (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (الظلم ظلمات يوم القيامة) (٣)
ومنه قول جرير :

وما زال معقولا عقال من الندى

(٤) وما زال محبوبا من الخير ها بهـــــــــــــــــس

٢ — ومنه ما يكون في اللفظ دون المعنى ، فيكون تكرارا في الصورة

كقوله تعالى * ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة * (٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (غفار غفر الله لها ، وأسلم سلمها
الله ، وعصية عصت الله ورسوله) (٦) .

(١) التوبة ١٢٧ ، والمعدة ١/٣٢١ .

(٢) النجم ٥٧ ، الصافات ٣٢٢ . وقال الزمخشري في الكشاف : قرئت

الموصوفة بالقرب في قوله تعالى * اقتربت الساعة * ٣٥/٤ .
(٣) الجامع الصحيح للترمذي في أبواب البر والصلة واستشهد به أسامة بن

منقذ في بديعه ١٤ على أنه من التجنيس المسائل .

(٤) ديوانه ٢٥٤ وصوابه :

فما زال معقولا عقال من الملى * وما زال محبوبا من المجد حابس

وقد استشهد به " ابن رشيق " على أنه من تجنيس الاشتقاق ، والجرجاني

يسميه التجنيس المطلق . المعدة ١/٣٢٤ ، كما استشهد به أسامة بن

منقذ في باب التجنيس المسائل . البديع في نقد الشعر ١٦ .

(٥) آية ٥٥ من سورة الروم وقد استشهد بها الخطيب القزويني ص ٣٥٥

للجناس التام المتفق في أمداد الحروف وأنواعها وهجائاتها وترتيبها .

(٦) غفار وأسلم وعصية : قائل ، والحدِيث في صحيح مسلم في كتاب الساجد
وموضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالصلين

نارضة رقم ٣٠٨ ، كما ذكره في كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٣ وفي باب

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لغفار وأسلم رقم ٢٥١٤ ، ٢٥١٥ ، ٢٥١٦ ،

٢٥١٧ ، ٢٥١٨) وقد استشهد به العسكري في المنايع ٣٣ ، وابن

رشيق في المعدة ١/٣٢١ وجعله ابن الأثير من التجنيس وأخرجه من

الاشتقاق . المثل السائر ٣/١٩٧ .

وكقول " لبي نواس " :

(١) والفضل فضل والربيع ربيع

عباس عباس اذا حضر الوقي

وكقول " أبي تمام " :

(٢) يحيى لدى يحيى بن عبد الله

مامات من كرم الزمان فانت

وكقوله أيضا :

(٣) سقى العهدك العهد والعهد والعهد

لما لي بالرقعتين وأهلنا

(فالعهد الأول المسقى هو : الوقت ، والعهد الثاني هو الحفاظ ،

من قولهم " فلان ماله عهد " ، والعهد الثالث : الوصية من قولهم :

" عهد فلان الى فلان ، وعهدت اليه " ، أى : وصانى ووصيته ،

والعهد الرابع : المطر ، وجمعه عهاد ، وقيل : أراد مطرا بعد مطر

بعد مطر (٤) .

٣ - ونه ، ما يكون من باب تكرار الحروف كقولهم : جنة البرد

جنة البرد (٥) ، و : جدى جهدى (٦) ، ونحو قوله تعالى :

* وهم ضنون عنه ومنأون عنه * (٧) .

(١) ديوانه ٤٦٣ وفيه : اذا احتدم الوقي .

(٢) ديوانه ٢٣٦/٣ وفيه : " من مات من حدث الزمان " .

(٣) ديوانه ٨٥/٢ .

(٤) الصمد لابن رشيق ٢٢٢/١ ٢٢٣٠ .

(٥) ذكره الخطيب القزوينى فى الايضاح ٥٣٨ وهما ما اختلف فى هيئات

الحروف فقط ويسى المحرف .

(٦) وهو مثال لما اختلف فى الأعداد وذلك اما بحرف فى الأول

كقوله تعالى * والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق *

القيامة ٢٩ ، ٣٠ ، أو فى الوسط كالمثال المذكور أو فى

الآخر ويسى الناقص .

(٧) هذا مثال للمضارع " وهو ما كان الحرفان فيه متقاربين فى الوسط "

والآية فى سورة الانعام ٢٦ .

وقوله تعالى * ويل لكل همزة لمزة * (١) ونحو "حسامه
فتح لا وليائه حتف لا عدائه" (٢)، ونحو قوله تعالى * وجهتك
من سبأ بنياً يقين * (٣)، ونحو قوله عز وجل * فأقم وجهك للدين
القيم * (٤)، ونحو قوله تعالى * قال إني لعلمكم من القالين * (٥)
إلا أن التجنيس فضلاً ومزينة يتميز بها على التكرار وهي أن
الشاعر أو الأديب يعيد عليك اللفظة (كأنه يخدمك من الفائدة
وقد أعادها ، ويوهك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّأها ،
ولهذه النكّة كان التجنيس وخصوصاً المستوفى منه مثل " نجبا ونجبا "
.. من على الشعر) (٦) .

ثالثاً - العكس :

وهو : (أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه
ما جعلته في الجزء الأول) (٧) وبمضهم يسميه التبديل ، وهو مثل
قول الله عز وجل * يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي * (٨)
وقوله عز وجل * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مسك لها ، وما يمسك
فلا يرسل له من بعده * (٩) .

-
- (١) سورة الهمزة آية "١" وهو مثال للاحق ويكون في الأول وفي الوسط وفي الآخر .
 - (٢) مثال لتجنيس قلب الكل .
 - (٣) سورة النحل آية ٢٢ وهو مثال للمزدوج والمكرر والمردود وذلك إذا ولي أحد المتجانسين الآخر .
 - (٤) سورة الروم آية ٤٣ وهي مثال لما يلحق بالجناس وهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق كالأية المذكورة .
 - (٥) سورة الشعراء آية ١٦٨ وهي مثال للنوع الثاني ما يلحق بالجناس وهو المشابهة وهي ما يشبه الاشتقاق .
 - (٦) دلائل الإعجاز للبرجاني ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
 - (٧) الصناعات للعسكري ص ٣٨٥ .
 - (٨) سورة الروم آية ١٩ .
 - (٩) سورة فاطر آية ٢ .

وقوله تعالى : لا هـن حل لهم ولا هم يحلون لهن * (١)

وكقول القائل : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك .

وقال بعضهم (٢) : انى أكره للرجل أن يكون مقداره لسانه فاضلا

من مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا عن مقدار لسانه .

ومن الشعر قول الحسين بن مطير :

منمة الأطراف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها (٣)

ومنه " لعبد الله بن الزبير الأسدي " :

رمى الحدثان نسوة آل حرب بأحداث سمعن لها سؤودا (٤)

فرد شموهـن السؤود بيضا ورد وجوههن البيض سؤودا

والحاصل (أنك اذا قدمت جزءا من الكلام على جزء آخر ثم عكست فقدمت

ما أخرت ، وأخرت ما قدمت كان هذا عكسا وتهدىلا . وهو يستلزم تكرار

الجزأين الواقع فيهما المكس بالتقديم والتأخير (٥) وهذا من تكرار

الجميل كما هو ظاهر .

(١) سورة المتحنة آية ١٠ .

(٢) الصناعتين ٢٨٦ ، الهدى ص ٣٨ ذكره فى باب الطائفة .

(٣) ديوانه ٢٥ ، وفيه مخرصة الأوساط وأنشده ابن المعتز فى بديعه

ص ٣٩ : مبتلة الأرداف ، والبيت موجود فى حسانة المرزوقى :

١٢٣٠/٣ ، مخرصة الأوساط ، والمبتلة : التامة الخلق ، والمخرصة :

دقيقة الخصور ، غير واسعة الجنوب والبيت موجود أيضا فى بديع

ابن منقذ ص ٤٧ .

(٤) ديوانه ١٤٣ ، ١٤٤ ، وبدىع ابن المعتز ٣٨ ، بدىع ابن منقذ

٢٧ ، وحسانة المرزوقى ٩٤١/٢ وفيها : بمقدار بدلا من : بأحداث

والسؤود : الغفلة من الشئ ، وذهاب القلب عنه ، وقيل : السؤود يكون

سؤورا وحزنا وأنشد البيهتين فى اللسان : مسعود ، والحدثنان :

الليل والنهار ، أى : رعى تقدير الله نسوة آل حرب بأحداث ، وآل حرب :

بنو أمية ، وحرب جد معاوية بن أبى سفيان .

(٥) شروح التلخيص ٣١٩/٤ شرح الدسوقي .

رابعاً : القلب :

وهو من أنواع الجناس ^(١) ، ومن أنواع القلب " المستوى الذى يقرأ
طردا وعكسا " وهو (الذى أوله وآخره على جهة الاستواء ، وهو قليل
نادر صعب المسلك ، وعسر المرتقى) ^(٢) ، ومنه فى كتاب الله قوله
مزوجيل * كل فى فلك ^(٣) و * ربك فكبر ^(٤) ، ومن

الشعر :

موتته تدوم لكل هول وهل كل موتته تدوم ^(٥)

وقول الحريري :

أمن أرملا اذا عبرا	وارع اذا المرء أسا ^(٦)
أسند أخا نيامه	أين إغاء دتسا
أسل جناب غاشم	مغائب ان جلسا
اسر اذا هب مرا	وارم به اذا رسا
اسكن تقو فمسى	يسف وقت نكسا

(١) قد مر أن من أنواع الجناس مقلوب الكل مثل فتح ، وحفف
ومقلوب البعض نحو : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا
وإذا وقع أحدهما فى أول البيت والآخر فى آخره سى مقلوبا
سجنها .

(٢) الطراز للملوى ٩٦/٣ .

(٣) الأنبياء ٣٣ وسورة يس ٤٠ .

(٤) المدثر : آية ٣ .

(٥) للقاضى الأرحانى ، الايضاح للقزوينى ٥٥٣ ومعاهد التنصيص

٢٩٥/٣ .

(٦) شرح مقامات الحريري ٢١١/٢ ، والطراز للملوى ٩٦/٣ .

وهذا من تكرار الحروف ، وقد يكون القلب في الكلمات ، كقول الشاعر ^(١) :

عدلوا فما ظلمت لهم دول سعدوا فما زالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم رفعوا فما زلت لهم قدم
وهو مدح ، فاذا قلبته كان ذما ، وهذا قلبه :

نعم لهم زالت فما سعدوا دول لهم ظلمت فما عدلوا
قدم لهم زلت فما رفعوا شيم لهم شحت فما بذلوا
خاصا : تشابه الاطراف :

(وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى) ^(٢) .
كقوله تعالى * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف
الخبير * ^(٣) -

ومرفه " ابن معصوم " بقوله : (أن يعيد الشاعر لفظة القافية
في أول البيت الذي يليها فتكون الاطراف متشابهة) ^(٤) وقد يكون
ذلك في النثر أيضا بأن يعيد النثر سجمة القرينة الأولى ففى
أول القرينة التي تليها . مثل قوله تعالى * وقد الله لا يخلف الله
وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا * ^(٥)

- (١) لم ينسبه عبد التعمال الصعدي في بغية الايضاح لتلخيص
الفتاح ١٠١/٤ .
(٢) الايضاح للخطيب القزويني ٤٩٠/٢ .
(٣) الانعام : ١٠٣ .
(٤) أنوار الربيع ٤٥/٣ ، وقد ساء الأجدابي التسيخ . ولم يرتض
" ابن أبي الاصم " هذه التسمية في بديع القرآن ٢٢٩ .
(٥) الروم : ٦ ، ٧ .

فأما فاصلة الآية الأولى في أول الآية الثانية ،

وما وقع في غير الفواصل ، قوله تعالى * الله نور السموات
والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج
كانها كوكب دري * (١) ، ومثاله من الشعر ، قول " أبي حنيفة
النخعي " :

رمتني وستر الله بيني وبينها شية آرام الكاسم رميم (٢)
ريم التي قالت لجيران بيتها ضفت لكم أن لا يزال بهيم
ومنه قول " أبي نواس " :

خزيمة خير بني خازم وخازم خير بنس د ارم (٣)
ودارم خير تميم وما مثل تميم في بنس آدم
الا البهليل بنو هاشم وهم سيف لبني هاشم

(١) سورة النور آية ٣٥ .

(٢) البيان والتبيين ٦٨/١ ، وفيه : لجارات بيتها ، وفي
البيان ٣٢٤/٣ ، وفي الكامل ٢٩/١ ، ٣٠ ، جمل قوله :
ألا رب يوم لو رمتني ريمتها

ولكن عهدي بالنضال قديم

بعد البيت الأول وجعل البيت الثاني ثالثا . وستر الله الاسلام
أو الشيب . الكاس : الموضع الذي تأوى اليه الظباء .
ورميم : غلبته .

(٣) استشهد بها ابن أبي الأصبغ في تحرير التعبير ٣/٥٢٠ ويديع
القرآن ٢٣٠ وهي غير موجودة في ديوانه .

سادسا : الارصاد أو التسهيم (١) :

وهو : أن يؤسس الكلام على وجه يدل على بناؤه ما بعده (٢) ،
كقوله تعالى * مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل المنكوت
اتخذت بيتا ، وإن أو هن البيوت لبيت المنكوت * (٣) .
فلو وقف على " أو هن البيوت " علم أن بعده " بيت المنكوت " .
وهكذا قوله تعالى * إذا لهم مكر في آياتنا ، قل الله أسرع مكرا ، إن
رسلنا يكتبون ما تمكرون * (٤) .

(١) سى ارصادا من : أرصد له بمعنى : أهد أول الكلام لآخره أو
لأن السامع يرصد ذهنه لمعجز الكلام بما دل عليه ما قبله .
والتسهيم : تصويب السهم الى الغرض ، لأن التكلم بصوب ما قبل
الكلام الى عجزه ، ومنهم من سماه : التوشيح ، وبينهما فروق ذكرها
ابن معصوم : أنوار الربيع ٢٣٦/٤ وهي :
١ - أن التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره ، ويعلم مقطعه
من حشوه ، من غير أن تتقدم سجمة النثر أو قافية الشعر ، والتوشيح
لا يعلم السجمة والقافية منه الا بعد تقدم معرفتها .
٢ - التوشيح لا يدل على أوله الا على القافية فحسب ، والتسهيم
يدل على تارة على عجز البيت وطورا على ما دون المعجز بشرط الزيادة
على القافية .

٣ - التسهيم يدل تارة أوله على آخره ، وطورا آخره على أوله
بخلاف التوشيح . " وقد عرفه (قدامة) بقوله " أن يكون أول البيت
شاهدا بقافيته ومناها متعلقا به حتى ان الذى يعرف قافية القصيدة
التي البيت فيها اذا سمع أول البيت عرف آخره " صانت له قافيته " .
نقد الشعر ١٦٧ . ومثل له بقول الراى :

وإن وزن الحصى فوزنت قوى * وجدت حصى ضرر سبتهم رزنا

والمستطاف : نقد الشعر لقدامة ١٦٧ ، الصناعتين ٣٩٨ ، المدة ٢٢/٢
الاغانى ٢٣/٢٤٨ .
والفرق بين التصدير والتوشيح أن التصدير دلالة لفظية ، ودلالة
التوشيح معنوية .

(٢) أنوار الربيع لابن معصوم ٢٣٦/٤ .

(٣) المنكوت : ٤١ (٤) بونس : ٢١

إذا وقف على " يكتبون " ، عرف أن بعده " ما تمكرون " لما تقدم
من ذكر المكر . وكقوله تعالى ﴿ وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون ﴾ (١) . ومن الشعر قول " البحترى " :

أهيكما دما ولو أنى على قدر الجوى أهكى بكيكما دما (٢)

وقوله :

أهلّت دمي من غير مجرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلا مسمى (٣)
فليس الذي حلّلته .. بمحلّل وليس الذي حرّمتيه بحرام
وتكرار اللفاظ (٤) أو ما اشتق منها واضح في الأمثلة .

سأبما : الشاكّة :

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا (٥)

أو تقديرًا ، كقول " أبي الرقعمق " :

قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طبعه .. قلت : اطبخوا لي جبة وقميصاً (٦)

(١) المنكبوت : ٤٠ .

(٢) ديوانه : ١٩٥٨/٣ والجوى : شدة الوجد من الحزن
أو المشق .

(٣) ديوانه ٢٠٠١/٣ ، وبين البيتين في الديوان بيتان .

(٤) من التسميم ما تكون الدلالة فيه معنوية فقد روى " ابن رشيق "
في الممددة ٣٢/٢ أن " ابن أبي ربيعة " أنشد " ابن عباس "
رضي الله عنه :

تشط غدا دار جيراننا — فقال ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد .
فقال له عمر : هكذا صنعت .

(٥) الايضاح للقزويني ٢/٩٣ ومثال التقديرية : قوله تعالى ﴿ صبغة

الله ﴾ ولم أورد ها لأنه لا تكرر فيها فلم يتقدم فيها لفظ الصبغ .

(٦) هو أحمد بن محمد الأنطاكي ت ٣٩٩ . ترجم له النخالي في اليقظة

٣١٠/١ والبيت في معاهد التنصيص ٢/٢٥٢ وفي الايضاح ٢/٤٩٤ .

وعليه قوله تعالى * تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك * (١) ،
وقوله : * وجزاء سيئة سيئة مثلها * (٢) ، ومن لطيف المشاكلة
قول " عمرو بن كلثوم " :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٣)
فـ " طبعه " و " اطبخوا " ، و " نفسى " و " نفسك " ، و " سيئة " و " سيئة " ،
و " يجهلن " و " نجهل " ، ألفاظ مكررة وفى كل مشاكلة تحقيقية
تكرار لفظى .

ثامنا : العزوجة :

وهو أن يزوج بين معنيين فى الشرط والجزاء (٤) ، كقول
" البهترى " :

إذا ما نهى الناهى فلجّ بهى الهوى أصاغت إلى الواشى فلجّ بها الهجر (٥)
وكقوله أيضا :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القر بهى ففاضت دموعها (٦)
والتكرير واضح من ترتيب فعل واحد مختلف المتعلق على شرطه وجزائه
وهما فى البيت الأول " لجّ " وفى البيت الثانى " فاضت " حيث زواج بين
الاحتراب وتذكر القر بهى الواقمين فى الشرط والجزاء فى ترتيب فيضان
شئى " عليهما .

(١) الحائدة : آية ١١٦ .

(٢) سورة الشورى آية رقم ٤٠ .

(٣) شرح القصائد المشرقة لشمس زى ٢٣٨ .

(٤) الامضاح للقزوينى ٤٩٧/٢ .

(٥) لجّ : تماهى وأوغل ، أصاغت : أنصت ، دموعه ٨٤٤/٢ .

(٦) احتربت : حاربت ، القر بهى : القرابة ، فاضت : سالت ،

والبيت فى دموعه ١٢٩٩/٢ .

تلسماء : التفريق :

وهو اتفاق تباين بين أمرين من نوع واحد في المصحح
أو غيره (١) ، كقوله :

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخيا
فنوال الأمير بدوة عين ونوال الغمام قطرة ماء (٢)

ونحوه قوله :

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين (٣)
أنت إذا جدت ضاحك أبدا وهو إذا جاد دمع العيمن
فكرر في الأول لفظة " النوال " وفي الثاني لفظة " الجدوى " ،
ومشتقاتها .

فاشرا : الجمع مع التفريق :

وهو أن يدخل شيان في معنى واحد ويترك بينهما جهتي
الادخال (٤) كقوله :

(١) الايضاح للقزويني ٥٥٥/٢ .

(٢) قاله محمد بن محمد رشيد الدين المصروف بالطواط . ترجم له
" باقوت " في معجم الأديب ٢٩/١٩ وتوفي بخوارزم سنة ثلاث
وسبعين وخمسائة وترجم له السيوطي في بنية الوعاة ٢٢٦/١
والبيت في معاهد التنصيص ٣٠٠/٢ وفي الايضاح ٥٥٥/٢ .
والنوال : المطا ، والهدرة : كمن فيه الف دينار ، أو مشرة
آلاف درهم ، والعين هنا : المال .

(٣) البيتان للوأوا : الدمشقي ، وهو أبو الفرج محمد بن أحمد الفسائي
الدمشقي وقد ترجم له الثعالبي في اليتيمة ٢٧٢/١ ، والبيتان في
معاهد التنصيص ٣٠١/٢ وفي الايضاح ٥٥٥/٢ ، وجدواك :
مطاوذك .

(٤) الايضاح للقزويني ٥٥٧/٢ .

(١) فوجهك كالنار في ضوءها وقلوب كالنار في حرها
ومنه قوله تعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فتحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار حسرة ﴾ (٢) .
ومنه قول " مروان بن أبي حفصة " :

تشابه يوماء طينا فاشكلا فلا نعن ندري أي يوميه أفضل (٣)
أموم نداء الغرام يوم بأسه وما منها إلا أغر محجل
حادي حشر : الجمع مع التقسيم والتفريق :

كقوله تعالى : ﴿ يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سئدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك مطاء غير مجذون ﴾ (٤)

فأما الجمع ففي قوله تعالى ﴿ يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾
فان قوله " نفس " متمدد معنى ، لأن النكرة في سياق النفي تصم ، وأما
التفريق ففي قوله " فمنهم شقي وسعيد " ، وأما التقسيم ففي قوله :
" فأما الذين شقوا " فكرر اللفظ ثم عاد فكرر التقسيم وهو قوله " سئدوا " .

- (١) البيت لمحمد رشيد الدين الطوطا السالف الذكر ، ذكره المصا
في معاهد التنصيص ٤/٣ وفي الطراز للملوي بدون نسبة ١٤٢/٣ .
وفي الايضاح ٥٥٠٧/٢ .
(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٢ .
(٣) ديوانه ص ٨٩ .
(٤) سورة هود الآيات : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ومجدون :
أي غير مقطوع عنهم ولا مخترع . المفردات للأصفهاني ص ٩٠ .

وقد يطلق التقسيم على " استيفا أقسام الشئ " بالذكر^(١) ،

كقوله تعالى +

* ثم أورشنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فضعهم ظالم^{٩٩}
لنفسه وضمهم مقتصد ، وضمهم سابق بالخيرات بإذن الله *^(٢) ،

وقوله : * يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا ، وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ، أَوْ
يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ، وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً *^(٣) .

ومثال من الشعر قول " رهمير " :

وأعلم علمَ اليوم والامس قبله ولكنى عن علم ما فى غدٍ صم^(٤)

وقول نصيب بن رباح :

فقال فرمق القوم " لا " وفرمقهم " نعم " وفرمق^{٩٩} لا يمن الله ما ندري^(٥)

ولا تخلو الا مثله من التكرار اللفظى .

(١) الايضاح للقزوينى ٥٠٩/٢ ، ٥١٠ ، ويطلق التقسيم أيضا على

أمر آخر وهو : أن يذكر أحوال الشئ " مضافا الى كل حال

ما يليق بها كقول أبى الطيب :

" بدت قمرا ومالت خوط بان " .

(٢) سورة فاطر آية ٢٢ .

(٣) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ ، ومعنى يزوجهم : يقرن الاناث والذكور

فيجعلهم أزواجا ، التفسير الكبير للرازى ٢٧/١٨٥ .

(٤) عم : أى أسمى وفى ديوانه ص ٢٩ " وأعلم ما فى اليوم والامس قبله " .

(٥) فى نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١٣٩ " وفرمق قال ويحك لا أدري " .

وفى اللسان " بمن " رواه :

فقال فرمق القوم لما نشدتهم * نعم ، وفرمق : لمن الله ما ندري

وهو كذلك فى ديوانه ٩٤ .

قال الجوهري : أمين الله : اسم وضع للقسم ، وألفه الف وصل عند أكثر

النحويين ، ولم يجرى " فى الأسماء " ألف وصل مفتوحة غيرها ، وقد

تدخل عليه اللام لتأكيد الابتداء " . تقول : لمن الله ، فقد هب الألف

فى الوصل ثم أنشد البيت . وهو مرفوع بالابتداء " وخبره محذوف تقديره

: لمن الله قسمي . وقد استشهد به المسكوري فى الصناعتين ٣٥٠ على

صحة التقسيم .

ثاني عشر : التفريع : (١)

وهو " أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد اثباته لمتعلق له آخر " (١)

كقول الكمي : :

أحلامكم لسقام الجبل شافية^{٩٩} كما دماؤكم تشفى من الكلب (٢)

" فرع من وصفهم يشفا أحلامهم لسقام الجبل وصفهم يشفا دماؤهم

من داء الكلب " (٢)

وذكر ابن أبي الأصبع " نوعا للتفريع لم يسبق الى استخراجة :

قال " وانما لم أثبتة فيما ابتكرته من الأصواب لكونه نوعا من التفريع

فالذى يجب أن يسمى به تفريع الجمع ، لأن كل بيت ينطوي على

فروع من المعاني شتى من المدح تفرعت من أصل واحد " (٤) ، وعرفه

بقوله : " أن يبدأ الشاعر بلفظة هي إما اسم وإما صفة ثم يكررها

في البيت صفات فـ... إلى أسماء وصفات يفرع من جملة لها

أنواع من المعاني في المدح وغيره " (٤) . ومثل له بقول أبي الطيب :

(١) للتفريع وجه ثالث وهو أن تصدر الكلام بحرف النفي " ما " ثم

تأتي بعد ذلك بأفعل التفضيل كقول الأعشى :

ما روضة من رياض العزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

بضاحك الشمس منها كوكب شرق موثر بمميم النمت مكهبل

بوما بأطيب منها نشر راحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

ديوانه ص ٥٧

(٢) الأيضاح للقزويني ٥٢٣/٢

(٣) الأيضاح ٥٢٣/٢ وسامع التنصيص ٨٨/٣

الأحلام : المقول . والكلب ، شبه جنون يحدث للشخص من عض

الكلب الصاب به ، وزعموا أن دواءه شرب دماء الطوك فهو كناية عن

أنهم طوك كما أنهم علماء أصحاب عقول راجعة تشفى من سقام الجبل

والكميت بمدح آل البيت .

(٤) تحرير التحرير ٣٧٢/٣

أنا ابن اللقاء ، أنا ابن السخا . أنا ابن الضراب ، أنا ابن الطمان^(١)
 أنا ابن الفياض ، أنا ابن القوافي أنا ابن السروج ، أنا ابن الرمان
 طويل النجاد ، طويل العماد طويل القناة ، طويل السنان
 حديد اللحاط ، حديد الحفاظ حديد الحسام ، حديد الجنان
 وهذا الى التردد أقرب وبه أشبه ، فردد اللفاظ مع اختلاف تعلقاتها ،
 لكن اذا نظرنا الى المعاني أو الى الأبيات جميعها دون تفصيل
 كان تفريعا ، واذا نظرنا الى كل لفظة على حدة كان تكريرا .

ثالث عشر : المجاورة :

وهي " تردد لفظتين في البيت ، ووقوع كل واحدة منهما بجانب
 الأخرى أو قريبا منها ، من غير أن تكون احدهما لغوا لا يحتاج
 اليها " ^(٢) ، وذلك كقول "علقة" :
 ومطعم الفخم يوم الفخم مطمعه أنى توجه المحروم محروم^(٣)
 (فقله : " الفخم يوم الفخم " مجاورة " المحروم محروم " مثله) ^(٢)

(١) ديوانه : ١٨٩/٤ ، ١٩٠٠ ، واللقاء : ملاقاته الأقران في
 الحرب ، والضراب : صدر ضارب يضارب ضراها ، وهو من
 ضرب السيف . ويريد أنه ملازمها ، وكل من لازم شيئا
 يقال هو ابنه كقولهم لطير الماء : ابن الماء ، لملازمته
 له . الرمان : جمع رمن وهو أنف الجبل الذي يندرسه ،
 والنجاد : حالة السيف ، والعماد : عمود الخيمة ، والقناة :
 الرمح ، وكل ذلك من باب الكناية . اللحاط : طرف الصين ما يلي
 الصدغ . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والجنان :
 القلب . والحسام : السيف القاطع . بصف قوة لحاظه وحفظه
 وقلبه وسيفه .

(٢) الصناعتين : لابي هلال المسكوي ٤٣١ .

(٣) ديوانه ص ٦٦ .

وقول "أبي تمام" :

إنا أتناكم نصون مآربنا يستصفر الحدث المظيم عظيمها^(١)
وقوله أيضا :

وما ضيق أقطار البلاد أضافني إليك ، ولكن مذهبى فيك مذهبى^(٢)
رابع عشر : التطريز :

وهو " أن يسقح في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية
في الوزن ، فيكون فيها كالطراز في الثوب " ^(٣) ، وذلك مثل قول
"أبي تمام" :

أهوام وصل كاد ينسى طولها ذكر النوى ، فكانها أيام^(٤)
ثم انبرت أيام هجر أردقت نجوى أسى ، فكانها أهوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانهم وكأنها أهلام
ومنه قول "المسكوى" ^(٥) فى مرثية :

أصبحت أوجه القور وضاً وغدت غلّة القور ضيماً
سوم أضحى طريدةً للمنايا ففقدنا به الفنى والفنا^(٦)

(١) ديوانه : ٢٢٥/٣

(٢) ديوانه : ١٥٤/١

(٣) الصناعتين : ٤٤٣

(٤) ديوانه ١٥١/٣ ، وفيه (كان) فى صدر البيت

الأول بدل " كاد " وفى عجز البيت الثانى " نجوى أسى "

بدل " نجوى أسى " وعجز البيت الثالث " فكانها وكأنهم "

(٥) الصناعتين ٤٤٣ ، ٤٤٤

(٦) الفنى بالكسر والقصر : اليسار ، وبالفتح والمد : النفع ، مختار

المصاحح للرازى ٤٨٣

- يوم ظل الثرى يضم الثريا فعدنا منه السنا والسنا (١)
يوم فانت به هوادر شوام فوزينا به الثرى والشرام (٢)
يوم ألقى الردى عليه جرانا فعدنا منه الجدا والجدا (٣)
يوم ألوت به بنات اللبالي فلبسنا به البلى والبلا (٤)

وللتطير معنى آخر وهو (أن يستدى المتكلم من ذوات غير صفلة
ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذى قدره فى
تلك الجمل الأول * فتكون الذوات فى كل جملة متعددة تقديرا ، والجمل
متعددة لفظا ، وعدد الجمل التى وصفت بها الذوات (لا عدد الذوات)
عدد تكرار واتحاد لا تعداد (تفاير...) (٥) وذلك مثل قول * ابن
الرومى :

- أموركم بنى خاقان عندى حجاب فى حجاب فى حجاب (٦)
قروون فى روموس فى وجوه صلاب فى صلاب فى صلاب
و* للمحترى :

- فى حلتى وشى وزهر فالتقى وشيان : وشى ربه ، ووشى برود (٧)

- (١) السنا مقصورضو* الهرق والسنا* من الرفعة ، مختار الصحاح للرازى ٣١٨.
(٢) الثرى : التراب الندى والشرام* بالمد ككرة المال ، نفسه ص ٨٣.
(٣) ألقى الردى عليه جرانا ، قال الزمخشري فى أساس البلاغة "جرن"
هو من الجواز المنقول من الكناية من قولهم : ضرب البعير بجوانه
وألقى جرانه اذا برك ويقال : ألقى فلان على هذا الاثر جرانه
اذا وطن نفسه عليه . والجدا : السطر العام ، وأجداه أعطاه ،
والجداء : الغنا* .
(٤) قال ابن منظور فى "لوى" * ألوى بهم الدهر : أهلكهم . والبلى :
من بلى الثوب .
(٥) أنوار المييع لابن محصوم ٣٤٢/٥ . (٦) ديوانه ٣٥٣/١ .
(٧) فى ديوانه ٦٩٨/٢ ، فى حلتى حبر وروض فالتقى* والحبرة ضرب من
برود اليمن جميعها : حبر ، ورواية صدر البيت الثانى :
"وسفرن فامتلات عيون راقها" و* وفى مساعدنا الوصال* .

وسفر فامتلات حدود زانها وردان : ورد جنى ، وورد حدود
فتى ساعدنا الزمان ، وود هرنما بومان : يوم نوى ، و يوم صدود

خامس عشر : السلب والایجاب :

وهو (أن تنهى الكلام على نفى الشئ * من جهة ، وإثباته من جهة
أخرى ، أو الأمر به فى جهة ، والنهى عنه فى جهة وما يجرى مجرى
ذلك) (١) .

كقول الله تعالى * فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريما * (٢) .

وقوله تعالى * فلا تخشوا الناس واخشون * (٣) .

وقوله عز وجل * ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا * (٤) ، ومن الظلوم قول امرئ القيس :

هضم الحشا لا يطلا الكف غصرها

ويطلا منها كل حجل ودملج (٥)

وقول السؤال :

وننكر ان شعا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين نقول (٦)

(١) الصناعتين : ٤٢١ .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الاسراء .

(٣) الآية ٤٤ من سورة المائدة .

(٤) الآية ٦ ، ٧ من سورة الروم .

(٥) الصحيح أنه للشاخ ، ديوانه : ٧٥ ، الحجل : الخلل ، الدملج :
العضد من الحلى .

(٦) للسؤال بن عاديا ، الحاسة البصرية ١٤٨/١ و ديوانه ص ٩١ .

وقول البهتري :

سقيض لي من حيث لا أعلم التوى و يسرى الى الشوق من حيث أعلم (١)
وهو نفسه طباق السلب ، عرفه الخطيب بقوله : " هو الجمع بين
فعلين مصدر واحد مثبت ونفي ، أو أسروني " (٢) فلا ألفاظ مكررة
ولكن النفي يقلب معانيها .

سادس عشر : التذييل :

ضرب من الاطناب وهو (تعقيب الجملة التامة نظاما كانت أو نشرا
بجملة تشتمل على معناها لتوكيد منطوقها أو فهمها ، ليظهر
المعنى لمن لم يفهمه ، و يقرر عند من فهمه) (٣) . قال
المسكوي : " اذا كان في زيادة الألفاظ وتكثيرها وترديد
وتكريرها زيادة فائدة فذلك محمود ، وهو من باب التذييل " (٤) ،
وقال أيضا : " وللتذييل في الكلام موقع جليل ، ومكان شريف خطير ،
لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا " (٥) ، وعرفه
بقوله : " هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بمينه ... وينبغي
أن يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف العاقلة ، لأن تلك المواطن
تجمع البطش ، الفهم ، والبعد الذهن ، والثاقب القريحة
والجيد خاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد
عند الذهن اللقن ، ووضح للكليل البليد " (٦) .

(١) في ديوانه ١٩٢٨/٣ تقوى ، وقضى الله تعالى فلانا لفلان
جاء به وأتاحه له .

(٢) الايضاح للقزويني ٥٤٨٠/٢

(٣) أنوار الربيع لابن معصوم ٣٩/٣

(٤) المناستين ٣٨ (٥) المناستين ٣٨٧

(٦) المناستين ٣٨٧ . واللقن من لقن الكلام أى فهمه .

وهو ضربان : ضرب يخرج مخرج المثل السائر بأن يكون
مستقلاً بإفادة المراد فيكون جائز الاستعمال على الانفراد ، كقوله
تعالى * وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً * (١)
فدلت الجملة الأولى بمنطوقها على زهوق الباطل ، والجملة الأخيرة تأكيد
وتقرير لذلك . ومنه قول النابغة الذبياني :

ولست بمستيق أخا لا تلمّ به على شعث ، أي الرجال المهذب (٢)
وقول الحطيئة :

تزو رفقي يعطى على الحمد ماله ومن يسطر أثنان المدائح (٣)
فمجز البيت كله تذييل أخرج مخرج المثل وبين الصدر والمجز تكرار
محكم للمعنى .

والضرب الثاني لا يخرج مخرج المثل لتوقفه على ما قبله ، كقوله
تعالى * ذلك جزيناهم بما كفروا و هل يجازى إلا الكفور * (٤)
ومنه قول " ربيعة بن مقروم " :

فدعوا نزال فككت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل (٥)
وقد فرق " ابن معصوم " بين التذييل والتكرير بقوله : (ان
التكرير يكون بلفظ الجملة المتقدمة ، ولا تفايده بين الجملتين
بحسب الذات ، بخلاف التذييل ، فان التفاير فيه بين الجملتين
بحسب الذات) (٦) .

(١) الآية ٨١ من سورة الاسراء ، وزهق الباطل أي اضمحل .

(٢) ديوانه : ص ٥٦ . لا تلمه : لا تجمع له ولا تضمه اليك ، والشعث في

الأصل اغترار الشعر واستعير للميؤوب الممنوعة والخلقية .

(٣) ديوانه : ص ٥١ وروايته :

تزو امرأ يوتي على الحمد ماله * ومن يوسّات أثنان المحامد يحمده
ويروى : المكارم . (٤) الآية ١٧ من سورة سبأ .

(٥) حماسه أبي تمام ، ش المعزوقي ٦٢/١ ، ونزال : اسم لانزال ، يعني على
الكسر ، والممنى تنادوا وقالوا نزال فككت أول النازلين ، ولأى شى " أركب
فرسي اذا لم أنزل اذا دعيت الى النزال .

(٦) أنوار الربيع لابن معصوم ٢٣/٣ .

وما اجتمع فيه الضربان قوله تعالى * وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد أفان ست فهم الخالدون ؟ ، كل نفس ذائقة الموت * (١) .

سابع عشر : المراجعة :

وهو (أن يحكى التكلم مراجعة فى القول جرت بينه وبين معاوره ،
فى الحديث ، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة ، وأبلغ إشارة ، وأرشق
مجاورة ، وأعدل سبك وأسبله ، وأعذب ألفاظ وأجزئها) (٢) .
وقد سماه الامام " فخر الدين الرازى " " السوأل والجواب " (٣) ،
وسماه " العلوى " " الترجيع فى المحاورة " (٤) ، ومن شواهد فى
القرآن قوله مزوجل * قال : إني جاعلك للناس إماما ، قال : ومن
ذريتى ، قال : لا ينال عهدى الظالمين * (٥) ، ومن شواهد
فى الشعر قول " عمر بن أبى ربيعة " :

بينما يذكرنى أبصرننى	دون قيد الميل يعدو بهى الأغرى (٦)
قالت الكبرى : أتعرفن الفتى	قالت الوسطى نعم : هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيممتها	قد عرفناه وهل يخفى القصر !
ومنه قول " وضاح اليمن " :	
قالت : ألا لا تلجّن دارنا	ان أبانا رجل غائر (٧)
قلت : فانى طالِبِغْرَة	منه وسيفى صارم باتر

-
- (١) الآية ٣٤ وبعض آية ٣٥ من سورة الأنبياء .
 - (٢) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ٣٠٠ وأنوار الربيع لابن معصوم ٢ / ٥٥٠ .
 - (٣) نهاية الراجز فى دراية الاعجاز ص ١١٤ .
 - (٤) الطرازى للعلوى ٣ / ١٥١ .
 - (٥) الآية ١٢٤ من سورة البقرة .
 - (٦) ديوانه ص ١٢٤ .
 - (٧) الأغاني ٦ / ٢٠٨ ووضاح اليمن اسمه : عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبى جسد .

قالت : فان القصر من دوننا قلت : فاني فوقه ظاهر
قالت : فان البحر من دوننا قلت : فاني ساحب ماهر
قالت : فحولي اخوة سبعة قلت : فاني غالب قاهر
قالت : فليث رايع بيننا قلت : فاني اسد عاقر
ومعظم أمثلة المحاورة لا تخلو من تكرار ، ولا سيما اعادة الفاظ القول
وما يجري مجراها .

ثامن عشر : المشاركة +

ويسمى " الاشتراك " أيضا وهو " عبارة عن أن يأتي الشاعر
بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو عرفيا ، فيسبق ذهن
السامع الى المعنى الذي لم يقصده الشاعر ، فيأتي بعده بما يبين
قصده " (١) ، كقول " كثير عزة " :
فأنت التي حببت كل قصيرة التي ولم تعلم بذاك القصائر (٢)
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطى ، شر النساء البحاتر
فان قوله في البيت الأول : " قصيرة " مشترك بين قصيرة القامة ، وبين
المقصورة بمعنى المحبوسة ، ومنه قوله تعالى : * هور مقصورات في
الخيام * (٣) ، وهو المعنى الذي قصده ، فلولا بيانه بقوله في البيت
الثاني : " عنيت قصيرات الحجال " أي المقصورات في الحجال ، لتوهم
السامع أنه أراد القصار بالمعنى الأول ، والبحاتر : جمع بحترة وهي
القصيرة المجتمعة الخلق .

(١) أنوار الربيع ٥ / ٣٢٠ .

(٢) ديوانه : ٣٦٩ ، ورواية الشطر الثاني فيه :

" وما يدري بذاك القصائر " الحجل بفتح الحاء وكسرهما : القيد ،
وهو الخلخال أيضا ، و " حجال " ، السروس بيت يزين بالثياب
والأسرة والستور .

(٣) الآية ٧٢ من سورة الرحمن .

وعلى هذا فإنه يلزم تكرار هذه الكلمة حتى يتضح معناها وهو تكرار صوري إذ المعنى مختلف .

تاسع عشر : السجع :

وهو ما بعده من تكرار الحروف عرّفه " الخطيب " بقوله :
هو " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد " (١) ، قال
" السكاكي " : " الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر " (٢) ، ومثاله
قوله تعالى * ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا * (٣) ،
وقول " الحريري " : " فهو مطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ومترع
الأسجاع بزواجر وعظه " (٤) ، وقوله تعالى * فيها سرر مرفوعة ،
وأكواب موضوعة * (٥) .

مشرون : تضمن المزودج :

وهو " أن لا يكون المتكلم بعد رعايته الأسجاع يجمع في
أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن والروي " (٦) ، كقوله
تعالى * وجهتك من سبأ نبأ يقين * (٧) ، وقوله تعالى :
* يدعوننا رغبا ورهبا * (٨) ، وقوله عز وجل * ولا تطيع
فيكم أحدا أبدا * (٩) ، وكقولهم " فلان رفع دعامة الحمد والمجد
باحسانه ، وبرز بالجِد والجَد على أقرانه " (١٠) .

-
- (١) الإيضاح للخطيب القزويني ٥٤٧/٢ .
 - (٢) مفتاح العلوم للسكاكي ١٨٢ .
 - (٣) الآيتان ١٣ ١٤٤ من سورة نوح ، وهي مثال للسجع الطرف وذلك إذا كانت الفاصلتان مختلفتين في الوزن .
 - (٤) الإيضاح ٥٤٧/٢ وهذا هو الضرب الثاني وهو الترصيع وهو إذا كان ما في إحدى القريبتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها ، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقنية والتصرع مع مفهوم آخر سيأتى ان شاء الله .
 - (٥) الآيتان ١٣ ١٤٤ من سورة الفاشية ، وهي من السجع المتوازي .
 - (٦) نهاية الإيجاز في دارسة الإيجاز للفخر الرازي ص ٣٤ .
 - (٧) الآية ٢٢ من سورة النمل . (٨) بعض آية ٩٠ من سورة الأنبياء .
 - (٩) بعض آية ١١ من سورة العنكبوت (١٠) نهاية الإيجاز للرازي ص ٣٥ .

ومثاله من النظم قول البهتري :

(١) ان الظباء غداة سفح صخر هيجن حرّ جوى وفرط تذكر
من كل ساجى الطرف أغيد أجيد ومهفف الكسحين أحوى أهور
ولا يخفى أثر تكرار الحروف على النصوص السابقة ، فان السامع يحس
بتراقصها فى أذنيه ، فضلا عن تلذذه بالتلفظ بها وسهولة ذلك
على لسانه .

هادى وهشرون : التسجيع :

وهو " أن يأتى الشاعر فى البيت بكلمات مقفاة على روى البيت ،
غير متزنة بزنة عروضية ، ولا محصورة فى عدد معين " (٢) ، قال
" الخطيب " : " وقيل : السجع غير مختص بالنثر " (٣) ، مثاله قول
" أبى تمام " :

تجلّى به رشدى ، وأثرت به يدى وفاض به شدى ، وأورى به زندى (٤)

(١) ديوانه : ١٠٣٩/٢ ، وسفح الماء أو الدمع هراقه ، ومهجر
المين ما يهدو من النقاب ، والجوى : شدة الوجد ، وطرف صاج
أى ساكن ، والأغيد : الوشنان المائل المنق ، وفى اللسان :
الجيد : طول المنق وحسنه ، والمهفف : الخميم البطن الدقيق
الغصن ، والكشكان : جانبا البطن من ظاهر وباطن ، والهوة : سمة
الشفة ، والهور : أن يشتد بياض المين / سوادها وتستدير حدقتها
وترق جفونها وبيض ما حوالها .

(٢) أنوار الربيع ٢٤٩/٦ .

(٣) الايضاح ٥٤٩/٢ .

(٤) ديوانه : ٦٦/٢ . تجلى : ظهر وانكشف ، رشدى : هداى ،
أثرت : كرمالها ، فاض : كثر وسال ، التمد : ويأتى بالتحريك ،
بمطلق على الماء القليل مطلقا ، أورى زندى : أخرج ناره ، والزند :
عود تستخرج النار منه فى عود آخر أسفله يسمى الزندة ، والمقصود
بالتركيب كله معنى نجحت على سبيل الكناية .

قال "ابن معصوم" : " وربما اتفقت في الوزن المروض (١) .

كقول "أبي الطيب" :

(٢) فنحن في جذل والروم في وجل والبحر في شغل والبحر في غجل
ومن شواهد في القرآن (٣) قوله تعالى * ان المسلمين والصلوات ، والمؤمنين
والمؤمنات ، والقانتين ، والقانتات ، والصادقين والصادقات . . * (٤) وقوله
تعالى * الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان ، الشمس
والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان * (٥)

ومن السجع على هذا القول (٦) ما يسمى " التشطير " وهو أن يجعل
كل من شطري البيت سجمة مخالفة لاغتيا (٧) ، كقول "أبي تمام" :

(٨) تدبير معتصم بالله ، منتقم لله ، مرتغب في الله ، مرتقب
ومنه ما يسمى " التصريح " ، وهو " جعل العروض مقفاة تقفية الضرب (٩) ،

(١) أنوار الربيع ٢٤٩/٦ .

(٢) ديوانه ٨٠/٣ والجدل : الفرخ ، والوجل : الخوف .

(٣) قال " الخطيب " : " قيل انه لا يقال في القرآن : أسجاع ،

وانما يقال : فواصل " الايضاح ٥٤٩/٢ .

(٤) بعض آية ٣٥ من سورة الاحزاب .

(٥) الآيات من ١ - ٦ من سورة الرحمن .

(٦) أي القول بأن السجع يأتي في الشمر .

(٧) الايضاح ٥٥١/٢ .

(٨) ديوانه ٥٨/١ ، معتصم : هو الخليفة ابن الرشيد ، مرتغب :

راغب ، مرتقب : منتظر ومتطلع .

(٩) الايضاح ٥٥١/٢ .

كقول " امرئ القيس " :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل ينمن من كان في العصر الخالي^(١)
 وإذا وقع " التصريح " في البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية فهو
 " التصريح المكرر " ^(٢) كقول " عبيد بن الأبرص " :

فكل ذي غيبة هو وب وغائب الموت لا هو وب^(٣)
 ومنه " الموازنة " وهو عبارة عن " أن يلقى الشاعر جميع أجزاء البيت
 العروضية على قافية واحدة ، أو روى واحد ، بخلاف روى البيت ، من غير
 حشو بلفظ أجنبي يفرق بين أحد أجزائه وبين الآخر " ^(٤) ،
 وقد جمعه ابن الأصبغ قسا من " التسيط " ^(٥) ومثل له بقول -
 " مروان " :

هم القوم ان قالوا أصابوا ، وإن دعوا أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا^(٦)

(١) عم صباحا : تحييتهم في الجاهلية ، وعم : أصله : أنعم ،
 وحذفت همزته ونونه لكثرة الاستعمال ، وروى " ألا انعم صباحا " ،
 العصر : الكبر فيه فتح الميم وسكون الصاد ، وبأقوى بوزن قفل ،
 وبوزن عنق كما هنا . الخالي : الفائت ، والاستفهام للاستفهام لا نكار
 والتحسر ، والبيت في ديوانه ٩٧ .

(٢) الطراز للملوى ٣/٣٦ وقد جعل التصريح سبع درجات .

(٣) بومب : يرجع من آب بمعنى رجع وبابه قال . والبيت في ديوانه ص ٢٦ .

(٤) أنوار الربيع ٦/٢٢١ وأما الموازنة بمعنى " أن تكون القاملتان متساويتين

في الوزن دون التقفية " فليست ما نحن فيه وقد ذكرها الخطيب في

الاضاح ٢/٥٥٢ .

(٥) اشتقاقه من السط الذي هو خيط المقد . بديع القرآن (١٠) ، قال

" الملوى " في الطراز ٣/٩٧ : من الناس من يمد هذا النوع من

أنواع التسجيع ، والحق ما قاله الخليل بن أحمد : انه مخالف لأنواع

السجع .

(٦) هو مروان بن أبي حفصة ، ديوانه ص ٨٨ .

ومن القرآن قوله تعالى * وربك أعلم بمن فى السموات والارض ، ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود زبوراً * (١) .

ومنه " لزوم ما لا يلزم " وهو " أن يجىء قبل حرف الروى وما فى معناه من الفاصلة ما ليس بـ لازم فى مذهب السجع " (٢) ، كقوله تعالى * فإذا هم يحضرون ، واخوانهم يمدّونهم فى الفى ثم لا يحضرون * (٣) وقوله عز وجل * فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر * (٤) ، وكقول " أبى الملا " :

(٥)	رأيتك مفقود المعاسن غابرا	مع الناس فى دهر فقيد المعاسن
	أترجوا لمطابها خفض عيش ولذة	يريح براها من مراس المعاسن
(٥)	فقد سئمت خوض الرمال خفافها	ونضح صداها بالمياه الأأسن

ثانى وعشرون " التوزيع " :

وهو " أن يوزع المتكلم حرفاً من حروف الهجاء فى كل لفظة من كلامه نظماً كان أو نثراً بشرط عدم التكلف " (٦) ، وقد جاء فى الكتاب العزيز مثل ذلك بغير قصد : * كى نسبحك كبراً ، ونذكرك كبراً ، إنك كنت بنا بصيراً * (٧) .

-
- (١) الآية ٥٥ من سورة الاسراء .
 - (٢) الايضاح ٥٥٣/٢ ويقال له : الإعنات .
 - (٣) بعض آية ٢٠١ ، والآية ٢٠٢ ، من سورة الأعراف .
 - (٤) الآيتان ١٠٠ ، ٩٩ من سورة الضحى .
 - (٥) اللزومات ٣٧٤/٢ وبراها جمع : برة ، والمراسن : الأثوف ، والنضح : شرب لا يبلغ الرى ، وآسن : متغير .
 - (٦) أنوار الربيع ١٨٨/٦ وقال انه من ست خرجات صفى الدين الحلى فى بديعيته .
 - (٧) الآيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ من سورة طه .

وبهذا التمثيل ، يظهر جليا طغيان التكرار على جلّ أنواع
البديع ، كما ظهر اعتماد علم البديع عليه ، سواء كان ذلك في تكرار
الحرف والحرفين ، أو اللفظ واللفظتين ، أو في الجمل ، أو في
المعاني ، أو في الوزن وتكرار المقاطع والقوافي .

ولا خلاف في أن الألفاظ إذا سارت في مسار مشابه ، وكانت حروفها
مقاربة ، ومخارجها متجاورة ، وأشكالها — عند كتابتها — متشابهة
مؤهلة ، وأصواتها — عند نطقها — متوازنة متألّفة ، كان ذلك
من الفن والابداع بمكان لا شك ، ومن الانشاء والبلاغة بمحل فائق .

وهكذا جاء معظم آي القرآن متشابهة ومتألّفة ، ومقاربتها في شكله
وموضوعه ، لا مكان فيه للتنافر أو الاختلاف ، فحرك هذا التناسق البديع
قراءات النقاد وراحوا يبحثون عن أسرارها ، ويتأملون في آثاره ، ولذلك
تحدثوا طويلا عن مخارج الحروف وتآلف الألفاظ ، وتناسق التراكيب ،
كما كتبوا في بديع القرآن وتكراره .

وتكرار " البديع " الذي سبقت أمثلته ليس بتكرار عشوائي ، ولا تكرار
تعميق وتحسين فقط ، ولا أتى به لمجرد التكرير أو التزيين ، وإنما
كان تكرارا مفيدا يخدم اللفظ والمعنى على السواء .

ب - تاريخ التكرار

ان البحث في تاريخ التكرار أمر صعب ، لأن التكرار قديم قدم الكلام نفسه (ولولا أن الكلام بهاد لنقد)^(١) ، ولا تسمحنا المصادر بشئ * ذي بال من تاريخ طفولة الشعر ، ذلك لأننا نعتقد أن الشعر الكامل ذا القوافي والمقاطع ، لم يكمل فجأة على يد المهلهل^(٢) أو من هم قبله فلا بد أن تكون هناك جمل متكررة ، وأشطار معادة ، وأراجيز موزونة أو غير موزونة ، سبقت ذلك الشعر وجعلته يلد تلك الصورة التامة الخلق من غير أن يكون فيها خداج^(٣) .

وهددنا الى تأكيد هذا الاعتقاد ارتباط المربي القديم بالتكرار الكوني الطبيعي الذي يراه ويسمعه في كل الظاهر حوله ، فجاء تكراره أول ما جاء تكراراً صوتياً محضاً ، وترد يد الأصوات معينة بنفسه ، فيها إيقاعات منتظمة لا تغلو من وزن أو موسيقى ، كذلك

(١) نسب هذا الكلام " ابن رشيق " الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، المدة ٩١ / ١ .

(٢) كان أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل ، قتلته بنو شيمان ، وكان اسم المهلهل عدياً ، وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب ، وهو اضطراب واختلافه . ، طبقات فحول الشعراء ٣٩ / ١ .

(٣) ناقة خداج : ألفت ولدها قبل الوقت وان تم خلقه ، ومخدج : جاءت به ناقص الخلق وان كان لوقته ، ومخدج الرجل اذا ناقص عضو منه . وأخدج صلاته : نقص بعض أركانها . . وكل نقصان في شئ * يستعار له الخداج . أساس البلاغة للزمخشري ٢١٢ / ١ مخدج .

التي يسميها من وقع حوافر خيله أو خفاف بغيره ، أو قعقة رماحه
أو أشطان بثره ، فكان يردد تلك الأصوات أو الأناشيد وهو على بثره
يتاح منها ، أو على ظهر بغيره يحدوه أو يهتدو عن نفسه وحشة
الطريق وكأية الوحدة ، أو ليجمع نفسه أو صاحبه حين ملاقة الأعداء ،
وهذا التردد يتم في صورة رتمية فيها من تكرار الصوت أكثر
صافيا من الألفاظ ، بل لا تكاد تحمل لفظا مفهوما أو معنى مستفادا ،
وانما هي تكرار لوحدات صوتية منفعة . وقد يكون فيها ألفاظ
بديعة ومعاني شريفة .

قال الجاحظ : " وكل شيء للعرب فانا هو بدية وارتجال ،
وكانه الهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا اجالة فكر
ولا استعانة ، وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، وإلى رجز سوم
الخصام ، أو حين يخرج على رأس بثر ، أو يحدو بغيره ، أو عند
المقاربة أو المناظرة ، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو إلا أن يصرف
وهمه الى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي إليه يمتد ، فتأتيه
المعاني أرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا " (١) .

وبما أن دوافع الشعر رغبة أو رهبة ، أو طرب أو غضب ،
فلا بد أن تطبق هذه الدوافع على أصول الشعر نفسه ، فيمكن القول بأن
المريض القديم كان يشتاق ويتفزل ، ويتوعد ويتهدد ، ويخاف
ويتألم ، وكان يخشى ذلك حسبا تجود به لغته ، وحسبا تلهمه
بيئته ، ويلى عليه فؤاده ، لكن يظل التكرار مهيمنا على أكثر
أشعاره ، كما كان التكرار لا زما من لوازم حدائه .

(١) البيان والتبيين ٢٨/١ .

ارتباط التكرار بالحداء :

إذا سلطنا بأن النثر قد سبق الشعر ، وبأن الحداء قد سبق الشعر ،
فيجب أن نسلم أيضا بأن التكرار كان أصلا في الحداء ، ومن هنا فأننا
لا نستطيع أن نتخيل حداء بلا تكرار كما لا نستطيع أن نتخيل بدو بلا
بلا بصير .

فالترايط بين الحداء والشعر كالترايط بين البمدوى والناقصة
التي أحبها وخاطبها وغنى لها وبها ، وملا "بذكرها شعره ، والحداء"
فرع من فروع الغناء ، هو " مقود الشعر الغناء به " (١) .

والغناء والانشاد رغباً كان أو رهبا ، طربا أو غصبا ، أمر فطري
في الانسان عامة ، وبهذا يظهر التلازم بين الغناء والحداء ،
وبين التكرار والشعر قديمه وحديثه ، ويظهر من جهة أخرى
احساس العربى بالوزن والموسيقى وتلذذه بها في لفظه ولحظه
وسماعه .

لكننا لا نستطيع تعديد تاريخ التكرار الا اذا عرفنا تاريخ
الغناء والانشاد ، ولن نستطيع ذلك لانه مرتبط بمحاطفة الانسان منشدا
كان أو مستمعا ، الا أن " ابن رشيق " يصفنا بثلاث روايات تعدد تاريخ
الحداء ، وعلى ضوءها يمكن التخمين بما آل اليه الشعر بعد ذلك .
يسرى " ابن رشيق " أن أول من أخذ في ترجيمه الحداء " ضر
ابن نزار " حينما سقط من جمل فانكسرت يده ، فحطوه وهو يقول :
(وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله جرما وصوتا ، فأصفت الابل
اليه وجدت في السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله هايدا هايدا ،
يحدون به الابل ..) (٢) .

(١) الممددة لابن رشيق ٢١١/١ .

(٢) المرجع نفسه ٣١٤/٢ .

وفى الرواية الثانية : أن أول من حدا رجلا من مضر ، كان فى
أوله أيام الربيع ، فأمر غلاما له بهمض أمر ، فاستبطأه ، فضر به
بالعصا فجعل يشد فى الأهل : (ويقول : يا يداه يا يداه ،
فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الحدا* من ذلك الوقت) (١) .

وفى الرواية الثالثة : أن * مضر * لما رأى الأهل عطفت حين
ساعها ذلك ، قال : (لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الأهل واجتمعت
فاشتق الحدا*) (٢) .

ويقرب ما نحن فيه : التفسير (٣) وهو تهليل أو تردد
صوت ، بقراءة أو غيرها (٤) .

فهذه الروايات تؤكّد صلة التكرار بالحدا* ، وكنت أتمنى أن
أعثر على شىء من بدايات الشعر الأولى حتى أتحسس منه أمثلة تساعدنى
على تأكيد شىء أو رفضه ، لكن أكثر الشعر القديم لم يصلنا ، كما

(١) الحمدة لابن رشيق ٣١٤/٢ .

(٢) نفسه : — ٣١٤/٢ ، ٣١٥ ، وأصله : ذكر ابن قتيبة أنهم قالوا
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير بن بكار فى حديث
برقمه أنى النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بنى غفار سمع
حاديهم بطريق مكة ليلا فقال اليهم : ان أباكم مضر خرج
الى بعض رعاته فوجدها قد تفرقت فأخذ عصا فضر بها كف
غلامه ، فمدا الفلام فى الوادى وهو يصيح : وايداه ، وايداه ،
فسمعت الأهل ذلك فمطفت ، فقال مضر . . وذكر باقى كلامه الذى
أثبتناه أعلاه .

(٣) قال ابن منظور : المغبرة : قوم يغيرون بذكر الله تعالى بدما* وتضرع
. . وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله تغبيرا كأنهم
إذا تناشدوه بالألحان طربوا فرقصوا وأرهبوا فسموا مغبرة لهذا
المنى . . قال الزجاج : سموا مغبرين لقزهمهم الناس فى الفانية
وهي الدنيا وترغيبهم فى الآخرة الباقية أ . هـ لسان العرب

(٤) الحمدة ٣١٥/٢ .

قيل (ما انتهى اليكم ما قالت المرب الا ألقه ، ولو جاءكم ، وانرا لجاكم
 فلم وشمر كبير) (١) .

وبذكر ابن سلام لنا شيئا من تلك البدايات النادرة فيقول :
 (ولم يكن لا وائل المرب من الشمر الا الأبيات بقولها الرجل في حاجته ،
 وانما قصدت القصائد ، وطول الشمر على عهد " عهد المطلب " و " هاشم
 ابن عهد مناف) (٢) .

صلة التكرار بالسجع :

ولعل افتتان المربي بالسجع واحساسه بجمال الايقاع من تكرار
 حروف المقاطع ، وبتكرار الوحدات الصوتية في الفواصل ، مع ما يحسه
 من جمال في هذا التوازن والتقابل هو الذي هداه الى تكرار القوافي وعمل
 " الأبيات التي يقولها في حاجته " . (٣)

ولست أبالغ اذا قلت ان السجع أصل الشمر ، قال السجع شمر
 ناقص ، والشمر تكرار للوحدات المسجوعة ، وربما كان يكرر شطرا ويسجع
 شطرا حتى استقام له الشمر ، بل انه لم يكن ليستغنى عن السجع
 بمقد معرفته للشمر ، لأنه وجد فيه تكرار لوحدات صوتية تحدث
 انسجاما ووزنا ، وتتشرف في كلامه أصواتا متزنة منسقة و (النثر المربي
 في عصوره الأولى قد انتظمته تلك الموسيقى مثلثة في المميزات
 المسجوعة حيناً أو المتوازنة حيناً آخر) (٢) (وظل هذا المجتمع
 المربي قبل الاسلام بضعة قرون يوعى تلك النهضة البيانية ويمثل
 على ازدهارها ، ولم يكن للشمر خلال هذه القرون الا الصورة الصوتية ،

- (١) رواه يونس بن عبيد عن أبي عمرو بن العلاء . طبقات فحول الشمر ٢٥٠ / ١
 (٢) طبقات فحول الشمر ٢٦١ / ١
 (٣) دلالة الألفاظ د . ابراهيم أنيس ص ٢٠٤

تتردد على الأُسداع فتكسبها المران وعادة التمييز بين الكلام المشتغل على الارتفاع والنغم ، ويلاحظ أسي درجات الموسيقى في أوزان الشعر وقوافيه (١) .

ويؤكّد "قدامة بن جعفر" على ارتباط الشعر بالسجع والتوصيع فيقول : (وأحسن البلاغة التوصيع والسجع واتساق البناء واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ ..) (٢) ، كما يؤكّد أيضا "أن أكثر الشعراء المصنّعين من القدماء والمحدثين (قد غزوا هذا المغزى ورموا هذا المرمى) (٣) .

وما رمى الشعراء هذا المرمى بعد معرفتهم للشعر ألا لوجود هذا الارتباط الكبير بين السجع والشعر وإذا كان السجع في صورته التكاملية في العصر الجاهلي يحمل كثيرا من صور التكرار في اللفظ والمعنى فلا حرج أن نقول أن بدايته كانت تكرارا صرفا ، وأن السجع والتوصيع والاتباع والمزاوجة وغير ذلك ما عرف بعد ، كانت مقدمات تمهيدية تكررت ثم تكررت لتؤنّن بيلاد الشعر .

صلة الأُمّي بالتكرار الصوتي :

لسنا في حاجة إلى التأكيد بأن العرب كانوا أميين قبل ظهور الإسلام ، وهذه الأميّة لا تقتصر على عدم قدرة العربي على القراءة والكتابة ، وإنما تسرى إلى فكره وطريقة تعبيره ، فكان يفتتن بالصوت قبل المعنى ، وبالشكل قبل الصورة ؛ وللصوت وطريقة ترديده وما يحمل في طياته من اتحاد أو تخالف أو طرب أو ألم تأثير قوى ،

(١) دلالة الألفاظ . . . ص ١٩٦ .

(٢) جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر ص ٣ .

(٣) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ص ٨٣ .

ومل عجيب في الأُصَى وغيره ، وليس من شك في أن الانسان قارئا كان أو أميا يمجب لتكرار بعض الأصوات ، ويضطرب للنغم الذي تحدثه ، ومن الأصوات (ما يهر النفوس حتى يفرط عليها السرور فتفلق حتى ترقص ، وحتى ربما رعى الرجل بنفسه من حالق . ^(١)) بيد أن الأُصَى أكثر استجابة وتأثرا لرنين اللفظ ونغمه ، وقد ينفعل به ويتأثر به تأثرا قويا وان لم يفهم شيئا من مضمونه ، يدل على ذلك أنك اذا سمعت مقاطع صوتية مضممة فاذا كنت تتأثر بها فتضطرب لها أذنك ، وتسر بها نفسك ، أو تشجيك وتحزنك حتى لو كان ذلك بغير لفتك أو صدر من غير بني جنسك ، وفي حكايات التراث الشعبي القديمة والحديثة ، وألحان الشعوب المختلفة تكرار هائل ، حتى ان بعض السامعين ليصيبه الصرع فيقع على الأرض مفشيا عليه ما تأثر وسمع ، والتكرار هو السئول الأول من فعل ذلك .

ولا بد أن المرء قد لاحظ ذلك التأثير الذي يجيئه من قتل تكرار الصوت فكان يوءثرو وتأثر ، ولا بد أنه وجد في لفته الشرة ما يمينه على ذلك ، وليس من شك في أن أكثر الأُصَاف والخطب قد يمينها وحدها كانت تهدف الى التأثير في العاطفة ، بل ان الحداء والفناء أكثرها تأثيرا ، واذا كان هذا شأن الصوت فما بالنا بترديده ، بل ان منه (ما يزيل العقل حتى يفضى على صاحبه ، كنعو هذه الأصوات الشجية ، والقراءات الطمئة ، وليس يعترسهم ذلك من قتل المعاني ، لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى — " ما سرجويه ^(٢) من قراءة " أبى الخوخ " فقل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : انما أبكاني الشجا ^(٣)) .

(١) الحيوان للحافظ ١٩٢/٤ .
والحالق : الجبل المرتفع .
(٢) نفس المرجع ١٩٢/٤ .
(٣) طبيب بصرى يهودى .

ومن حكم القرآن أن يجد فيه الإنسان تلبية لحاجات نفسية كان يجدها ، فلم يرد القرآن أن يمسح فطرته ، فأبدله من الانشاد تلاوة ، ومن التكرار تكرارا أفضل منه ، ليثري وجدانه ، ويستدرف دمه ويستحث همه ، فتضاءل الشمر أمام القرآن ، وغنى (ولما أرادت قریش مصارضة القرآن فكف فصحاوهم الذين تماطوا ذلك على لباب البرّ وسلاف^(١)) الغر ولعمري الضأن والغلوة الى أن بلغوا مجهودهم . فلما سموا قول الله عز وجل * وقيل يا أرض اهلقي ماءك ، وباسماء اقلقي ، وغيشي الماء ، وقضى الامر ، واستوت على الجودي ، وقيل بهذا للقوم الظالمين *^(٢) ينسوا ما طعموا فيه ، وعلمو أنه ليس بكلام مخلوق^(٣) .

وفي تكرار القرآن دليل على أنه كان يحاكي كلام العرب وشعرهم وتكرارهم ، فلا يصح القول أن العربي القديم لم يحرف التكرار أو الوزن .

ثم رجع بنا القول عن التكرار الصوتي فنقول : انه لا يخلو في أكثر حالاته من تأثير ، وممود هذا في بعض الأحيان الى ما يشبه من موسيقى صوتية وأنغام متكررة (ولهذا كانت الموسيقى ايجاء صرفا لأنها لا تقول شيئا بل توحي الى السامع شعائر^(٤) مختلفة) ، ولا زال النقاد حتى عصرنا الحاضر يردون تأثير الشمر الى قيمته الصوتية والى أجزائه المكررة ، فمن ذلك قول بعض نقادنا العرب :

(١) قيل : ان الطعام الطيب والشراب الطيب وسامع الفناء ما يروق الطبع

الطبع ويصفى المزاج ويهين على الشمر . المدة ١/٢١١ .

(٢) الآية ٤٤ من سورة هود .

(٣) المدة ١/٢١١ .

(٤) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي : روزغريب ص ٩٠ .

(ظلالُ لُفاظ من حيث هي أصوات أثر موسيقى خاص يوحى الى السمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعنى ، ومن مجرد كـون اللفظ رقيقاً أو غير رقيق) (١) . وبوافقهم على هذا الكلام النقاد الأجانب حيث قالوا ان : (العلاقة بين الأصوات في الشعر — كالموسيقى تماماً — يمكن أن تثير شغفة تذوق الانسجام الحى ، سواءً بالاجزاء المكررة أو النوعة أو التناسية) (٢) .

ويمنّ لى أن أقول بأن الشعر ختم بما بدى به ، فكان التكرار سمة من سمات الشعر المعاصر ، وقلّ أن نجد قصيدة ولا سيما ما يسمى — بالشعر الحر — الا كان التكرار عاداً لها ، وكل شىء فى نهايته ، يعود كما كان عند بدايته .

الهيئة تفسر تاريخ التكرار *

يسيل بمض الباحثين الأجانب (٣) الى تفسير الظواهر الأدبية من طريق ربطها بالموثرات الطبيعية ويقولون : " ان الانسان نتاج بيئته " ، وهذه الدراسات ذات شقين : أولهما يتناول الانسان من حيث جنسه ودمه ووراثاته ، والآخر : يتناول الهيئة من حيث مكوناتها الطبيعية والناخية .

(١) التوجيه الأدهى : طه حسين ، عبد الوهاب فزاع ، أحمد أمين ،

محمد عوض محمد ص ١٣٧ .

(٢) هذا الكلام للنقاد الأمريكيين " دونالد استوفر " قاله فى كتابه :

" طبيعة الشعر " سنة ١٩٤٦ م وقدم فيه سبعة مبادئ براهها كافية — اذا تحققت — لأن تقدم البناء ما لا نتراجع عن اعتباره فن الشعر . الأسس الجمالية فى النقد العربى ، د . عز الدين اسماويل

٣٤٦ — ٣٤٨ .

(٣) أول من قال ذلك " دى بى " فى مؤلفه " أفكار نقدية فى الشعر والتصوير " فهو أول من قال بمنظومة الجنس والهيئة .

ثم وجدنا من النقاد العرب من يطبق هذه الدراسات على بعض
ظواهر الأدب العربي ، ويذكر أن أوضح ما في البهجة العربية : الحرارة ،
والصحراء ، وهاتان الظاهرتان تفسران لنا في الحياة الروحية ظاهرتي :
الثبات ^(١) - على التقاليد - والتكرار - للصحرى - موسيقى ذات نفخة
واحدة متكررة ، موسيقى عابسة قاسية ، وهمية عظيمة ، فلا عجب
أن ترى أهلها قد استولى عليهم نوع من انقباض النفس أو الكآبة أو الوجد
أو ما شئت فسمه ، ولا عجب أيضا أن يتغنى شعراؤها بنوع
واحد من القول ونفخة واحدة ، لأن الصحراء توقع على نفوسهم
صوتا واحدا ، فيشعرون - كما تلقوا - شعرا واحدا ^(٢) .

وقد ناقش بعض النقاد هذا الكلام بقوله : (أما أن للصحراء موسيقى
ذات نفخة واحدة متكررة ، فكلام لا يمكن فهمه لعدم تحديده ، ولا شك
أن فكرة الدائرة يمكن أن توضح لنا ظاهرة التكرار هذه ، فقد قلنا إن الحركة
في الصحراء معناها الانتقال من دائرة إلى دائرة ، فالدائرة ظاهرة دائمة ،
ولا يمكن التمييز في لحظة من اللحظات بين دائرة وأخرى ، فكأن الوجود
يتكرر في دوائر متشابهة تمام التشابه ، مهما استقلت هذه الدوائر
بمحتوى خاص . وليس التكرار إلا تكرارا للوحدة المستقلة للدائرة المغلقة ،

- (١) نقلت " الن سبل " وهي من ثقات علماء الجغرافيا ، رأيا ل :
" منتسكو " يقرر فيه هذه الحقيقة بالنسبة للشرق بصفة عامة
وتقول (يميزو منتسكيو " ثبات الدين والأخلاق والمعادن ،
والقوانين في الهند وغيرها من أم الشرق إلى حرارة الجو) وقد طلق
د . عز الدين اسماعيل : بأن هذا يحتاج إلى دراسة تحليلية
عملية هي عرضة للخطر . . الأسس الجمالية ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٢) هو : أحمد أمين في : فجر الإسلام : ٤٥ - ٤٦ وما بعدها .

وهكذا هو في القصيدة ، أبياتها دوائر متشابهة بل مطابقة فـى
موسيقاها ونسقها ، ولكل منها دلالتها المستقلة ، وان اختلفت الدلالات (١) .

و يستمر الكاتب في عرض الظواهر وتغريمه النظرية فيفسرها
ويستشهد عليها لكنه لا يجد ما يسند هذا الرأي ، فيضرب عنها
الذكر صفحا ، لأن هذا التفسير (يحمل طابع الاجتهاد أكثر مما يحمل
من طابع العلم) (٢) و (أما ما يختص بحرارة الجو من حيث هي تفسر
لنا ثبات التقاليد ، سواء منها الفنية أو الدينية ، ففرض عام يعموزه الدليل
العلمي ، ولا يمكن الربط فيه بين السبب والمسبب الا بعد سلسلة
طويلة من الملل التي لم تحقق علما كذلك) (٣) .

صلة بين التكرار والحرب والموت :

وكما وجدنا من يربط التكرار ويرده الى تأثير البيئة والطبيعة
وجدنا من يفسره على أنه سحر (وكذلك الاغانى القصيرة التي يرددها
البدائي في المواقف الكبرى للحياة الانسانية ، من حالات السرور أو التهييج
كانت غايتها في الأصل أن تحدث آثارا سحرية . . وكانت غاية الرثاء
الأصلية أيضا هي السحر . فقد كان الغرض من الرثية أن تطفئ
غضب المقول وتنبأه أن يرجع الى الحياة فيلحق الأضرار
بالأحياء الباقين) (٤) .

(١) الأسم الجمالية في النقد المربى ، د . عز الدين اسماعيل ،

٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) نفس المرجع السابق : ٢٧٠ .

(٣) تاريخ الأدب المربى : كارل بروكلمان ١/٦٦ وما بعدها .

ويعتني هذا للرأى بعض النقاد ، فيرى أن فى التكرار اكلاما ،
 " للطقوس الجنائزية " كما يلاحظ فى النماذج المتقدمة — تاريخيا —
 لشعر الرثاء بقايا آثار استخدام الشعر فى الشعائر القديمة (وتحتل
 هذه البقايا فى ظاهرة ملفتة هى ظاهرة التكرار ، اما تكرار ألفاظ
 بعينها ، واما تكرار وحدة نغمية بألفاظ متقاربة فى الجرس .

والتكرار فى حد ذاته وسيلة من الوسائل الشعرية التى تعتمد
 على تأثير الكلمة المكررة فى أحداث نتيجة معينة فى العمل الشعرى ،
 والشعائرى (١) ، ويستدل الكاتب على ذلك برثاء " مهلهل " لأخيه
 فى قصيدته المشهورة :

أبليتنا بذى حسم أنيمرى اذا أنت انقضيت فلا تحورى (٢)
 ويطلق عليها بقوله (نرى هذه المقطوعة التى يمثل التكرار أساسا
 نغميا لها ، يشير الى احتمال استخدامها فى " طقوس جنازية " أو
 فى أثناء رقصة الحرب المزمع لأعمالها ثارا للقتل (٣) ثم يسرد عدة

(١) الصورة فى الشعر المرمى حتى آخر القرن الثانى الهجرى ، د. على
 البطل ص ٢١٨ .

(٢) البيت فى أمالى القالى ١٢٩/٢ ، وفى اللسان مادة حسم ، والتكرار
 الذى يشير اليه هو قوله :

على أن ليس عدلا من كليب * اذا طرد اليتيم من الجزور
 على أن ليس عدلا من كليب * اذا رجف المضاه من الدهور
 على أن ليس عدلا من كليب * اذا ما ضيم جيران المجير
 والقصيدة كاملة فى شعراء النصرانية ١٦٩/١ ١٧٠٠ وقد كرر فيها الشطر

الأول أحد عشر مرة وينظر شعر الحرب لعلى الجندى ٣٧٠/١ .

(٣) الصورة فى الشعر المرمى حتى آخر القرن الثانى الهجرى ،

أبيات منها ، ويصود ليستشهد بقصيدة " الحارث بن عباد المكرى " ،
وسرى فيها ما يمكن أن يطلق عليه (" لآزمة موسيقية " ، تضبط
اسقاع رقصة الحرب الطقوسية التي تتعلق بالثأر للمقتول ، فيكرر
" قربا مربط النعامة منى " (١) في صدور الأبيات . . .

وهذا التكرار لا يمنع من موقف الحرب ، وانما بشكل جزئيا من
شعائر الحزن على الميت (٢) ، وبعضى الكاتب في تحليله هذا
فيستشهد بأبيات " ليلى الأخيلية " في رثائها " توبة بن الحمير " ، ويرى
في تكرارها " لنعم الفتى يا توب " (٣) ثم " فلا يبعدنك الله يا توب " (٤)
مخالفة في تكرارها في باقى المقطوعة ، ويربط هذا التكرار بـ " الموروث
الطقوسى " للتكرار (الا أنه يتم في عهد فضت فيه الروح الشعائر بـ

(١) هذا صدر بيت للحارث بن عباد قاله حينما قتل سهل بن بجيرا
، فلما بلغ خبره أباه قال : نعم القيل قتيلا أصلح بين بكر وتغلب ،
ف قيل له : ان سهلا حين قتله قال : هو يشع نعل كليب ،
فحينئذ قال الحارث :

قربا مربط النعامة منى * لقت حرب وائل من حبال
الأمالى ١٣١/٢ . والبيت في خزنة الأدب للبغدادي كذلك
٤٧٢/١ ، وفي أمالى المرتضى ١٢٦/١ ثم كرر قوله " قربا مربط النعامة "
في أبيات كثيرة . وذكر البهترى في حماسه ثلاثة أبيات منها ص ٣٣ .
(٢) الصورة في الشعر العربى حتى آخر القرن الثانى الهجرى ، ص ٢١٩ .
(٣) الأبيات في أمالى المرتضى ١٢٤/١ ومن ضمن ما قالته :
ولنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت * صدور الأمالى واستشال الأسافل
ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن * لتسبق * ما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف * أذاك لى يحى ونعم المبال
وتضى في تكرارها حتى تكرر هذا الشطر أربع مرات ، ثم تكرر قولها :

القديمة ، فاضطرب التصير عنها (١) .

ولكن لا أجد أن هذا التكرار كان نتاجا لتأثير هذه الشماثر ،
أو أنها هي التي أثرت في النجمة الفنية لقصيدة الرثاء . والأجسدى
من ذلك أن نعيد ذلك التأثير الى الموقف نفسه ، والحال التي قيل فيها ،
والمقام الذي صدرت عنه ، وإلى موقف الصاب منها وتأثره بوقع ذلك عليه ،
فجاشت عاطفته ، واضطربت نفسه ، فظل يردد اسم القيل أو الميت
لشدة تعلقه به ، أولسدة وقع الصاب على نفسه ، وهولا يريد
أن ينقل لنا شيئا بقدر ما يريد أن ينفس من نفسه ، ويفرغ من صدره
ولكن تظل الصيغة أكثر من أن يصبر عنها لأنها أحاطته بهولها ،
وثرته بردائها القاني فلم يمد يده شيئا فدهشه الكارثة ويصدق
هول الموقف لسانه فيكرر .

وما يدل على هذا أن المواقف نفسها لم تتغير بعد الاسلام ،
فكان هناك قاتل ومقتول ، وكانت عاطفة وكان بكاء ونواح وكان تكرار ،
فليس صحيحا أن تأثير الطقوس وحدها هو الذي يفسر التكرار في شعر
الرثاء . لكن تبقى هنا حقيقة يجب ذكرها وهي : أن التكرار اللفظي
انما يسجى غالبا في مواقف الرغبة الجامحة ، أو مواطن الرهبة الفادحة ،
ومن أحب شيئا لهج بذكره ، ومن أغزمه شئ أو أغضبه كان
ذكره هجيرا ، فمعاني الخوف والحب ، والحرب والموت ، والغضب
والخل وأجوائها تهمت في النفس أمورا لا يحققها الا التكرار - على أن التكرار
لا يحققها كلها .

== " لمصرى لا أنت المرء أهكى لفقدك " أربع مرات أيضا ، ثم تكرر قولها :

أهى لك ذم الناس يا توب كلما " مرتين . وتكرر قولها :

" فلا يبعدنك الله يا توب " ثلاث مرات .

والأبيات موجودة أيضا في حماسة البحتري ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١) الصورة في الشعر المصري حتى آخر القرن الثاني الهجري ، د . على

البطل ٢١٩ - ٢٢٠ .

فالتأثر بكرر ، والخائف بكرر ، والمصاب بكرر ، والهائج بكرر .
وكذلك بكرر الدامق / والمعادج ، وانما يريد كل واحد منهم أن يؤثر
أما في نفسه فيسليها ، وأما في غيره فيطلب مشا ركة ، فالمهلل أراد
أن يصور لنا - بالتكرار اللفظي - أن " كليب " أعظم من أن يعدله
أحد ، فكيف يرضى بقتل أحد وهو في تكراره هذا وبعد وقوع الحرب
والقتل ظل ينشد " على أن ليس عدلا من كليب " لكي يبرر قتله لأنسه
لم يجد أحدا يعدله ، ولكي يحسن غيره إلى قتل كل من يزدو كبير
في قومه حتى يعدل كل أولئك " كليب " .

و " الحارث بن عباد " حينما كثر فعل ذلك كي يظهر غضبه البارم ،
وسخطه المتناهي في أن يقتل ابنه مقابل " شمع نعل " كليب " ،
فلا يشفى نار السخط التي تضارم في أحشائه إلا أن يقره بواله مرتبط
النماة وكررها لكي يوحى للجميع بعد الحرب حتى يسحوا عنهم
عار الذل والاهانة من جرأ تلك الكلمة التي أصابت في نفسه موقعا
صمها .

والتكرار عند الرجل فيه تحسيس للفرسان ، ودعوة إلى ضاعفة القتال ،
وتشجيع على مواصلته ، فهو مقابل للبكاء عند النساء اللائي كن يكتفين
بممارسة تلك " الطقوس " من حلق الشعر وغش الوجه ، وضربه
بالنمل و... ولذلك كان القول والفعل عند الرجل .

و يدل على ذلك أيضا صدور التكرار " عن " الغنساء " فلو بهكت
أو حلفت أو خشت لما قالت كل ما قالت فجاء شعرها وتكرارها تنفيسا لها ،
وتصميرا عما يجيش في صدرها ، فغدت منمها الاسلام من كل ذلك حتى
من كثرة النواج الذي يذهب بأجر الصبر ، فلم تجد غير تردد الشعر ،
وتكرار اسم " صخر " شيئا ينفس عنها ، وهي تقول ذلك في صراحة :

فلا والله لا تسلاك نفسى

لفلحشة أتيت ولا عقوق

ولكى رأيت الصبر . . خيرا

(١) من النملين والرأس الحليق

وقالت أيضا :

ولولا كثرة الباكين حولى

(٢) على اخوانهم لقتلت نفسى

وما سيكون مثل أخى . . ولكن

أمرى النفس عنه بالتأسى

والبكا للنساء ، وانما يطلب من الرجل اما النداء للحرب والعشار كفة

واما الاخذ بالثأر ، ولذلك يعرض الرجل عن تذكر مصابه . يقول

" عمرو بن معدى كرب (٣) :

كم من أخ لى حـازم

بـوأته بيندى لـمـدا

أعرضت عن تذكره

وخلقت يوم خلقت جلدا

لأن التذكر مدعاة للحسرة والبكا ، وهذا للمرأة أقرب (٤) وبطبيعتها

الوط ، ومن الميب أن يبكى الرجل عند وفاة خليله " أو نوجه

فكيفه يبكى على قتله دون أن يأخذ بثأره ، يقول " جرير " :

لولا الحياء لمادنى استمبار

(٥) ولزرت قبرك والحبيب بزار

وبعد أن منع الاسلام كل مظاهر الجزع والتذمر ، لم يبق لهم

الا الشمر ، يستنفسون من خلاله حتى ان " على بن أبى طالب " ،

(١) ديوانها ص ١٠٣ ورواية الصدر الاول فيه :

" فلا وأبيك ما سليت صدرى "

(٢) ديوانها ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) الكامل ٢/٢٦٠ .

وفى ديوانه ص ٦٩ " كم من أخ لى صالح " و " ألبسته أثوابه "

بدلا من " أعرضت عن تذكره " ، وفى حاسة البحرى ١٢٨ كذلك

و " ماجد " بدلا من " صالح " .

(٤) قالت توبة بن الحمير : ولا يسمعت الا حزان مثل التذكر .

البيان والتبيين ٣/١٤٩ .

(٥) ديوانه ١٥٤

تحتل عند قهر فاطمة عليها السلام بقول الشاعر (١) :

لكل اجتماع من خيلين فرقة وان الذى دون الفراق قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل
كما تحلت "عائشة" رضى الله عنها عند قهر عبد الرحمن بن أبى بكر بثلاثة
أبيات "لحم بن نوسرة" فى رثاء أخيه مالك :

(٢) وكنا كدمانى جذبة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا أصاب الضايا رهط كسرى وتها
فلما تفرقنا كآنى ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١) الكامل ٢٦٨/٢ ، وهى غير منسوبة فيه وهى غير منسوبة كذلك
فى حماسة البحتري ١٥١ ورواية مجزء "وكل الذى دون الفراق قليل"
وفى البيان والتبيين ١٨١/٢ وقال محققه : ذكر ابن الأثير أنها
لعلى ، وذكر ابن الأثير أنها مسقران السلاطى .
(٢) الكامل ٢٦٩/٢ ، وفى الفضليات ٢٦٧ مع اختلاف فى ترتيب
الأبيات ، وقوله "لطول اجتماع" أى بعد طول اجتماع ، وقد
جاءت اللام بمعنى بعد فى شواهد كثيرة .

والندمان : النديم ، أراد مالك وعقيل ابنى فارج بن كعب من
بنى القين بن جسر بن قضاة ، ناديا جذبة الأبرش حين
ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدى ، فحكهما فاختارا خادمتها ،
فكانا ندسهما دهرًا ، ثم قتلها ، والقصة والأبيات مذكورة أيضا
فى تيسير الوصول ٢٠٩/٤ . وفى الحماسة البصرية ٢٤٨/١ فيها
بيتان . وفى (مالك وشم ابن نوسرة المبروص) ص ١١١-١١٢ .

البَابُ الثَّانِي

الدلالة الصورية للتكرار بين الجمال والفج

الفصل الأول

أ - الدلالة الصوتية للتكرار بين الجمال والقبح

تمتاز اللغة العربية بوفرة كلماتها ، وغنى مفرداتها ، وتمتاز فوق ذلك بجمال اللفظة من جهة ، وبما يوحى به جرسها من ناعمة أخرى ، ومن هنا تكمن صعوبة عمل الشاعر ، فإذا وفق في اختيار ألفاظه ، ولا م بين أصواتها ، كان من البلاغة مكان رفيع . وذلك كقول " أبي حية النعير " :

رمتني وستر الله بيني وبينها	شبه آرام الكاس رميم
رميم التي قالت لجارات بيتها	ضخت لكم أن لا يزال بهيم
ألا رب يوم لو رمتني رمتها	ولكن هدى بالنضال قديم (١)

(والفائدة في التلاوة م حسن الكلام في المصحح ، وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة ، ومثل ذلك قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحروف ، وقراءته في أحسن ما يكون من الحرف والخط ، فذلك متفاوت في الصورة

(١) في البيان والتبيين ٦٨/١ ٣٢٤/٣ وفي الكامل للمبرد ٢٩/١ وأمالى المرتضى ١٠٢/٢ وعجاسة ابن الشجري ١٥٣ وأمالى القالى ٢٨٠/٢ قيل في ستر الله : الاسلام ، وقيل : الشيب ، وقيل : ما حرم الله عليهما . قال المبرد : الكناس والمكنس : الموضع الذي تأوى اليه الظباء ، وجمع الكناس ، كنس ، وجمع المكنس مكانس ، وريم : اسم جارمة ، مأخوذة من المظام الرميم ، وهي البالية وكذلك الرمة . والرمة : القطعة البالية من الحبل ، وكل ما اشتق من هذا فالله يرجع أ. هـ - الكامل ٣٠/١ . وفي لسان العرب : الرَّم : الخالص من الثياب ، وقيل : هو ولد الظبي ، والجمع : أَرَامَ وطلبوا فقالوا : أَرَام . أ. هـ .

وان كانت المعاني واحدة (١).

فقله " حسن الكلام في السمع " معناه : أن أصوات الحروف يجب أن يكون بينها تناسق وتجانس لا أن " الصوت هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف " (٢) .

وقد أشار إلى ذلك صاحب الوساطة ٣٦٦ هـ - حيث قال : " وهذا أمر تستغمر به النفوس المبهذية ، وتستشهد عليه الأذهان المثقولة ، وإنما الكلام أصوات محلها من الأسجاع ، محل النواظر من الأبحار " (٣) . وللاشباب التي استحسن النقاد من أجلها قول أبي حية المتقدم ، استقبحوا قول القائل :

وقهر حرب بكان قفسر وليس قرب قبر حرب قبر (٤)
وقد علق عليه الجاحظ - ٢٥٥ هـ - بقوله : " ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتمتع ولا يتجلىج ، وقيل لهم : ان ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن صدقوا بذلك " (٥) .

(١) النكت في اعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ٣٨٦ هـ

(٢) البيان والتميين ٢٩/١ .

(٣) الوساطة للجرجاني ٤١٢ .

(٤) البيت مجهول القائل ولتنافر لفظه نسبوه إلى بعض الجن وصنموا في

ذلك قصة ، معاهد التنصيص ٣٤/١ وقد روى بلفظ :

وما بقرب حرب قبر . والبيان والتميين ٦٥/١ ، وفي الحيوان :

نسبته إلى الجن ، وقد ذكر الجاحظ معه بيتا آخر ثم قال : (قالوا

ومن الدليل على ذلك ، وعلى أن هذين البيتين من أشعار الجن

أن أحدا لا يستطيع أن ينشدهما ثلاث مرات متصلة لا يتمتع فيها ،

وهو يستطيع أن ينشد أثقل شعر في الأرض وأشقه عشر مرات ولا

يتمتع (الحيوان ٢٠٧/٦ - ٢٠٨ .

(٥) البيان والتميين ٦٥/١ .

وإذا حللنا البيت السابق وحاولنا أن نصل إلى سر صمويته وتناغمه

نجد ما يلي :

١ - أن اللفظ نفسه ليس فيه جمال لا في لفظه ولا في نطقه ولا في

صوته . فكيف بها مجتمعة !

فألفاظ البيت وهي : - قهر - قفر - حرب - قرب :

ألفاظ تثقل على السمع فالأول يجمع مع شدة صوته ووعورة حروفه

صور الموت والفناء ، والثاني يجمع إلى الشدة صور الخلو والوحشة

والفراغ والمرب لا يكررون إلا ما يستحسنون ويحبون ولذلك كان

من التكرار المحمود : التلذذ بذكر الحبوب ، والثالث صفة الدمار

والموت .

٢ - لو اكتفى الشاعر بلفظة واحدة لكان ذلك أهون طبع أنه لن يزيل

شيئا من وصفها ، إذ كان بإمكانه أن يستعمل لفظة : رمس فهي

أخف وقعا ولكنه أضاف إليها الكلمات : قرب - قفر - حرب .

٣ - لم يكشف الشاعر بهذه الألفاظ ولكنه كرر القبح ليزيد البيت

قبحا على قبح فكر ركعة : " قهر " ثلاث مرات ، و " حرب "

مرتين .

٤ - سوء التأليف الظاهر في البيت والذي نشأ عنه صموية في النطق

ومرد ذلك لصموية الأحرف نفسها فالبيت يتكون مما يلي :

قاف تكرر خمس مرات أو ستا - لو اعتبرنا الكاف قافا أو قريبا منه -

والباء سبع مرات ، والراء سبع مرات أيضا ، والحاء مرتين وهذا

ما لا يحتمله البيت وبالتالي لا يحتمله النطق لأنه ما " يزيد من

صموية الكلمة الكثيرة الحروف أن تتضمن حرفا أو حرفين من تلك

التي تحتاج إلى مجهود عضلي أكثر مثل القاف وأحرف الاطباق وبعض

حروف الحلق والراء" (١) فهذه أحرف صموية بفردتها ولو تكررت فإنها تشكل صموية في النطق ونحوها في السمع لأنها تشق على اللسان وتكده، وتقرع الأذن وتؤذيها " وكل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها ما طبعت له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه ، وبموافقة لا مضادة صحتها ، قالعین تألف العرأى الحسن وتقذى بالعرأى القبيح الكرمه .. وكذلك الأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل" (٢) ، ومثل البيت السابق بيتا "الصننى" (٣)

فقلقت بالهم الذي قلل الحشا فلا قل عيس كهن فلا قل (٣)

غشاة موشى أن تفت كراشى وليس يفت أن تفت الماكل (٤)

-
- (١) موسيقى الشعر د . ابراهيم انيس ص ٣١ .
- (٢) ميار الشعر لاهن طباطبا ٣٢٢ هـ ص ٢٧ .
- (٣) ديوانه ١٧٥/٣ قال المكبرى : قلل : حرك ، ويرسد بالحشا : ما في داخل جوفه . وفلا قل عيس : جمع قلل وهي الناقة الخفيفة ، وناقصة قلل ، وفرس قلل : اذا كانا سر بهما الحركة . والقلل الثانية جمع قللة وهي الحركة . قال أبو الفتح : الضمير في كهن للميس لا للمقلل . يقول : فلا قل القلاقل ، كما تقول : سراع السراع ، وخفاف الخفاف ، وكقولك : أفضل الفضلاء ، وهو أبلغ في الوصف من أن يعود على القلاقل .
- وقال الواحدى في معناه : حركت بحسب الهم الذي حرك نفسى نوفا خفافا في السير . بمعنى سافرت ولم أخرج بالمقام الذي يلحقنى فيه الضيم . قال : وسجوز أن تكون القلاقل الثانية بمعنى الأولى ، فيقول : خفاف اهل كهن خفاف .
- (٤) ديوانه ١٧٨/٣ غث الشى . يفت غشاة ، ويغت (بفتح السين وكسرهما في المستقل) ، والصدر غشا وغشوة وغشاة ، وأصله : الهزال وغث اللحم : اذا كان مهزولا ، فهو غشمت وغث ، أى فسد ، وأغث

” فقد اتفق له أن كرر في البيت الأول لفظة مكررة الحروف ، فجمع القح بأسره في صيغة اللفظ نفسها ثم في أعادتها وتكرارها ، واتبع ذلك بخاتمة في البيت الثاني ، وتكرار — تفت — فليست تجد ما تزيد على هذين البيتين في القح ” (١) ، وهذا ناشئ في البيتين السابقين : وقهر حرب — وعظمت : من صموية حرف القاف . فالقاف صعب (وتمد الكاف أيسر نطقا من القاف من ناحية مخرجها ، وعدم تدخل مو غير اللسان — بحركة ثانوية — في أثناء نطقها ، أما القاف فمخرجها من طرف من ناحية ، ونطقها يصحب بحركة ثانوية لمو غير اللسان من ناحية أخرى ، ما يكسبه بعض القيمة التخفيمية) (٢) .

فالقاف قلل الشيع في الألفاظ المستعملة وتكرره بخلق السمع
ولذلك اتفق البلاغيون على تنافر^{بيت} الجمن وأوردوه معظمهم في باب
"تنافر الكلمات" : "وجمل بعض الشراح ذلك من تنافر الحروف وليس
كذلك لأن كل كلمة على انفرادها لا تنافر فيها وكل ما حصل فيه تكرار
الحروف فإن فيه هذا التنافر . ولا يرد عليه قوله تعالى ﴿ وعلى أسماعهم ﴾
فإن معك (٣) لأن في مخرجي الميم والنون وهما - طرف اللسان

== الرجل في منطقه ، وأغث الشاة : هزلت .
يقول : أرى غثاة عيشى ، أى هزاله في هزال كرامتى ، لا في
هزال مطاعى ، وهو من كلام الحكيم : عدم الغنى من النفس أشد من
عدم الغنى من الطك والمال .

- (١) سر الفصاحة لابن سنان ٤٦٦ هـ : ٩٤ .
(٢) من كتاب : دراسة الصوت اللغوي د . احمد مختار عمر ص ٣٤١ .
(٣) بعض آية ٤٨ من سورة هود .

والشفة وذلك لهما وتوسطهما بين الضعف والقوة ما أزال ثقل التكرار ،
وجعل " الخفاجي " ثقل هذا الهيئ - وقهر حرب - لتقارب الحروف
المتماثلة وتكررها أيضا " (١) .

وطبيعى أن تكرار القاف غير تكرر الميم : فالقاف حرف شديد ،
والميم والنون بين الشديدة والرخوة ، والقاف حرف يستعمل (٢) ، والميم
والنون حرفان منخفضان ، والقاف حرف مشرب يحفز في الوقف ، ويضبط
حين مواضعه ، وهو من حروف الثقلة ، بينما النون والميم من الحروف التى
يسقول فيها " ابن جنى " ٣٩٢ هـ : " ما لا تسمع بعده شيئا ما ذكرناه ،
لأنه لم يضبط ، ولم يجد نفذا ، وهى الهزة والميم والغين واللام
والنون والميم " (٣) أى أنها ليست " مشربة " زد على ذلك أن النون
والميم من حروف الذلاقة (٤) ، والحقيقة أنه " لا فاضلة بين الميم
والنون ، فكلاهما صوت أنفى مجهور وان اختلف مخرجهما ، وعلى هذا
لا مجال لافتراض السهولة أو الصعوبة فى الملاقة بينهما ، والمدحش حقا
أننا نجد عدد الميمات والنونات فى السور المشرا لاولى يكاد يتطابق
اذ يزيد قليلا عن عشرة آلاف بالنسبة للميمات ، و يقل قليلا عن
عشرة آلاف بالنسبة للنونات " (٥) .

واذا كان الهلا غيرون قد استصعبوا تكرار الحاء - وهو من وسط
الحلق - فما بالك بتكرار القاف فمخرجها فوق مخرج الغين والخاء

- (١) شروح التلخيص ١٠٠
- (٢) سر صناعة الاعراب ٧١ ، الاستملاء أن تتصدد فى الحنك الا على .
- (٣) الصدر نفسه : ٧٣ .
- (٤) لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه : سر الصناعة ٧٤ .
- (٥) دراسة الصوت اللغوى د . أحمد مختار عمر ٣٤٢ .

ان أن مخرجهما ما فوق مخرج الحاء مع أول الفم (وما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف) (١) ، فإذا كان هذا حال القاف الواحدة فما بالك بتكررها خمس مرات في بيت : " وقهر حرب " ، وثلاث مرات في بيت : " فظقت بالهم الذي قلل الحشا " .

ولكن هذا ليس بمقاس دقيق ، فأننا نجد أحيانا حروفا تتكرر أقل من تكرر القاف وأسهل من حرف القاف نفسه وهو النون الذي تحدثنا عنه ومع ذلك نجد في تأليف متنافر بجانب السهولة وحسن التأليف ، مثل ذلك قول " ابن سبير " :

لم يضرها ، والحمد لله شي * وانثنت نحو عزف نفسي زهول
فتفقد النصف الآخر من هذا البيت ، فانك ستجد بعض ألفاظه يتكرر من بعض (٢) . وكما استقبحه " الجاحظ " فكذلك استقبحه " ابن سنان " ٤٦٦ هـ ، وعلق عليه قائلا :

" ان الصراع الثاني من هذا البيت يشغل التلطف به وسامعه ، لما فيه من تكرر حروف الحلق " (٣) .

واستنكره الامام الرازي ٦٠٦ هـ ، بعد أن ذكره في تنافر الحروف في تركيب الكلام ووضع بعد شمر الجن : " وقهر حرب بمكان " وخلص الى القول : " ثم اعلم أن هذه الدرجات كما ترتبت في جانب الشغل فهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة قد تكون في غاية السلاسة (٤) .

(١) سر صناعة الاعراب ٥٥٢

(٢) البيان والتبيين ١/٦٦٠

(٣) سر الفصاحة ٨٨

(٤) نهاية الامجاز في دراسة الامجاز للفخر الرازي ص ٢٦٠

وكذلك استقمحه حازم القرطاجنى - ٦٨٤ هـ - حيث قال : " ومن قبح الوضع والتأليف أن تكون الألفاظ مع عدم تراخيها بميدة أنحاء الطالب ، شتية النظم ، متخازلا بعضها من بعض ، وذكر البيت (١) . " فالجاحظ " ذكر أنه متنافر وكأنى به بصفه بالمصاطلة ، وتداخل الحروف بعضها في بعض ، " ابن سنان فصل ما أجلة الجاحظ " فذكر أنه " تكرر حروف الحلق " .
ولو تمنا في أصوات الشطر الأخير لوجدنا أسباب الصموية والتنافر فيما يلى :

- ١- تكرر النون أربع مرات : والنون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الشاها .
- ٢- تكرر حرف الفاء مرتين ومخرجها باطن الشفة السفلى وأطراف الشاها الملى ، والذال قريب مخرجها من مخرج الفاء ، فمخرج الذال ما بين طرف اللسان وأطراف الشاها وكذلك مخرج الثاء - على نحو ما أثبتته " ابن جنى " فى - سر الصناعة (٢) - فنستطيع أن نقول - تجاوزا - أن الفاء أو الذال أو الثاء تكررت أربع مرات .
- ٣- تكرر أحرف الحلق زاد النطق صموية ، وإذا تتبعنا حركة اللسان وصموده وانحداره حسب ترتيب أحرف الشطر الأخير نجد أنه بينما تخرج الحاء من وسط الحلق تخرج الواو ما بين الشفتين ثم يعود اللسان الى وسط الحلق لتخرج الميم ثم يعود ليخرج الزاى ما بين الشاها وطرف اللسان ثم يزل

(١) منهاج البلاغ وسراج الأديب : حازم القرطاجنى ٢٢٤ .

(٢) سر صناعة الاعراب : ٥٢ .

الى باطن الشفة السفلى وأطراف الشاها العلى لمخرج الفاء ثم
يصود لمخرج النون ثم يعود للفاء ثم للصين ثم يعود للذال ثم
يصمد فى شقة الى حد ما لمخرج الهاء التى تليها الواو والصعبه
لوقوعها بعد الهاء . وهذا أمر عصب فى النطق ، يتمشى فيه اللسان ،
و يصعب عليه الصمود والهبوط والانحدار بالطريقة الشاقة التى تم
فيها الترتيب السى . للبيت ولذلك (لا يكاد يجرى فى كلام
المرب ثلاثة أحرف من جنس واحد فى كلمة واحدة لحزونة ذلك على
ألسنتهم وثقله) (١) .

وأنكر العرب أيضا كل كلمة لا توافق أسماهم ، وشتموا على كل
كلام غريب متنافر وسوء وحشيا لأنهم يستوحشون سماعه ، ومتنافرا
لأن طبايعهم السليمة تنفر منه . ولذلك لم يأت عنهم ألفاظ صعبة
ولا كلمات متنافرة ولو أتى ذلك فإنهم يتركون أكثره للاستئصال فمن ذلك
" ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو : سى ، وطس ، وظث ، وشظ
وضش ، وشض ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والشقة على
النفس لتكلفه ، وكذلك نحو : قج ، وجق ، وكق ، وقك ،
وكج ، وجك ، وكذلك حروف الحلق هى من الائتلاف أبعد لتقارب
مخارجها عن معظم الحروف ، أعنى حروف الفم ، فان جمع بين اثنين
منها قدم الاقوى على الاضعف ، نحو أهل ، وأحد ، وأخ ، وعهد ،
ومهر " (٢) .

وما فعلت العرب ذلك الا لفهمهم المتيق لقيمة الكلمة الصوتية

(١) سر الفصاحة ٢٨ .

(٢) الخصائص لابن جنى ٥٤/١ .

واختلاف جرسها بين حسن وقبح وأثرها في النفس ، وخفتها على
اللسان ، وحسن وقعها وانسيابها في أذن السامع " ألا ترى أن السمع
يستلذ صوت الليل من الطير وصوت الشجرور وبصيل اليها ، ويكره
صوت الغراب وينفر عنه ، وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك
في صهيل الفرس ؟ .

والألفاظ جارمة هذا المجرى ، فانه لا خلاف في أن لفظة
" المزنة " و " الديمة " حسنة يستلذها السمع ، وان لفظة " الهماق "
قبيحة يكرهها السمع ، وهذه اللفظات الثلاث في صفة المطر وتدل على
معنى واحد " (١) .

ومن أجل ذلك استحسنت ابن سنان " قول أبي الطيب " :
إذا سارت الأعداج فوق نهاته تفاح سبك الفانيات وزنده (٢)
ولنفس السبب استكره قوله " المحتنى " في " سيف الدولة " :
شارك الاسم أفر اللقـب كرم الجرشي ، شريف النسب (٣)

- (١) الشل السائر لابن الأثير ١١٤/١ .
(٢) ديوانه ٢٠/٢ قال المكبري : الأعداج : جمع حدج وهو جمع قلة
وجمع الكثرة : حدوج ، وهو مركب النساء مثل الصفة ، وحدجت البعير
أعدجه " بالكسر " حدجا : إذا شددت عليه الحدج ، وتفاح :
تفاعل ، من فاح بفوح : وهي لفظة حسنة ، والفانيات : جمع فانية
وهي المرأة التي غنت بجمالها ، وقيل : بزوجهها ، والرند : نعت طيب
الرائحة ، يقال انه الأس .
والمعنى : لما سارت الأعداج المندجة فوق الرند ، والفانيات قد
تطمين بالمسك ، اختلطت الريحان ، ففاحت ، فعميق الوادي بالرائحة
الطيبة .
(٣) ديوانه ٩٩/١ : الجرشي (بكسر الجيم والراء والتشديد) : النفس .

لأنه أدرك أن في تنابع الشين ثلاث مرات " تأليفاً بكرهه السمع
ويشوعه " (١) . ولذلك أيضاً قدم النقاد جريراً على الفرزدق ،
والبحترى على أبي تمام . ومن أجل ذلك أيضاً اختاروا من اللفظة أسهلها
وأسلسها ، واستعملوا من الترادف ألفه وأجمله . " كما رأيتهم
يختصرون ألفاظ الطويل ، فأنهم وجدوا للعرب فيه نحواً من ستين لفظة
أكبرها يشع شنع ، كالمشنتط والمنطنط والمشنق ، والجسرب ،
والشوقب والسلبب والشوذب ، والطاط والطوط والقاق والققوق
فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل لغنته على اللسان
وقلة نحو السمع عنه " (٢) ، وما نبت هذه السمع إلا للحروف الشديدة التي
تكررت فيه ، فكل الألفاظ السابقة لا تخلو من حرف الشين أو الطاء
أو القاف أو الميم ، أو عدم مناسبة هذا الحرف لما قبله أو بعده ، فينشأ
منه تنافر صوته حتى ولو تعادلت مخارجهم . ولذلك كانت هذه
الكلمات سهلة ونادرة الاستعمال فسميت متنافرة .

قال القزويني - ت ٧٣٩ هـ - : " والتنافر منه ما تكون الكلمة
بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روى أن
أمرأياً سئل عن ناقته فقال : " تركبها ترعى البهائم " ومنه ما دون
ذلك كلفظ : مستشزر " (٣) .

=== واللقب : ما يميز به الرجل ، تقول : لقبته بكذا فتلقب به ، وإنما
أراد النعت فوضع اللقب موضعاً ، واللقب منهي عنه . قال الله
تعالى : ولا تنابزوا بالألقاب * بعض آية ١١ من سورة الحجرات ،
والأغر : الواضح الأبلج .

(١) سر الفصاحة ٥٦ .

(٢) الوساطة للجرجاني ١٨ .

(٣) شروح التلخيص ٨١/١ .

قال الدسوقي : " قوله " ثقلا " أى لما فيها من قرب المخارج ،
وقوله : " قريبا من المتناهى " أى من الثقل المتناهى أى وأما المتناهى
فنعو الهمضع بكسر الهاء وسكون العين المهملة وكسر الخاء المصححة
وفتحها فى قول أعرابى سئل من ناقتة " تركتها ترعى الهمضع ، أى
نبتا أسود وانما كان " أمهد " ثقله قريبا من المتناهى وثل الهمضع
متناهى ، لأن الأول جمع فيه بين ما يخرج من أقصى الحلق وهو الهمة
والهاء ، وما يخرج من وسطه وهو العين ، والثانى جمع فيه بين ما
يخرج من أقصى الحلق وهو الهاء ، وما يخرج من وسطه وهو العين
وما يخرج من أدناه وهو الخاء " (١) .

" وقد ذهب " على بن عيسى " أيضا الى أن التنافر أن تتقارب
الحروف أو تتباعد بعدا شديدا ، وحكى ذلك من الخليل أحمد ، ويقال
: انه اذا همد الهمد الشديد كان بمنزلة الطفر ، واذا قرب القرب الشديد
كان بمنزلة شئ العقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده الى مكانه ، وكلاهما
صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك فى الاعتدال ، ولذلك وقع فى الكلام
الادغام والابدال ، والذي أذهب أنا اليه فى هذا ما قدمت ذكره ولا أرى
التنافر فى بعد ما بين مخارج الحروف ، وانما هو فى القرب ، ويبدل على
صحة ذلك الاعتبار ، فان هذه الكلمة - ألم - غير متنافرة ، وهى مع
ذلك منية من حروف متباعدة لمخارج ، لأن الهمة من أقصى الحلق ، والعين
من الشفتين واللام متوسطة بينهما ، وعلى مذهبه كان يجب أن يكون
هذا التأليف متنافرا لأنه على غاية ما يمكن من الهمد ، وكذلك - أم وأو -
لأن الواو من أهدد الحروف من الهمة ، وليس هذان المثالان مثل

— صح ولا سز — لما يوجد فيها من التنافر لقرب ما بين الحرفين
 في كل كلمة ، ومتى اشتهرت جميع الـ " مثله لم تر للبعد الشديد وجها فـ
 التنافر على ما ذكره ، فأما الادغام والابدال فشاهدان على أن التنافر
 في قرب الحروف دون بعدها ، لأنهما لا يكادان يردان في الكلام الا فرارا
 من تقارب الحروف ، وهذا الذي يجب عندي اعتباره ، لأن التبع والتأمل
 قاضيان بصحته ، وإذا ثبت ما ذكرناه فقد بان أن تكرر الحروف في الكلام
 يذهب بشطر من الفصاحة ، وقد كان بعض العلماء يميل في قول " أبى
 تمام " :

(١) كرم متى أمده أمده والورى معنى ومتى ما لته لته وهدى
 تكرر حروف الحلق ، على سلامة المعنى واختيار الـ " لفاظ " (٢) .
 ولكن التنافر ليس في قرب مخارج الحروف دائما بدليل أن " لنا
 ألفاظ متقاربة حسنة كلفظ الشجر والجيش والفم ، ومتباعدة قبيحة
 مثل طع اذا أسرع ، ويرد على من جعل القرب والبعد موجهين للتنافر
 أن نحو الفم حسن مع تقارب حروفه ، وقد يوجد البعد ولا تنافر مثل علم
 ومثل البعد فان الباء من الشفتين والعين من الحلق وهو حسن وأو غير
 متنافرة مع أن الواو بعيدة عن الهزة وكذلك ألم متباعدة وكذلك أمر
 ولا تنافر " (٢) .

" وحيث دار الحال بين الحروف المتباعدة والمتقاربة ، فالتباعدة
 أخف حتى جعل جماعة تباعد مخارج الحروف من صفات الحسن ونقله

(١) ديوانه ١١٦/٢ .

(٢) سر الفصاحة ٩١ .

(٣) شروح التلخيص ج ١ : ٨١ .

"ابن الأثير" في "كز البلاغة" من علماء البيان وقال الخفاجي انه شرط للفصاحة وروى عليه في "الثلث السائر" بأننا نعلم الفصاحة قبل العلم بالمخارج وهو ضعيف لأنه لم يجعل الحلة العلم بتباعد المخارج بل نفس التباعد وذلك مدرك لكل سامع" (١).

ولو استمعنا بعلماء الأصوات لفسروا لنا هذه الظاهرة لظفرنا منهم بنتيجة وصلوا اليها تثبت أن نسبة شيوع اللام في عشرات من صفحات القرآن الكريم تبلغ ١٢٧ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة والميم ١٢٤ والنون ١١٢ والهمزة ٧٢ والهاء ٥٦ مرة ، والواو ٥٢ مرة والثاء ٥٠ مرة والياء ٤٥ والباء ٤٣ مرة والكاف ٤١ مرة وكل من الراء والفاء ٣٨ مرة والميم ٣٧ مرة والقاف ٢٣ مرة وكل من السين والdal ٢٠ مرة والذال ١٨ مرة والجيم ١٦ مرة والحاء ١٥ مرة والغا ١٠ مرات والصاد ٨ مرات والشين ٨ مرات والضاد ٦ مرات وكل من الخين والثاء ٥ مرات وكل من الزاي والطاء ٤ مرات والظاء ٣ مرات (٢). وعلى ذلك فان بعض الحروف أخف من بعض ، وبعض الكلمات أسهل من بعض ، وبعض التراكيب أهون من بعض ، وعلى الكاتب أن يتخير ما يهدى اليه ذوقه .

ولو حاولنا أن نحسب انتشار الأُحرف في الشعر من حيث

تداولها لوصلنا الى ما يلي :

أ - يغلب أن يشتمل الشطر من البيت على ثلاثة أو أربعة من الأُحرف

الآتية : اللام ، والميم والنون .

(١) شرح التلخيص ج ١ : ٨٢ .

(٢) الأصوات اللغوية ، د . ابراهيم انيس ٢٣٨ .

- بـ - وعلى مرتين أو ثلاث مرات من الأُحرف التالية : الهمة ، الواو ،
 الهاء ، الثاء ، الياء ، الباء ، الكاف .
- جـ - وعلى مرة أو مرتين من الأُحرف : الراء - الفاء - العين - القاف
 السين - الدال .
- د - وعلى مرة واحدة من الأُحرف : الذال - الجيم - الحاء .
- هـ - أما باقى الحروف فتلك هى النادرة الشيوخ .

وفى حدود هذه الضوابط ، نستطيع الحكم على تكرار الحروف
 فى الشطر من البيت ، وأن نضع مراتب لثقل الكلمات مجتمعة . فتكرر اللام
 غير تكرار القاف مثلا . وإذا قلنا تكرر اللام فى الشطر من البيت ثلاث مرات
 لا نقبل تكرر القاف مثل هذا العدد . هذا هو السرفى ثقل النطق
 بالشطر " وليس قرب قهر حرب قهر " (١) ، فقد تكررت فيه القاف
 فوق طاقتها ، كما تكررت فيه الراء فوق طاقتها وكذلك فى الشطر :
 " وعاف عافى الصرف عرفانه " (٢) .

تكررت الفاء فوق أقصى ما يحتمل لها من تكرر فى اللغة العربية .
 ولذلك لم نجد غضاضة فى تكرر الميم فى قوله تعالى * وعلى
 أم من معك * (٣) .

ولسنا نمنى بهذه الضوابط التحديد الدقيق ، بمعنى أن تكرر
 الميم إذا زاد فى الشطر الواحد على أربع مرات كان قبيحا ، وانما
 هى ضوابط تقريبية على ضوءها نستطيع الحكم على التكرر المقبول

(١) سبق الاستشهاد بهذا البيت .

(٢) تمام البيت : وازور من كان له زائرا * وعاف عافى الصرف عرفانه
 مقامات الحريري ٣٦٥ من الحقاة التفليسية ، وازور : مال وأعرض ، وعاف :
 استقدر ، والعافى : طالب العطاء ، وقد استشهد به شراح التلخيص :
 مروس الأفرح ١٠٠/١ ، والمثل السائر ١/١٠١ .

(٣) بعض الآية ٤٨ من سورة هود .

والتكرار القويح الذي يسيء الى موسيقى البيت . وقد عدّ بيمسيت
"أبي تمام" (١) في مرتبة أدنى من حيث ثقته ، لأن تكرار الحاء وان زاد
على القدر المجهود في اللغة ، إلا أن الزيادة لم تصل الى حد المبالغة ،
أما تكرار الهاء في هذا البيت فمقبول (٢) .

() واللغة العربية في تركيب أحرف كلماتها تتخذ طريقها الخاص
ونهجها الذي تتميز به ويكاد يتلخص هذا النهج في :

١ - ندرة تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض ، بل لا يكاد يلتقي
فيها إلا الميم والهاء ، ونرى العين أسبق دائماً مثل " يمسد "
فإذا اتصل بالكلمة ضمير الفاعل المتصل نرى كلا من حروف الحلق
يمكن أن يجاور هذه الهاء مثل : يمدحه - يهلهه -
يسلخه .

٢ - ندرة تلاقي الحروف القرينة المخرج أو الصفة :

أ - فتلاقي اللام والراء والنون بعضها ببعض لا يكاد يوجد
في اللغة العربية .

ب - وكذلك تلاقي الميم والفاء والهاء بعضها ببعض غير مصروف في
تراكيب الكلمة العربية .

ج - ندرة التقاء صوتين من أصوات الصغير ، أو بمباراة أدق صوتين
من تلك الأصوات الكثيرة الرخاوة مثل : الزاي - السين -
الذال - الثاء - الشين .

د - ندرة التقاء حرفين من أحرف الاطباق أو التقاء حرف واحد
منها مع نظيره غير المطبق .

(١) يريد قوله : كرسم حتى أمدحه والورى . . وقد سبق الحديث عنه .

(٢) موسيقى الشعر د . ابراهيم انيس ٣٦ .

هـ - التقاء أصوات أقصى الحنك بعضها مع بعض نادر أيضا ففى

اللغة المربية وتلك هى : القاف - الكاف .

و - التقاء أحرف وسط اللسان نادر أيضا مثل : الجيم " المعطشة "

صح الشين .

تلك هى الضوابط المائة التى تلخص لنا تنافر الحروف فى اللغة المربية ، والتى اذا صادف أن وردت فى كلمة من الكلمات تكثر الألسنة فى نطقها ، وثقلت على الأسماع ، ولذلك نعدّها كلمة غير موسيقية أو رديئة الموسيقى بتجنبها الفصحاء فى كلامهم ، ويفرضونها الشمراء فى أشعارهم إلا حين يضطرون إليها اضطرارا ولا يجدون فيها مندوحة ، وحينئذ يحاب عليهم استعمالها ، ويتخذها النقاد مواضع طعن فى ألفاظ الشمر (١) .

" والضابط ههنا أن كل ما بعده الذوق الصحيح ثقيلًا متمسر

النطق به فهو متنافر سواء كان من قرب المخارج أو بعدها " (٢) .

قال صاحب " المثل السائر " : " أن مدار علم البيان على مدار

الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم " (٣) .

وخلاصة ما سبق : أن قرب المخارج وبعدها قد يكون سببا فى تنافر

الحروف وقد يكون سببا فى جمالها وأحيانا تتقارب وتفتح أو تتباعد وتجمل ،

وأحيانا يحدث العكس ، ولكن العيزان هو اللسان والسمع ، فما كان خفيفا

على اللسان مقبولا لدى الأذن يرى من التنافر ، وما لم يكن كذلك فهو

المتنافر ، وقرب المخارج أشبه بتكرار الحرف .

(١) موسيقى الشمر ، د . إبراهيم انيس ، ص ٣٠ .

(٢) شروح التلخيص ج ١ : ٧٩ ، ٨٠٠ .

(٣) المثل السائر ١٢٧ - ١٢٨ .

ب - مراتب القبح

التكرار القبيح أو التكرار غير الفصيح :

هناك تكرار جميل كما أسلفنا - وهو كثير في الأثر العربي لا يمكن
أبضا حصره - وهناك /تكرار قبيح يمكن أن يكون قليلا عند الشعراء . وقد جمعت
منه أبياتا عدة وقف عندها النقاد ووصفوها بالقبح . ولهذا القبح في نظر
النقاد أسباب :

- فنبها : ما كان متنافرا في حروفه ومتعاطلا في نظمه .
- وضها : ما كان ثقيلا على النطق أو على السمع أو على كليهما .
- وضها : ما كان فيه تعقيد في المعنى أو في اللفظ أو في كليهما .
- وضها : ما كان فيه تجنيس متكلف طمس وجه البيت وذهب بجماله
وسلب فصاحته ، واغتصب بلاغته ، ولذلك كان التكرار فيها

قبيحا أو لنقل : غير فصيح .

لأنني رأيت هذه التسمية أكثر إشارة وأحسن تفصيلا ، وأدل على أسباب
القبح لأن قولنا - غير فصيح - يذكركم بعدم استيفاء البيت لشروط الفصاحة
وهي : خلوه من التنافر والفرابة والوحشية ، والتعقيد اللفظي والمعنوي
أبضا ، لأن الشاعر حينما ألف هذا البيت القبيح وكرر حروفه على نحو
متنافر لم يكن يراعي المعنى ، ولم يكن يهتم عن افادتنا بشيء بقدر
ما أراد أن يفصح عن براعته في تركيب هذه الحروف وكيف أنه وقع من
البدسح - على جوف الفرا - وما يرى أنه وقع في سوء عمله ؛ فلأى
جمال أو فصاحة أو بلاغة في قول الشاعر :

وقهر حرب يحكان قفسر وليس قرب قبر حرب قبر (١)

(١) سبق الحديث عن هذا البيت .

أو في قول " المتنمى " :

(١) فقلقت بالهم الذي قلل الحشا قلاقل عيس كهن قلا قـلـل

(١) غشاة عهني أن تفت كراشـي وليس يفت أن تفت المأكـلـ

ان هذه الأبيات وغيرها من الأبيات التي سأتمرغ لها لا يعتد بها في ميزان الفصاحة لأن تركيبها على هذا النسق أدخلها في باب التنافر وان لم تكن الألفاظ متنافرة ، ونظما على ذاك النحو أدخلها في التحقيد اللفظي فتعقد المعنى تبعا لذلك ، لأنها حينئذ تعتبر من باب "النظم الذي معناه ضم الشئ إلى الشئ " كيف جاء " واتفق " (٢) دون مراعاة لموقع اللفظة من جارتها : سابقتها أو لاحقتها ، وموقع الشطر من الشطر الذي يليه .

فالذي قبح قول " المتنمى " أنه لم يراع وضع لفظة " قلقل الحشا " و " قلاقل عيس " بالنسبة إلى " فقلقت " الواقعة في صدر البيت ، فوقوعها هكذا متماقة ومتجاورة في شطر واحد ثم اعادته هو الذي سلب من البيت سلاسته وفصاحته ، وجعله يبدو ثقيلًا في حركته وفي نطقه وعلى سمعه كأنه حيوان قد ربط بالسلاسل من يديه ٦ وقيد من رجليه ٦ وشد بوثاق إلى ظهره ٦ وكم فمك فلم يستطع أن يبلغ إلى شئ ٦ كـولـم يستطـع أن يفصح عن صوته ٦ وهذا ما جعل " الخليل بن أحمد " - ت ١٧٥ هـ - يطلق وصفه على هذه الأبيات وغيرها بقوله : " وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المقيد " (٣) .

(١) سبق الحديث عن هذين البيتين .

(٢) دلائل الإعجاز : ٤٠ .

(٣) سر الفصاحة : ٩١ .

ثم ان كلمة " قلقت " وحدها تكفى لظهار ما يريد الشاعر من قوة الحركة واستمرارها وتكررها " فالصادر الرباعية الضميمة تأتى للتكرير، نحو الزمزمة ، والظظية ، والصلصلة ، والقمقمة " (١) . ولا داعى لتكرار ما تكرر أصلا " فقد اتفق له أن كرر فى البيت الأول لفظة مكررة الحروف فجمع القبح بأسره فى صيغة اللفظ نفسها ثم فى اعادتها وتكرارها ، وأتبع ذلك بنشأة فى البيت الثانى ، وتكرار - تغث - فلست تجسد ما تزميد على هذين البيتين فى القبح " (٢) ، ولذلك كانت هذه الإبيات ثقيلة صعبة على النطق رفضها البلاغيون لنفس السبب الذى رفضت من أجله العرب ما تقارب حروفه .

ومن نافلة القول أن نقول : ان البيان يحتاج الى " سهولة المخرج وجهازة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق الى الحلالة والطلاوة ، كماجته الى الجزالة والفخامة وأن ذلك من أكر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق ، وتزين به المعاني " (٣) .

مراتب القبح :

لقد جمعت/ هذه الأبيات القبيحة ووجدت أن بعضها أخف قبحا

من بعض حسب المعايير الآتية :

- ١ - درجة الثقل والوعورة فى السمع ، ودرجة الثقل فى النطق .
- ٢ - نوعية الحروف ومدى اختلافها بعضها مع بعض .
- ٣ - تأثير تكرار الحروف و " تشابهها " على المعنى .

(١) الخصائص ٢/ ١٥٣ .

(٢) سر الفصاحة : ٩٤ .

(٣) البيان والتبيين ١/ ١٤٠ .

ولا تخرج هذه المعايير مجتمعة أو منفردة من مقياس الذوق الأساسي
في هذه الموازنات ، وقد جعلتها على ثلاث مراتب : وضعت في المرتبة
الأولى الأبيات التي كانت أشبه بالألفاظ أو الأحاجي ضحا بالبيان
وهي مع ذلك لا تخلو من ثقل على السمع ، وفي النطق ومن إخلال بالمعنى .
وضعت في المرتبة الثانية ما كان دون ذلك في الصعوبة وكانت
حروفه أخف من الأولى وأيسر قليلا على اللسان والسمع .
وفي المرتبة الثالثة ما كان قبيحا لكن لم يصل الى درجة المرتبة
الأولى ولا الثانية فكان أقل غموضا ، وأخف وعورة ، وأدل على المعنى
ولو بعد تحميم وتضمن ، ولا تخلو كل الأبيات - بطبيعة الحال -
من تكرار حرف أو أكثر .

ولم يدخل عدد الحروف كميزان في هذه المراتب ، لأنه قد يتكرر
الحرف الواحد سبع مرات مثلا ولا يكون هناك ثقل ، وقد يستكرر
حرفان مرتين أو ثلاثا أو يتجاور مع قرينيه في المخارج فيسبب اشكالا
وسأوضح ذلك .

*

المرتبة الأولى : (الحروف المتنافرة) :

- (١) وقبر حرب بمكان قفسر وليس قرب قبر حرب قهر
(٢) فقلقت بالهم الذي قلل الحشا فلاق عيس كهن فلا قل
(٣) وأنجع من فقدنا من وجدنا قيل الفقد مفقود المثال

(١) و (٢) سبق الحديث عنهما .
(٢) ديوانه ١٨/٣ . قال المكي : يقول : أعظم المفقودين فجعة ، وأجلهم
مصيبه ، من فقد شاله قبل فقد ، وعدم نظيره قبل موته ، والمفقود
كذلك ، لأنها لم ياتلها أحد في فضايلها مدة حياتها ، فمظمت الفجعة
بها عند سياتها ، فان من وجد له نظير يتسلى عنه .

قالوا في تفسير الفرابية : " أن تكون الكلمة وحشية أى غير مأنوسة
الاستعمال ، ونحن نقول فى أمثال هذه التراكيب وما بعدها أنها وحشية
التركيب غير مأنوسة الاستعمال ، لأن هذا التركيب وهو ضم الحروف
التشابهة على شكل تنافر يتمشى فيه اللسان ويغيب عنه المعنى ،
تأليف غير معروف عند العرب ، ولذلك حينما استنكروا البيت الأول نسبوه
الى الجن ، لأنهم يعرفون ذوق العرب فى الكلمة الواحدة ، فصار
بالك بالبيت الكامل .

" وجعل معنى الشراح ذلك من تنافر الحروف وليس كذلك لأن كل
كلمة على انفرادها لا تنافر فيها وكل ما حصل فيه تكرار الحروف فإن
فيه هذا التنافر . ولا يرد قوله تعالى * وعلى أمم ممن معك *^(١)
لأن فى مخرجى الميم والنون وهما طرف اللسان والشفة وذاقتهما وتوسطهما
بين الضعف والقوة ما أزال شغل التكرار وجعل " الخفاجى "
ثقل هذا البيت لتقارب الحروف المتعاقبة وتكررها أيضا .

ومن التكرار القبيح على ما ذكره " ابن الأثير " فى الجامع :
وازور من كان له زائرا وعاف عافى العرف عرفانه^(٢) ،
وإذا حللنا الأبيات السابقة وحاولنا أن نصل الى سر صمويتها وتنافرها ،
نجد ما يلى :

١ - أن تكرار الألفاظ على هذه الطريقة السريضة التلاحقة جعلها
ثقيلة على النطق وعلى السمع فهى من النوع الذى ذكره " ابن
الأثير " ٦٣٧ هـ : (ان الألفاظ داخلة فى حيز الأصوات ،

(١) بعض آية ٤٨ من سورة هود .

(٢) شروح التلخيص : عروس الألفواج ١/١٠٠ .

فالذى يستلذه السمع منها ويميل اليه/الحسن ، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح (١) .

وكرهها السمع لكون حروفها ثقيلة عنيفة متكررة بطريقة

تقرع الأذن قرعاً مؤذياً ، وتثقل على اللسان ثقلًا واضحا .

٢ - التكلف المقصود ، والتمقيد المتعمد هو الذى جعلنا ننكر هذه

الأبيات وأمثالها ، لأن الشمر أخف من ذلك وأبعد ما يكون

عن التعميد ، وإذا كان ذلك مكروها فى النثر فكراهيته فى الشعر

أكثر تأكيداً . ثم إن طبيعة اللفظة نفسها ترفض مثل هذا التعميد ،

و " تلفظ " مثل هذه الأبنية " ولا يكاد يجرى " فى كلام العرب

ثلاثة أحرف من جنس واحد فى كلمة واحدة لعزونة ذلك على

ألسنتهم وثقله " (٢) . فكيف بالشاعر يركض خلفه ركضاً

ويبحث عنه .

٣ - طبيعة حرف القاف " العنيفة " التى لا تحتل التكرار بهذه

الطريقة ، وهذا ما لا تحتله الأبيات وبالتالى لا يحتلها

النطق ، لأنه ما يزيد صموة الكلمة (أن تتضمن حرفاً أو حرفين

من تلك التى تحتاج الى مجهود على أكثر مثل القاف وأحرف الاطباق

وبعض حروف الحلق والراء) (٣) .

فإذا كان وجود حرفين بشكل هذه الصموة ، فكيف بتكرارها ؟

لا شك أنها تشق على اللسان وتكده وتقرع الأذن وتؤذيها .

(١) المثل السائر ١/ ١١٥ .

(٢) سر الفصاحة : ٤٨ .

(٣) موسيقى الشعر : ابراهيم أنيس : ٣١ .

قال "الملوى" ٧٤٩ هـ فى "الطراز" (اذا تكرر الحرف الواحد
فى الكلام المثلوم والمنثور ، كان ثقيلًا على الأُنفُس نازلًا عن الفصاحة ،
محببًا فى البلاغة) (١) . وهذا قول لا يؤخذ على إطلاقه فليس
كل حرف تكرر كان ثقيلًا ، فقد تكررت حروف كثيرة ولم نر فيها ثقلًا فمن
ذلك قول الله تعالى * وعلى أمم ممن معك * ، ومن ذلك فى الشعر
قول "جرير" :

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا (٢)

ومثله قول الآخر :

وان الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عى لمختلف جدا (٣)
وأشال ذلك كثرة جدا " وتكرر الباء هنا محتمل اذا قيس بتكرار القاف فى
بيت "المتنقى" ، وذلك لخفة الباء أولا ، ولأن تكررها وان زاد على
المصنوع غير صالح فيه بالنسبة لما ينتظر منها . وسحب لهذا ألا نسوى
بين تكرار الحروف فى البيت الواحد " (٤) .

ولكن "الملوى" عقب على ذلك بقوله : " فمن ذلك ما قاله

بعض الشعراء :

وقهر حرب بمكان قفمـــــر وليس قرب قهر حرب قفمـــــر
فهذه القافات والراءات من الأحرف قد تكررت وتقايرت فأكسبت الكلام
ثقلًا وركبة تعمد به من الفصاحة وتتنأى لأجله عن البلاغة ،
وقد قيل ان هذا البيت من شعر الجن ، ولهذا قيل : ان أحدا لا يـكـان

(١) الطراز : ٥٢/٣

(٢) ديوانه : ١٠٧

(٣) للمتبحر الكندى ، ديوان الحماسة لأبى تمام ١١٧٩/٣

(٤) موسيقى الشعر ، د. إبراهيم انيس : ٣٨

بشده ثلاث دفعات الا عشر لسانه ، وفى هذا دلالة على بعمده عن السلاسة
وقربه من الفثاة ، وهكذا ورد فى الحريريات وعدّ من ريكها
قوله :

وانورّ من كان له زائرا وعاف عافى الصرف عرفانه
فلما تكررت الراء والفاء فيه ، كان محتاجا الى بهكار يضمه الناطق فى
شدقه ، حتى يدبره على تأليفه الذى خرج عن حد الاعتدال ،
وهكذا فعل فى رسالتيه اللتين جعل اهداهما على حرف السين والاخرى
على حرف الشين ، فنالهما الثقل ، وستهما البرودة من أجل ذلك ^(١) .
ثم يحكى " الملوى " عن بعض الوعاظ أنه قال فى كلام له أورده :
حتى جنّات ^(٢) وجنّات جنّات الحبيب ، فصاح رجل من الحلقة وما دغشى
عليه ، فقبل له : ما حدث عليك ؟ فقال : سمعت جيما فى جيم فى
جيم فصحت ، ثم قال : " وفى هذا دلالة على أنه يجب على البلغاء
تجنبه والاعراض عنه " ^(٣) .

ثم رجع بنا القول الى بيت " المتنى " : " فقلقت . . . " لنذكر
رأى " ابن حجة العموى " الذى يرى أن الجنس وكثرة اشتقاق الألفاظ
يؤدى الى المقادة والتقييد من اطلاق عنان البلاغة فى ضمائر
المعاني المتكررة ، وقد ذكر البيت وقال : " وأستحي أن أقول انه أبو
الطيب . ولقد تصفحت ديوانه فلم أجده ^{لواظف} / هذا النوع نزولا الا ما قل
فى أبياته ، وهو نادر جدا ، ولا العرب من قبله خيتم بأبياتها عليه ،

(١) الطراز : ٥٢/٣ ، ٥٣٠ .

(٢) جنّا عليه بجنا جنوا وجانّا عليه وتجانّا عليه : أكب ، وقال

ثعلب : جنى عليه : أكب عليه بكلمه . لسان العرب .

(٣) الطراز ٥٣/٣ .

غير أن هذا البيت حكمت على "أبي الطيب" به المقادير ، ومثله قول

القاتل :

(١) وقبر حرب بمكان قفسر وليس قرب قبر حرب قبر
فقرب ، وقبر لا جل الجناس المقلوب هو الذى قلب عليه القلوب (٢) .

وليس معنى هذا الكلام ، أن الجناس هو السبب المباشر فى تعقيد
الألفاظ . ، وإفلاق المعانى ، فإن الجناس باب يديع من أبواب تعميين
الألفاظ ، وليست المشكلة فى الجناس نفسه ، وإنما فى سوء استخدامه و (أما
يحسن الجناس إذا قل وأتى فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ،
ولا بعد ولا ميل إلى جانب الركة ، ولا يكون كقول "الأعشى" :

وقد غدوت إلى العانوت يتيمنى شاورٍ مِشَلٍّ شَلُولٍ شَلْشَلٍ شَوْلٍ (٣)

(١) سبق الحديث عنه .

(٢) خزانة الأدب لابن حجة ص ٢٠ .

(٣) ديوانه ص ٥٩ . وفى اللسان : قال أبو بكر فى بيت الأعشى :

الشاورى الذى شوى ، والشلول : الخفيف ، والشل : المطرد ،
والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة
أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة . وقال ابن الأعرابي :
يقال للفلام الحاذ الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله ،
شلشل ، وششن وشلسل وللسل وشمشع وجلجل .

ولا كقول " سلم من الوليد " :

(١) (٢)
 سَلَّتْ وَ سَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَاتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا سَلُولًا

وقال " التنوخي " في " الأُقصى القريب " : (ومن تكرر اللفظ دون
المعنى قول " أبى منصور الشعالي " :

(٣) وإذا الهلاهلُ أفصححت بلغلتها فانف الهلاهل باحتسا هلاهل

لأن الأول : جمع بلبل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع بلبال : وهو
الهمم يختلج في الضمير ، والثالث جمع بلبله : الأبريق يشرب منه
الخمرة ، فأطلق اسمها على الخمرة ، وهذا من تلحج التجنيس . والذي
يقبح تكراره ، كقول " المتنبي " :

فقلقت بالهم الذي ثقل الحشا

(٤) فان كل قلقة فيه واحدة .

(١) المشهور أنه بالسین كما جاء في ديوانه ص ٥٧ .

سَلَّتْ فَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا * فَاتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا سَلُولًا

يقول : رَقَّتْ بطول القدم ثم رقق رقيقها فَاتَى رقيق رقيقها مرققا :

أى سَلُولًا . والسَّلَّ - في اللسان - انتزاع الشئ واخراجه فرفق ،

والسَلِيل : الولد . وفي الحديث : اللهم اسقنا من سَلِيل الجنة ،

وهو صافي شرابها ، وقيل له : سَلِيل لأنه سل حتى خلس ، وفي

رواية : اللهم اسق عبد الرحمن من سَلِيل الجنة ، قال : هو الشراب

البارد ، وقيل : السهل في الحلق . سَلَّل . لسان العرب لابن

منظور .

(٢) خزائن الأُدب لابن حجة ص ٢٠ وقد وردت فيه سينات سلم هيئات

لها .

(٣) ورد هذا البيت أيضا في " التبيان في شرح الديوان " للمكبري ١٧٦/٣ .

(٤) الأُقصى القريب للتنوخي ص ٩١ .

فأنت ترى أن "التنوخى" لم يحب الجناس بل على العكس ،
لقد استلحه لأن التكرار كان يراد به المعنى ، بينما عاب قول "التنخى"
لأنه كان يريد مجرد التكرار .

وكما "عابه التنوخى" ، فقد عابه قله "الصاحب اسماعيل بن
عباد ت ٣٨٥ هـ : " ماله قلقل الله أحشائه ، وهذه القافات الباردة " (١)

والغريب أن "العكرى" - ٦١٦ هـ - قال فى تعليقه على هذا
البيت : (ولا يلزمه من هذا عيب ، فقد جرت المادة بذلك) (٢)
ثم استشهد بقول "أبى نصر بن المرزبان" (٣) : (ثلاثة من الشعراء
روءساء : شلشل أحدهم ، وسلسل الثانى ، وهقل الثالث . فالذى شلشل
"الأعشى" وهو من روءساء الجاهلية وهو الذى يقول :
وقد غدوت الى الحانوت تبمنى (٤)

(١) ديوان التنخى شرح العكرى ١٢٦/٣ .

(٢) ديوان التنخى شرح العكرى ١٢٦/٣ .

(٣) قال عنه الثعالبى فى بتهمة الدهر ٣٩١/٤ :

"أبو نصر سهل بن المرزبان : أصله من أصبهان ، ومولده
ومنشؤه قاسين ، ومستوطنه نيسابور . وهو غرة فى جهة عصره ،
وتاج على رأس أهل عصره . . وله من مؤلفاته كتاب أخبار أبى
الميناء ، وله كتاب أخبار ابن الرومى ما ألفه لى ، وكتاب
أخبار جعظة البرمكى ، وكتاب ذكر الأحوال فى شعبان وشهر
رمضان وشوال ، وكتابه الآداب فى الطعام والشراب ، وله شعر كثير
النكت ، وقد أورد طرفا منه .

(٤) مر هذا البيت وتامه :

" شاو مشل شلشل شول " .

والذى سلسل " سلم بن الوليد " وهو من رؤسنا

المحدثين :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا^(١)

وأما الذى قلل " فالتنبي " . قال الثعالبي ت ٢٩ هـ : فقال لى

أبونصر : فلبيل أنت ، فقلت له : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أفسى

قول من قال :

الشعراء فاعلمن أربعة^(٢) .

قال : ثم قلت بعد مدة من الدهر :

وإذا الهليل أفصحت بلغاتها فاتف الهليل باحتساء بلا بل

وفى هذا الذى ذكرناه ما يرد قول " ابن هبادة " ويطلبه ما جاء مثله

من رؤساء الشعراء^(٣) .

ولي تعليق على تعليق المكبرى : فى قوله : " ولا يلزمه من هذا

ميب " ، فهذا رأى مخالف لما أجمع النقاد عليه من شناعة هذا البيت

والبيتين الآخرين للأسباب التالية :

١ - ان اعجاب المكبرى لا يبيح له أن يتفاضل من هفواته ، أما اذا

كان يريد أن يثبت الفصاحة لهذا البيت من أجل أن يدفع اتهامات

" ابن هبادة " فذلك لا يخرج بالبيت الى الفصاحة مع أن صاحب

لم يتكلم فى هذا البيت الا بما علم واشتهر من قوانين الفصاحة والبلاغة .

(١) مر هذا البيت وتامه : " فأتى سليل سليلها سلولا " .

(٢) وبقيتها : / فشاعر مجرى ولا يجرى معه

وشاعر يمشد وسط المعمره

وشاعر من حقه أن تسممه

وشاعر من حقه أن تصفحه

وجاءت هذه الأبيات فى المدة ١١٤/١ ولم يذكر قائلها وأشار المحقق

أنها تنسب للحطيئة لكنى لم أجدها فى ديوانه .

(٣) ديوان التنبي شرح المكبرى ١٧٦/٢ .

٢ - اعجاب المكبرى " بالحنى " هو الذى جعله يحاول أن يدافع عنه ، ومن أجله استشهد بيتى " الأشى وسلم " محاولاً أن يرفع ثقل القلقة الى خفة الشلشة والسلسلة . والا فإذا فى كلام أبى نصر بن العزبان حينما تكلم من الأبيات من اثبات الفصاحة لها أو نفى القبح عنها حتى يقول : " وفى هذا الذى ذكرناه ما يرد قول ابن صاد ؟ "

٣ - قوله " يبطله ما جاء مثله من رؤساء الشعراء " لا يقتضى أن تكون الشلشة أو السلسلة مثلاً يحتذى حتى ولو جاءت من رؤساء الشعراء ، وإنما يجب تقليد هم فى الصحيح الفصيح .

٤ - فى قوله " فقد جرت العادة بذلك " وهذا صحيح ، ولكن جرت به العادة فى الخطأ لا فى الصحة . فقد بلبل (١) " امرؤ القيس " وتبعه " الأشى " ثم " سلم " ثم " أبو تمام " ثم " الحننى " ولكن أحداً لم يجر هذه العادة ، ولو كانت كل عادة خاطئة جائزة فلا جاز النقاد إقواء الناهية ومن تبعه ، ولا جازوا غرابة امرؤ القيس ومن تبعه ولا جازوا إبطاء الأشى ومن تبعه . ولو اكفى " الحننى " بالقلقة لتجاوز الناس عنه ولكن أتى بما لا يحسد عليه من " الفثاة " و " الجهالة " و " الضعفة " و " الألا " و " المظحة " وغير ذلك كثير .

٥ - بلبل الثعالبي ولكنه كان خائفاً تردداً من أن يتبعه الناس بالصيب لأنه رأى فى الشلشة والسلسلة والقلقة ما يزعزع الشاعر

(١) فى قوله :

الا أنسى بال على جعل بال * يقول بنا بال و يتبعنا بال
ديوانه ٢٧٣ .

من المراتب العلى ، فلذلك قال - وبعد مدة من الدهر -
بمنا خفيفا سهلا واضحا شهد له " التنوخى " بالملاحة كما قدما
فخرج من " رابع الشعرا " فضلا عن أن أحدا لم يشهد لبیت
" المتنوى " المتقدم ولا لغيره بالصحة ولا بالفصاحة .

٦ - تختلف القلقة من الشلشة والسلسلة " و يجب لهذا ألا نسوى
بين تكرار الحروف فى البيت الواحد ، فتكرر القاف غير تكرار السين مثلا ،
وذلك لأن تكرار حرف من الحروف قد يكون مقبولا سهل النطق به
لا يحتاج الى جهد عضلى كبير ، فى حين أن تكرار حرف آخر يكون
مجهدا يشق على اللسان وينبى فى الأذان .

ولذلك لا نتفق مع المعبرى ، شاح ديوان المتنوى ، حين سوى
بين تكرار القاف فى بيت المتنوى وتكرار الشين فى قول الأُشى ، وتكرار
السين فى قول سلم . فقد اعتبر " المعبرى " أن القلقة فى بيت المتنوى
كالشلشة فى بيت الأُشى ، وكالسلسلة فى قول سلم ، وقد أنصف صاحب
ابن صباد حين سمع بيت المتنوى فقال : " ماله قلقل الله أحشاه " ، وهذه
القافات الهادة ! " .

بعد هذا يجوز لى أن أستشهد ببعض ما كتبه صاحب فى غير
هذا البيت فهو يقول : " وما لم أقدره بلج سما أو يرد أذنا
قوله :

جواب ساعى أله نظير ولا لك فى سوء الك لا ألا لا (١)

(١) ديوانه ٢٢٩/٣ . قال الشارح : هذا من باب التقديم والتأخير ،
وأراد : لا ولا لك ، ضرورة كقول الآخر :
عليك ورحمة الله السلام .

ومثل قوله تعالى ﴿ أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ﴾ ،

=====

وقد سمعت بالفأفة ولم أسمع بالألا • ، حتى رأيت هذا التكلف
التمسّف الذي لا يقف حيث يعرف • (١) .

وقد تحدث من هذه المعاييب " الثعالبى " ووضعها تحت عنوان
" من معاييب شعره ومقاييسه " فقال : " ومنها تكرّر اللفظ الواحد
من غير تحسين وذكر منها القلقة " (٢) ثم قال : " قال الما حيب :

وما زال الناس يستهشمون قول مسلم :

سَلِّتْ فَسَلِّتْ ثُمَّ سَلِّ سَلِّهَا

حتى جاء هذا البدع فقال :

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مِنْ وَجَدْنَا قِيلَ الْفَقْدُ مَقْشُورٌ الْمَثَالُ
وأظن المصيبة في الراى أعظم منها في المرثى • (٣) .

ثم ان السلسلة لا تخلو من ساجدة وتكلف فقد رفضها حسن - " أبى نواس "
النظري وذوقه البلاغى . قال له مسلم : (وقد اجتمعا في مجلس فتلاهما
على نبيذ : والله ما تحسن الا "وصاف " فقال : لا والله ما أحسن أن أقول :

== والتقدير : قبحا ، ولم يجعل له عوجا .

المعنى : يقول : اذا سألتنى سائل ، فقال : هل له نظير ؟
فجوابه : لا ، ولا لك نظير في سؤالك عن هذا ، لأن أحدا لا يجادل
هذا غيرك ، فاذا أنت في جهلك بلا نظير ، وكرر النفي بقوله :
" ألا لا " : إشارة الى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة
الجواب عليه .

(١) الكشف عن مساوى المتنبي • ٥٨ .

(٢) بتيمة الدهر ١/ ١٣٩ ، والكشف عن مساوى المتنبي • ٤٨ .

سلت وسلت ثم سل سليلها

والله لو ربيت الناس في الطرق لكان أحسن من هذا" (١) .

ورفضها كذلك ذوق "ابن سنان" حين قال : " ولولا أن هذا البيت مروى لسلم ووجود في ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعد لناس ذهنا ، وأقلهم فهما ، ومن لا يعد في عقلاء المائة فضلا عن عقلاء الخاصة لكن إخال خطرة من الوسواس أو شعبة من الهرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت فليته لما عاد إلى صحة مزاجه وسلامة طباعه جده فلم يمتدحه ، ونفاه فلم ينسب إليه ، وما أضيف هذا وأمثاله إلا إلى عوز الكمال في الخلقة وعموم النقص لهذه الفطرة" (٢) .

فإذا كان هذا شأن السلسلة ، فما بالك بالقطعة التي لم يرف فيها "المكبري" عيبا ؟

يقول المسكوي - ت ٣٩٥ هـ - بعد أن ذكر السلسلة والشلسلة في قبح التجنيس (وهذا مستهجن لا يجوز لتأخر أن يجعله حجة في اتیان مثله ، لأن هذا وأمثاله شأن معيب ، والمعيب من كل أحد معيب ، وإنما الاقتداء في الصواب لا في الخطأ) (٣) ثم ذكر القطعة و"الضعف" (٤) ووصفها بأنها أقبح من جميع ما ذكر من أبيات كان تجنيسها معيبا ، بل أنه أخرجها من التجنيس .

(١) الموشح : ٤٤٤ .

(٢) سر الفصاحة : ٩٤ .

(٣) الصنائع : ٣٤٤ .

(٤) وهي ما جاء في أبيات المتن من قوله :

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه . وسيأتي الحديث عنها

ان شاء الله .

وكذلك فعل "ابن رشيقي" ٤٥٦ هـ ، فقد أخرج القلظة من الجناس وأدخلها في التردد وردّها الى التقليد فقال : " وسع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مكّنه وزهد فيه ، ولو لم يكن الا بقوله :

فقطعت بالهم الذي قلقل الحشا
فهذه الألفاظ كلها قلا قل (١) .

وبذكرنا "الحاتى" أيضا - خطأ المادة المتقدمة - وبذكر لنا فرقا بين السلسلة والقلظة :

(ومن الغثاة التلاريسب فيها قوله :
(٢) غثاة عيشى أن تفت كراحتى وليس يفت أن تفت العاقل)
وقال "أبو الطيب" : (أما أبو تمام القائل :
والمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى الذى يرجو له الا بالرضا (٣)
هذا والله الهذيان الذى يشعل بطون الصارق (٤) ويطفى نار
القرايح . قال : وأراه سح بيت مسلم فأعجب أن يركب الكلام
وبما غله تركيب مسلم ومعاظله فى قوله :
سلت وسلت ثم سل سليلهما)

- (١) الممددة لابن رشيقي ٣٢٥ / ١ .
(٢) الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات أبي الطيب الحتنى وساقط شمسه للحاتى ص ٤٠ . والبيت للحتنى وقد سبق الحديث عنه .
(٣) فى ديوانه ٣٠٧ / ٢ : " فالمجد " والمجز " يرضى امرؤ " يرجوكم الا بالرضا " قال التمرى : يقول : المجد غير راض عنك بأن ترضى أن يرضى راجيك منك الا بما يرضيه ويسره .
(٤) المهرق : الصحيفة فارسى معرب وجمعه : صارق .

(*)

فأضحكى هذا التخيّل منه ، وقلت : ان " مسلما " وان كرر اللفظ ،

فليجّه معنى لطيف ، أنا أورده ، وقد أورده " الباهلى " فى " كتاب الصنائى "

فزعم أنه يريد : هذه الخمرة سُلّت من الكرم باقتطافه ، ثم سُلّت من

الجنب باعتصاره ، ثم سُلّ المصير من الدّان ^(١) بيزله ، وقوله :

فعدا سليل سليلها سليلوا

يريد بول شاربها . وقد قال بمد هذا البيت :

لَطَفَ الزَّاجُ لَهَا فَرَزَيْنَ كَأْسَهَا بِقِلَادَةٍ جُعِلَتْ لَهَا أَكْلِيلًا ^(٢)

يريد : أن الزاج رفعها فجعل القلادة وهى فى الصين الكيلا ،

وقد نازعه " أبو نواس " فى هذا المعنى وأحسن العبارة عنه بقوله :

تدور علينا الرّاجُ فى عسجدية حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارُشَ ^(٣)

قَرَارَتُهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهًا تَدْرِيهِ بِالقِسَى الْفَوَارِشَ ^(٤)

فَللْخَمْرِ مَا زَوَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَا مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الظَّلَا نَسْ ^(٥)

(*) هذا من كلام الحاتى .

(١) الدّان : واحد الدنان وهى الحباب . وقال الزمخشري : بزل الشراب

من الصزل : أساله منه وهو شبه طهى فى الدّان ونحوه يسيل منه .

(٢) ديوانه ص ٥٧ : " لطف الزاج " أى احتال لها حتى زعم كأسها

بعد جعل لها الكيلا . والاكيل : غيط منظوم يجعل فى أسفل التاج

ستدبراه . وإنما يريد أن الما أحدث لها عند الزاج زيدا

كالدر أحرق بحيطان كأسها .

(٣) ديوانه : ص ٣٧ . والمسجد : الذهب . والعباءة : المطا .

(٤) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية ، والمهاة أيضا البلورة .

وآدراه وتدراه : غتله .

(٥) ديوان أبى نواس ص ٣٧ .

وأما قول "لبي تمام" :

(١) (والمجد لا يرضى بأن يرضى)

فلا ينقصه مثلك وأنت القاتل :

(٢) فقلقت بالهم الذي قلقت الحشا قلاقل عيس كلبن قلاقل

والقاتل :

(٣) ومن جاهل بي وهو مجهل جهله ومجهل على أنه بي جاهل

وأنت القاتل :

(٤) وقوفين في وقفين شكر ونائل فائله وقف وشكرهم وقف

وأنت القاتل أيضا :

(٥) ولا واحدا في ذا الوري بل جماعة ولا البعض من كل ولكك الضعف

(١) سبق الحديث عنه .

(٢) سبق الحديث عنه .

(٣) ديوانه ١٧٤/٣ . على مفعول : مجهل . وقوله "أنه" مفعول

على ، أي مجهل معرفتي بمجهله بي . قال الواحدى : يريد

ومن رجل آخر لا يعرفني ولا يعرف جهله ، فهما تان جهالتان ،

ومجهل أنى أعلم أنه جاهل بي . وهو من قول الحكيم : الذى لا

يعلم بعلمه لا يتوصل الى برئها .

(٤) ديوانه ٢٨٦/٢ . وقوفين : حال من فاعل ومفعول "يقدون" .

— فى البيت الذى قبله — والعامل فيه "يقدون" ، وأراد : ناطه

وقف عليهم . والمعنى : الناس والمدوح فريقان واقتان فى شيئين

وقفين : أحدهما ، على الناس منه ، وهو المصالح ، والثانى ، على المدوح

من الناس وهو الثنا . والمعنى : أنه أبدا يعطى ، والناس أبدا يشكرونه .

(٥) ديوانه ٢٩٠/٢ . ولا واحدا عطف على خبر ليس — فى البيت السابق —

وهو نصب على الموضع قبل دخول الباء . والمعنى : يقول : لست واحدا

من جميع الناس ، ولا بعضا من كلهم ، ولكك ضعف جميعهم ، لأنك تفنى

غناهم فى الحاجة ، وتزهد عليهم زيادة ضعف الشئ "على الشئ" .

ولا الضَّعْفَ حتى يبلغ الضَّعْفَ ضِعْفُهُ

(١) ولا ضَعْفَ ضَعْفِ الضَّعْفِ بل مثله أَلْفُ

أَقَاضِينَا هذا الذي أنت أَهْلُهُ

(٢) غَلَطْتُ ولا الثُّلَاثَانِ هذا ولا النِّصْفُ

وأَقَلْتُ عليه فقلت : أترك تفتقر بيت "أبي تمام" في أثنا "هذا يانك هذا أم لا تفتقره ؟" (٣)

من كل ما سبق يتضح لنا اجماع النقاد على نكران القلقة فخرجت بذلك من الجنس ومن التردد ، ولن تدخل الا في التعميد والغلو اللفظي .

ومع ايماننا بشكل السلسلة نرى أنها لا ترقى الى درجة القلقة ، ولا يغير كلام "الباهلي" ولا "الحاتمي" شيئاً في الموضوع ، فالثقل وارد في البيتين ، والمعنى غامض فيهما ، حتى لو تكلف "الباهلي" و"الحاتمي" في البحث عنه ووصفه باللفظ ، فالثقل في البيت واضح ،

(١) ديوانه ٢/٢٩٠ ، وفيه " حتى يتبع " بدل " يبلغ " نصب " مثله " لأنه نعت نكرة ، فقدم عليها ، فينصب على الحال ، والنكرة ألف ، فكأنه قال : بل أنت ألف . والمعنى : لست ضعف الوري حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، ثم تعزى على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفاً .

(٢) ديوانه ٢/٢٩١ : أقاضينا : ناداه بهمة النداء . يقول : أنت أهل للذي أشنى عليك به ، ثم رجع فقال : أنا غلطت ، ليس هذا ثلثي ما أنت أهله ، ولا النصف . وفي سر الفصاحة ص ٨٧ قال " ابن سنان " : " وكنت هاضراً عند شيخنا أبي العلاء وقد قرئت عليه قصيدة لأبي الطيب فلما وصل القارىء الى هذا البيت : (ولا الضعف حتى يبلغ . قال : هذا والله شعر مدبر (وفي بعض النسخ مديين) وكان من العصبية لأبي الطيب على الصفة التي اشتهرت عنه .

(٣) الرسالة الموضحة ، لأبي علي محمد بن حسن الحاتمي ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

والتكلف فيه ظاهر ، والركاكة جليلة فيه ، فلا بد أن يُلطف المعنى
وَيَدَقَّ بِلِ وَبَغِيْب .

وليست سلسلة " أبى تمام " بهيمنة من سلسلة " مسلم " :
فاسلم سَلِمَت من الآفات ما سَلِمَت سِلَامٌ سَلَى وضمها أورك السَلَم (١)
وقد طلق عليه " الأمدى ت ٣٧٠ هـ " بعد أن ذكر قبله :

خُشِنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنِ (٢)

طلق عليه بقوله : (فهذا كله تجنيس فى غاية الشناعة والركاكة والبهجانة ،
ولا يزيد زيادة على قبح قوله :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت سلام سلى وضمها أورك السلم (١)
فان هذا من كلام المرسي (٢) ، وقد عابه " أبو العباس عبد الله بن
المعتمر " ببعض هذه الأبيات فى كتاب " البديع " جاء بها فى قبح
التجنيس (٤) وقال المرزبانى " من قول " أبى تمام " : " خُشِنَتْ عَلَيْهِ
أُخْتُ بَنِي خُشَيْنِ " هذا الكلام لا يشبه خطاب النساء فى مفازلتهم ، وإنما
أوقعه فى ذلك محبته للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى (٥) .

(١) هذا البيت غير موجود فى ديوانه " بشرح التبريزى " لكنه موجود

فى " شرح الصولى " لديوانه ٤٥٩/٢ .

والسلام : بكسر السين : العبارة ، وسلى : أحد جبلى طى ،
والآخر أجأ ، والسلم : بفتح السين واللام - شجر .

(٢) هذا صدر بيت لأبى تمام ، وهو مطلع قصيدة له فى ديوانه ٢٩٧/٣ ،
وعجزه :

وأنجح فيك قول الماذلين .

(٣) البرسام : بالكسر : علة معروفة وقد يرسم الرجل على ما لم يسم فاعله

فهو (يرسم) وفى التهذيب (البرسام) بالفتح .

(٤) الموازنة للأمدى ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٥) الموشح للمرزبانى ص ٢٧٩ .

نعم ، إنها من قبيح التجنيس ، وإذا كنت السلسلة ركيكة مهلهلة ، فلا بد أن تكون " السلسلة " من قبيح الجنون والبرسة .
وكما أن للشعرا لحظات تتفقد فيها قرائعهم ، ويأتون فيها بالذر
النفيس ، والجوهر المكنون الذي تشيع فيه الحكمة ، فلا بد أن تأتي
عليهم لحظات يقولون فيها ما لا يفهمون .

ولله در (ابن سنان) حينما قال : (وليته لما عاد الى صحة
مزاجه وسلامة طباعه جمعه فلم يعترف به) (١) .

بقى أن نعريف رأى علماء الأصوات في هذه الأحرف المبهوسة
- وأنها لا تبعث من القلقة - فما قرروا :

(أن الحروف المبهوسة تحتاج للنطق بها الى قدر أكبر من هوا
الرتين ما تتطلبه نظائرها المجهورة ، فلا أعرف المبهوسة مجبدة
للتنفس ، ولحسن الحظ نراها قليلة الشيوع في الكلام ، لأن خمس الكلام
يتكون عادة من أحرف مبهوسة ، وباقي الكلام أحرف مجهورة) (٢) .

ومضى الدكتور " ابراهيم أنيس " في ذكر هذه الضوابط التي
نستطيع بها الحكم على مراتب الصعوبة في الكلمة العربية - أو الكلام -
الى أن بعلنا أن " أسهل الكلمات نطقا تلك التي تتركب من الأحرف
الآتية : اللام - النون - الميم - الدال - التاء - الباء - أحرف
المد " (٣) .

وقد سبق الى ذلك " ابن جني " ت ٣٩٢ هـ في " سر الصناعة "

(١) سر الفصاحة لابن سنان . وهذا الكلام قاله في بيت " مسلم بن الوليد " .

(٢) موسيقى الشعر ، د . ابراهيم أنيس ص ٣٢ .

حيث قرر هذه الحقيقة ، وسى هذه الحروف "حروف الذلاقة" وهى ستة :
اللام والراء والنون والفاء والها والهم (١) .

وأفادنا بسرّ طريف فى هذه الحروف الستة ينتفع به فى اللغة ،
وذلك (أدرك) حتى رأيت اسما رهاصيا أو خماسيا غير ذى زوائد فلا
بدّ فيه من حرف من هذه الستة ، أو حرفين ، وربما كان فيه ثلاثة (١) .

وان كانت الكلمة رهاصية أو خماسية مصرية من بعض هذه الأحرف
الستة (فاقضى بأنه دخيل فى كلام العرب وليس منه) (١) .

وأما حرفا الضاد والثاء :
فعر فان ثقيلا ن يقل أن يتكررا فى الكلمة

الواحدة أو يرددا فى جملة أكثر من مرتين أو ثلاث ، (وليس فى كلامهم
كلمة فيها ثلاثة أحرف من جنس واحد ، ليس ذلك من أهنيتهم استثقالا ،
إلا فى حرفين : غلام بهمة أى سمين ، وقول عمر بن الخطاب : لئن بقيت
إلى قابل لأجعلن الناس بيانا واحدا : أى أساوى بينهم فى الرزق
والأعطيات) (٢) .

فإذا كان هذا استثقالا لحرف خفيف تردد مرتين أو ثلاثا ، فإذا
يقولون فى كلمة كاملة ترددت أربع مرات بلا داع بلاغى ، وبلا معنى جديد ،
وليس فيها من البدع شئ .

(١) سر صناعة الأعراب لابن جنى ٧٤/١ ، وسيت حروف الذلاقة
بهذا الاسم لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو
صدره وطرفه .

(٢) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ٨٠/٢ .

(١) فلمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى امرؤ برجوك إلا بالرضا
لقد كان "أبو تمام" غنيا عن تردد هذه الكلمة بهذا الشكل "السجع"
فلو كان لكلمة من الكلمات الأربع معنى مختلف لمعذرناه ، ولو كان هناك
مغزى بعيد لا يتم إلا بتركيب البيت على هذه الصورة الساذجة لفهضاه ،
ولكنه التفاضح المسجوع ، والتعقيد العزى بصاحبه ، ولذلك لم يهذوه
"اسحق بن ابراهيم" على تعقيد هذا مخاطبه قائلا : (يا هذا شددت
على نفسك . الشمر أقرب ما تظن) (١) وليته شدد على نفسه ، ولكنه
شدد على كل من قرأ هذا البيت ، وكل من سمعه .

بل انه كان يتطلب حرف الضاد في كثير من أبياته بل حتى في قوافيه ،
فقد نظم على حرف الضاد ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة ؛ ويدافع عن هذا
الاختيار الدكتور "عبد القادر الرهاوي" فيقول : (وقد يبدو غريبا
نظمه على حرف ثقيل وهو الضاد وتغليظه اياه على غيره من الحروف
الغفيفة كالفاء والهاء (٢) ولكن ذلك ليس غريبا اذا ما فهمنا طبيعة
نظمه للشمر ، انه لا يرد كلمة يتطلبها احساسه حتى لو كانت ثقيلة الأحرف
على الظاهر ، ومن هنا كان يأتي بما يخالف المألوف دون محاولة
منه الى تغييره) (٢) .

أما طبيعة نظمه للشمر ، فقد عرفنا تطلبه للغامض ، وبمئة عين
البعيد . (ولا شك أن "أبا تمام" كان يخالجه كثير من الزهو عندما يقال
له : لم لا تقول ما يفهم ؟ فيتمخض ويقول لمعترضه : لم لا تفهم
ما يقال ؟

(١) البدیع لابن المعتز ٥٥ ، الواسطة : ٧٢ ، وفي سر الفصاحة ٨٧ :

(لقد شققت على نفسك يا أبا تمام والشمر أسهل من هذا) .

(٢) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : د . عبد القادر الرهاوي ٢٢٥ .

وهذه الصلابة المتناظرة تصور لنا في وضوح ذلك الصراع الخفى الحاد بين طبقة تريد أن تثبت لنفسها شيئاً من الرفعة والسو بأن تحتضن الآثار القديمة ، وتتمسك بأهوائه وتتكلف في ذلك المشاق الشاقة ، وطبقة لا تهتم بذلك الآثار وتجده يكلف صاحبه شقة دون جدوى ، فتتزعج الى المصاغة والوضوح فيما تنتج أو فيما تتقبل من انتاج ، ومن هنا نشأ ما سمى بالذوق العام والذوق الخاص .

وقد اضطر الخاصة الى أن يكسوها أعمالهم صفة الأهمية بأن يصفوا عليها طابع الفخوض ، وذلك بأن يفرطوا في استخدام الصور الفريسية من الاستثمارات ، وأن يكثروا من عناصر الصنعة ، ولذلك سعى مذاهبهم بذهب الفلو (١) .

وأما انه (لا يرد كلمة بتطلبها احساسه حتى لو كانت ثقيلة الأحرف على الظاهر) فهذا ما لا ينبغي له لأنه صانع بحسب عليه أن ينظر في عمله نظر المثقف في كموب قناته ، وبأى احساس في تطلبه حرف المضاد أو في الفعل الذى كرره أربع مرات دون أن يكون هناك داع لهذا التكرير سوى الفلو والتكلف ، والحمد عن الكلام المؤلف .

(والكلام المطبوع سهل عذب ، وله ما ورقة وحلاوة ، أما الكلام المتكلف فمقعد كز ، جاس غليظ ، وهكذا كان بعض شعر "أبي تمام" . وطبيعة الشعر القديم تميل الى السهولة والقصد الى المعنى ، والاعتدال فى الأحكام ، أما الاسراف والبالغة فن طرائق المحدثين) (٢) .

(١) الأسس الجمالية للنقد العربى ، د . عز الدين اسماعيل : ٣١٩ .

(٢) الصراع الأدهى بين القديم والجديد ، د . على الصارى : ١٢٩ .

ولعل أسباب تكلف أبي تمام ، في أمثال هذه الأبيات - وتمسكه

فيها ، وفي بيته الذي سنتعرض له :

كريم حتى أمده أمده والورى مسمى

نتلخص فيما يلي :

١ - أن "أبا تمام" كان حلو الكلام (إلا أن في لسانه حكمة ، وفي كلامه نعمة سيرة)^(١) ، ولذلك أراد أن يمؤن من عبثه بأن يجعل لسانه يرتع في أصعب الحروف وأثقلها ، حتى يرد للسانه اعتباره ، وحتى يدفع عن نفسه هذا المصيب . وهو - بطبيعة الحال لن تكون في الحروف التي يكررها ، والا فأنه سيتجنب تكرارها حتى لا يتمثل لسانه فيها - كما فعل واصل بن عطاء .

٢ - محاولة اشعار الناس بأنه أكثر بداوة وأقوى فصاحة وأنه ليس من أولئك المولدين أو الأعاجم الذين لا يجيدون نطق الضاو والظا والحا . لأنه كما هو معلوم أن (ما اختلفت به لغة العرب الحاء والظا) وزعم قوم أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم^(٢) كما (أن الظا لا توجد إلا في كلام النبط)^(٣) . ولعل هذا السبب إذا أضفنا إليه العالقة والتمرد هو الذي دعا المتنبي إلى أن يقلده فيقول :

(١) الموازنة للأمدى : ٥٥ .

(٢) المزهر ١/ ٣٢٩ .

(٣) سر صناعة الأعراب ١/ ٢٣٢ .

(٢) ولا للضعف حتى يتم الضعف ضعفه

(١) ولا ضعف الضعف بل شله أَلِف

والا فمإذا نفسير تكرار المتن لكمة ست مرات مع أنه شاعر عظيم

لا يشكو من ضعف في التأليف ، ولا من فقر في مفردات اللغة ، ولكن حرف

الضاد هو المسئول من هذا التكرار ولا سيما بعد أن قال :

(٢) وبهم فخر كل من نطق الضا دَ وَهُوَ الْجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ

وكذلك بالغ في حرف الظاء " فمظم وتماظم " . قال :

(٣) أراه صغيراً قَدَرَهَا عَظُمُ قَدْرِهِ فما لعظيم قَدْرُهُ عنده قَدْرُ (٢)

وقال :

(٤) وَبَرَى التَّعَظُّمُ أَنْ بَرَى تَوَاضِعًا وَبَرَى التَّوَاضِعُ أَنْ بَرَى مُتَعَظِّمًا (٤)

وقال :

(١) علق عليه الصاحب بن عباد بقوله : ومنها بيت :

قد حشأت ضاميفه بالضعف وهو * ولا الضعف

وهو * لا * التمتصون له لا يقبح عندهم أن ينقشوا هذا البيت على صدر

الكمة و ينادى في الناس قموا له ساجدين . الكشف عن مساوي

المتنبي ٦٨ . وقد سبق الحديث عن البيت .

(٢) ديوانه ٣٢٣/١ .

(٣) ديوان المتنبي ١٢٥/٢ والمعنى : قدره لمظمه يريه قدر الدنيا

حقيرا ، وكذلك كل شيء " عظيم عنده حقير لمظم قدره على كل شيء " .

والعاقل اللبيب من يحتقر الدنيا ، لأنها زائلة فانية .

(٤) ديوانه ٣٠/٤ قال . الواحدى في معناه : التمظم : اظهار المظمة ،

وضده التواضع ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ، ووضع أبو الطيب التواضع

موضع الضعة والخساسة ، كما وضع التمظم موضع المظمة ، فهو يقول : يرى

شرفه ، وارتفاع رتبته في تواضعه ، واتضاعها في تكبره ، والمعنى :

يرى المظمة في أن يتواضع فيتواضع ، ويرى الضعة في أن يتمظم ،

فليس يتمظم .

(٥) عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعَظْمُ عَظْمًا مِنَ الْعَظَمِ (١)

وقال صاحب عنه (فما أكرم عظام هذا البيت ، ولو وقع عليه أبو الكلاب بجميع كلابه ، وهي جائعة لكان لهم فيه قوت ، مع أنه من قول حبيب ابن أوس الطائي :

(٦) تَعَظَّمْتَ مِنْ ذَاكَ التَّعَظُّمِ فِيهِمْ وَأَوْصَاكَ نَبْلُ الْقَدْرِ أَنْ تَتَنَبَّلَا (٢)

فما معنى قوله : " وهو العظم عظاما من العظم " انه لعمري ممنس بعيد غامض لا يصل اليه القارى . التضمن بسهولة ، فما بالك بالسامع . ثم ان لفظة : " العظم " من الالفاظ التى تلتبس على الناس .

قال " ابن قسيمة " فى باب : الحرفين اللذين يتقاربان فى اللفظ

وفى الممنس و يلتسان ، فرحا وضع الناس أحدهما موضع الآخر (قالوا : عَظُمَ الشئ " : أَكْرَهُ ، وَعَظُمَ : نَفْسَهُ) (٣) .

ولقد جمع المتننى فى هذا البيت عدة تعقيدات :

(١) - تعقيد اللفظ : وغوضه وأن له أكثر من معنى وأكثر من موضع .

(١) ديهوانه ٥٨/٤ : نصب عظاما على الصدر . وقال أبو الفتح : نصبه

بعضت على الحال ، كقولك : أقبل زيدا ركضا ، فكأنه قال :

تعظمت بمعظما من العظم .

المعنى : تعظمت عظاما من العظم ، أى وهذا هو العظم ، لا طلب العظم .

وقال الواحدى : أنت عظيم القدر والنفس والهبة ، فلم يكلمك الناس

مهابة لك ، فلما هابوك تواضعت عن تلك العظمة ، وهو الملاحظة ،

لأن تواضع الشريف من شرفه أشرف من شرفه . وقوله " عظاما

من العظم " أى تعظما من التعظم .

(٢) الكشف عن مساوى المتننى ص ٦٥ .

(٣) أدب الكاتب لابن قسيمة ٢٣٨ .

٢ — تمقيد النحو : فهل "عظم" منصوبة أم مرفوعة .

٣ — تمقيد التكرار : فقد كررها حتى أغفى منهاها .

٤ — تمقيد النظم : في اختياره لحرفي الميم والظاء ، وتكرار ذلك .

والسوء ال الذي يطرأ نفسه هنا : هل كان "الحنين" — وأبو

تمام "قله — يستطيع أن يتجنب هذا التعميد وأن ينقح أبياته من

هذه الفشاعة ، أو أنه لم يكن ليحسن ذلك ؟

بطبيعة الحال : كان يحسن أحسن من ذلك ، فإن من استطاع أن

يمدح رجلا بما يأنه هجو مقذع لقادر على أن يتخير ألفاظه ، وينقحها

من كل شائبة ، ولكنه المناد الذي غذاه حاسدوه حتى أصبح يتعظمهم

في كل بيت فيأتى به على ما يصورهم وصنوعهم ، ليسكنهم من جهة ،

وليثبت لهم من جهة أخرى أنه أكبر من لغتهم ، وأوسع من نقدهم .

وقد نجح في ذلك وخلف بعده عشرات الشراح يبحثون عن شكله ،

ويقلبون أشعاره ، ويسهبون جراحها ويختصمون .

وقد عاب "ابن رشيق" بيت كمب بن زهير :

تجلو عوارض ذى ظلم إذا التستت كأنه منهل بالراح معلول^(١)

لأنه : (جمع بين الضاد والذال والظاء وهي مقاربة متشاكلة)^(٢)

مع أن البيت أسرنتظا ، وأوضح معنى من الأبيات السابقة جميعها .

وأسرنته وأوضح قول كبير مرة " في عرب بن عبد المزميز :

فأرسل بها من صفقة ليماع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم^(٣)

(١) شرح ديوان كمب بن زهير ص ٧ . العوارض : الاسنان وهي ما بين

الشفة والفرس . والظلم : ما الاسنان . ومنهل : قد أنهل بالخمر .

والنهل : أول شربة . والمعلول : قد سقى مرتين . والمثل : الشرب الثاني .

(٢) المصدا ٢٦١/١ . (٣) ديوانه ص ٣٣٦ .

(٧) لَمْ يَضِرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَلَنْتَنَّتْ نَحْرَ مَرْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ (١)

هذا البيت تكرر حرف النون فيه أكثر من مرة وأحدث فيه شغلا ،
مع أنه أسهل من حرف الصاد ، ومع ذلك فقد سبب في البيت تناغرا وثقلا
مع أن حروفه سهلة وجملة .

وهذا يؤيد ما سبق أن قدمناه من أن هذه العملية تتبع الصننى
ووضوحه ، ثم اللسان وسهولة النطق به ، ثم السمع ، ثم الذوق .
وقد تفقد " الجاحظ " النصف الأخير منه فوجد " بعض ألفاظه
يتنرا من بعض " (٢) .

و يشبه هذا البيت فى معازلة حروفه وصمودها وانحدارها وتكرار
بعضها ، ونغوض معانيه قول المتننى :

كَيْفَ تَرَى التَّى تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِى (٣)

(١) قائله محمد بن يسير الرهاشى . يقال انه كان مولى لبنى رهاش . كان
شاعرا غريفا من شعراء المحدثين متظلا ، لم يفارق البصرة ولا وفد
الى خليفة ولا الى شريف متجمعا ، ولا جاوز بلده وكان ماجنا هجاء
خبثا من بخلاء الناس . له أخبار فى الأغاني والحيوان والبيت فى
البيان والتبيين ١/٦٦ .

(٢) البيان والتبيين ١/٦٦ .

(٣) ديوانه ٢/٣٦٢ قوله :

أتراها لكثرة المشـاق
تحسب الدمع خلقة فى العاق
و " راها " بوزن راعها والأصل : رآها ، قدّم الألف ، وأخر الهمزة
ضرورة . و " غير " الأولى : نصبتها على الاستثناء ، والثانية على الحال .
و " رقا " الدمع أو الدم : اذا انقطع ، برقأ رقا ورقا ، وهو من باب
الهمز ، وانما أبدل الهمز ياء لأنه آخر البيت ، والمرب تفعل مثل
هذا فى الوقف .

المعنى : يقول : هذه المحبوبة لا ترجمها كما ، وكيف ترجمه وهى ترى

ومن ضعيف التأليف ، وسوء التركيب ، وسذاجة التعبير قول القائل :

لو كنت كنت كنت الحب كنت كما كنا نكون ولكن ذاك لم يكن (١)

فهذا هو السخف الذي ما عليه من مزيد ، وهذا الذي حذر البلغاء من الوقوع فيه .

هذه هي المرتبة الأولى من مراتب القبح . وهذا رأى النقاد والبلغاء

فيها . وبعد : فقد يسأل سائل : فما تقول في قول " ابن جنى " ٣٩٢ هـ

(ان كثيرا من هذه اللغة وجدت ضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال

التي صر بها عنها ، ألا تراهم قالوا : قضم في العابس ، وخضم في الرطب ،

وذلك لقوة القاف ، وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأتقى للفعل الأتقى ،

والصوت الأضعف للفعل الأضعف) (٢)

== كل " جفن من الناس إلا جفنها ؟ غير راق بالكاء ؟

يريد : غير خقطع الدمع من الكاء ، فهي لا ترحم أحدا ، لأنها

تحسب الدمع في أجفان العشاق خلقة .

وقد علق " ابن الأثير " على هذا البيت بقوله : (وهذا وأسأله

انما يعرض لقاظه في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الأيام)

وجعله من المماثلة اللفظية . المثل السائر ٤٠٢/١ .

(١) استشهد به " ابن سنان " في " سر الفصاحة " ص ٨٧ دون أن

ينسبه لأحد قاطلا : وما زال أصحابنا يمجحون من البيت :

لو كنت كنت كنت الحب كنت كما

وليس يحتاج الى دليل على قبحه للتكرار أكثر من ساعه .

(٢) الخصائص لابن جنى ٦٥/١ .

فنتقول :

- ١ - ان ما تحدث عنه ابن جنى كان عن طبيعة اللفظة الواحدة وكيف كان وضعها اللغوى ، ونحن نتحدث عن تركيب لا عن لفظة واحدة . فكلام ابن جنى يصدق على لفظة " فقلقت " مثلا : وحدها لا على البيت بأكمله .
- ٢ - كلام ابن جنى لا يحسن القبح من اللفظ ، ولا يسهل الوعر فالقبح يهين قبحا حتى ولو كان معبرا ، ويهين الوعر وعرا حتى ولو كان موافقا .
- ٣ - لم يطلب ابن جنى من الشاعر أن يكرر : لفظة القلقة : حتى يثقل أذن السامع عن مكانها ، ولم يشترط التعميد والغوص فى معانى هذه الألفاظ ، ولو أحسن " ابن جنى " بذلك لمدل عن فكرته أوربها بالفصاحة والوضوح حتى يوصل الكلام معناه .
- ٤ - قواعد " ابن جنى " لا تطرد على كل أفراد اللغة ولا على أكثرها الا بتكلف وتمسك . فان قيل : فما تقول فى كلام النوسبى حينما قال : وهو يتحدث عن " شلشلة الا " عشى " (هذا البيت الذى أدهش النقاد القدامى والمعاصرين معا وأثار استنكارهم ، فقبل ان هذه شأشة تنافى الفصاحة وصحت لا يلىق بالشاعر ، وقيل ان الألفاظ شطره الثانى كتبها بمعنى واحد ، فكان أحدها ينفى عن سائرهما ، بل قيل انه من وضع الرواة المعاصرين ، كأن الشاعر لا بد أن يكون جادا فى جميع أحواله ، ولا يحق له أحيانا أن يهين ويلهو . " فلا عشى " فى بيته هذا يصف الفلام الذى يتبعه الى بيت الخمار حمالا / ما يحتاج اليه من لحم للشوا " و " مرة " وفاكهة وغير ذلك ، ويريد أن يصور نشاط غلامه هذا ومرهه وخفة حركته وانطلاقه شراضا وهو عشى خلفه الى مجلس اللهو واللذة .

والشاعر نفسه في روح عالية من المرح والنشوة والاقبال على شتى الحياة
وسرائرها ، والانصراف عن أحزانها ومنغصاتهما ، يريد أن يرى الجانب
المضى منها ويتجاهل الجانب المظلم . وهو يريد أن يصور هذه
الشيبة المطلقة المتبخرة العتنية التي لا يهملها شئ ، مثل تعامل
" أولاد البلد " عندنا ، حين يهقلون " لسانهم " ويهزون عصاهم ويهضون
متبخرين " متعاقبين " في جلابيبهم النظيفة المكوية ويصيحون
" انا الجدعان ! " (تذكر شبة شكوكو المتعاقبة في تقليدهم) .

" والأعشى " يريد أيضا أن يحكى ترويح السكارى حين
تأخذهم النشوة يمثليها بهذه الكلمات الغصص في تتابع امقاعها في
السطر الثاني ، عليك كما قرأت كلمة عنها أن تصليلة الى الأمام
أو الخلف أو اليمين أو اليسار . ثم يريد أن يحكى حديثهم
المتلثم الذي يختلط فيه مخارج الحروف ، إذ يجعل الشل لسانهم
ثقيل الحركة كثير التثمر . ولذلك يكرر الأعشى من حرف الشين
خاصة ، لأن السة البارزة في حديث السكارى أنهم يحولون جميع
سيناتهم وكذلك الحروف ذات المخارج المقاربة لمخرج السين الى
شين ، وإلى هذا الحرف نلجأ حين نريد أن نثقل حديث السكارى
(والله يا شى عشن أنا عشوط منك خالص) وإليه أيضا يلجأ
الانجليز لنفس الغرض .

هذا هو البيت الذى فاب عليه البلاغيون والنقاد شأشأته أو شلشلتة
وعدم فصاحته ، غير ملتفتين الى أنه يعتمد تصوير حديث السكارى المتخبط
المتثر المتلثم المختلط . ولكك لن تقدر هذا البيت الرائع تقديرا
كاملا الا اذا وضعته في موضعه بين ما سبقه ويلييه من أبيات عالية الطرب ،
هائلة الرشاقة والنشوة والاقبال على مهاج الحياة والهزب من

هجومها وأحزانها (١)

وعلى هذا فاني أقول :

أولا : يحق للشاعر أن يلهو وأن يهت ما شاء ، كما يحق له أن يكذب ويبالغ ، وأن يتحدث عن مجونه واستهتاره وتغلمه كيف شاء ،
إذ أن الجِدَّ والصدق يراد من الأُنْبياء ، ولكن لا يحق للشاعر أن يهت
باللغة ، والذين أنكروا " شلشلة " الأُشْش وغيرها ، لم ينكروا عليهم
فسقهم ولا مخاخراتهم بمخاخراتهم ، ولا تحدّثهم بمخروماتهم ، لكنهم أنكروا
عليهم إخلالهم بموازمن اللغة وقواعد النحو والصرف ، وشروط الفصاحة
والهلافة .

فاللهو في الموضوع من شأن الشاعر ، لكن اللهو باللغة لن يكون من
شأنه .

ثانيا : الهت باللغة والتلاعب بمفرداتها هو الذي أدى إلى انحطاطها ،
في المصور المتأخرة .

ثالثا : الشمر ديهوان العرب ، وروما تراثها ، فيجب أن نضمن التأويل
والتفسير ، لا أن نلوى أعناق الأُبيات حتى نوافق ما نقول ، ولن نُحفظ
هذه اللغة إلا بما نُحفظ به أولها من نقد مستقيم ، ورواية واضحة ،
وتحليل متزن سليم .

رابعا : تصوير المواطن ، وتجسيد المواقف ، يتم بطرق كثيرة لا تعجز
عنها " لفتنا " القادرة ، ولم تكن " الشلشلة " ولن تكون إحدى تلك
الطرق .

(١) الشمر الجاهلي : منهج في دراسته وتقويمه : د . محمد النويهي ج١
ص ٦٧ - ٦٨ . دار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .

والتصوير لا يكون بحشد البيت بأحرف متشابهة ، وكلمات متشابهة .
والشعر العربي يزخر بالصور الباهرة ، والمواقف الرائعة التي تفتن
فيها الشعراء ، فسكبوا فيها عواطفهم ، وصوروا فيها مواقفهم ، وأتوا فيها
ومنها بالمجيب العجيب ، والفضل في ذلك يعود الى طبيعة اللغة الحية ،
الموجبة بشق الصور ، والوافية بكل متطلبات الاثارة والخيال .
ولو كانت " الشلشلة " وأشباهها ، طريقا سريعا للتصوير والتعبير
لاستعملها القرآن العظيم ، ولما خلا منها حديث نهوى ، ولا تلاّت
بها الخطب والقصائد .

خامسا : ليس في ألفاظ " الشلشلة " ما يوحي بأنها موضوعة لكي تحكى
" ترويح السكارى حين تأخذهم النشوة " وليس فيها ما يشير الى
أنها تدل على " حديث السكارى المتخبط المتمثر المتلثم المختلط " .
وليس فيها ما يدل على أن " الشلشلة تجعل لسانهم ثقيلا الحركة كثير
التمثر " بل على العكس من ذلك فالألفاظ توحي بالخفة والسرعة بل
أن " الأُعشى " لم يرد ذلك أصلا .
وإذا كان " سكارى " العصر الحاضر " يشلشلون " في أحاديثهم ،
ويظهرون السين شيئا ، فإن الروايات لم تثبت لنا شيئا من هذا عن
" سكارى " العصر الغابر .

علما بأن أكثر الشعراء كانوا يشربون حتى الثمالة ، وينشدون أشعارهم
وهم على نفس الحالة ، ولم يرو لنا أحد أن شاعرا لثغ في حرف بسبب
الشراب .

أما إذا كان يقصد أن " شلشلة " الأُعشى ، كانت في أصلها " سلسلة " .
ثم قلبها الأُعشى كي يصور شيئا آخر ، فإن البيت لا يوحي بذلك إذا
قلنا " شيناته " سينات ، بل إن المعنى يختلف تماما .

سادسا : لا ينفى لنا أن نقيس نطق النخبة من أوائل الشمراء القمم ، على نطق عوام الناس ودهمائهم في المصر الحاضر ، كما لا يصح أن نقيس نطق المربي القح الفصيح ، على نطق " انجليزى " أعجمى سرطن بلفتنا في صحوة ، فكيف بهه ينطقها في سكره .

سابعا : لم تقلب السين شيئا في لغة العرب اطلاقا لا في صحولا في عصره ، الا في حالتين :

الأولى : ظبت فيها الكاف شيئا في ما كان من لفتهم ، كقصة " ربيعة ومضر " (يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا ، فيقولون : رأيتكس ، وبكتس ، وعليتكس ، فضمنهم من يشتتها حالة الوقف فقط ، وهو الأشهر ، ومنهم من يشتتها في الوصل أيضا ، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ، ويكسرهما في الوصل ، ويسكنهما في الوقف ، فيقول : منش ، وعليتش) (١) . ومن ذلك الشنشنة في لغة اليمن (تجعل الكاف شيئا مطلقا ، كلبيش اللهم لبيش ، أى لبيك) (٢) . وهذا من الردى المذموم من اللغات .

وقال " ابن جنى " : (وأما قولهم : السده في معنى : الشده ، ورجل سدوه في معنى : شدوه ، فينفى أن يكون السين فيه بدلا من الشين ، لأن الشين أعم تصرفا) (٣) .

(١) المزهر في فقه اللغة للسيوطي ٢٢١/١ وتسمى هذه بالكشكشة ، وفي فقه اللغة للشمالي : " وقرأ بعضهم : " قد جعل رهش تحتش سر يا " سورة مريم . بعض آية ٢٤ .

وقال الشمالي في فقه اللغة : أن الكشكشة تعرض في لغة تميم .

(٢) المزهر ٢٢٢/١ .

(٣) سر صناعة الاعراب لابن جنى ٢١٠/١ .

وقال أيضا عما يحكى من "سحيم" (١) من قوله :
فلو كنت ورداً لو نسه لعسقتني ولكن ربي سأنى لسوادها
(فانما قلب الشين سينا لسواده ، وضعف عبارته عن الشين وليس ذلك
يلغة ، وانما هو كاللشغ) (٢) .

ثانيا : ما كان من الابدال (٣) :

قال الأصمى : (يقال قد جاحشته ، وجاحسته . . . وبعض
الغرب يقول للجحاش في القتال : الجحاش . . . ويقال مضى جرس
من الليل وجرس . . . وسئفت أصابعه وسئفت . وهو تشقق يكون في
أصول الأنف ، ويقال : السونق والسونق السوار . وحش الشر
وحش اذا اشتد ، وقد احتس الديكان واحتشا اذا اعتلا . ويقال :
طس فلان فسخته وشخته ، ويقال : تنسمت منه علما وتنشمت ،
ويقال : غبس وغبش للسواد ، وقد غبس الليل وأغبس وأغبس . .
ويقال : أتيته بسدنة من الليل وشدفة ، وسدنة وشدفة وهو
السدف والسدف .

(١) سحيم من المخضرمين ، وكان أسود شديد السواد يرتضخ لكفة ههشية
وفي البيان والتبيين ٧١/١ ، ذكر أنه يجعل الشين المعجمة سينا
غير معجمة . وفي الأغاني ٣٠٣/٢٢ أنه كان اذا أنشد الشعر -
استحسنه أم استحسنه غيره منه - يقول : أهشنت والله - يريد
أحسننت والله .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جنى ٢١٤/١ . والبيت في ديوانه ص ٢٦ .
(٣) في الجمهرة طائفة من هذه الألفاظ ، وفي الغرب المصنف ، وفي
التهذيب للتبريزي ، وفي فقه اللغة للثعالبي ، وفي نوادر أبي عمرو
السيباني ، وفي أمالي ثعلب ، وفي الصحاح ، وفي أمالي القالي ،
وفي المعجم ، وقد أورد " السيوطي " في " المزهر " كثيرا منها ،
لكن اكتفيت بما جاء في " الابدال " لابن السكيت .

الأصمى : يقال : جَمَسَوسَ وَجَمَشَوشَ ، وكلَّ ذلك لى قساة

وصفر وقلة .

(١) (٢)

ويقال : هذا من جماسيس الناس ، ولا يقال فى هذا بالشين . (٥)

هذه هى الألفاظ التى وقع فيها الابدال ، جمعها أهل اللغة ، وأحصوها وبينوا أسبابها ، ولم تتد منهم لفظة صحيحة أو شاذة إلا ذكروها وبينوا وجه صحتها أو غلطها ، وبينوا كذلك ما يقال وما لا يقال وما استعملوه وما لم يستعملوه ، حتى لا تختل موازين اللغة فيدخل فيها ما ليس منها ، أو يخرج منها ما كان من أصلها .

وأخيرا : فإن الهيت قد حمل ما لا يطيق ، وتكلف فيه ما ليس

فيه ، وخلاصته : وقد غدوت الى الحانوت يتهمنى غلام يشوى اللحم مطرد خفيف ، ولم يرد الأتشى تصوير حالة " السكارى " ولا أن (يعول القارى " ملة الى الأمام أو الخلف أو اليمين أو اليسار) . ولكنه اختار حرف الشين حتى يصور الحركة والخفة والسرعة ، وهذا شىء لم يضره الأتشى ولا غيره ، فهو من طبيعة اللفظة ، وخاصة من خواص الحروف . وقد قال " ابن سينا " عن حالة الشين أنها تسمع " عن نشيش الرطوبات ، وعن نفوذ الرطوبات فى خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة " (٣) . ولو أراد الأتشى تصويره شىء لصوره .

(١) قال ابن جنى (فهذا يدل من قول الأصمى على أن الشين من جمشوش يدل من السين فى جمسوس . ألا ترى أن السين أهم تصرفاً من الشين لوجودك إياها فى الواحد والجمع جميعاً) سر صناعة الاعراب لابن جنى ٢١٥/١ .

(٢) الابدال لابن السكيت ص ١٠٩ ١١٠ .

(٣) الأصوات اللغوية ، د . ابراهيم أنيس ص ١٤٩ .

ان كلام الدكتور " النويهي " فيه كثير من المبالغة ، وفيه أشياء كثيرة لم يزل بها الأتشي فضلا عن وجودها في بيتته ، والأهم من ذلك كله أن البيت مريب ، ولا نستطيع أن نخبر للشاعر هفوته ، أو أن نجد بيته ، وتأخذ شلشلتة " على أنها " الشلشلة " المثلث .

ان كلام الدكتور " النويهي " لا ينطبق في حدود ضيقة على
على الأبيات ولكنه ينطبق
بعض " مفردات " اللفظة ، ولكن يشترط فيها أن يكون الكلام واضحا مبينا ،
وأن يكون لتكرار الحروف سلاسة ، وأن تعتمد عن أي اغلال بقوانين
الفصاحة ، أو موازين البلاغة .

*

المرتبة الثانية من مراتب القبح : (حروف الحلق) .

- | | | |
|-----|---------------------------------|-----------------------------------|
| (١) | كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى | معنى ومتى ما لُتَّه لُتَّه وحدى |
| (٢) | لحائمٍ عامٍ حتى لا حَيَّامٌ لسه | محللاً عن طريق الماء مطسرو |
| (٣) | خان الصفا أخُ خان الزمانُ أخا | عنه فلم يتخون جسمه الكمد |
| (٤) | هييتٌ بل سقيت من معبودة | عهدي غدت مهجورة ما تمهد |
| (٥) | ليالينا بالرقعتين .. وأهلها | سقى العهد منك العهد والعهد والعهد |
| (٦) | ذهبت بذهبية الساحة فالتوت | فيه الظنون أمد هب أم مذ هب |

فى هذه المرتبة أذكر الأبيات التى وردت فيها حروف الحلق ، وقبل
أن أذكر آراء النقاد فى صوب تلك الأبيات أود أن أقف على آراء علماء
الأصوات فى هذه الحروف فأذكر تصرفاتهم لها ومخارجها وترتيبها .

- (١) البيت لا بى تمام فى ديوانه ١١٦/٢ .
(٢) قائله اسحاق الموصلى وقوله قوله : بأسرحة الماء قد سدت موارد
والخبر والبيتان فى الموشح للمريزاني ص ١٢٧ .
(٣) لا بى تمام فى ديوانه ٧٤/٤ ، ورواية البيت فيه :
خان الصفا أخ كان الزمان له أخا فلم يتخون جسمه الكمد
(٤) للبحتري فى ديوانه ١٢٦/١ ، مسلسل و مبروى :

"سقيت من معبودة" قال الأمدى :

« يخاطب الدمن ، أى : عهدي بها معبودة معبودة ، ومن روى
"معبودة عهدي" أى : عهدي بها معبودة ففدت معبودة
ما تمهد ، وقد يكون العهد من التمهد ، ويكون قوله "ما تمهد"
أى : قد نسيت وهذا يشبه تعجيسات "أبى تمام" . الموازنة
ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

وقل هذا البيت — مما يتضح به المعنى قوله :

أسند صدور الهملات بوقفة * فى العائلات كأنهن المسند
د من تقاضاهن أعلام البللى * هوج الرياح الباديات العود
حتى فنين ، وما البقا لواقف * والدهر فى أطرافه يتردد ؟
هل مفرم يعطى الهوى حق الهوى * منكم فينفد دمه أو مسعد ؟

(٥) ديوان أبى تمام ٨٥/٢ .

(٦) لا بى تمام فى ديوانه ١٢٩/١ .

علق عليه "المريزاني" فى "الموشح" بقوله : (يريد غلبت على
مذهبه الساحة . فكان فيها مذهبا يظنه بعض الناس) .

قال "الخليل بن أحمد ت ١٧٥هـ" (فأقصى الحروف كلها
(المين) ثم (الحاء) ، ولولا بضة في (الحاء) لا شبهت
(المين) لقرب مخرجها من (المين) ، ثم (الهاء) ، ولولا هبة
في الـهـاء ، وقال مرة "هبة" لا شبهت الحاء لقرب مخرج الـهـاء من
الحاء ، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد ، بعضها أرفع من بعض ،
ثم (الخاء) و (الفين) في حيز واحد . كلهن حلقية (١) .

ويفصل ابن دريد ت ٣٢١ هـ ما أجمله الخليل فيقول :

(فمن الصفة الصراح (حروف الحلق) وهي الهمة والهاء
والعاء والمين والخاء والفين ، فأخذهن من أقصى الحلق الى أدناه :
أما (الهمة) منهن فمن مخرج أقصى الأصوات و (الهاء) تليها
وهي من موضع النفس ، و (الحاء) أرفع منها وهي أقرب حرف يليها ،
ألا ترى أنها في كلام كثير من الناس مفلوظ بها حتى تصير الـهـاء حاء
والحاء هاء . قال ربيعة بن المجاج :

لله در الفانيات المدد
سبحن واسترحمن من تألّهن
ويروى : المزّه أراد : المزج ، ومن روى : المدّه : أراد المدح .
وقال النعمان بن المنذر لرجل / عنده رجلا : أردت كما تذييه
فمدّهته ، أي تميمه فمدحته (٢) .

(قال ابن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب ابدال الحروف وإقامة
(٣)
بعضها مقام بعض : مدحه ومدّه و فرس رفّل و رفنّ ، وهو كثير مشهور قد ألف
فيه العلماء (٤) .

-
- (١) كتاب المين للخليل ص ٦٤ .
(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ص ٦ والشطرا لا أول في أمالي القالي ٩٧/٢ .
(٣) الطويل الذنب ، والرفن الطويل الذنب من الخيول .
(٤) المزهر للسيوطي م ١/٤٦٠ .

- (ومن أبدال الحاء ها : كده وكدهه ^(١) ، وقهل جلده وقهل
 اذا بهس ، والجلج والجلة : انحسار الشمر عن مقدم الرأس) ^(٢) .
 (ومن الخاء والهاء : اطرخم ^(٣) واطرهم : اذا كان طويلا مشرفا) ^(٤)
 قال ابن جنى ت ٣٩٢ هـ " فى " سر الصداقة " : (وقد أبدلت الصين
 من الحاء فى بعض المواضع ، قرأ بعضهم : " حتى حين " ^(٥) يريد
 " حتى حين " ولولا بحثة فى الحاء لكنت عينا ، كما أنه لولا اطباق فسى
 الصاد لكنت سينا ، ولولا اطباق فى الطاء لكنت دالا ، ولولا الاطباق
 فى الظاء لكنت ذالا ، ولا أجل البحة التى فى الحاء ، ما يكررها
 المشارق فى تنحنحه) ^(٥) .
 (وقال سيبويه : أبدلوا الصين فى اسماعيل ، لأنها أشبه
 الحروف بالهمزة) ^(٦) .

- (١) الكده بالجعر ونحوه : صك يوصف أثره شديدا .
 (٢) الزهر : ٤٦٦/١ .
 (٣) وبكسرتين تحت الخاء أهضا .
 (٤) الآيات ٣٥ من سورة يوسف ، ٢٥ ، ٥٤ من سورة المؤمنون ، ١٧٤ ،
 ١٧٨ من سورة الصافات ، ٤٣ من سورة الذاريات : هذه هي
 قراءة ابن سمود وهى لغة هذيل وفى الكشف للزمخشري
 ٣١٩/٢ (من عسر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ " حتى حين " فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن سمود ، فكتب اليه : ان الله
 أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش ، فأقرى الناس
 بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، والسلام) .
 (٥) سر الصداقة لابن جنى ٢٤٦/١ .
 (٦) الزهر ٢٧٢/١ .

(و "المين" تتلو الحاء في المدرج والارتفاع ، فلذلك قال قوم من العرب : مهمهم ، يريدون : مهمهم ، وإذا أقدم قيل : مهمهم ، و (الخاء) أرفع منها وهي تلى المين والفين على مدرج الخاء إلا أنها أسفل منها فهذا جنس حروف الحلق .

وذكر قوم من النحويين أن هذه التسمية والعشرين حرفا لها ستة عشر جري " للحلق منها ثلاثة " فأقضاها الهاء وهي أخت الهمزة والألف و (الثاني) المين والحاء و (الثالث) وأدناها إلى الفم الفين والحاء ، فهذه ثلاثة مجار (١) .

هذه مخارج الحروف الحلقية كما أشار إليها علماء الأصوات ووصفوها وصفا دقيقا ورتبوها ترتيبا لطيفا حسب موضعها وجهارتها أو خفتها ونصاعتها أو غموضها .

ومع علم الشعراء بهذه القواعد الصوتية علما بالسليقة أو بالدراسة إلا أنهم يتجنبون مدارج الصحة والسهولة ، ويتقصدون مزالق الخطأ والصعوبة ، فلا يقيمون وزنا لتقارب مخارج الحروف ولا لسهولة نطقها ، وأبو تمام " مثلا " يعلم علم اليقين مخارج الحروف ، ومداخل الفصاحة ، ولكنه يأبى إلا أن يركب الوعر من التراكم في مثل قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى متى متى ما لفته لفته وحدى
يقول ابن دريد (اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت لأنك إذا استعصمت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة . ألا ترى أنك لو ألقت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت

الهمزة تتحول ها* في بعض اللغات لقربها منها نحو قولهم في (أم
والله) هم والله ، وكما قالوا في (أراق هراق الماء ولو جددت
الحاء* في بعض الألسنة تتحول ها* وقد ذكرت ذلك آنفا . وإذا تباعدت
مخارج الحروف حسن وجه التأليف .

واعلم أنه لا يكاد يجي* في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد
في كلمة واحدة لصعوبة ذلك عليهم وأصعبها حروف الحلق ، فأما حرفان
فقد اجتمعا في كلمة مثل : أخ بلا فاصلة ، واجتمعا في مثل : أحد
وأهل وعهد ونزع غير أن من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدأوا
بالأقوى من الحرفين ويؤخروا الألين كما قالوا : (ورل ووتد) فبدأوا
بالتاء مع الدال وبالراء مع اللام ، فذق التاء والدال فانك تجد التاء
تنقطع بجرس قوى وتجد الدال تنقطع بجرس لين ، وكذلك الراء تنقطع
بجرس قوى وتجد اللام تنقطع بفنة ، وبذلك على ذلك أيضا
أن اعتياص اللام على الألسن أقل من اعتياص الراء وذلك للين اللام (١).

اذن فقد بان خطأ " أبي تمام " حينما أتى بثلاثة أحرف من جنس
واحد وهي : الهمزة والحاء والهاء في قوله : " أمدحه " فبان بذلك
خطأ بعض النقاد حينما حكموا على الكلمة بالفصاحة وقالوا ان تكرارها
فقط هو الذي أدخل بالفصاحة .

وبان من وجه آخر كيف أخطأ " أبو تمام " في ترتيب
هذه الأحرف .

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٩٠ .

قال الخليل بن أحمد : (ان العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما ^(١)) الا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل " حتى على " كقول الشاعر ^(٢) :

ألا رب طيف بك منك معانقي الى أن دعا دامي الفلاح فحيّلا
يريد : " قال : حتى على الفلاح " ^(٣) .

ثم قال : وما وجد من ذلك فهذا باب ، والا فان العين صمغ هذه الحروف : الغين والها والحاء والعا مهملات ^(٤) .

هذلك يظهر جليا قبح اجتماع الهمزة والحاء والها في كلمة واحدة لأن مخارجها شديدة القرب بعضها من بعض بل إنها جميعا من مخرج واحد ، وكان الحال سيتغير لو كانت كلمة كثيرة الحروف وأحسن الشاعر في ترتيبها بحيث تبدو سهلة في خروجها وفي تكرارها .

قال ابن جنى من هذه الحروف : (واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كان أحسن ، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما ، ولا سيما حروف الحلق ، ألا ترى إلى قلتها بحيث يكثر غيرها ، وذلك نحو الضغيفة ، والعهه والقهه ، وليس هذا ونحوه في كثرة عديده وجديده ، وسديده وشديده ، وصديده وعديده ، وفديده وقديده ، وكديده ولدديده ، ومدديده وندديده ، ولا في كثرة اللل ، والبلل والثلل ، والجلل والحلل والخلل ، والزلل والشلل والطلل ، والعلل والقلل والعلل واللال ^(٤)) .

(١) نقل ابن دريد هذا الكلام في جمهرته وزاد عليه بقوله (وكذلك الها) .

(٢) البيت في اللسان : حمل ، ورواية صدره :

" ألا رب طيف بك منك معانقي " ، وفي الصحاح : عنق .

(٣) كتاب العين للخليل ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) سر المصداقة ٧٥/١ ، ٧٦ .

وهذا كلام قد اتفق عليه الأقدمون كما اتفق عليه المحدثون ،
فهذا الدكتور ابراهيم أنيس يود أن للغة العربية طريقة الخاصة
وتنهجها المميز الذي تنفرد به ومن ضمن ما ذكر لها من مميزات :

(ندرة تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض ، بل لا يكاد يلتقي
فيها الا العين والهاء ، ونرى الميم أسبق دائما مثل " يعمد " فإذا
اتصل بالكلمة ضمير الغائب اتصل نرى كلا من حروف الحلق يمكن أن يجاور
هذه الهاء مثل : يمدحه ، يبلغه ، يسلخه (١) .

وفي كتابه " الأصوات اللغوية " شرع يمدى ملاحظاته على آراء
" سيبويه " (٢) في الأصوات لشرحها في ضوء الدراسات الصوتية
الحديثة . فيقول من أصوات الحلق :

(حدد هنا سيبويه ثلاثة مخارج ، وعين أصوات كل مخرج ،
وتبعه في تحديد كل من تعرضوا لأصوات اللغة من العلماء الذين
جاءوا بعده ، فمن أقصى الحلق : الهمة والهاء ، ومن وسطه : الميم
والعاء ، ومن أدناه : الغين والحاء . وتدل التجارب الحديثة على
صحة كلام " سيبويه " في كل هذا ، فلكل صوتين من أصوات الحلق
هير معين ، يحلان فيه معا ، دون ترتيب لأحدهما على الآخر ، غير أن
بعض المتأخرين من العلماء كانوا يتوهمون أن العين تسبق العاء ، وأن
الغين تسبق الحاء ، على حين أن بعضا آخر منهم كان يرى العكس في
هذا الترتيب ، وقد أشار ابن الجزري في كتابه " النشر " الى هذا الخلاف
الوهمي بقوله : " فنص مكس على أن الميم قبل العاء ، وهو ظاهر

(١) موسيقى الشعر ، د . ابراهيم أنيس ص ٣٠ .

(٢) الكتاب " لسيبويه " ٤٣٣/٤ .

كلام سيبويه وغيره ، ونص شريح على أن الحاء قبل ، وهو ظاهر
كلام المهدوي . ومن الغريب أن " شريح " الذي قدم الحاء على
العين عكس القضية ، فقدم الفين على الخاء ، وكذلك فعل مكى فقدم
الحاء على الفين (١) ويبدو أن هو لا التأخر من حين نطقوا بكل من
الصورتين لا اختبارهما أحسوا فرقا بينهما ، ولكنهم لم يفسطنوا إلى أن
هذا الفرق مقصور على أن أحد الصوتين مجهور ، والآخر مبهوس ، أي أن
الوتر من الصوتيين في العنجرة يهتز مع أحدهما ، وهو المجهور
ويستكان أو يصمتان على الآخر ، وهو المبهوس . فلا فرق بين العين
والحاء في المخرج ، وإنما الفرق في أن العين مجهورة والحاء مبهوسة
وكذلك الشأن في الفين والحاء (١) .

بعد هذه المقدمة الصوتية للحروف الحلقية ظهر لنا اتحاد
مخرج الحاء والعين ، ومخرج الخاء والذيين وأن منها ما هو مجهور
ومنها ما هو مبهوس ، ومن هنا يظهر قبح الأبيات السابقة فقد كان
لزما على كل شاعر أن يذوق الحرف نفسه ثم ينطق بالكلمة ثم يقرأ
بيته ويختبره ، ولذلك لا نجد حرجا في أن نخطئهم . فقد وقع
كل منهم في خطأ أفقد البيت جزءا غير يسير من الفصاحة ومن البلاغة .
أقول : أفقد البيت لأن فصاحة الكلمات فصاحة للبيت ، وعيب
واحد في حرف أو حرفين كهيل يتشوبه جمال البيت والاخلال بنسقه
الصوتي فما كان ضررا تاما لو تخلص من تكرار الفعل بنفس صورته
وتخلص من الحاء الساكنة الثانية فيضمها فيخف ثقل البيت أو أنسه
يتخلص بالمرّة من الفعل " أمده " لتوالي ثلاثة حروف حلقية أو يبقى عليه
ولكن بطريقة أخف .

وكذلك الحال في البيت الآخر فلو استبدل لفظتين أخريين بدلا من تكرار لفظ "المهد" لكان أفصح ، ولو قال الموصلي :

لحائم طاف حتى لا رجوع له منعا عن طريق الماء مطرود

لكان ذلك أسلم له من لسان الأصمعي حين وضعه بقوله : "ان هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لمايتها" (١) .

ولكن الميب الذي وقع فيه "الموصلي" أخف بكثير من الميب الذي وقع فيه "أبو تمام" وذلك واضح حيث أن أبا تمام أورد في بيته كلمة فيها ثلاث حروف حلقية ثم كررها بينما لم يفعل "الموصلي" ذلك فأتى بكلمة أسهل من كلمته وهي "حائم" ولم يكررها وان كرر مشتقاتها ، ولكننا لا نجد فيها صعوبة لوجود الفواصل الكثيرة بينها ، فيست

"أبي تمام" واضح الصموية :

كرسم حتى أمده أمده والورى معى ومتى ما لمته لمته وحدى

وقبل البيت :

أَلَيْسَ هُجَرَ الْقَوْلُ مِنْ لَوْ هَجَوْتَهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (٢)

وبعده :

ولو لم يَزَهْنِي عَنْكَ غَيْرُكَ وَازِعٌ لَا عَدَمَتْنِي بِالْعَلَمِ إِنَّ الْعَلَامُ عَدِي (٣)

(١) الخبر موجود في الموشح للمرزياني ص ٤٦٠ (أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال : حدثنا أبو الصينا ، قال : أنشدنا اسحق الموصلي الأصمعي قوله في غضب المأمون عليه :

يا سرحة الماء قد سدت موارده * أما إليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام له * محلا عن طريق الماء مطرود
فقال الأصمعي : أحسنت في الشعر ، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لمايتها .

(٢) ديوانه ١١٦/٢ .

(٣) ديوانه ١١٦/٢ .

ومعنى البيت (هو كريم اذا مدحته وافقنى الناس على مدحه
 فيمدحونه لاسداء احسانه اليهم كاسدائه الى ، ولا أمدحه بشئ ، الا
 صدقنى الناس فيه ، أو أن الناس وافقونى على وجود ما يوجب المدح
 للانسان من صفات الكمال فيه ، واذا لفته لا يوافقنى أحد على لومته ،
 لعدم وجود المقتضى له فيه . وفى معناه قول الآخر :

واذا شكوتك لم أجدلى مسعداً ^(١) ورمت فيما قلت بالبهتان
 وقد ناقض هذا المعنى " ابن أبى طاهر " بقوله :

يُشركنى العالم فى ذمِّه لكننى أمدحه وحدى
 و " طاهر المتأبى " المعروف بالمتعمد البغدادى بقوله :

مدحتهم وحدى فلمّا هجوتهم هجوتهم والناس كهم ممسى

والشاهد فيه التناظر أيضاً ، لما فى قوله : " أمدحه " من الثقل لقرب
 مخرج الحاء من مخرج الهاء ، لأن المخرج كلما قربت كانت الألفاظ
 مكدودة قلقة غير مستقرة فى أماكنها ، واذا بعدت كانت بحكس
 الأول ، ولهذا لم يوجد فى كلام العرب العين مع الفين ، ولا مع الحاء ،
 ولا مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، وحذراً مما مر . وأيضاً فيه ثقل من
 جهة التكرار فى " أمدحه " و " لفته " ^(٢) .

وهذا التكرار لم يأت مصادفة بل هو أمر متعمد من قبل الشاعر ،
 ويظهر ذلك من البيت الذى قبله ومن البيت الذى بعده ، فالبيت
 الذى قبله يقول فيه :

أأبىس هجر القول من لو هجوته اذا لهجانى عنه مصروفه عندي ^(٣)

(١) مسعداً : معنياً يوافقنى .

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للمباضى ج ١ ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) مرّ هذا البيت فيما سبق .

فقد كرر لفظة الهجاء بعد كلمة هجر والبيت الذي بعده يقول

فيه :

ولولم يزغني عنك غيرك وانع لا عدتني بالحلم ان العلا تعدى^(١)

فقد كرر فيه : " يزغني " و " وانع " في الشطر الاول ، ثم كرر في الشطر

الثاني " لا عدتني " مع " تعدى " ، وحتى يظهر لوع أبي تمام بالتكرار نور
القصيدة
بعض أبيات / حتى نلاحظ التكرار في معظم^(٢) أبياتها :

(١) مر هذا البيت فيحاسبق .

(٢) جاء في كتاب أخبار أبي تمام للصولي ص ٢٠٢ :

" ولهذا الشعر خبر : حدثني عبد الله بن المعتز قال ، جاءني
محمد بن يزيد النحوي فاحتبسته ، فأقام عندي ، فجزى ذكر
أبي تمام ، فلم يوقه حقه ، وكان في المجلس رجل من
الكتاب نحاسي ، ما رأيت أحدا أحفظ لشعر أبي تمام منه ،
فقال له : يا أبا المباس ، ضع في نفسك من شئت من الشعر ،
ثم انظر ، أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لا أبي
المفيت موسى بن ابراهيم الرافقي بمعتذر اليه :

(ثم ذكر الأبيات التي أثبتها) فقال أبو المباس
محمد بن يزيد : ما سمعت أحسن من هذا قط ، ما يهضم
هذا الرجل حقه الا أحد رجلين : إما جاهل يعلم الشعر
ومعرفة الكلام ، وإما عالم لم يتبحر شعره ولم يسمعه .
قال أبو المباس عبد الله بن المعتز : وما مات الا وهو
منتقل من جميع ما كان يقوله ، مقرّ بفضل أبي تمام
واحسانه .

شهدت لقد أقوت مفانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من بسرد (١)
 وأنجدتم من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجدنى طلى ساكنونجد
 ثم مر فيها حتى بلغ الى قوله فى الاعتذار :
 أتانى مع الركبان ظن ظننته لفتت له رأسى حياء من المجد
 لقد نكب الفدر الوفاء بساحتى اذن وسرحت الذم فى مسرح العهد
 جمدت اذن كم من يد لك شاكت يد القرب أمدت مستها على الهد
 ومن زمن المستنيه .. كأنه اذا ذكرت أيامه زمن الورد
 وكيف وما أغللت بمدك .. بالحجى وأنت فلم تخلل بمكرمة بعدى
 أسربل هجر القول من لو هجوته اذن لهجاني عنه معروفه عندى ؟
 كرسم حتى أمدعه أمدعه والورى معنى ، وضى لفته لفته وحسدى
 فان بك جرم من أوتك .. هفوة على خطأ حتى فعدرى على قصد

فقد كرر فى البيت الأول (محت) ، وفى البيت الثانى (أنجدتم -
 أنجدنى - نجد) ، وفى البيت الثالث (ظن ، ظننته) ، وفى البيت
 الرابع (ساحتى ، سرحت ، مسرح) ، وفى البيت الخامس (يد لك ،
 يد القرب) ، وفى البيت السادس (زمن المستنيه ، زمن الورد) ،
 وفى البيت السابع (أغللت - تخلل) ، وفى البيت الثامن (هجر -
 هجوته - لهجاني) ، وفى البيت التاسع (أمدعه - أمدعه - حتى
 لفته - لفته) ، وفى البيت الأخير (فان بك ، أوتك) .

(١) أخبار أبى تمام للصولى من ص ٢٠٢ الى ص ٢٠٦ والأبيات فى ديوانه
 ١٠٩/٢ - ١١٦ . ورواية صدر البيت الرابع " نسيت اذن " بدل
 " جمدت " و صدر البيت الثامن : " أليس هجر القول " بدل " أسربل " .



وليته أغرق البيت بالتكرار فحسب بل ان ألفاظ الأبيات تسبح في بحر من الهديع ، فقد أتى بجناس كبير وطباق وترديد وردّ الأفعال على الصدور وعلى هذا الخطأ يعلق فضيلة الدكتور أستاذي "علي الصمري" بقوله : (و (الهديع) لعله يتحمل العبء الأكبر في فساد شعر أبي تمام فقد قالوا : أول من أفسد الشعر بالهديع "مسلم بن الوليد" ثم "أبو تمام" واستحسن مذهبه وأراد ألا يخلو بيت من شعره من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقا وعرا ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره (١) .

و يقول في موضع آخر منتقدا كثرة استعمالاته لأصناف الهديع

وتقليده للسابقين :

(بهذه الثقافة الواسعة دخل أبو تمام رياض الشعر ، فظهر أثر هذه الثقافة في شعره ، وبذلك بعدد من الطبع ، ذلك أن الشعر إذا صدر من من لم يكن شعرا ، فهو ربما أرى العقل ، ولكنه لا يرضى العاطفة ، وهل الشعر إلا عاطفة ؟ . كان أبو تمام يحاول الاقتداء بالأوائل ، فيأتي بالفاظهم ، وينسج على منوالهم ، وتلك طريق كثيرة العثر ، فان الشعر إذا أصبح صنعة ، يصنع كما تصنع الثياب على عذو ثياب أخرى بعدد من الطبع ، وبذلك يقل ماؤه ، ويسيئ رواؤه) (١) .

هذا التكلف والجرى خلف استعمالات الأقدمين ، والبحث الجاد من

الهديع هو الذي أنسى أبا تمام مميزات الحروف وكلما كثر اهتمام الشاعر بناحية معينة فأنسه يفقد دون أن يشعر اهتمامه ولو بناحية واحدة من نواحي الابداع الأخرى .

(١) الصراع الأدبي بين القديم والجديد ، د . علي الصمري ص ١٢٨ ،

أنشد "الصاحب بن عباد" قصيدة "أبي تمام" السابقة ، على
"أبي الفضل بن العميد" حتى وصل الى قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى ومتى ما لمته لمته وحسدى
(فقال لى : هل تعرف فى هذا البيت عيبا ؟ فقلت : بلى ، قابل
المدح باللوم ، فلم يوف التطبيق حقه ، اذ حق المدح أن يقابل
بالهجو على أنه قد روى :
" ومتى ما ذمت ذمته وحدى "

فقال - أيده الله - : غير هذا أردت ، فقلت : ما أعرف ، قال :
اعلم أن أحد ما يحتاج اليه فى الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل ، وهذا
التكرير فى "أمدحه أمدحه" مع الجمع بين الحاء والها مرتين - وهما
من حروف الحلق - خارج من حد الاعتدال نافر كل النفاذ ، فقلت : هذا
ما لا يدركه ولا يعلمه الا من انقادت وجوه العلم له ، وأنهضه الى ذراها
طبعه (١) .

وقد أورد "ابن رشيق" ت ٤٦٣ هـ - هذا الكلام فى باب : ذكر
المعاطلة والتثبيح عند قوله :

(وزعم قوم أن المعاطلة تداخل الحروف وتراكبها) (٢) . وأورد
بعده بيت كعب (٣) بن زهير ثم بيت أبى تمام ، كما عابه "ابن
العميد" .

وفى رأى أن بيت أبى تمام ليس فيه "معاطلة" لا فى الألفاظ
ولا فى المعانى ، وكل ما هنالك تكرير لفظة ما كان ينبغى له أن يكررها

(١) الكشف من مسأوى* المتنبي للصاحب بن عباد ص ٣٤ .

(٢) الحمدة لابن رشيق ٢ / ٢٦٤ .

(٣) هو : تجلو عوارض ذى ظلم .

لأن تكرار الحروف والكلام يذهب بشطر من الفصاحة ، وقد كان بعض
العلماء بالشعر يصيب في قول أبي تمام :

"كرهتم حتى أمدحه أمدحه والورى"

تكرر حروف الحلق على سلامة المعنى واختيار الألفاظ (١) .

وحتى يكون المعنى سليما يجب أن يكون اللفظ سليما (حتى
لا يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ) (٢) فأتى ثقل في الحروف ، أو
تمثر في اللسان ، كفيل بأن يقضى ولو على شئ من الفصاحة ، أو
أن يصرف ذهن السامع عن المعنى — كالسجع المتكلف مثلا — على
الأقل .

إن الجملة أو البيت كالزجاجة إذا تعرضت لخدش في أى مكان
وعلى أى صورة فانه يوشى فيها تأثيرا واضحا ، بل يهوى أنه يذهب
بشطر من جمالها على الأقل .

وذلك ما فعله أبو تمام فقد خدش زجاجته خدشا واضحا ثم أراد
أن يستر ذلك ، فجاءت كثوب أبيض فيه رقعتان حمراوان متجاورتان ،
وقد كان غنيا من ذلك ، وكان باستطاعته تلافى ذلك ولكنه لم يكن
ليستطيع إلا فعل ذلك ، وفى ذلك يقول الامام " عبد القاهر الجرجاني
ت ٤٧١ هـ " :

(انا لا نعلم لتمادل الحروف معنى سوى أن تسلم من نحو ما تجده
في بيت أبي تمام :

"كرهتم حتى أمدحه أمدحه والورى"

وبيت ابن سبير :

"وانثنت نحو عزف نفس زهول"

(١) سر الفصاحة لابن سنان ص ٩١ .

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٤٩ .

الوجود
وليس اللفظ السليم من ذلك بمعوز ولا بمميز / ولا بالشئ * لا
يستطيعه الا الشاعر المفلق والخطيب البليغ فيستقيم قياسه على السجع
والتجنيس ونحو ذلك ما اذا راصه المتكلم صعب عليه تصحيح الممانى
وتأدية الأغراض ، فقولنا : أطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، و أنتم
نعمته عليكم ، وزاد في احسانه عنده ، لفظ سليم ما يكد اللسان ،
وليس في حروفه استكراه . وهكذا حال كلام الناس في كتبهم ومحاوواتهم
لا تكاد تجد فيه هذا الاستكراه لأنه انما هو شئ * يعرض للشاعر
اذا تكلف وتعمل فأما المرسل نفسه على سجيته فلا يعرض له ذلك (١) .

فقد هاب الجرجاني أبا تمام عجزه عن الاتيان باللفظ السليم الذى
لم يكن له مجزؤه فوقع في التنافر الذى مثل له " القزوينى ت ٧٣٩ هـ "
بقوله : () والتنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان
وعسر النطق بها متناهية كما في البيت الذى أنشده " الجاحظ " :
وقبر عرب بمكان قفسر — وليس قرب قبر عرب قبر
ومنه ما دون ذلك كما في قول أبى تمام :

كريم متى أمدحه أمدحمو الورى معنى واذا ما لفته لفته وحدى
فان في قوله : أمدحه ثقلا ما لما بين الحاء والهاء من تنافر (٢) .

وقد قال مثل هذا الدكتور ابراهيم أنيس ولكنه لم يزد على ما قال
البلاغيون شيئا سوى أن بيت أبى تمام بعد في مرتبة أدنى من حيث
ثقله (لأن تكرار الحاء وان زاد على القدر الممهور في اللفة الا أن الزيادة لم
تصل الى حد المبالغة ، أما تكرار الهاء في هذا البيت فمقول (٣) .

-
- (١) دلائل الاعجاز للجرجاني ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) الايضاح للقزوينى ص ٥ وقد تحدث فخر الدين الرازى - ٦٠٦ هـ - قبله عن
تنافر الحروف وقال مثله : " منها ما يكون ثقلا لكن لا الى هذا الحد كقول
أبى تمام : كريم متى أمدحه .. بهامية الايجاز ص ٢٦ .
(٣) موسيقى الشعر : ابراهيم أنيس ص ٢٦ .

فصل : قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ :

وقد تحدث شراح التلخيص طويلا عن هذا البيت وشبهه كثيرا وقد تكلموا بكلام جميل منى على القواعد الصوتية ومدلل بأدلة مفحة ، وسأستعرض بعض أقوالهم .

يقول الدسوقي : (والحاصل أن مجرد الجمع بين الحاء والهاء وإن كان فيه ثقل إلا أنه لا يوجب دى للاخلال بالفصاحة ، كيف وقد وقع فى القرآن نحو : ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ ^(١) ، والقول باشتغال القرآن على كلام غير فصيح ما لا يتجارى عليه موء من ، بل اذا تكررت الكلمة التسمى اجتماعا فيها زاد الثقل فيخرج الكلام بذلك عن الفصاحة) ^(٢) .

وقال " ابن السبكي " : (إن اجتماع الحاء والهاء فصيح لوروده فى القرآن ، قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ وانما جاء الثقل هنا من تكرار " أمدحه ") ^(٣) .

وقال " السمد " : (وانما مثل بحالين لأن الأول ^(٤) قسناه فى الثقل والثانى دونه ، ولأن نشأ الثقل فى الأول نفس اجتماع الكلمات وفى الثانى حروف منها وهو فى تكرير " أمدحه " دون مجرد الجمع بين الحاء والهاء لوقوعه فى التنزيل مثل ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ فلا يصح القول بأن مثل هذا القول مغل بالفصاحة) ^(٥) .

(١) الآية ٤٠ من سورة " ق " ، الآية ٤٩ من سورة الطور ، الآية ٢٦ من سورة الانسان .

(٢) ش التلخيص ١٠١/١ .

(٣) عروس الافراح للسبكي ١٠١/١ .

(٤) يقصد قوله : وقهر حربا بكان قفر .

(٥) شرح السمد ج ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال " ابن يعقوب المصربى " (ولا شك أن تكرار " أمده " أوجب ثقلا من جهة تكرار الحاء والهاه وأما نفس اجتماع الحاء والهاه بدون تكرار فلا يوجب ثقلا يخل بالفصاحة فإنه قد وجد في التنزيل المنزه هما يخل بالفصاحة كقوله تعالى * فَسَبَّحْهُ * (١)

وعلى ذلك أقول وباختصار شديد :

- أولا : إن من التنافر اجتماع الحاء والهاه ، والهمزة والعين والهاه .
- ثانيا : إن التنافر قد يخل بالفصاحة وقد لا يخل .
- ثالثا : إن التنافر بسبب ثقلا وصعوبة في معظم الأحيان .

بعد هذا فاني أحاول أن أقول ما عندي من وجوه فصاحة الآية

الكرمية أولا ثم أبين بعد ذلك خطأ " أبى تمام " في تركيبه .
فالآية الكريمة تقول * وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
حِينَ تَقُومُ * وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ * (٢)
ورد في الآية عدة أمور :

- ١ - تكررت لفظة " سبح " مرتين دون أن نحس ثقلا .
- ٢ - تكرر حرف الحاء خمس مرات دون أن تكون هناك صعوبة .
- ٣ - تكررت الهمزة ثلاث مرات ولو أن ذلك تم بشكل متعاقب .
- ٤ - والفرييب تجاوز الحرفين الحلقيين وهما : الهمزة والعين في قوله تعالى * فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا * (٣) ولم نلاحظ ثقلا ولا صعوبة .

(١) شروح التلخيص ١/ ١٠٠ .

(٢) الآيات ٤٨ ٤٩ من سورة الطور .

(٣) بعض الآية ٤٨ من سورة الطور .

بل هو القرآن المجيد يضرب أروع الأمثال ، في أدنى نواحي الجمال ،
في مراعاة مخارج الحروف وتعادلهما .

وحتى نفهم سر هذا الجمال - ولن نفهمه - يجب أن نحاول
أن نبحث في أرجاء هذه السورة القصيرة التي يبلغ عدد آياتها تسعا
وأربعين - كيفية ترتيب الحروف الحلقية بعضها مع بعض ، ومجاورتها
أو تباعدها بعضها عن بعض ، وكيفية انتشارها في أقطار السورة .

لقد تكرر حرف الهاء ستا وستين مرة على أوجه مختلفة ، فجاء
ست عشرة مرة في ضمير الفاعل مثل " ماله - بها - " وجاء اثنا عشرة
مرة ضميرا مفعلا واسم إشارة مثل : " هم - هذه " وجاء احدى عشرة
مرة في اسم مثل : جهنم ، فاكهين ، وجاء أربع عشرة مرة في فعل مثل :
اصلوها - آتاهم ، وجاء ثلاث عشرة مرة مضافا الى الاسم مثل : ولهم -
ذريتهم .

وبينما نمر الآية والآيتان ليس بينهما حرف الهاء تجس . آية
يتكرر فيها هذا الحرف * فَاكِهِين يَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ هَذَابَ
الْجَحِيمِ * (١) . ولا داعي لذكر فوائد ضمير الفاعل ولا لتكرار كلمة
" ولهم " .

وحتى نتمكن أكثر ، ننظر الى حسن ترتيب الحروف الحلقية التالية ،
وهي : الهمزة والعين والهاء والحاء :

* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * (٢) .

تكررت الهمزة هنا ست مرات وتكررت الهاء ست مرات أيضا ، وتكررت العين

(١) الآية ١٨ من سورة الطور .

(٢) الآية ٢١ من سورة الطور .

مرتين ، ولذلك جاء حرف الحاء مرة واحدة في قوله تعالى * .. ايمان
الحقنا + . * ، فالحمة حرف حلق ثقيل وسحب أن ينطق به واضحا
محموزا مظهرًا كما يريد التجويد ولذلك مهد له فبعد أن انفتح
الفم بعد الميم المدودة عاد ليخرج النون واللسان في وضع النون مع
انفراج الفم مستعد لإخراج الهمة وحتى يخرج الحاء في صورته
المطلوبة جاء ت استراحة اللام ، وبعد الحاء وقربها من مخرجها
يجىء القاف الذى يتطلب قرعا وقلقة ، ولو كان هناك رسم بيانى
لأوضح اللسان لرأينا كيف يتم إخراج الحروف الحلقية في القرآن
الكريم بكل يسر وبسهولة بعد أن تمهد لها الأحرف الأخرى حتى
ولو كانت من نوعها .

هذه هي الألفاظ القرآنية ، وهذا هو ترتيبها في تقاربها أو تباعدها ،
فكل حرف موضوع في مكانه الصوتي الملائم لما قبله وما بعده ، ولولا
هذا الإعجاز لما استطاع الأتى ولا الأعجى أن يقرأ القرآن الكريم
بكل يسر ، ولو استمعنا اليوم الى مجموعات الأعاجم المسلمين الذين
تملأوا العربية حديثا لوجدناهم يخرجون الحروف كما هي في القرآن ،
في حين أنهم لا يستطيعون ذلك في الكلام العادى ، أولنقل : اننا لو
عرضنا عليهم آيات القرآن الكريم ، وأبيات أبى تمام ، لقرأوا القرآن كما
ينفى ولا خطأوا وتمشروا في أبيات أبى تمام والمتنبي . ذلك لأن الأحرف
في القرآن الكريم لها نظام رائع معجز لا يستطيع مخلوق مهما بلغ
من البلاغة أن يرتب حروفه وينظم كلماته بشكل سهل معجز كما هو فى
القرآن الكريم .

أما حرف الحاء في هذه السورة فقد ورد ست عشرة مرة فتأمل قوله
تعالى * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * (١) ، كيف جاءت الحاء

ساكنة بعد كسر وجاءت بعد الراء المنونة المضمومة الهاء المفتوحة .

وتأسل كيف تكررت الهمزة ثلاث مرات دون أن تسبب ثقلا أو صعوبة
ثم انظر الى قوله تعالى * وَنُؤْتَاهُمْ^{سَهَو} بِحُورٍ عِينٍ * (١) ، جاءت الحاء
مضمومة مدودة بعد كسر وجاءت العين بعد أن فصل بينها وبين الحاء
بالمد والراء والتنوين أيضا .

وحتى أستكمل بقية الحروف الحلقية ، فقد وردت الهمزة ستا وستين
مرة أيضا أى بعدد ورود حرف الهاء ، وقد وردت ست عشرة مرة همزة
متوسطة ، وست مرات متطرفة ، وجاءت فى الأسماء وجاءت فى الأفعال ،
وجاءت فى البداية فى الحروف إحدى وثلاثين مرة ، بل لقد تكرر حرف
” أم ” وحده ست عشرة مرة أيضا .

فمن أمثلتها فى ” أوضاع مختلفة قوله تعالى * أم تأمرهم أحلامهم^س
بهذا أم هم قوم طغفون أم يقولون تقوله بل لا يومنون
فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * (٢) ، فجاءت فى حرف
أربع مرات ، وجاءت فى فعل ثلاث مرات ، وجاءت مرة فى اسم ،
وجاءت مفتوحة ومضمومة ومكسورة . كل ذلك فى آيتين ، فكان فى جماليهما
آيتان .

وأما العين فقد ورد ستا وثلاثين مرة وعلى أوجه مختلفة أيضا ،
فجاء فى بداية الكلمة وفى آخرها : * والسقف العرفوع * والبحر
المسجور * إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع * (٣) وجاءت شديدا
مكررا * يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا * وجاءت مكسورا ومفتوحا ومضموما

(١) بعض الآية ٢٠ من نفس السورة .

(٢) الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ من نفس السورة .

(٣) الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من نفس السورة .

كما في الآية السابقة ، وجاء ساكنا ومتماقبا كما في قوله تعالى :
* وَأَقْلَبَ بِمَعْزِلِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * (١)

والأغرب من ذلك أن يأتي الفين قريبا من المين : * وَيَسْطُوفُ
عَلَيْهِمْ غُلَامٌ^{٩٩} لَهُمْ .. * (٢) ، أو أن تأتي الفين وحدها * يَتَنَزَّلُونَ
فِيهَا كَأَنَّ لَافُوقِهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ * (٣) . وقد وردت الفين ثمانى مرات
بينما وردت الخاء خمس مرات فقط (في السورة كلها) ، فقد وردت في
أول السورة * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * (٤) ، ثم جاءت متماقبة
أربع مرات ، وجاءت معها الهمزة عشر مرات والهاء ثلاث مرات والفين
مرة والعين مرة والحاء مرة ، ففي سطرين تتكرر الألف الحلقية
في شكل بديع ، ومع أنها دليل بنفسها إلا أنها تبدأ بقول أصدق
القاتلين :

* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ * أمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ
أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَهْتَدُونَ * أمْ عِنْدَهُمْ
خِزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ * (٥)

أعود بعد هذا إلى الآية * فسبحه * بعد أن شرحت مسار
السورة البديع وكيفية انتشار الألف الحلقية فيها وكيف تتجاور أو تتباعد
لتتحدى علماء الأصوات وكيف تتكرر لتتحدى الفصحاء .

(١) الآية ٢٥ من نفس السورة .

(٢) بمض آية ٢٤ من نفس السورة .

(٣) الآية ٢٣ من نفس السورة .

(٤) الآية ١٢ من نفس السورة .

(٥) الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ من نفس السورة .

أقول : بعد هذا ، أنا لا أستهغرب أبداً أن يتجاوز هذان الحرفان

هنا ، بل لا أستغرب أن يتكرر الأمر بالتسبيح في آيتين متقاربتين
 * .. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ * (١)
 بل ان الآية نفسها قد تكررت في سورة " ق " مرتين أيضاً ، قال الله
 عز وجل * وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ
 فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ * (٢) ، كما وردت في سورة الانسان ولكن بدون تكرار
 * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * (٣) ، على أن الأمر
 بالتسبيح بصيغة المفرد قد ورد ثلاث عشرة مرة . ولا أدري لِمَ لَمْ يَتَمَوْضَ
 الشراح لمسألة تكرار هذه الآية ولا لمثل قوله تعالى * كَلَّا لَا تُطِيعُ
 وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ * (٤) ، ومثل قوله تعالى * كَالْمُهِنِ الْفُفُوشِ * (٥) .
 فهي أدق بكثير من قوله تعالى * أَلَمْ أَفْهَدْ * (٦) * عَاهَدَ عَلَيْهِ
 اللّٰهُ * (٧) .

أعود الآن الى الآية الكريمة * فسبحه * ، وأريد أن أقول

عدة أمور :

- ١ - كل شئ " يتعلق بالجمال فللذوق لا فضل فيه .
- ٢ - كل شئ " منى على الذوق فلا بد فيه من اختلاف وجهات النظر .
- ٣ - كل شئ " منى على الذوق لا تستفرقه القواعد ولا يدخل تحت
 المصطلحات ولا تشمل القوانين .

-
- (١) بعض الآية ٤٨ والآية ٤٩ من نفس السورة .
 - (٢) بعض الآية ٣٩ ، والآية ٤٠ من سورة ق .
 - (٣) الآية ٢٦ من سورة الانسان .
 - (٤) الآية ١٩ من سورة العلق .
 - (٥) بعض الآية ٥ من سورة القارعة .
 - (٦) بعض الآية ٦٠ من سورة يس .
 - (٧) بعض الآية ١٠ من سورة الفتح .

٤ — قد يوجد في القرآن الكريم ما يخالف قواعد العرب البلاغية والتقدسية والصوتية^(١) والنحوية وغيرها ، ويمكن مع ذلك في أرقى مواضع الصحة والبيان بمقدار صحة القواعد نفسها (وهذا من شأن التحدي) .

٥ — القرآن الكريم كله ، بحروفه وألفاظه وكلماته وجمله معجز في جميع نواحيه البلاغية والصوتية والتأليفية ، ولا يضاهايه كلام مخلوق مهما علا كعبه في البلاغة ، بل من الموء كد أن هناك فرقاً بين كلام النبي صلى الله عليه وسلم وبين كلام خالقه ، ولو أننا قرأنا على رجل عنده قدر من أسباب البلاغة وشيئا من القرآن الكريم وشيئا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرق بينهما ، ولو كان عنده أكثر من ذلك لاستطاع أن يفرق بينهما وبين الحديث القدسي أيضا .

(١) من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى * ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * الآية ١١٧ من سورة الأنعام . فقد اضطرب البصريون والكوفيون من النحاة في اعراب قوله تعالى * أعلم من يضل * لمجيئه على خلاف المصهور الشائع من اقتران معمول اسم التفضيل بالباء ، كقوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الطم — الآية ٧ * ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * . (فكان أبعد اعرابهم له عن التكلف أن الباء حذفت منه اكفاً باقترانها بمقابلة المتصل به وهو قوله : * أعلم بالمهتدين * ، ومخالفة المصهور في أساليب اللغة لا يمكن يقع في كلام بلغا أهلها الا لنكته بمقصدونها به ، وكلام رب البلغا ومنطقهم باللفات أولى بذلك) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٦/٨ .

أعود مرة أخرى الى الآلية الكريمة لا تضمن فيها من وجوه خمسة :

- ١ - من حيث هي رخوة أو شديدة ، مجهورة أو مهموسة الحروف .
 - ٢ - من حيث ترتيب حروفها حسب مخارجها .
 - ٣ - من حيث ترتيب حركاتها .
 - ٤ - من حيث توافر حروف الذلاقة فيها .
 - ٥ - من حيث مواقعها ما قبلها وما بعدها وخصائصها .
- ١ - فالفاء والسين والحاء والباء كلها حروف مهموسة ^(١) وليس فيها مجهور سوى الباء .

٢ - تخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلوى ، وما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج السين ، وما بين الشفتين تخرج الباء ، ومن وسط الحلق تخرج الحاء ، ومن أول الحلق الهزة .

ولو طبقنا كلام " ابن السبكي " من رتب الفصاحة وخفتها وسهولتها لوجدنا هذه الآلية تقع في المرتبة الخامسة التي مثل لها بقوله :
 م ل ع هذا اذا أخذنا ثلاثة الحروف الأخيرة ولو أخذنا الكلمة كلها ، فإن مخرجها سيكون من الأدنى الى الأوسط الى الأدنى الى الأوسط الى الأعلى ، ويقول من ذلك (إن أحسن التراكيب وأكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى الى الأوسط الى الأسفل ثم ما انتقل فيه من الأوسط الى الأدنى الى الأعلى ثم من الأعلى الى الأدنى الى الأوسط وما انتقل فيه من الأوسط الى الأعلى الى الأدنى ، فهما سيان في الاستعمال وان كان القياس يقتضى أن يكون أرجحهما ما انتقل فيه من الأوسط الى الأعلى الى الأدنى وأقل الجميع استعمالا ما انتقل

(١) والمهموس حرف أنصف الاعتماد من موضعه ، حتى جرى معه النفس وانت تعتبر ذلك بأنه قد يملك تكرير الحرف مع جرى الصوت نحو سسس كKKK هههه ، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك . سر الصنافة ٦٩/١ .

فيه من الأدنى الى الأعلى الى الأوسط هذا اذا لم ترجع الى صا
انتقلت منه فان رجعت فان كان الانتقال من الحرف الأول الى الثانى
فى انحدار من غير طفرة ، والطفرة الانتقال من الأعلى الى الأدنى أو عكسه -
كان التركيب أخف وأكثر وان فقد بأن يكون النقل من الأول فى ارتفاع
مع طفرة كان أثقل وأقل استعمالاً وأحسن التراكيب ما تقدمت فيه نقطة
الانحدار من غير طفرة بأن يشتغل من الأعلى الى الأوسط الى الأعلى
أو من الأوسط الى الأدنى الى الأوسط ودون هذين ما تقدمت فيه
نقطة الارتفاع من غير طفرة (١) . وعلى أفصح الرتب جاءت الآمية
الكرمية وهذا واضح كما طبقت الرتب على المخارج .

٣ - ترتيب الحركات له أثر كبير فى رأسى فى خفة الآمية ففسحه * ،
قالفاً والسين مفتوحتان والباء مكسورة مشددة والحاء ساكنة والباء
بمدها مضمومة .

ولعل التشديد الحاصل على الباء المكسورة (وهى حرف شديد)
يمنع الصوت من أن يسرى فيه لعلّه هذا التشديد هو الذى اضطر
الثقل من الآمية ، كيف ذلك ؟

سبق القول ، ان الفاء والسين حرفان مهموسان مفتوحان ثم جاءت
الباء " شديدة " مكسورة ومشددة فحصل انحصار للنفس وانغلاق مع هذه
الباء وكان ينبغي أن يقابل مخرجاً فجاءت الحاء ساكنة (لما فيها
من البهسة التى يسرى معها النفس ، وليست كالعين التى تحصر النفس ،
وذلك لأن الحاء مهموسة ومضاربة بالحلقية ، والهيمس للباء الخفيفة
وليست فيها نضاعة العين ولا جهرها) (٢) .

(١) عروس الأفراح شمس التلخيص ص ٩٤ .

(٢) سر الصنعة لابن جنى ١/٢٤٦ .

وحتى لا يسطول جرمان الحاء جاءت الهاء لتلتقط هذا الجريان وتمده بين أول الحلق الى آخره في شكل " ضمة " ، وبما أن الانتقال من الكسرة الى الضمة ثقيل إلا أن مجيء الحاء الساكنة أزال ذلك الثقل ووضع فاصلا ما كان غيره ليصلح مكانه وبعد هذه الهاء جاءت الواو ولم يأت غيرها لكي تناسب الضمة وجاءت الواو مفتوحة بعد ضم طلبها للخفة ولأن الفتحة أخف الحركات ولذلك لا نحس في الآية بأي ثقل لأن ترتيب الحركات فيه يسر وسهولة ، ولو كانت السين ساكنة أو تحركت الحاء لثقلت الكلمة ، فتصبح بذلك كشاهد " سيهويه " :

كَأَنَّهُا بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ وَصَحِّهِ مَرُّ عُقَابٍ كَاسِرِ

(والشاهد فيه أنه قلب الهاء ها ، وأخفاها في الحاء الأولى ، وهذا ما جعله سيهويه ضربا من الإدغام ، وهو يستدعي أن تنطق الحاء كأنها مشددة تشديدا خفيفا ، وذلك ما دعا بعضهم أن يتصوره إدغاما كاملا (١) .

(١) ذكره في الهامش وهو من شواهد سيهويه ولم يميزه لا أحد ٤١٣/٢ . وقد علق عليه ابن جنى في سر الصناعة ٦٦/١ : (فقال سيهويه كلاما يظن به في ظاهره أنه إدغام الحاء في الهاء بعد أن قلب الهاء ها ، فصار في ظاهره قوله وصحّ . واستدرك أبو الحسن ذلك عليه ، وقال : إن هذا لا يجوز إدغامه ، لأن السين ساكنة ، ولا يجمع بين ساكنين فهذا المعنى تعلق بظاهر لفظه ، فأما حقيقة معناه ، فلم يرد معنى الإدغام ، وإنما أراد الاخفاء ، فتجاوز بذلك الإدغام .)

وهكذا كان كلام الله في غاية الابداع والترتيب كما فلم تأت السين

ساكنة بل جاءت مفتوحة كـ ولم تأت في الآمة السين والحاء
متماقيين كما أنهما حرفان مجهولان ولو كان أحدهما ساكنا لحصل الإخراج
الواقع في البيت ولذلك ناسب مجيء الحرف الشديد كالفاصل
(وهو الباء) ليهبط للنقطة وللطفرة المقلدة الى حرف الحاء الساكن .

٤ - توافر في الآمة حرفا ذلاقة وهما الفاء والباء ولو أخذنا حرفا
قبل الآمة * ومن الليل فسبحه * لا أصبحت ثلاثة حروف كما يخطئ للكلمة
قوة في جرسها ، ونصاعة في لفظها ، وفصاحة في مخرجها .

٥ - مواقمها ما قبلها وما بعدها * ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم *
سبب أن نتمن في الآمة أكثر ، فجاء الفاء والسين مفتوحتين بعد
اللام المكسورة (وهي من حروف الذلاقة) ، أمر سهل حركات الحروف
ومجى الواو المفتوحة بعد ضمة وتأتى بعدها همزة ثقيلة وحرف
شديد ساكن يليه حرف ذلاقة : أمر يستدعي النظر في الآمة محاطة
قبلها وبعدها وفيها نفسها بما يقتضيه الثقل ان وجد ولذلك كرهوا
القرآن الكريم ثلاث مرات بلفظها كما هي في كل سورة لا نحس فيها
بثقل أبدا ولا نذكر أن أحدا قد تمتع فيها أو في غيرها من آي القرآن .

أما بيت أبي تمام فأنى أنقده بعد الآمة لا لا ضمه في مقارنة معها
ولكن لا ظهر فصاحة الآمة الكرمة من خلال عيوبه ، فكلمة
" أمده " وحدها بدون تكرار معيبة في البيت للأمر التالية -

(١) - اشتطت على ثلاثة أحرف شديدة (مع أن العيم بين الشديد

والرخو) في حين أن الآمة الكرمة اشتطت على حرف مجهول واحد

هو حرف الذلاقة (الباء) .

(٢) - مخارج الحروف : نتمش فيها بالهمزة وهي الحرف الثقيل (ولا أنها

حرف سفل في الحلق ، ويعتمد من الحروف وحصل طرفا ، فكان
النطق به تكلفا (١) . وجاءت مخارجهم كالتالى : من الأعلى
الى الأدنى الى الأوسط الى الأعلى الى الأوسط الى الأعلى ؛
وهذا ترتيب فيه ثقل فبينما تجس . الهزة من أول الحلق
تخرج الميم معا بين الشفتين ، وهنا الصموية فى أن هذه الميم
حرف مجهور (قد يعتمد له فى الفم والخياشيم فتصير فيه
غنة) ، وتكمن الصموية فى اخراج الدال المفتوحة بعد الميم
الساكنة .

ولا أظن أن فى القرآن الكريم ميمسا ساكنة تليها دال مفتوحة ؛
بل جاءت ساكنة وتليها تاء أخف من الدال بكثير - على أنها
أختها فى المخرج - وكانت مفتوحة مدودة * وَأَمَّا زُوا * (٢) ،
وجاءت ساكنة ومعدا مضوم * فَلْيَمْدُدْ * (٣) وبدلا من المد
جاء التشديد ولكنه خفك وجاءت مفتوحة وما بعدها مفتوح
مدود شدد * مَدَّا * (٤) أو بدون مد * مَقَّتَهُمْ * (٥)
أما أن تأتي الميم ساكنة والدال مفتوحة والحاء ساكنة ومعدا
ها . فهذه هى الصموية .

- (١) سر الصداقة ج ١ ص ٨١ .
- (٢) بعض الآي ٥٩ من سورة يس .
- (٣) الآية ٧٥ من سورة مريم والآي ١٥ من سورة الحج .
- (٤) الآيتان ٢٥ ، ٧٩ من سورة مريم .
- (٥) بعض الآي ١٨ من سورة الفرقان .

ولذلك كان في الآلية فتح ثم فتح ثم تشديد ثم الحاء
والها . فليس كل حاء وها تماقتا بسهولة وإنما السهولة في
الحروف التي قبلها والتي بعدها والتشديد لهذا الصعود والانحدار
بما يسهل للسان سهولة الحركة .

فعدم التشديد في البيت هو الذي جعل اللسان سائطاً
يتخطى بمن الصعود والانحدار والجهارة والهمس ، وكان يحتاج في
الوسط إلى موقف شديد يتهيأ بعده للانتقال ولذلك كانت
صناعة البيت بالتشديد أعف وطأة : كَرِيم أمدعه .

(٣) - من حيث ترتيب الحركات :

أمدعه ، همزة مفتوحة وحسم ساكنة تليها دال مفتوحة
ثم حاء ساكنة وها مضمومة وهذا يختلف كثيراً من مسار
الحركات في الآلية ، ومعلوم أن الحركات أبعاض الحروف وبما
أن بعض الحروف قد ثقل فلا بد أن تشغل حركته تبعاً
لذلك كحركة السكون للميم والفتحة للدال .

(٤) - لا يوجد في البيت من حروف الذلاقة سوى حرف واحد
وهو الميم وكان وضعه شيئاً يضاف وجد في الآلية ثلاثة أحرف
وكان وضع الحرف المتوسط منها حسناً للغاية . وهو
الباء .

(٥) - مناسبة الحروف لما قبلها وما بعدها :

" متى أمدحه أمدحه والورى معي "

هنا يبرز الثقل بعينه ، وينو بكلكه على البيت ، فجاء
بالتاء المحدودة لمجيء بعدها بالهمزة ثم بالميم ثم بالدال
ثم بالحاء ثم بالباء ويعود للهمزة والميم وهكذا . فجمع الصموية

بأسرها في البداية وفي الوسط وفي النهاية ، فجمع بين
التاء المفتوحة المدودة والهمزة المفتوحة في البداية ، وجمع
في الوسط بين هاـ بين وهاـ بين وهمزة ، وجمع في النهاية
بين هاـ مضمومة وواو مفتوحة وبعدها واو أخرى : " أمده والورى " ؛
وانا جمعنا الى ذلك سوء ترتيب الحركات ، وسوء اختياره للحروف
وتعسر مغارجها وقلة حروف الدلالة بعضها وعدم مناسبة
الحروف لما قبلها وما بعدها ، وعدم مناسبة الحركات بعضها لبعض
وتتبعنا حركة اللسان في نطقه ، لوجدنا الهيت يتجرد شيئا
فشيئا من أسباب الفصاحة والبلاغة مما .

المرتبة الثالثة : (ألفاظ مكررة) :

(١)	لعلني عند مثلهم مقام	ولم أر مثل جيرانى ومثلنى
(٢)	كذلك النوى قطاعة لوصال	فما للنوى جدّ النوى قطع النوى
(٣)	وجدك بشر السلك الهمام	قيل أنت أنت وأنت منهم
(٤)	ولنفسى جعلت نفسى رسولا	إن نفسى رسول نفسى إليها
(٥)	يتقود بنا بال ويتبعنا بال	ألا إننى بال على جعل بال

(١) البيت لآبى الطيب المتننى في ديوانه ٧٣/٤ .

معناه : يذم جيرانه ، ويلوم نفسه على الاقاسة بينهم ، حيث لا يهودون بشئ ، وهو مفتقر الى جود الكرام ، فوجب ألا يكون مثله مقيما بينهم .
وقد بين فى البيت الذى بعد هذا :

بأرض ما اشتبهت رأيت فيها فليس يفوتها الا كرام

(٢) قائله غير معروف والخبر والبيت فى الموشح للمرزيانى ٥٥٧ .

(٣) قائله المتننى . ديوانه ٧٩/٤ .

يقول : قيل أنت على شرف قدرك أنت منهم ، وأنت أنت ، وإذا كنت منهم وجدك بشر ، كفاهم بذلك فخرا وشرفا ، فهم يفخرون بك وبأبيك .

وقد أخرج حرف المطف وهو قبيح جدا . قال أبو الفتح : ونظيره :
قامت زبد وهند ، أى قامت هند وزبد ، قال : ويجوز أن يكون جعل ما بعد : قيل وصفا له ، ولم ينو تقديم بعضه ، وفيه قبح .
وقال الخطيب : أنت فى موضع الحال ، أى أنت منتسبا اليهم ، فلا تقديم فيه .

(٤) الموشح للمرزيانى ٥٥٧

(٥) لآمرى القيس كما هو فى ديوانه ٣٧٣ .

هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب التكرار المقيح ، وهي أخف وطأة من الأبيات القبيحة التي سبق ذكرها . وقبحها يكمن في إعادة اللفظة بمينها ، وفي أعادتها أكثر من مرتين ومن ثلاث مرات في بعضها . ومثال هذا كثير جدا في النثر وفي الشعر على حد سواء ، فقد أكثر الشعراء والكتاب قديما وحديثا من تكرار الألفاظ ، ولكن الذي يخفف قبح ذلك أن الألفاظ لم تتردد أكثر من مرتين ، أو أن الكلام لم يكن ليتم إلا على ذلك الوجه ، أو أن هناك شيئا من البديع ، أو غرضا من أغراض التكرار ، ودواعيه البلاغية .

وقد تعرضت لتكرار الحرف ولتكرار الكلمة وسأتعرض — فيما بعد — لتكرار الأسماء والصفات والأفعال وحروف العطف .

والأبيات السابقة قبيحة بشهادة النقاد مع أن هناك أبياتا كثيرة تكررت فيها ألفاظ عديدة ولم تمدّ قبيحة ولذلك أسباب كثيرة ، منها على سبيل المثال : حسن مواقع تلك الألفاظ وسهولتها ، ومجى تلك الألفاظ لتضيف قوة جديدة الى المعنى المسوق ، وليست من أجل التزيين أو ترصيع الجملة بجواهر من الألفاظ قد تكون صفا على المعنى ، وقد لا يتحمل البيت ذلك التزيين .

والأبيات السالفة الذكر ليس فيها تزيين ولا إضافة لمعنى جديد ، بل إن بعض ألفاظها قد تكرر بدون أى سبب كفحص العكس فبعد أن وجدنا أن بعض الألفاظ تدّر على البيت معنى جديدا ، نرى أن تكرار الألفاظ هذه الأبيات قد قلّل من المعنى .

والبيت الشعري كالمرأة في نظر الرجل المتفحص ، فهناك امرأة فاطلة وعلى الرغم من ذلك تبدو غانية جميلة ، وهناك من تحتاج الى بعض العلى لتضيف الى جمالها جمالا آخر — ولو أن الذى حسن ذلك هو جمال المرأة الأساسى لا الجواهر المضافة — وكذلك الألفاظ فى البيت — ، وهناك

امرأة جميلة تضر ككرة الحلى وتكسسه بجمالها ، هل ان ذلك ليلفت النظر
عن المحاسن الأصلية ، وهناك امرأة قبيحة وتظل كذلك حتى لو تجملت
بكل على الدنيا .

وهكذا البيت الشعري ، فيجب على الشاعر أن يدقق في صياغة جواهره ،
وفي أماكن وضعها ، وفي أحجام تلك الجواهر وفي عددها .

ففي البيت الأول ، تكررت لفظة أربع مرات : مثل — مثل — لمثل —
مثلهم . وعلى الرغم من أن التكرار مسموح به إلا أنه " سلاح ذو حدين " ،

فالتصرف فيه دقيق ، واستعماله يحتاج إلى حكمة وحذر ، فبينما نجسد
التكرار بفتح المعنى قوة وتأكيذا فإنه إذا أسيء استعماله يفسخ المعنى
ويشوّهه ويضيع معالمه ان لم يجهز عليه .

وكما أن التكرار يعطي جمالا وسعرا حلالا ، فهو كذلك يورث
قبحا وكلالا .

وهذا البيت من عشرات " أبي الطيب " ولا غرو في ذلك فهو :
(كالمك الجبار يأخذ ما حوله قهرا وفتوة ، أو كالشجاع الجري : يهجم
على ما يريد ، لا يبالى ما لقي ، ولا حيث وقع)^(١) ، وفعلًا كان
في هذا البيت شجاعا متهورا :

ولم أر مثل جبراني ومثلـي لمثل عند مثلهم مقام
فأعاد ما لا ينبغي أن يعاد ، وكرر في اللفظ وفي المعنى ، ولم يكن يبالى
بناقد يمدحه أو يذمه ، ولا ببهتة هل أبدع في تركيبه أو أغرق في
غموضه !

وقد تعرض لهذا البيت ابن الأثير — ت ٦٣٧ هـ — في معرض كلامه

من التكرير في اللفظ والمعنى - غير المفيد - فقل : (وعلى هذا
الأسلوب ورد قول أبي نواس :

أَقْنَأَ بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْهَلِ خَامِسٌ (١)

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، وباعجبا له يأتي بمثل هذا
البيت السخيف الدال على المعنى الفاحش . . .

ومن هذا البيت أيضا ما أورده في صدر هذا النوع وهو قول أبي

الطبيب القنبي :

ولم أر مثل جيرانى ومثلنى لعلى عند مثلهم مقــــــــــــــــام

فهذا هو التكرير الفاحش الذى يوشى فى الكلام نقضا ، ألا ترى أنه يقول :

لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار ، ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى

عندهم ، إلا أنه قد كرر هذا المعنى فى البيت مرتين (٢) .

ومما يتسبب فى ضياع الفكر وتشتت الضمير ، كثرة الضمائر فى نفس

الألفاظ المكررة واختلافها ، فمن مفرد إلى جمع ، ومن يا ، متكلم إلى ضمير

غيبة ، مع أنه بعيد عن الفخر بنفسه أو التعتظيم لها فى هذا البيت :

فهو يحكى لنا ويصف سوء المعاملة ليس إلا .

(١) ديوانه : ٣٧ ومثل هذا قول " النابغة الذبياني " :

توهمت آيات لها فمرفقتها لستة أعوام وذا العام سابع

انتقده " ابن منقذ " بقوله :

(وكان الأجود أن يقول : لسبعة أعوام ، فيستغنى عن قوله :

سنة أعوام ، وعام سابع) وقد وضعه فى باب الحشو ١٤٣ من

كتاب " البديع فى نقد الشعر " لأسامة بن منقذ .

(٢) المثل السائر لابن الأثير ٢ - ١٧١ - ١٧٢ .

أما البيت الثاني :

فما للنوى جد النوى قطع النوى كذلك النوى قطوعة لوصال
فقهه أخف فلا تعقيد فيه ولا التواء ولا غموض ، ولا أنه كرر اللفظة بعينها
دون أن يكون هناك ضمائر متعددة تشغل بال السامع ، ثم انتهى
من قبيل التريد ولكنها مردودة لأنها تفتقد الترابط والتلاحم فيما بينها
فكانه ردد ثلاثة مقاطع منفصلة لا يتصل أى مقطع منها بالمقطع الآخر
ولا حتى بأى حرف من حروف المطف أو بأى شكل من أشكال الاتصال :
ما للنوى | - جد النوى - قطع النوى .

والصيب الثاني في تكراره لمقطع مرتين فالثاني والثالث بمعنى واحد
أو متقارب وإذا ما قرأنا البيت الذى قبله يكون قد كرر الكلمة خمس مرات
بلا داع بلاغى أو نحوى أو ضرورة شعرية بل ان المعنى لم يتطلب هذا
التكرار ولذلك حقيق للأصمعى أن يهزأ به قائلا : (لو سلب
الله على هذا البيت شاة فأكنت هذا النوى كه) (١) .

وهناك رواية أخرى للبيت (حدثنا محمد بن العباس ، قال : حدثنا
الحسين بن على المهرى ، قال : حدثنا أبو عثمان المازنى عن الأصمعى ،
قال : جاء رجل الى خلف الأحمر فقال : انى قد قلت شعرا أحببت أن
أعرضه عليك لتصدقني منه ، قال : هات . فأنشده :

رقد النوى حتى اذا انتبه الهوى بعث النوى بالهين والترهال
(٢)

ما للنوى جد النوى قطع النوى بالوصل بين هيمان وشمال
فقال له خلف : دع قولى ، واحذر الشاة ، فوالله لئن ظفرت بهذا البيت
لتجعلنه شعرا ! على أنه ما ظننت ببله هذا كه ! (٣) .

(١) الكشف عن مساوى المتنبي للمصاحب بن عمار ص ٥٢ .

(٢) جد : قطع .

(٣) الموشح للمزنياني ٥٥٧ ،

وأما البيت الثالث - وهو لا بُدَّ من الطيب :

قبيل أنت أنت وأنت منهم — وجدّك بشر الملك الهمام^(١)

(فقيح للتكرار ، وقد زاده قبحا وقومه بغير فصل)^(٢) .

وكان من الممكن التفاضل عن هذا التكرار لمجيئه في مقام المدح والتمثيل - وهو من المقامات التي تتطلب التكرار - لولا سوء التركيب الحاصل في البيت والذي كان من أسباب غوضه ، وما زاده غموضا التقديم والتأخير في نفس الألفاظ المكررة ، فلو قدّم وأخر في غيرها لبان المعنى ، وحتى لو فعل ذلك فالألفاظ متشابهة مما يضيق عليه مساحة البيت^(٣) ويضطره إلى التقديم والتأخير حتى يذهب قبح التكرار - ولحق يذهبه .

ويحسن بي هنا أن أستشهد بما قال علي بن عيسى الرمانى :

(أسباب إشكال الكلام ثلاثة : التغيير من الأغلب كالتقديم والتأخير

وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك)^(٤) .

وأما البيت الرابع فضيف شكه ومعناه ، وركبك ترتيبه ، وقبح

مذاقه ومشه .

(أخبرنى أبو بكر الجرجاني قال : حدثنا المبرد قال : غنت برهان

جارية ابن الصباح بين يدي بنان :

إن نفسى رسول نفسى اليها ولنفسى جعلت نفسى رسولا

فقال بنان : شه^(٥) : امتلاء البيت فُساء^(٥) .

(١) ديوانه ٧٩/٤ وقد ذكره الجرجاني في الوساطة ص ٨٣ .

(٢) سر الفصاحة ٩٤/٩٥ .

(٣) العمدة لابن رشيق ٢٦٦/٢ .

(٤) شاه وجهه يشوه : قبح .

(٥) الموشح للمريزاني ص ٥٥٧ .

قبح لأنه كرر لفظة بعينها أربع مرات ليس فيها أى جنس من أجناس
الهديع ، وقبح لركاكة معناه ، وقبح لأن التكرار إنما يلزم العواضع
الفخمة والموشرة وليس لها هنا فخامة ولا تأثير بل إن التكرار هو الذى
أوقع البيت في هذا القبح .

ثم إن التكرار إنما يحسن ليلفت أذن السامع الى شىء مهم أو جديد ،
ويجئ على قلب الكلمة على جميع وجوهها ومعانيها ، وليس في كلمة "نفسى"
أى مهم أو جديد أو ملفت للسمع ، بل إن "بنان" كان محققاً حينما
قلب الكلمة على شتى اشتقاقاتها فوجد فيها فعلاً فانتبه اليه فإذا بسمعه
ينقلب اليه خاسئاً وهو حسير ، فقد وجد معنى لا يستحق أن تتكرر الكلمة
أربع مرات ولذلك اندفع يسخر منه ويهزأ به وبشعره .

ولذلك كان من شروط الجنس أن يكون معنى اللفظة الأولى غير معنى
الثانية حتى يفاجأ السامع بذلك المعنى الجديد ، أو يكدر ذهنه
حتى يثمر عليه ، ويحصل له حينذاك ارتياح وإعجاب كما يحس بأنه
صعد الى مستوى الشاعر في فك رموز ألفاظه ، أما أن يصعد السامع
الى مستوى الشاعر ثم يفاجأ بأن مستواه أعلى من مستوى الشاعر ، فإنه
حينئذ يسخر منه لأنه كان يفترض فيه الملوّ والفلسو ، ولهذا السبب
كان بعض النقاد أو القذوقين على وجه العموم لا يهابون الشعر الواضح
جداً ، كحبهم للشعر الغامض جداً ، ولعلمهم محقون في ذلك ، فالشاعر
غير النائر ، يعتمد على اللمحة والإشارة والمفاجأة والمراوغة ، ويترك الباب
مفتوحاً لخيال السامع وثقافته والمعيتة .

أما البيت الأخير ، فقد عابه — ابن سنان ت ٤٦٦ هـ — بقوله :
(ولم يزل الناس على وجه الدهر منكربين قول امرئ القيس بن حجر :

ألا إني بال على جمل بال يقود بنا بلل و يتبعنا بال
(١) وهو لمصرى قبيح .

وكان قبيحا لتكرار لفظه "بال" أربع مرات بلا داع بلا غي مع
أنها - غير ذي بال - وكون اللفظة ذاتها لا تستدعي ذلك التكرار
ولا يتطلبه المعنى ، وليس في هذا البيت معنى شريف أو غرض خطير
يستدعي هذا التكرار بهذا العدد وفي هذه اللفظة بالذات ، وينطبق
ما قلناه في البيت السابق على هذا البيت أيضا .

الفصل الثاني نسق

أ - المعاطلة والتكرار

لم أجد تسمية - للحروف المتنافرة ، والألفاظ المتداخلة ، والكلام المتشبه ببعضه ببعض - لم أجد تسمية أنسب ولا أجمع لها -
المعاطلة^(١) ، وقد شجعني على هذه التسمية " الآمدى ت ٥٣٧ " ،
الذي تبني المقالة النقدية^(٢) العمريّة المشهورة ، وفصلها وشرحها ،
وبين غلط " قدامة " ^(٣) فيها ، حيث وضع تعريفا جديدا لهذا المصطلح
النقدى جعله صالحا لأن يشمل كثيرا من أنواع التعقيد اللفظي والمعنوي .
يقول " الآمدى " عن تكرار الحروف المتنافرة ، والألفاظ المتشابهة :
(ان من المعاطلة ... شدة تمليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ،
وأن يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها ، وان اختل
المعنى بعض الاختلال) ^(٤) ، ثم يستشهد ببيت " لا بئس تام " ليرينا
كيف شوّهت المعاطلة وجهه ونهشت أعظمه : (وذلك كقول " أبي تمام " :
خان الصفاء أخ^{٩٩} خان الزمان^{٩٩} أعا عنه فلم يتخون جسمه الكمد^(٥))

(١) جاء في لسان العرب مادة " عطل " : (وعاطل الشاعر في
القافية عطلا : ضمن . وقول عمر : لم يعاظم الكلام أى لم يحمل
بعضه على بعض ، ولم يتكلم بالوجيع من القول ، ولم يكرر اللفظ والمعنى
أى : لا يمتدده ، ولا يوالى بعضه فوق بعض ، وكل شئ ركب شيئا
فقد عاظمه) .

(٢) قال عمر رضى الله عنه : " كان لا يعاظم بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ،

ولا يعدج رجلا إلا بما في الرجال " قالها في زهير بن أبي سلمى .
الموازنة للآمدى ص ٢٥٨ . وما أعرف ذلك إلا قاضى الاستعارة " نقد الشعر لأبي
بريد قوله : (٣)

الفرج قدامة بن جعفر ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٤) الموازنة للآمدى ت : محمد محي الدين عبد الحميد . ص ٢٥٩ .

(٥) ديوانه ٧٤/٤ وهو في الصناعتين ٣٥ ، ٣٤٣ .

فانظر الى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهي سبع كلمات آخرها قوله " منه " ما أشد تشبث بعضها ببعض ، وما أفتح ما اعتمده من ادخال ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها ، وهو " خان " و " خان " و " يتخون " . وقوله : " أخ " و " أخا " فاذا تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير فائدة ، لأنه يريد : خان الصفاء أخ خان الزمان أخا من أجله اذا لم يتخون جسمه الكمد (١) .

ثم يتكلم الأمدى " عن المعازلة من زاوية أخرى - حتى يستكمل جوانب مصطلحه الجديد - فبعد أن تكلم عن تكرار الحروف وعن تكرار بعض الألفاظ بعينها يتكلم عن جانب آخر من المعازلة وهو أن يلجأ الشاعر الى حشو البيت بألفاظ مكررة ، وليس لذلك من داع سوى وجود الألفاظ تشبهها فيكرر اللفظة الثانية من أجل اللفظة الأولى ، وذلك ما يمتد اللفظ والمعنى معا . (وكذلك قوله :

يا يوم شرّ يومٍ لهوى لهوى بصبايتي ، وأذل عزّ تجلّدي (٢)
فهذه الألفاظ الى قوله " بصبايتي " كأنها سلسلة ، من شدة تعلق بعضها ببعض ، وقد كان أيضا استغنى عن ذكر اليوم في قوله " يوم لهوى " ، لأن التشريد انما هو واقع بلهوه ، فلو قال : " يا يوم شرّ لهوى " لكان أصحّ في المعنى من قوله : " يا يوم شرّ يوم لهوى " وأقرب في اللفظ ، فجاء باليوم الثاني من أجل اليوم الأول ، وباللهو الثاني من أجل اللهو الذي قبله ، ولهو اليوم أيضا بصبايته هو أيضا من وساوسه وأخطائه ، ولا لفظ أولى بالمعازلة من هذه الألفاظ (٣) .

- (١) الموازنة للأمدى : ٢٦٠ .
(٢) ديوانه ٤٥ / ٢ . قال " الصولي " : (يقول : لمبببي وبصبايتي يوم الفراق) ٤٥٠ / ١ .
(٣) الموازنة للأمدى : ٢٦٠ .

وأما "المسكوى" ت ٣٩٥ هـ - فإنه تكلم عن المعاطلة من جانب آخر وضم إليها عيوبها أخرى ولكن يكفيناه أنه جعل المعاطلة من "سوء النظم" (١) ولن يخرج تقارب الحروف وتكرار الألفاظ - في بعض الأحوال - من سوء النظم وعن المعاطلة .

أما "ابن الأثير" ٦٣٧ هـ "فهو الذي أحسن الاستفادة من هذا المصطلح وجعله بلها من أبواب كتابه" (٢) وفصل فيه وشرح ، وقسم ومثل ، وأتى فيه على جميع أنواع هذا المصطلح .

وقد تكلم في المعاطلة نقاد آخرون متقدمون ومتأخرون .

(والذي نستطيع أن نستخلصه من كلامهم أن المعاطلة هي كل ما يؤدى إلى التعقيد سواء كان تعقيدا لفظيا مشوشا ، تنافر الحروف في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة ، أم كان تعقيدا معنوياً مشوشاً ، ما في الكلام من تقديم وتأخير عن المواضع الأصلية للكلام ، وهذا يسلم إلى استبهام المعانى وخفائها واستغلاقتها ويصح تمييز بعضها من بعض شيئاً عسيراً) (٣) .

اذن ، فالمعاطلة تصلح أن تكون عنواناً شاملاً لكل تكرار قبيح في الألفاظ ، ومن أجل ذلك فقد انتهت هذا المصطلح كما تبناه "ابن الأثير" وحدوث فيها حدوثه فيه ، بل إنى تجاوزت ذلك فعمدت إلى الأقسام التي وضعتها فجعلتها عماداً لباب المعاطلة والتكرير ، وهما أنذا أتكلم عن القسم الأول منه وهو :

" تماثل حروف الرباطات " .

(١) الصناعتين ١٦٧ - ١٧٠ .

(٢) الجامع الكبير لابن الأثير ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والمثل السائر ١/٣٩٦ - ٩ + ٤ .

(٣) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، د . بدوى طبانة : ٢٢٣ .

مماظلة التكرار :

يمكن أن نقسم مماظلة التكرار الى ستة أقسام وهي :

- ١ — تكرار حروف الرباطات .
- ٢ — تكرار الاضافات .
- ٣ — تكرار الصفات .
- ٤ — تكرار الافعال .
- ٥ — تماثل الأحرف (*) .
- ٦ — تكرار الأسماء .

أولا تكرار الحروف الرباطات : وهي الحروف التي تربط الكلام ببعضه ببعض

نحو : من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وأشباهها ، وتأتي على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما كان مستقلا غير موصول بضمير ، مثل قول " أبى تمام " :

إلى خالدٍ راحت بنا أرحبُبةً مرافقها من عن كراكرها نكب^(١)

النوع الثاني : ما كان متصلا بضمير ، ويكون : مشتملا على حرفين :

كقول " أبى الطيب " :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخانتته قربك الأبيام^(٢)

أو على ثلاثة كقول بعضهم :

المشق فو أزل الآزال من قدم فيه به منه يبد وفيه أبد^(٣)

(١) وهو ما سبق أن تحدثنا عنه .

(١) ديوانه : ١ / ١٨١ .

(٢) ديوانه : ٣ / ٣٤٣ .

(٣) هو الحسين بن منصور المصروف بالحلاج .

من كتاب عطف الألف المؤلف على اللام المطبوع للندلس ص ٤٤ .

أو يكون بعضها موصولا بضمير وبعضها مستقلا ، كقول أبي تمام :

كأنه في اجتماع الروح فيه له في كل جارحة من جسمه روح (١)

النوع الثالث : ما كان متصلا بالأسماء ، ويمكن فيه أن يتكرر الحرف بخلاف

ما سبق ، فإن في تتابعها تعمية وثقلا وتمقيدا ، فكيف اذا كررت
حروف بعضها ؟

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى * فترى الودق يخرج من خلا ليه

وينزل من السماء من جبال فيها من برد .. * (٢) ، فقد كرر الحرف نفسه
أربع مرات .

ومثله قوله عز وجل * ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج

حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم * (٣) .

ومما جاء منه متتابعا مكررا قوله عز من قائل * ما زكي منكم من أحد * (٤)

وقوله تعالى * وعليها وعلى الفلك تحملون * (٥) .

(١) ديوان أبي تمام : ٣٤٢/١ .

(٢) سورة النور : آية ١٤٣ .

(٣) سورة النور : آية ٦١ .

(٤) سورة النور : آية ٢١ .

(٥) * وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة

وهي تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢) العنقون .

وقوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١) .

والنوع الثالث ليس من المعاطلة في شيء .

وقد تعرض البلاغيون للنوعين : الأول والثاني وكادوا يتفقون على كونه معيها ، ولم يذكروا الثالث مع أنه ورد بكثرة في كتاب الله وعلى أشكال مختلفة متصلة ومنقطعة ، ففيه تكرار كبير وتتابع للأحرف بجميع أنواعها الجارة منها والمعاطفة والضمائر والأحرف الأخرى المختلفة ، وقد مثلت ببعض ذلك ، وأزيد مثالا مختلفا وهو قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

والسبب في ذلك أنهم تعرضوا للمصباح فقط ما جاء في الشعر . ثم إن " أبا هلال العسكري ت : ٣٩٥ هـ " قد احترز عن هذا النوع بقوله :
(وينبغي أن تتجنب إعادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد إذا كتبت مثل قول القائل : منه له عليه ، أو عليه فيه ، أو به له منه . وأخفها له عليه ، فسبيله أن تدأويه حتى تزيله بأن تفصل ما بين الحرفين ، مثل أن تقول : أقمت به شهيدا عليه . ولا أعرف أحدا كان يقتنع المصوب فيأتيها غير مكرت إلا المتنبي ، فإنه ضمن شعره جميع مصوب الكلام ما أعدمه شيئا منها حتى تغطي إلى هذا النوع فقال :
وَيُسَمِّنُنِي فِي غُرَّةٍ بِمَدِّ غُرَّةٍ سَبَّوحٌ لَهُ (٣) مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ
فَأَتَى مِنَ الْاِسْتِكْرَاهِ بِمَا لَا يَطَارُ غَرَابَهُ (٤) .

- (١) ﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ﴾ (٧٩) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) " غافر " .
(٢) سورة التكاثر : آية ٤ .
(٣) له منها عليها : هكذا ورد في الصناعتين والمشهور ما جاء في الديوان وفي كتب البلاغة : لها منها عليها شواهد ، وفي الديوان : " وتسعدني " .
(٤) الصناعتين : ١٦٦ ت : على الجاوي — محمد أبو الفضل إبراهيم .

وقد استغرب "المصاحب بن عمار ٣٨٥هـ" قبل "المسكوي"

هذا البيت فقال :

(وكنت أتعجب من كلام "أبي يزيد المصطفي" في المعرفة والفاظه

المعقدة ، وكلماته المبهمة ، حتى سمعت قول شاعرنا في صفة فرس :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة
سبح لها منها عليها شواهد (١) (٢)

كما عاب بيتا آخر ، ولو أنه أخف وطأة وأقل ثقلا من سابقه ، وهو —

قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخانته قريبك الأيام (٣)

قال المصاحب : (فان قوله : — له فيك — لوقع في عبارات الجنيد لتناقض
منه المتصوفة دهراميدا) (٤) ، وهنا تبرز ثلاثة أسئلة :

أولا — هل السبب في وصف الأبيات السابقة بالمعيب تتابع الأحرف

أو تتابع الضمائر ؟

ثانيا — هل يكون تتابع الأحرف أو الضمائر قبيحا ؟ ولماذا ؟

ثالثا — ما هو أقل شيء يسمح به في التكرار أو التتابع حتى إذا ما

جاوزناه وصل بنا إلى القبح أو ماذا نمنى بكثرة التكرار ؟

والجواب عن السؤال الأول ، فيما ظهر لي من كلام البلاغيين ، أنهم

يقصدون الضمائر ، فمبارة "الخطيب ٧٣٩" التي نقلها تقول (وقيل :

فصاحة الكلام هي خلوصه ما ذكر من كثرة التكرار وتتابع الإضافات كما

في قول أبي الطيب :

سبح لها منها عليها شواهد .

(١) ديوانه : ٢٧٠/١ .

(٢) الكشف عن مساوي المتنبي ص ٥٢ .

(٣) ديوانه : ٣٤٣/٣ .

(٤) الكشف عن مساوي المتنبي ص ١٢ .

وفى قول ابن مالك :

حَمَامَةٌ جَرَمًا هَوَمَةٌ الْجَنْدَلِ اسْجَمَى (١)

فقد مثل لكثرة التكرار بقول "أبي الطيب" وليس في قول "أبي الطيب" تكرار إلا في الضمائر وهو قوله : "لها - منها - عليها" ويؤيده قول "الدسوقي" : " لا يصح التشييل بهذا البيت لكثرة التكرار إن لم يحصل فيه تعدد للتكرار فضلا عن الكثرة" إن الضمائر فيه ثلاثية فقط (٢) . ويميزه قول "السبكي" الذي يزيدها وضوحا حيث يقول :

"وإنهم بعضهم التعقيد في تكرار هذه الضمائر وهو فيه نظر لأن رجوعها إلى شيء واحد واضح ، فإن فرض ذلك حيث تختلف الضمائر اختلافا لا يظهر منه المعنى كان عدم الفصاحة للتعقيد لا للتكرار" (٣) ، فإذا كان

الصيب في تكرار الضمائر فما بالنارى "ابن الأثير ٦٣٧ هـ" يردّه إلى الأدوات نفسها . إنه يقول : (فإن منها - يقصد أدوات الكلام - ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ، ومنها ما لا يسهل ، بل يرد ثقيلًا على اللسان ، ولكل موضع يخصه من السبك . فما جاء منه قول أبي تمام :

إلى خالد راحت بنا أرحبمة مرافقها من عن كراكرها نكب (٤)

فقوله "من عن كراكرها" من الكلام المتعاضل الذي يثقل النطق به .

على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما "من" و "من" في

موضع آخر ، فلم يثقل النطق بهما ، كقول القائل : "من عن يمين الطريق" ،

والسبب في ذلك أنهما وردتا في بيت "أبي تمام" مضافتين إلى لفظية

(١) الايضاح للقزويني ص ٦ وتامه :

"فأنت بحرأى من سعاد وسمع" وابن مالك ، اسمه القاسم

عبد الصمد .

(٢) نفسه ج ١ : ١١٦ .

(٣) في التلخيص : ١١٤ .

(٤) ديوانه : ١٨١/١ .

"الكرaker" فشلتَ منهما ، وجعلتهما مكروهتين كما ترى ، وإلا فقد وردتا في شعر قطري بن الفجاءة ، فكانتا خفيفتين ، كقوله :

ولقد أُراني للرماح دريئةً من عن يميني مرةً وأمامي (١)

والأصل في ذلك راجع إلى السبك ، فإذا سُبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري مجراهما مع ألفاظ تُسهّل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري ، وإذا سُبكتا مع ألفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام (٢) .

والجواب عن ذلك أن كلا منهما يتحدث عن الفصاحة ، فشراح التلخيص يتحدثون عن تكرار الضمائر ، والضمائر التي وردت في بيت "المتنبي" متصلة بالحروف ، فهم إذن يتحدثون عن الحروف المتصلة بالضمائر ، بينما تحدث "ابن الأثير" عن تتابع الحروف نفسها ، وأنها تسبب ثقلاً ولو لم يتصل بها شيء ، وحتى يصل في كلامه اللاحق إلى أنها لو تتابعت متصلة بضمائر فإن ذلك سيكون أثقل ، ثم يورد مثالا آخر لتتابع الأحرف فيقول :

(ومن هذا القسم — يعني المعاطلة اللفظية — وسأعرض لها — قول أبي تمام أيضا :

كأنه لا اجتماع الروح فيه لـه في كل جارحة من جسمه روح فـقوله " في " بعد قوله " فيه له " مما لا يحسن وروده (٣) .

(١) زهر الآداب للحصري ١٠٩٩ وروايته فيه :

فلقد أُراني للرماح دريئة من عن يميني تارة وأمامي

وفي الحماسة البصرية ١٣٢/١ : دريئة بدل دريئة .

(٢) المثل السائر لابن الأثير : ق ١ / ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٣) المثل السائر ق ١ / ٣٩٩ والبيت في ديوان أبي تمام ٣٤٢/١ .

ثم يصل بعد ذلك الى تكرار الضمائر لملتقى مع الشراح في رأيهم:

(وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي :

وتسمدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

فقوله " لها منها عليها " من الثقل الثقيل الثقيل . وكذلك قوله :

تبيت وفودهم تسرى إليهم وجدواه القى سألوا اغتفاد
فخلفهم يرد البيض عنهم وهامهم له معهم مزار (١)

وقوله : " وهامهم له معهم " مما يثقل النطق به ، ويتمثر اللسان فيه ،

لكنه أقرب حالا من الأول (٢) . لكنه يعود ليقول : (ومن الحسن

في هذا الموضع قول أبي تمام :

دار أجل الهوى من أن ألم بها .. في الركب إلا وعيني من مناجها (٣)

فقوله : " من أن " في هذا البيت من الخفيف الحسن الذي لا بأس به (٤) .

والحقيقة أن المقدمتين مختلفتان والنتيجة واحدة : فمقدمة

الشراح تقول :

إن تكرار الضمائر قد يكون قبيحا ولا ننسى أن تكرار الضمائر المتصلة

يوجب تكرار الحروف واختلافها ، بينما تقول مقدمة ابن الأثير : " إن تتابع

الحروف قد يكون ثقيل ولا ننسى أن تتابع الحروف عنده يجوز تكرار الضمائر

أو تعددها . والنتيجة واحدة وهي : إن من الحروف سواها اتصل

بعضها ببعض أولم يتصل قد يكون سببا في الثقل وإخراج الكلام من

الفصاحة .

(١) ديوانه : ١٠٩/٢ ، يريد : خلفهم : أي استبقاهم يرد سيفهم

عنهم ، وجعل رءوسهم معهم غارية من شاة أخذها .

(٢) المثل السائر ق ١/٤٠٠ .

(٣) ديوان أبي تمام ١/٣٤٥ .

(٤) المثل السائر : ق ١/٤٠٠ .

الجواب للثاني : ان تتابع الحروف أو الضمائر ليس قهبا على الإطلاق ، كما أننا لم نسمع من البلاغيين من ينصح بتتابعها أو بتكرارها ، فإذا كان المعنى معها واضحا ولم يسبب تتابعها ثقلا على اللسان كان ذلك فصيحاً والّا فلا .

أما " ابن سنان ٤٦٦ هـ " فانه يقول : (والحروف التي ترتبط ببعض الكلام ببعض وتدل على معنى في غيرها . كما يقول النحويون - يقبح تكررها في الكلام وان اختلفت ألفاظها ، وذلك لأنها جنس واحد ومشاركة في المعنى ، وان تميزت فائدة بعضها من بعض ، وما يسهل الأمر فيها قليلا وقوع الفصل بينهما بكلمة من غيرها ، فأما أن ترد على نحو ما قال أبو الطيب :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة
سبح لها منها عليها شواهد (١)
فذلك العيب الذي لا يتوجه عذرفيه (٢) . فهو إذن يوافق على كلام " المسكوي " الذي قال بأنه قبيح - ويجب أن تدأويه حتى تزيله بأن تفصل ما بين الحرفين - .

(ونقل عن قدامة أنه أنكر قبح تكرار اللفاظ بمعنى الضمائر مثل :
سبح لها منها عليها شواهد (٣) .

وجاء أيضا في " سر الفصاحة " ما نصه :

(وقد أنكر أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ما ذكرناه من قبح تكرار حروف اللفاظ ، وقال في كتابه - في الخراج وصناعة الكتابة :
" فأما - له منه ، أو منه عليه ، أو به له ، أو ما جرى هذا المجرى - ففيه قبح ، وسبيل ذلك إذا وقع أن يحتال في فصل ما بين الحرفين -

(١) سبق الكلام عنه .

(٢) سر الفصاحة : ٩٥ .

(٣) في التلخيص ص ١١٢ من حاشية السبكي .

بكلمة ، مثل أن يأتي ما يحتاج الى أن يقال فيه : أقمت شهيداً به عليه ، فيقال - أقمت عليه شهيداً به - ثم قال بحد أوراق يسيرة : وبلغني أن المأمون أمر عمرو بن مسعدة يوماً أن يكتب لرجل له به عناية ، وأنسى أبو الفرج ما قدّمه ، وسها عما أنكره ، وقد كان يمكنه أن يحرر ما قاله أولاً ، فيقول - لرجل له عناية به - (١) .

هذا كلام " قدامة " الذي نقله " ابن سنان " من كتابه ، وقدّم بين يديه قوله : وقد أنكر أبو الفرج قدامة بن جعفر ، ثم نقلها عنه " السبكي " مع أنه لا يوجد في كلام قدامة ما يشير الى انكار القح ، بل العكس هو الصحيح فقد اعترف بوجود القح وداواه كما داواه " المسكري " .

ومن وصف تتابع حروف الصلات بالقح - أبو طاهر محمد ابن حيدر البغدادي ت ٥١٧ هـ - حيث قال :

(ومن عيوبها - يعني الألفاظ - التكرير : وهو أن تعاد الكلمات أنفسها ، أو حروف الصلات والرباطات وما جرى مجراها في المدة القريبة ، فأما إعادة حروف الصلات والرباطات فمثل : له وعليه ، أو : منه وعليه ، أو : به ، له . فإن فصل بين الحرفين بكلمة ، زال قصده ، مثل أن يقال : أقمت عليه شهيداً به) (٢) .

أما السوء ال ثالث ، فيجيب عنه " سعد الدين التفتازاني ٧٩١ هـ :

(قيل : التكرار : ذكر الشيء مرة بعد أخرى ولا يخفى أنه لا يحصل كثرته بذكره ثالثاً ، وفيه نظر لأن المراد بالكثرة ههنا ما يقابل الوحدة ولا يخفى حصولها بذكره ثالثاً) (٣) .

(١) سر الفصاحة : ٩٥ .
(٢) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر : أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي .

(٣) ش التلخيص / ١١٤ .

وينكر "المسوقى" ذلك قائلا : (إن التكرار ذكر الشئ " مرتين فهو عبارة من مجموع الذكرين ولا يتحقق تعدده الا بالتربيع ولا يتكرر التكرار الا بالتدوير) وحينئذ فلا يصح التمثيل بهذا البيت لكثرة التكرار ، إذ لم يحصل فيه تعدد للتكرار فضلا عن الكثرة ، إذ الضمائر فيه ثلاثة فقط . (١)

ثم يعود لإثبات الكثرة : (قوله وفيه نظر) حاصله أنا لا نسلم أن التكرار اسم لمجموع الذكرين ، بل هو الذكر الثاني المسبوق بآخره والمراد بالكثرة ما زاد على الواحد ، وحينئذ فالكثرة تحصل بالذكر ثلاثا كما فى البيت ، أو يقال إن الإضافة فى كثرة التكرار من قبيل إضافة المسبب الى السبب كإى كثرة الذكر الحاصلة من التكرار ، ولا شك فى حصول كثرة الذكر بتثليته كذا فى الفسوى (٢) .

ثم يشرح قوله (ما يقابل الوحدة) بقوله : (أى والمراد بالتكرار الذكر الثاني المسبوق بآخره) فالتكرار اسم للذكر الأخير والكثرة تحصل بما زاد عليه ، وحينئذ فيحصل التكرار وكثرته بتثليث الذكر ، فقوله : ما يقابل الوحدة أى التي أوجبت التكرار وهو الذكر الثاني ، ولا شك أن الثالث مقابل للثاني ، قال الأثر إلى أن الكثرة هي تعدد التكرار المقابل لوحدة التكرار لأن الكثرة هي المقابلة للتعدد فصح التمثيل بالبيت (٢) .

ولكن السبكي ينكر هذا الكلام بقوله : (إن التكرار أقل ما يصدق عليه الاسم منه ذكر الشئ " مرتين ، ففكرة التكرار لا تصدق بذكره ثالثا ، فلا كثرة تكرار فى نحو " لها منها عليها " ، وقد يمنع ذلك فان الزائد عن الأقل وهو ثلاثة يصدق عليه اسم الكثرة (٣) .

(١) عن التلخيص ١١٤ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق ص ١١٧ .

والذى أفهمه من كلا مهم جميعا أن الكثرة لا تمنى شيئا فنى
مقياس الفصاحة ، فقد يأتى تكرار كبير تظهر فيه صفة الفصاحة وتتجلى
كقوله تعالى * والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها *
والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفسي
وما سواها ... * (١)

وقد يأتى تكرار قليل تظهر منه صفة الفصاحة مثل بيت "العتيق".
على أن بعض أسباب قبح بيت "العتيق" تظهر فيما يلي :

١ — ان ضمير الفصيحة العونية قد تكررت ثلاث مرات ، وليس المصيب
فى تكرره ، وانما المصيب فى صعوبة ارجاع الضمائر لاصحابها بسرعة
عقلية .

٢ — كون الضمائر عائدة الى متعدد أسهل من عودتها الى واحد .
٣ — لو كانت الضمائر مختلفة لما وصف بالقبح . فلو قال العتيق مثلا :
لها منكم عليها شواهد أو لهم منى عليكم ، لكان ذلك أسرع فى
الفهم . وفى النطق .

٤ — ليست الخفة أو القلة فى الحروف من أسباب الفصاحة ، قال الإمام
عبد القاهر (٢) : (واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلاقتها
ما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكده
أمر الاعجاز ، وانما الذى ننكره ونفيل رأى من يذهب اليه أن يجعله
معجزا به وحده و يجعله الأصل والمعدة) ، فكما أن الكلمات
الطويلة صعبة على اللسان ، فكذلك الكلمات القصيرة التلاحقة ،
ومما خفف بيت العتيق قوله — عليها — لأنه لو أتى بحرف ثالث

(١) الآيات من ١ — ١٥ من سورة الشمس .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٤٠١ .

مكون من حرف واحد كسابقه لصعب ذلك أكثر، فلو قال مثلاً :
لها ضها بها لكان أشد صعوبة .

٥ — لعل السرفي صمويته تتابع سبعة حروف حلقية، فقد تكررت
الهاء ثلاث مرات ، وتكررت الألف المدودة المفتوحة ثلاث مرات ،
وجاءت الميم المفتوحة بعد الهاء المفتوحة المدودة ، وهذا
من سوء النظم عند المتنبي " ما جعل بيته ثقيلًا ، وما يدل على ذلك
سهولة " أعهد " وصعوبة " أهعد " ، على أنه قد وردت حروف
الهمازات في القرآن الكريم أكثر من مرة وفي أكثر من آية ،
وكان أكثرها في سورة الاسراء . فمن ذلك قوله قولـــــــــــــــــه
تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (١) .

وقوله عز وجل ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٢)
وقوله عز من قائل ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٣) .

ثم لننظر حينما أوصل الحروف بضمير الجمع المخاطب ماذا فعل :
﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا ﴾ (٤) ، فقد كرر الضمير ثلاث مرات : — بكم — عليكم — لكم .
ولكنه خالف بين الأعراف ، وباعد بين الكلمات التي وردت فيها ، ثم
لنتأمل ما حصل في الآية التي بعدها :

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ فِيهِ تَارَةٌ أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ
الرَّيْحِ فَيُفْرِقَكُم بِمَا كُفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ تَبِيلًا ﴾ (٥) ، فقد

-
- (١) الآية ٣٦ من سورة الاسراء .
(٢) الآية ٦٥ من سورة الاسراء .
(٣) الآية ٢٢ من سورة الكهف .
(٤) الآية ٦٨ من سورة الاسراء .
(٥) الآية ٦٩ من سورة الاسراء .

كسر الضمير نفسه أربع مرات ولكنه كان موصولا بفعل مرتين وبطرفين مختلفين : يهيدكم — عليكم — يفرقكم — لكم .

وبعد هذا التمهيد ، وهذه التوطئة جاء قوله تعالى :
 * ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها * ^(١) . فيمد أن كرر الألف وحرف وكرر
 الضمير/ في هذه الآية بنفس الألف السابقة ولكنه خالف في الضمائر
 فجاء بقوله : — لكم — وقد سبق أن استعمله وجاء بضمير جديد استعمله
 موصولا بحرف الجر الأول مرة ليفاجئنا به وجعله متوسطا بين الضمير
 الذي تمودنا سماعه وبين ضمير آخر لم يأت في السورة إلا ثلاث مرات
 مع اختلاف عائدته . وقد ساعد موقع هذا الضمير على سرعة فهم
 الآية وعلى سرعة نطقها ، إذ أنها لو كانت — في غير القرآن :
 " ولا تقف ما ليس لك علم به — ثم لا تجدوا به علينا لكم تبيها " ثم
 لا تجد به لك علينا نصيرا — لصعب التلفظ بها .

ثم انظر الى هذا التكرار البديع ، والتتابع المجيب :

- * ثم لا تجدوا لكم وكيلا (٦٨) *
- * ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها ^(٢) (٦٩) *
- * ثم لا تجد لك علينا نصيرا (٧٥) *
- * ثم لا تجد لك به علينا وكيلا (٨٦) *

وهنا تبرز عدة ملاحظات :

- ١ — أنه كرر بداية الآيات : — ثم لا تجدوا لكم أو ثم لا تجد لك .
- ٢ — أنه قدم حرف اللام في كل الآيات الأربع .

(١) الآية ٦٩ من سورة الاسراء .

(٢) أي ثم لا تجدوا لكم على مطالبنا بشاره تابها يتبعنا ويطلبنا .

(٣) أي ثم لا تجد لك برده اليك علينا وكيلا ، الاشارة الى الايجاز ص ٢١١ .

٣ - أنه وسط علينا مرة وآخرها مرة . وكذلك فعل في الحرف
" بهـ " .

٤ - أنه كرر قوله " وكلا " مرتين وكررها في السورة خمس
مرات .

٥ - أن كلمة " تبها " (١) لم تتكرر لا في السورة ولا في القرآن
كله .

٦ - أن هذه التكررات الأربع - في رأسى - قد تضمنت معظم
السورة .

ومن التلازمات البلاغية في الآيتين : * ثم لا تجدوا لكم علينا تبها *
* ثم لا تجد لك به علينا وكلا *

أولا - ان الضامات مختلفة في الآية الأولى : فجاء ضمير المخاطب
مجموعا وجاء ضمير المتكلمين مجموعا وجاء ضمير الغيبة مفردا ، واختلفت
كذلك في الآية الثانية : فجاء ضمير الخطاب مفردا وضمير الغيبة

(١) قال ابن عباس : النصير ، وقال الغراء : طالب الثأر ، وقال أبو
عبدة : المطالب ، وقال الزجاج : من يتبع بالانكار ما نزل بهكم
ونظيره قوله تعالى * فسواها ولا يخاف عقباها * وفي الحديث :
إذا أتبع أحدكم على ملئ فليتبع . قال الشماخ : - كما لان الغريم
من التبع - ويقال : فلان على فلان تباع أى يسيطر بحقه مطالب به
وأنشد ابن عطية :

" غدوا وغدت غزلائهم فكأنها * ضوا من غرم لذهن تباع "

أى مطالب بحقه (من كتاب البحر المحيط لأبي حيان

ص ٦٠ .

وجاء في (الفتوحات الالهية - بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق
الخفية) : سليمان بن عمر العجلي الشافعي المشهور بالجمال الحنفي
ج ٢ ٢٢٦ (: " قوله :

١٢٠٤ هـ -

===

مفردا وضمير المتكلمين مجموعا .

ثانيا : غالبا ما يكون تتابع حروف الصلات ثقيلًا والمعنى معها غامضا ،
والآيتان على عكس ذلك فالمعنى فيها واضح تمام السوضح ، والتلفظ
بهما سهل جدا وليس فيهما أى ثقل .

ثالثا : في الآيتين فوائد بلاغية ونحوية مفادها : اذا تابعت أحرف الصلات
فيجب ملاحظة الآتى :

- ١ - عدم تكرار الضمائر بعينها .
 - ٢ - عدم تكرار حروف الجر بعينها .
 - ٣ - المراوحة والمخالفة بين الجمع والأفراد ، والخطاب والغيبة .
 - ٤ - مراعاة الوضع في متعلقات أحرف الجر وفي عودة الضمائر .
- وخلاصة الأمر : أنه يجوز تتابع أحرف الصلات إذا لم يحدث ذلك تعقيدا
في الفهم أو فى اللفظ وإلا فيجب الفصل بينهما .

== "به تبيها" يجوز في به أن يتعلق بتجدوا وأن يتعلق
بتبيها وأن يتعلق بحذوف لأنه حال من تبيها والتبيين
المطالب بحقه الملازم للطلب أـ هـ . سمين .

والمعنى : أنا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا لكم أهدا
يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم وإدراكا للثأر من جهتنا أـ هـ خازن .
وأشار الشارح الى أن تبيها ضمن معنى ناصر ومعنى مطالب ،
فبالاعتبار الأول يتعلق به علينا وبالاختبار الثانى يتعلق به لفظ
به ، وتكون على معنى اللام فكل من به وعلينا متعلق بتبيها
أـ هـ شيخنا .

وقال المكبرى مثل ذلك فى "املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب ."
ص ٩٤ : يجوز أن تتعلق الباء بتبيع وتجدوا وأن تكون حالا من
تبيع .

ثانياً — تكرار الإضافات :

ويقصد منه تعدد الإضافات أو تتابعها ، قال ابن الأثير ت ٦٣٧ هـ :
 () وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة ، كقولهم : " سرج فرس غلام زيد " وإن زيد على ذلك قيل : ليد سرج فرس غلام زيد " وهذا أشد قبحاً وأثقل على اللسان ، وعليه ورد قول " ابن بابك " (١)
 الشاعر في مفتتح قصيدة له :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى (٢)

فأنت برأى من سعاد ومسبح (٣)

وتابعه على ذلك " العلوى ٧٤٩ هـ " ووصف تتابع الإضافات بالثقل ، وينفور النفس عن تأليفه ، ثم قال بعد أن استشهد بالبيت السابق : () فلما أضاف حمامة إلى جرعى ، وأضاف جرعى إلى حومة ، وأضاف حومة إلى الجندل ، أكسبه ذلك ركة ونزولا ، فهذا ما أردنا ذكره في المعاطلة ، وهي وإن كانت مكروهة في بليغ الكلام وفصيحه ، لكن غيرها ربما كان أدخل في الكراهة ، وأبعد عن أساليب الفصاحة (٤) . والحق أن في الأمر شيئا من التفصيل ، فما كل الإضافات المتتابعة قبيحة أو غير فصيحة ،

(١) هو أبو القاسم عبد الصمد بن بابك ، ذكره الثعالبي في اليتيمة

٠٣٧٤/٣

(٢) قال الدسوقي في شرح التلخيص ١١٤/١ ، قوله : (حمامة جرعى)

حمامة نادى منصوب لإضافته لما بعده والمعنى : يا حمامة الأرض المستوية ذات الرمل التي لا تنبت شيئا التي هي معظم الأرض التي فيها الحجارة اسجعى .

(٣) المثل السائر ت . د . بدوى طبانة وأحمد الحوفى ق ٤٠٧/١ .

(٤) الطراز العلوى ٥٨/٣

فقد ورد في القرآن آيات فيها إضافات متتابعة وكانت مثالا يحتذى في
 الفصاحة والبلاغة ، وفيها من العلاصة والسهولة ما يفند رأى "ابن الأثير"
 وكان الأولى به أن يقيد ويفصل لا أن يطلق ويضم ، وذلك ما فعله الخطيب
 والشيخ عبد القاهر حيث قال الخطيب من ذلك : (وفيه نظر ، لأن ذلك
 إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما
 تقدم ، وإلا فلا يغفل بالفصاحة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
 " الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق
 ابن إبراهيم " (١) . قال " الشيخ عبد القاهر " (٢) قال " صاحب " :
 إياك والإضافات المتداخلة فإنها لا تحسن وذكر أنها تستعمل في الهجاء
 كقول القائل :

يا علوى بن حمزة بن عمار أنْتَ والله ثَلْجَةٌ في خِيارَةٍ

ثم قال الشيخ : ولا شك في ثقل ذلك في الأكر/إذا سلم من الاستكراه
 ملج و لطف وما حسن فيه قول ابن المعتز أيضا :

وظَلَّتْ تُدِيرُ الرَّاحَ أَيْدَى جَانِرٍ هَتَّاقٍ دَنَانِيرِ الْوُجُوهِ مِلَاحٍ (٣)

وما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي يصف غلاما له :

ويعرفُ الشَّعْرَ مِثْلَ مَعْرِقَتَيْ وَهُوَ عَلِيٌّ أَنْ يَزِيدَ مَجْتَهِدٌ (٤)

وصيوفي القريض وزان دي — نارِ المعاني الدِّقَاقِ مُنْتَقِدِ (

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣٣٨٢ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٨٢ مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٣) ديوانه ٧٤/٢ .

(٤) الإيضاح ص ٦٠٦ .

ويخلق "الدسوقي" على قول المصنف (وقيد نظر... الخ) بقوله :
(حاصله أن ذلك القائل يدعى أن كثرة التكرار وتتابع الإضافات ^سمغل
بالفصاحة مطلقا فلا بد من الخلوص منها . وحاصل الرد عليه : أنا لأنسلم
ذلك الاطلاق ، بل الحق التفصيل وهو أن حصل للفظ ثقل بسبب ما ذكر
من الأمرين كانا مغلين بالفصاحة ، لكن الاحتراز عنهما حصل بالاعتراز
عن التنافر لما تقدم أن تنافر الكلمات عبارة عن كونها ثقيلة على اللسان
عند اجتماعها وان كانت فصيحة ، وان لم يحصل للفظ ثقل بسببهما
فلا يخلان بالفصاحة وذلك لأن إخلالهما إنما هو من جهة ما يحصل
بهما من الثقل فإذا انتفى ذلك انتفى الإخلال لأنه يلزم من نفى السبب
المساوي نفى السبب وحيث كانا لا يخلان فلا يصح الاحتراز عنهما) (١)
وقد اعترض "السبكي" على "الخطيب" في استشهاده بحديث الرسول
صلى الله عليه وسلم على تتابع الإضافات وقال إنه (لا تملق له بالإضافات
فإن قصد أن يستشهد به لعدم كراهية التكرار ففيه نظر) لأن كل اسم
لمعنى غير الآخر (٢) وهو اعترض وجيه لأن حديث الرسول صلى الله
عليه وسلم ليس فيه تتابع إضافات بالصيغة التي احترازوا عنها ، لكن يمكن
أن يكون مثلا لتعدد الإضافات المستقلة المتباعدة بعضها عن بعض
والتي ليس فيها تتابع ، أو لتعدد الأسماء والصفات ؛ ولكن "ابن يعقوب
المغربي" و "الدسوقي" قد اتفقا على أن الحديث اشتمل على كثرة
التكرار وعلى تتابع الإضافات ، والملة في نظرهما كون (الإضافات تشمل
المتداخلة بأن يكون الأول مضافا للثاني والثاني مضافا للثالث كشال

(١) ش التلخيص ح الدسوقي ١١٥/١

(٢) ش التلخيص ح السبكي ١١٦/١

المصنف ، وغير المتداخلة كما في الحديث (١) ويرجح التفازاني هذا الرأي بقوله : (وما أورده المصنف في الايضاح من كلام الشيخ مشعر بأن الاضافات أعم من أن تكون مرتبة ، بأن لا يقع بين المضافين شيء غير مضاف كما في البيت ، أو غير مرتبة كما في الحديث ، وأنه أورد الحديث مثالا لكثرة التكرار وتتابع الاضافات جميعا ، وأنه أراد بتتابع الاضافات ما فوق الواحد) (٢) . ويضيف " المرشدي " قائلا : (ولا يمكن أن يحل كلام من اشترط في فصاحة الكلام خلوصه ما ذكر: أنه أراد بتتابع الاضافات الاضافات المترتبة ، وكثرة التكرار كثرته بالنسبة الى شيء واحد كما في البيتين ، والحديث سالم من ذلك لانهما أيضا ان أوجها شظا وبشاعة فذاك والا فلا جهة لاخلالهما بالفصاحة وقد وقعا في التنزيل) (٣) .

- ومما جاء في التنزيل قوله تعالى * ذكُرْ رَحْمَةً رَّبِّكَ عِندَهُ ذِكْرًا * (٤)
 وقوله عز وجل * فَقَدْ مَوَّاهِينَ يَدِي نَجَّوَاكُمْ صَدَقَةٌ * (٥) .
 وقوله عز وجل * قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي * (٦)
 وقوله تعالى * أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ * (٧)
 وقوله جل ثناؤه * مَثَلُ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ * (٨)

(١) من التلخيص ١/١١٧ .

(٢) شرح المرشدي على عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي

١/١٧٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) الآية ٢ من سورة مريم .

(٥) الآية ١٢ من سورة المجادلة .

(٦) الآية ١٠٠ من سورة الاسراء .

(٧) الآية ١٥٨ من سورة الانعام .

(٨) الآية ٣١ من سورة غافر .

- وقوله عز اسمه * كذأب آل فرعون * (١) ان جعلنا الكاف اسما .
 وقوله عز من قائل * فبأى آلاء ربكما تكذبان * (٢) .
 ومن الحديث (قاب قوس أحدكم وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها) (٣) .
 (واذا اعتبرنا الاضافات الممنوعة كان في " يوم يأتي " خمس اضافات لان تقديره : يوم إتيان بعض آيات ربك . وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه : " أنا عند ظن عبدي بي " (٤) .
 وقد يستشهد لتتابع التكرار بقوله تعالى * ربنا وآتنا ما وعدتنا * (٥)
 وقوله تعالى * وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا * (٦) .
 ويمكن الجواب بأن ذلك في جملة والآيات في جمل لكن يرد حينئذ نحو قوله تعالى * ومن أوصافها وأوبارها وأشعارها * (٧) .
 وقوله تعالى * قل إن كان آباءكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم * (٨) .

-
- (١) الايتان ٥٢ ، ٥٤ من سورة الأنفال .
 (٢) سورة الرحمن .
 (٣) الحديث رواه البخارى في كتاب الجهاد ٢٧٩٦ : (لروعة في سبيل الله ، أو غداة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعنى سوطه - خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت الى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) ورواه الترمذى أيضا في أبواب فضائل الجهاد (١٦٩٩) .
 (٤) في صحيح مسلم في كتاب التوبة (٢٦٧٥) وروايته (قال الله عز وجل :- أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني . والله لله أفصح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا ، تقربت اليه باعا ، وإذا أقبل الي يمشى ، أقبلت اليه أهراول) .
 (٥) الآية ١٩٤ من سورة آل عمران (٦) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة (٧) الآية ٨ من سورة النحل . (٨) الآية ٢٤ من سورة التوبة .

وقوله تعالى * التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون * (١) (٢).

تلك آيات القرآن ، وأحاديث من شكاته فيها اضافات متتابعة
وفيها كثرة تكرار ، ومع ذلك خلت من أى استكره ، وصفت من أى شائبة
من شوائب الثقل ، وإذا كان هناك اضافات متتابعة أو كثرة تكرار فيجب
أن يحتذى قائلها حذو هذه الآيات لأنه لن يجسد أمثلة أعلى ولا
أفصح ولا أبلغ منها ، وما عدا ذلك فإنه ينطبق عليه قول الشيخ عبد القاهر:
(ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكره) (٣) فتتابع الإضافات
معرض للثقل ، كما أن انفلاق المعنى بسببه وارد . ولكن إذا اتضح
المعنى ولم يسبب ذلك ثقلا فليس فيه أى عيب بل إنه (إذا سلم من
الاستكره لطف وطمح) (٤) ولن يأتي أحد بمثل ما أتى القرآن في
هذا الشأن وغيره .

وأما قول صاحب " إن الإضافات المتداخلة تستعمل في الهجاء " (٥)
فهو كلام مردود ، فقد وردت إضافات عديدة كالتي سبق ذكرها لا هجاء فيها ،
بل إن أكثرها قد استعمل في المدح ، وكذلك الأحاديث التي ذكرناها و
وكذلك الأبيات التي أوردتها المصنف (٦) .

ويشرح لنا السبكي " مصطلح تتابع الإضافات و يقيد به شروط
حسنة فيقول :

(١) الآية ١١٢ من سورة التوبة .

(٢) ش. التلخيص ١١٦ .

(٣) دلائل الإعجاز ٨٢ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

(٥) المرجع السابق نفسه .

(٦) روى السبكي ذلك بقوله : وأنها لا تستعمل إلا في الهجاء ، ش.

التلخيص ١١٦ .

(قوله : تتابع الإضافات لم يتبين مقصوده فيه ، وذكره لميت ابن الممتز دليل أنه يكفي في ذلك بإضافتين ، وفيه نظر لأن في القرآن والسنة ما لا يكاد يحصى من ذلك ، وإذا أردت تحرير العبارة قلت : قد يكون تتابع الإضافات بشروط :

- ١ - أن تكون ثلاثة فأكثر.
 - ٢ - وأن لا يكون واحد منها جزءاً أو كالجزء.
 - ٣ - وأن لا يكون المضاف إليه الأخير ضميراً.
 - ٤ - وأن لا يكون فيها إضافة فسي علم كقول ابن سفيان :
لقد أمر^{أمر} ابن أبي كشة ، فليس في مثل ذلك استكره ، وإذا اعتبرت هذه الشروط حصل الجواب عن الآيات السابقة (١) .
- ولنتبع الكلام في تكرار الإضافات تكرار الصفات .

(١) ش التلخيص ١١٦/١ ، ١١٧ ثم نه بقوله : إذا تأملت ما ذكره المصنف علمت أن كل هذه الأمور غير مخلة بالفصاحة في الكلام بل في الكلمات المتعددة التي لا اسناد بينها ، وبه تبين أن مراده بالكلام ما زاد عن الكلمة .

نفس المصدر السابق ص ١١٧ .

ثالثا - تكرار الصفات :

يعتمد بعض الشعراء أو الأُدباء على إيراد صفات متعددة متتابعة حسبما يطليه عليهم المقام ، و ينجح بعضهم في الإتيان بأبيات جميلة سهلة منسجمة ، بينما يجانب آخرون جادة الفصاحة فيما أوردوا من صفات متعددة ، وليس السبب في ذلك عائدا إلى التتابع نفسه ولكنه يعود في حقيقة الأمر إلى عدة اعتبارات منها : حسن النظم ، وترتيب الصفات بعضها مع بعض ، والمطف بينها أو الفصل ، والقطع أو الاجراء (١) ، كما أن طبيعة الألفاظ نفسها لها دخل كبير في ذلك .

وحتى ننقد هذه الصفات ونعين وجه حسنيتها أو قبحها نبدأ بالحسن منها بل نبدأ بأحسن الأحسن .

قال الله تعالى * عسى ربّه إن طلقك أن يُبدلّه أزواجاً خيراً منك
مسلماتٍ مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا * (٢) .

- (١) قطع النعوت في مقام المدح أو الذم أبلغ من اجرائها ، قال الفارسي : إذا تكررت صفات في معرض المدح أو الذم فلا أحسن أن يخالف في اعرابها ، لأن المقام يقضى الاطناب ، فإذا خولف في الاعراب كان المقصود أكمل ، لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً ، مثاله في المدح * والمؤمنون يومئذ يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة * - الآية ١٦٢ من سورة النساء . * ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر . . . إلى قوله . . . والمؤمنون بمهادهم إذا عاهدوا والصابرين * - الآية ١٧٧ من سورة البقرة - . وقرئ شاذاً * الحمد لله رب العالمين * برفع رب ونصبه . ومثاله في الذم * وامراته حمالة الحطب * - الآية ٤ من سورة المسد (معترك الاقران للسيوطي ٣٥٤/١) .
- (٢) الآية ٥ من سورة التحريم .

وقوله عز وجل : * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ (١) لِحُدُودِ
اللَّهِ وَيَشْعُرُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ (٢) .

وغنى عن البيان أنه لا يوجد في الآيتين تكرير الـهـة ، وإنما ذكرتهما
لكي أبين مدى سلاسة التتابع فيهما ، ولكي تستبين نسبة فصاحة بعض
الـهـيات التي وردت فيها صفات متتابعة — على قمتها — إن لم تتكرر
في غالب الأحيان .

فمن تلك الـهـيات — والتي لا تكاد تخلو من تكلف — الـهـيات أصحاب
البديعيات ، قال صفى الدين الحلبي في بديعيته x
الظاهر الشيم ابن الظاهر الشيم ابن
الظاهر الشيم ابن الظاهر الشيم

وقال عز الدين الموصلي :

تكرار مدحى هدى في الشامل النعم ابن
الشامل النعم ابن الشامل النعم

وقال الحموى :

تكرار مدحى خلا فى الزائد الكرم ابن
الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

- (١) إذا تكررت النعوت لواحد فلا أحسن ان تباعد معنى الصفات المصطف
نحو * هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن * الآية ٣ من سورة الحديد
والا تركه نحو * ولا تطع كل حلاف مهين . هـماز مشاء بنعيم . ضاع
للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زعيم * — الآية ١٣ من سورة
القلم . (مشترك القرآن للسيوطي ٣٥٣/١) .
- (٢) الآية ١١٢ من سورة التوبة .

(ومن الغريب أن " الحموى " - وهو من خصوم التكرار المستهجنين

له - يقول في بيته : " والذي يظهر أن مكرري بيتي حلاوته ظاهرة

على بيت الشيخ " عز الدين " فإن مكرره ناقص الحلاوة " (١) .

ولا أدري أين توجد المرارة ان لم توجد في هذه الأبيات

جميعها ، وأولها بيت " الحموى " وأحسب أن هو لا قد أخذوا هذا

النسق من قول " المتنبي " يمدح " أبا عبد الله الخصيبى " :

المعارض الهتن ابن المعارض الهتن ابن

(٢) المعارض الهتن ابن المعارض الهتن

والحقيقة أن التكلف ما كان فى شئ " الا شأنه ، وما نزع من شئ " الا زانه

فأبيات أصحاب الديدميات فيها شئ " من الثقل ، كما أنها كلها لا تكاد

تخلو من الضعف والركاكة .

وأما بيت المتنبي السابق فقد استنكره " الخفاجى " وقال عنه :

انه (من أقبح ما يكون من التكرار وأشنعه ، وإذا كان يقبح تكرار الحروف

المقاربة الخارج فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع) (٣) .

أما " ابن الأثير " فانه ينفى وجود التكرار في البيت ويشبهه

بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . . "

ويرد القبح الموجود في البيت الى ألفاظه . يقول " ابن الأثير " :

(وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة أن " أبا الطيب " أتى في هذا البيت

بتكرير لا حاجة به اليه ، وهو قوله :

(١) خزانة الأدب ٢٠٦ .

(٢) البلاغة الضنية : على الجندى ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والبيت في ديوانه

٢١٦/٤ .

(٣) سر الفصاحة ٩٢ .

العارض الهتن ابن العارض الهتن

(١) من العارض الهتن ابن العارض الهتن

وليس في هذا البيت من تكرير ، فإنه كقولك : " الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف بكذا وكذا " أي : أنه عريق النسب في هذا الوصف . وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم فسي وصف يوسف الصديق عليه السلام : " الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم " (٢) .

ولقد فاضى في هذا البيت المشار اليه بعض علماء الأديب ، وأخذ يطلع من جهة تكراره ، فوقفته على مواضع الصواب فيه ، وعرفته أنه كالخبر النبوي من جهة المعنى سواء بسواء ، لكن لفظه ليس بحرضي على هذا الوجه الذي قد استعمل فيه ، فإن اللفاظ إذا كانت حسنا في حال انفرادها فإن استعملها في حال التركيب يزيد لها حسنا على حسناتها ، أو يذهب الحسن عنها .

ولو تنهياً لأبي الطيب المتنبي أن يبدل لفظة " العارض " بلفظة " السحاب " أو ما يجري مجراها لكان أحسن وكذلك لفظة " الهتن " فإنها ليست بحرضية في هذا الموضع على هذا الوجه . ولفظة " العارض " وإن كانت قد وردت في القرآن ، وهي لفظة حسنة ، فالفرق بين ورودها في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشمرى

(١) ديوانه ٢١٦/٤ من قصيدة له في مدح أبي عبيد الله محمد ابن

عبد الله القاضي الأنطاكي ، ومطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن * يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

العارض : السحاب ، والهتن : الكثير الصب . هتن العطر والدمع

يهتن هتونا وهتسنا وتهنسانا إذا قطر متابعها .

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣٣٨٢ " الكريم ابن الكريم ابن الكريم

ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام "

فتح الباري ١٦٤/١٣ : ٣ ص : ٢١-٢٣ وقد وردت لفظة العارض في القرآن (٣)

والحقيقة التي أميل اليها هي : أن بين حديث الرسول صلى الله عليه

وسلم وبين بيت المتنبي فروقا كثيرة :

أولا : التكرار المحض موجود فعلا في بيت المتنبي ، ولا تكرير في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تكريرا لفظيا شكليا .

ثانيا : أن الذي نفى التكرار عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

أنه جاء بأربعة موصوفين بعد كل صفة من الصفات الأربع ، والبيت

لم يفعل ذلك فكان الأولى أن يأتي بيت قبله أو بيت بعده يذكر فيه أسماء أربعة من أجداد الممدوح .

ثالثا : جاء المتنبي بلفظتين فكررهما أربع مرات بينما جاءت لفظة واحدة

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت في قالب بديع من المقابلة

وحسن التقسيم .

رابعا : حديث الرسول صلى الله عليه وسلم واضح تمام الوضوح ولا شبهة

فيه من أي ناحية بل إنه صلى الله عليه وسلم لو قال : الكريم ابن الكريم

ابن الكريم ابن الكريم يوسف وسكت لقنا أنه يقصد بالكريم

الثاني يعقوب والثالث إسحق والرابع إبراهيم ولو كان أبوه مؤمنا

لزاد أوزنا صفة خامسة ، بخلاف البيت / المتنبي فإنه غير واضح المعنى

ولا المدلول إذا ذكر وحده فلا بد أن نقول عند شرحه :

هذا البيت للمتنبي يمدح فيه فلانا ومعنى العارض كذا ومعنى

البهتن كذا وأنه يريد بالتكرير كذا كما أن التكرير في هذه الحالة

يمكن أن يرد إلى التمثيل والتغظيم ليس إلا وكفى بذلك غموضا وتعمية .

في سورة الأحقاف * فلما رآوه عارضا مستقلا أوديتهم قالوا :

هذا عارض مطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم *

الآية ٢٤ . ولم ترك في القرآن في غير هذه الآية .

خامساً : ان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو الاصل الذي قلده المتنبي
والفرع لا يحلو على الاصل (١) .

(وعاب قوم على هذا البيت ، وقالوا : من المعنى تكرار اللفظ ، فسمحت

شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : ان كان

هذا عيباً ، فحديث التنبي صلى الله عليه وسلم أصله ، فقد قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم " يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم " ، وإنما

تكرر الألفاظ لشرف الآباء (٢) . وهذا الكلام محجوج بما تقدم ولا

يخفى ما في بيت المتنبي من عيب ولا ما في حديث الرسول صلى الله

عليه وسلم من فصاحة ، وما كل من قلده نصاً شريفاً يجب أن يوصف بالفصاحة

لمجرد أن أصل كلامه نص شريف بليغ ، ولا لما استطعنا أن نصف كلام

" مسيلة " مثلاً بالمعنى وبالسجع ، فقد يقول قائل عن قوله :

(الفيل وما أدراك الظيل ...) ان كان هذا عيباً فسورة الفيل أصله

ولا يخفى أن هذه الحجة أوهى من بيت المنكوت ، ثم ان أبا الفتح قد

أخطأ في رواية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجاء بها موافقة

لبيت المتنبي ، والصواب هو الرواية السابقة للحديث .

ولكني مهما قلت عن بيت المتنبي فلن أسلب ما فيه من بلاغة وحسن

أداء ، ولكن قول " ابن الأثير " انه كالخبر النبوي سواء بسواء ، هو الذي

دعاني الى ما قلت ، على أن البيت مهما قيل عنه لن يصل الى درجة

القبح والشذاعة التي وصفه بها " ابن سنان " للأسباب التي ذكرت

(١) جاء في شرح المعكبري ٢١٧/٤ : قال ابن القطاع : غلط المتنبي في

هذا البيت وكرر غلطه أربع مرات ، وقد أجمع العلماء أن اسم الفاعل ،

من هتن هاتن ، ولا جاء عن أحد من العلماء البهتن ، ولم يذكره

أحد من جميع الرواة حتى نهبت عليه .

(٢) التبيان في شرح الديوان لأبي البقاء المعكبري ٢١٧/٤ .

ولأن "ابن سنان" اعتمد على مقدمة خاطئة أطلقها في قوله :
 (إذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج ، فتكرار الكلمة بعينها
 أقبح وأشنع) (١) والصواب أن تكرار الحروف المتقاربة لا يقبح ، كما أن
 تكرار الكلمة غير قبيح إلا في الحدود التي وضعها البلاغيون .
 ويرد "الملوى" ما قاله "ابن الأثير" من أن لفظي "المعارض"
 و "الهيئن" ليستا واردتين على جهة البلاغة فيهما لقلة الاستعمال
 لهما (فمن أجل هذا كان ما قاله "يعني المتنبي" ليس بالفا
 في البلاغة مطلقاً عظيماً ، لا من جهة التكرير فإنه محمود لا محالة) (٢)
 أما الاستاذ الجندی فيقول :

(ونحن نخالفهما فيما ذهبنا إليه من استكرار لفظي "المعارض"
 و "الهيئن" فليستا ثقيلتين ولا غريبتيين ، ولا نحمد من هذا البيت
 ما حمده ، بل نمدّه رديئاً سفسافاً مردواً أشبه ما يكون بمبث
 الأطفال ، سواء أكان من نوع التكرير أم لا . والمدح بالمراقبة في صفة
 من الصفات ، لا يستوجب هذا الإلحاح الثقيل على لفظ معين .
 وللمتنبي أبيات مرقّصة في ذلك ، منها قوله في مدح الحسين بن علي
 الهمداني :

وجدتُ عليّاً وابنه خيرَ قوميهِ	وهم خيرُ قومٍ واستوى الحرّ والمبدُ (٢)
وأصبحَ شمريّ منهما في مكانهِ	وفي عنق الحسناءِ يستحسنُ الحقدُ

(١) سر الفصاحة ٩٢ .

(٢) الطراز للملوى ١٨٢/٢ .

(٣) ديوان المتنبي ١٠/٢ من قصيدة مظلماً :

لقد حازني وجد بمن حازه بمد * فياليتني بمد وباليته وجد



فقد قصر السيادة على المدوح ولبنه وأسرته ، ورفضهم فوق الناس جميعا .
في ايجاز بالغ ، لم يحتاج فيه الى ملء الشدق بهذه الاعادة الثقيلة المملة .
والفرق بين التكرار في بيت المتنبي السابق وبين الحديث الشريف
، كالفرق بين الخزف والدر ، فان الذي حسن تكرير " الكريم " في قول
الرسول الكريم : أن يوسف وآباءه جميعا أنبيا مصروفون ، وقد جاءوا
مبتليين في نسق واحد لا يقطعه فاصل . فكل كريم يشير الى واحد من
هو : لا أنبيا - عليهم السلام - بل يكاد لقوة التصاق النبوة بهم ،
وانطباقها عليهم ، يجرى مجرى العلم . ولهذا ترى الرسول - صلوات
الله عليه - وقف عند ابراهيم - عليه السلام - ولو كان والد ابراهيم نبيا
لحسن أن يقول : ابن الكريم أيضا .
وقد كان يحسن تكرير المتنبي لو أنه جاء على نظام التكرير في قول

الشاعر :

قيس العلا . قيس الندى . قيس الكرم .

ويغفل الي أن هذا النوع الذي تقع فيه " ابن " لا يقح في الشعر ،
بل لعله يحسن اذا كرر مرتين فقط كما يتجلى لنا من مطالعة الأشعار
الكثيرة (١) .

ثم يصل الأستاذ ان " الجندی " الى نتيجة مفادها : ان هذا
التكرار - ويمنى به النوع الذي تقع فيه " ابن " - يجعل في الهجاء
ويخفف على السمع ، لأنه يثير الضحك من المبهج ، وليس صورة الفكاهة
والحقيقة أن هذا القول الأخير يحتاج الى دراسة واستقصاء فاني أعلن

أن أكثر وروده جاء في مجال المدح والتعظيم ، ولا ننكر أنه جاء في مجال الهجاء ولكن ليس بالقدر الذي يجعلنا نخصه به (١) .

وما جاء في الصفات المتعددة لأبي الطيب أيضا قوله :

دان بميدٍ محبٍ مفيضٍ بهجٍ أغرَّ حلوٍ مزلينٍ شرسٍ (٢)
ندٍ أبي غرٍّ وافيٍّ أخى ثقبه جعدٍ سرى نهٍ ندبٍ وضٍ ندسٍ (٣)
ومن هذا القيل قول أبي تمام يصف رجلا :
مأربيه لَدَنه مَشَقِفِيه قرأصيه في الألف مطرده (٤)

(١) ومنه قول أيمن بن خزيم في بشر مروان :

يا ابن الذوائب والذرى والأرواس والفرع من مضر العفرنى الأنفس
يا ابن الحكارم من قريش ذا الحلي وابن الخلائف وابن كل قلص
من فرع آدم كاهرا عن كاهس حتى انتهيت إلى أبيك العنيس

الموشح للمرزباني ص ٢٠١ ، نقد الشعر لقدامة بن جعفر ١٨٥ .

(٢) قصيدة له في مدح صيد الله بن خراسان " الطرابلسي " والبيت في

ديوانه ج ١٨٩/٢ ومطلع القصيدة :

أظبية الوحش لولا ظبية الأنس لما غدوت بجعد في الهوى تمس
البهج : الفرع ، والشرس : الصعب (هنا) وفي غير هذا السىء
الخلق .

(٣) ديوانه ١٩٠/٢ : ند : جسيواد ، والأبى الذى يابى الدنيا ،

غر : أى مغرى بفعل الجميل ، وجعد : ماضٍ في الأمر ، والسرى

من السرو وسرايسرسروا إذا صار شريفاً ، ونه : أى ذونهيية

وهي المقل ، وندب : أى سريع في الأمر إذا ندب إليه ، والندس :

المعارف بالأشور البحات عنها .

(٤) هذا البيت والذي بعده من قصيدة لأبي تمام في مدح خالد بن يزيد

الشيباني من قصيدة مطلعها : — والبيت في ديوانه ٤٣٥/١ .

ما لكيب الحسى إلى عقده ؟ ما بال جرعاك إلى جرده ؟

وقوله في سحابة :

مُسْقِفُهُ ثَرَهُ ^{سَحَابِهِ} وَابِلُهُ مُسْتَهْلُهُ بِرَدِهِ (١)

ويعلق " الملوى " على هذه الصفات المتعددة بعد أن وصفها بالمعاطلة بقوله :

(فلما حصلت هذه الأوصاف على هذه الصفة ثقلت على الألسنة ومجتها الآذان ، وصارت بمنزلة سلسلة بلا شك ، وقطع فضة أو ذهب مهددة من غير سبك ، وليس يخفى على من له أدنى ذوق مخالفة هذا لقوله تعالى * السَّلاَمُ الْمَوْءِنِ الْمُبِينِ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ * (٢) ، مع كونها أوصافا متعددة ، من غير واء ، لكن بينها بعد لا يدرك أمده ، ولا ينال حصره ولا عدده في حسن التأليف وجودة السبك ولذة المسجوع وسهولة الأسلوب) (٣) .

ومن الصفات المتعددة التي وردت على نحو واحد واستقبحها أيضا
النقاد / قول أبي تمام في وصف جمل :

سَأَخْرِقُ الْخَرَقَ بِأَبْنِ خَرَقًا كَالْهَيْبِ

قِي إِذَا مَا اسْتَحَمَّ مِنْ نَجَسٍ دِه (٤)

== والمارن : اللبين واللدن : اللين من كل شئ ، والمنقف الذي يعدل وقوم ، والمراس الذي يهتز .

(١) المسف من السحاب : الداني القريب من الأرض ، وثره : أراد كثر المطر ، ومسحسحه : أصله قولهم : " سح المطر إذا انهطل " ، والمستهل الذي له صوت ، والبرد بفتح الميم وكسر الراء الذي فيه برد . ديوانه ٤٣٩/١ .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الحشر (٣) الطراز ٥٦/٣ ٥٥٧ .

(٤) الأبيات من نفس القصيدة : أخرق : أقطع ، والخرق : ما اتسع من الأرض وابن خرقا : أراد جملا ، والخرقا : الناقة ، والهييق : ذكر النعام ، والنجد : المرق . ديوانه ٤٢٩/١ .

مُقابِل في الجدِيلِ صُلبِ القِرا (١) لُوحِك من عَجَبِهِ إلى كَتَدِهِ
تَأَمِّكِهِ نَهْدِهِ مُدَاخِلِيهِ مَعْمُومِهِ مَحْزَلِيهِ أَجْجِدِهِ (٢)

وقد قال "ابن الأثير" عن البيت الثالث أنه (من المعاطلة التي قلّح
الأُسنان دون إيرادها) (٣) .

كما وصف بيتي أبي تمام السابقين واللذين استشهد بهما "الملوى"
وصفهما بالقبح والثقل والسفخ وقال عن هذه الأبيات :
(ولو لم يكن لأبي تمام من القبح الشنيع إلا هذه الأبيات لحطت
من قدره) (٣)

بقي أن أشير هنا إلى أن ما أوردناه من أبيات لا يمثل إلا الوجه
القبح من تتابع الصفات ، ففي الشعر والنثر أمثلة كثيرة لا حصر لها للصفات
المتتابعة فيها جاءت في قالب منضود ، وقول منضود ، ولم يعجبها أحد ،
بل استحسناها جميع النقاد ومن ذلك قول امرئ القيس :

مِكْرٌ مِفْرٌ مَقِلٌ مَدِيرٌ مَمْسَا كُجْلَمُودٌ صَخِرٌ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عِلْ (٤)

(على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ، ووالى بين
أبيات كثيرة منه ، منهم أبو صخر الهذلي فإنه أتى من ذلك بما يكاد

في
(١) مقابل/الجديل : هذا من وصف ابن الخرقاء أي الجمل الذي ذكره
في البيت السابق ، والجديل : فحل من فحولة الأهل الكرام ،
والقوى : الظاهر ، ولوحك : أي لزخلفه بعضه إلى بعض ،
والمجبب : أصل الذنب ، والكند : مجتمع الكفين . ديوانه
٠٤٣٠/١

(٢) التامك : السنام الطويل ، والنهد : الضخم المرتفع ، والمعوم :
المجتمع بعضه إلى بعض والمداخل في معناه ، والمحزّل : المنقصب ،
والأجد : الموثق الخلق . ديوانه ٠٤٣٠/١

(٣) المثل السائر ٠٤٠٨/١

(٤) ديوانه ٠٨٣

لجودته أن يقال فيه انه غير متكلف (١) وهو قوله :

- ١- وتلك هيكله خود مبتلة
- ٢- عذب مقلها جذل مغلخها
- ٣- سود ذوائها بعثر ترائها
- ٤- عبل مقيدها حال مقلدها
- ٥- سح خلائها درم مرافقها
- ٦- صفر رعلة في منصب سنم
- ٧- كالدعص أسفلها مخضودة القدم
- ٨- محض ضرائها صيغت على الكرم
- ٩- بض مجردها لفا في سم
- ١٠- يروي ممانقها من بارد الشيم

ومثله قول المجاج :

- أيام أبدت واضحا مقلجا
- أغر براقا وطرفا أبرجا

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٨٤ .

(٢) "شرح أشعار الهذليين" للسكري ٩٦٨/٢ - ٩٦٩ وفيه ،

جذل مغلخها بدل : جذل ومخضودة القدم بدل : مخضودة ،

والهيكله من النساء : العظيمة ، والخود : الشابة ، والمبتلة :

الحسنة الخلق ، وامرأة رعل : في خلجان الشهاب ذات خلجان :

منصب : حسب ، سنم : عال .

(٣) المغلخل : موضع الخلخال ، الدعص : الرمل ، مخضودة القدم :

مزينته .

(٤) الذوائب : الشعر في أعلى الجبهة ، الترائب : الصدور أو ما تحت

المدق ، محض ضرائها : خالصة الأخلق .

(٥) عبل : ضخم ، المقيد : موضع الخلخال من المرأة ، البض : الجسد

الرقيق الجلد المتلى ، مجردها : عند تجردها .

(٦) درم مرافقها : مستوية مرافقها ، بارد الشيم : البارد يقال ما

شيم أي بارد . والأيام في نقد الشعر ٨٤ ، وفي الصناعتين - ٣٩٣

منها أربعة أبيات .

(٧) هو : عبدالله بن ربيعة بن لبيد بن صخر ينتسب إلى قبيلة تميم

ديوانه ص ٣٦٠ . قال الأصمعي ، واضح : أي شغرا بضم واضح

ومثل ذلك أيضا :

حُرِّ الإِهَابِ وَسِيَمُهُ بِرَّ الإِيَّابِ بِ كَرِيَمِهِ مَحَضُ النَّصَابِ صَحِيَمِهِ (١)

وللخنساء منه شعر كثير . وقد اعتبر النقاد ذلك من دواهي قوة الشاعر وتمكنه ، وأفردوا لها أبوابا جمعوها فيها وسوها بالتصریح والتسميـط والتجزئة ، والخلاصة أن تتابع الصفات أن أغسل باللفظ أو بالمعنى كان مذموما وإلا فلا وجه لإنكاره .

*

تكرار الأسماء :

ذكر البلاغيون أن فصاحة الكلام هي خلوصه من كثرة التكرار وتتابع الإضافات وحروف الرباطات ، وذكر غير المصنف أمورا تعتبر في فصاحة الكلام منها تتابع الصفات المترادفة ، ولكنهم لم يتعرضوا لتتابع الأسماء وتكرارها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البلاغيين لم يعدوا هذا الباب من الميوب المغلة بالفصاحة بل إنهم يعتبرونه فوق ذلك من المحسنات المعنوية ، وأفردوا له بابا سموه الاطراد (وهو أن يأتي أي الشاعر بأسماء المسدوح

==== والمفـلج : الثغر الذي ليس بعض أسنانه قريبا من بعض ،

والأغر : الأبيض ، والبرج في العين : كثرة بياضها وسعتها وإنما

يكون ذلك إذا كانت العين واسعة . يقال عين برجاء . قال ذو

الرمة :

كحلاء في برج ، صفراء في نـمـج * كأنها فـضة قد سـها ذهب أ.هـ

وهذا البيت الأخير في ديوان ذي الرمة ص ٩٠ .

(١) هو لديك الجن كما في ديوانه ١٩١ وفي تحرير التعبير ٣٠٠ ،

وفي جوهر الكنز ٢٥٣ .

أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة ، من غير تكلف في السبك حتى تكون
 الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في أطرافه وسهولة : نسجامة (١)
 ومنه في القرآن قوله تعالى * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ * (٢)
 ومثله قوله عز وجل حكاية عن أولاد يعقوب * نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ * (٣) وقد مثل له المصنف بقول الشاعر :

(٤)
 إِنْ يَمُوتُكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عَرُوشَهُمْ بِمُتَيْمَةٍ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ شُهَابٍ

وقول دريد بن الصمة :

قَتَلْنَا بِعَدِ اللَّهِ خَيْرَ لَدَاتِهِ ذُو أَبٍ بَيْنَ أَسْمَاءَ بِنِ زَيْدٍ بِنِ قَارِبٍ (٥)

وفيه تضرع للمقتول به ولشرف المقتول ، قيل : لما سمع عبد الطك

ابن مروان قال : لولا القافية لبلغ به آدم .

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (الكريم ابن الكريم ابن الكريم

ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) (٦) .

(١) الايضاح للقزويني ص ٢١٦ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة يوسف .

* جاء في بديع القرآن لابن أبي الاصبغ : وانما لم يأت به على الترتيب
 المؤلف ، فان العادة الابتداء بالأب ثم الجد ثم الجد الأعلى ،
 لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي
 اتبعها ، فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على
 الترتيب .

(٣) الآية ١٣٣ من سورة البقرة .

(٤) يقال للقوم اذا ذهب عزهم وتضعف حالهم قد ثل عروشهم والبيت

لربيعة بن سعد من بني نصر بن قعين في رثاء ابنه ذو اب
 أولاد داود بن ربيعة الأسدي .

(٥) ديوانه ٢٧ .

(٦) الايضاح للقزويني ٢١٦ .

وهذا من حسن الصنعة كما قال "ابن رشيق" وقد اشترط لصحته وحسنه خلوه من الكلفة ومن الحشو الفارغ، فإذا اطردت الأسماء بعد ذلك كان ذلك التتابع دليلا على قوة طبع الشاعر، وقلة كلفته وبهالاته بالشعر، ومثل له بقول الأعشى :

أَقْبَسَ بَنَ مَسْمُودٍ بِنِ قَيْسٍ بِنِ خَالِدٍ
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلٌ (١)

(فأتى كالماء الجاري اطرادا وقلة كلفة، وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع اللبس والشبهة) (٢) .

فتكرار الأسماء ليس محمودا على إطلاقه ولكنه مقيد بشروط :

أولا : أن تكون الأسماء في تحددها كالماء الجاري في اطراده .

ثانيا : أن يسلم من التكلف من السبك .

ثالثا : أن يخلو من الحشو الفارغ .

رابعا : أن يبين النسب حتى يخرج عن مواضع اللبس والشبهة .

فإذا اطردت هذه الشروط كان الكلام فصيحاً مطرداً فإن قيل (هذا

من تتابع الإضافات فكيف يبعد من المحسنات ؟ قلنا : قد تقرر أن

تتابع الإضافات إذا سلم من الاستكراه طبع ولطف) (٣) .

وقد تأتى الأسماء أكثر مما مثلت في الأبيات السابقة وهي مع ذلك

طيحة ولطيفة مثل قول أبي تمام :

مَنَاسِبٌ تَحْسِبُ مِنْ فَخْرِهَا

لَنُوحٍ بِنِ عَمْرِو بْنِ هُوَيْ بْنِ عَدٍ

مَنَازِلًا لِلْقَمَرِ الطَالِعِ

سِرُّو بْنِ هُوَيْ بْنِ الْفَتْحِ مَنِجٍ (٤)

-----(+)

(١) ديوان الأعشى ١٨٣

(٢) المعجمة لابن رشيق ٨٢/٢ .

(٣) في التلخيص ح السعد ٤١١/٤ .

(٤) ديوانه ٣٥٣/٢ .

قال أسامة بن منقذ : (ومنه أخذ المتنبي حيث يقول :

فحمدان حمدون وحمدون حارث^(١) وحاتر لقمان ولقمان راشد^(٢)
أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك الزمان الزوائد^(٣)

وهذا البيت لم يعجب صاحب بن عباد إن علق عليه بقوله : (ولم ينفك
مستحسنون لجمع الأسماء في الشعر .. فلما اعتدى هذا الفاضل
على طريقهم قال :

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه^(٤)
تشابه مولود^٥ كريم^٦ ووالد^٧

وحمدان حمدون وحمدون حارث^٨
وحاتر لقمان ولقمان راشد^٩

وهذه من الحكمة التي ذخرها أرسطاطاليس وأفلاطون لهذا الخلف
الصالح (٥) .

وهذان البيتان وإن لم يعجبا "الصاحب" فقد أعجبا "ابن سنان"
كما أنه لا يرى فيهما للتكرار قبحا وعلل ذلك بقوله : (لأن المعنى
المقصود لا يتم إلا به ، وقد اتفق له أن ذكر أجداد المدوح على نسق
واحد من غير حشو ولا تكلف ، لأن أبا الهيجا هو عبد الله بن حمدان
ابن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد ، ولو ورد هذا الكلام

(١) ديوانه ٢٧٧/١ .

(٢) ديوانه ٢٧٩/١ ورواية الديوان : وسائر أملاك البلاد .

(٣) البديع في نقد الشعر ٨٩ .

(٤) البيتان في ديوانه ٢٧٧/١ من قصيدة في مدح سيف الدولة ،
ومطالعها :

موازل ذات الخال في حواسد * وإن ضجيع الخود منى لماجد
ورواية الديوان للبيت الثاني وحمدان . والهجاء : من أسماء العرب .
(٥) الزوائد هي الراوويل التي تنبت وراء الأسمان ، واحدتها راوول .
(٦) الكشف عن مساوي المتنبي ت : محمد آل ياسين ص ٥٢ .

نشأ لم يرد إلا على هذه الصفة ، فلما عرض في هذا التكرار معنى لا يتم
إلا به سهل الأمر فيه ، وكان البيت مرضيا غير مكروه ، وعلى ذلك يجب
أن يحمل كل تكرار يجري هذا المجرى (١) .

وهذا كلام جانب الصواب فيه " ابن سنان " لعدة أمور :

أولا - لأن المعنى المقصود كان يمكن أن يتم بدون هذا التكرار .

ثانيا - لأن " المتنبي " خالف شروط الاطراد فأتى بحشو وتكلف ،

فقد أتى في البيت بالفاظ كان يمكن أن يستغنى عنها فقال :

أنت أبو الهيجا ، ولأنه في معرض نسب فقد يظن أن له ابنا اسمه

الهيجا ، ثم ذكر أنه ابن حمدان ثم ناداه - ولا يخفى ما

في قوله : يا ابنه وما في الشطر الأول من ركابة - ثم عاد فقال :

و حمدان حمدون ، و حمدون حارث . . . - فتركيبه هذا يوهم

أنها أربعة أسماء و أربعة أوصاف ولا يجزم السامع - خلا

المعاصرين للـمتنبي - بأنه يريد أن يذكر آباء المدوح على الترتيب .

ثالثا - من شروط الاطراد : أن يبين النسب حتى يخرج من مواضع

اللبس والشبهة ، وأبو الطيب أضع نسب الرجل بهذا التكرير المتكلف ،

ولو سألنا أي متعلم من هذين البيتين فإنه لن يجيب بأن " المتنبي "

أراد أن يذكر أجداد المدوح .

رابعا - معظم أبيات الاطراد لا يرد فيها تكرار فإن الشاعر يذكر الأسماء

كلها على الترتيب مرة واحدة إلا المتنبي فقد كرر أربعة أسماء

موتين ، الأمر الذي تسبب في ضياع المراد ، ولكنه يسبق مع ذلك

بمثالا للمدح إلا أنني أخرجه من الاطراد .

خامسا - معظم أبيات الاطراء تأتي مسبوقة "بأبن" حتى يتضح النسب
 البيت المتنبي "وحمداً حمدون"

سادسا - من حسن الصنعة وقوة الطبع أن يأتي الاطراء في بيت واحد ،
 وقد مثلت فيما سبق للاطراء بيت فيه ستة أسماء وهذا بيت فيه
 ثمانية أسماء (١) :

فنعصم فتى الجلى ومستنيط الندى وطجاً محروب ومفزع لا هيث

عباد بن عمرو بن الجليس بن جابر بن زيد بن منظور بن زيد بن واث
 أما المتنبي فقد وضعه في بيتين وكان المفروض أن يتضح ويبين ولكنه
 غصص لأنه عز عليه أن يأتى في البيت الثاني بأربعة أسماء فجعلها
 ثمانية بالتكرار ، ولو كانت ثمانية لكانت شاهداً له ، أما أن تكون أربعة
 فهي شاهد عليه ، ويشهد معي على هذا الكلام ابن رشيق حيث وصف
 البيت بالتمسك وقال :

(ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في بيتين وانما مقت
 شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء) (٢)
 (ورد عليه الصقلي في العدة أن هذا ليس من الاطراء وأن هذا ليس
 تمسكاً لأن مقصوده لا يصح إلا بهذا التكرير) (٣) وقد بينت
 وجه ذلك .

ويضيف لنا " الملوى " فائدة جديدة في الاطراء (٤) وهي ذكر

(١) لأبي بكر بن دريد . التمهيد في شرح الديوان للعكبري ١/ ٢٧٩ .

(٢) العدة لابن رشيق ٨٣/ ٢ ، ٨٤٠ .

(٣) في التلخيص ح السبكي : ٤١٢ .

(٤) قال الجاحظ : لا تتناسق الأسماء إلا في الملوك والسادة ، أما

تري إلى بهرام بن بهرام بن بهرام في ملوك الفرس ، والهارث بن
 الهارث بن الهارث في ملوك غسان ، والحسن بن الحسن بن الحسن
 في سادة الاسلام ، قال مؤلف الكتاب : فذاكرت بهذه الأسماء

الأسماء والجندات فيقول : إن ذلك (ليس محموداً عند البلغاء وأهل العلم بالمدايح الشعرية لما فيه من الركة وإنزال قدر المدوح ، وقد عيب على أبي نواس في مدحه لمحمد الأمين ذكره لأنه في مدحه حيث قال :

أصبحت يا ابن زبدة ابن جعفر أملاً لعقد حباله استحكام^(١)
فان مثل هذا ما يمد في القبح في مثل هذا المقام^(٢) .
وأما تكرار الاسم الواحد سواء كان اسم موضع أو محبوبة أو ما شابه ذلك فليس هذا مقامه وسيأتي في مكانه بان الله .

*

تكرار الأفعال :

وهو أن تتابع ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضاً^(١) ،
إما على صيغة واحدة أو على أكثر من صيغة^(٢) وقد تتكرر تكرراً محضاً^(٣) ،
وقد تتقارب ، وقد تتباعد .

====
يوما أبا العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه غسمى ابنه الذي كان
بسجستان مأوناً ، فكان : مأمون بن مأمون بن مأمون . لطائف
المعارف للشعالبي ص ٨٦ وجاء مثله في الاطلاق النفيسة ص ٢٢٨
لأبي علي أحمد بن رسته كما أورد ابن قتيبة في المعارف
في ص ٦٤٣ مثل ذلك .

(١) ديوان أبي نواس ٤٠٩ .

(٢) الطراز للملوى ٩٤/٣ .

(٣) وهذا ليس من التماثل في شيء وهو كثير جداً في الشعراء سيما
في مقام الرثاء . قال الأمير أبو الفضل صيد الله بن أحمد الميكالي :

====

وهذا بحث كالمباحث السابقة دقيق في مسلكه ، لطيف في مأخذه
فانه يكون في أغلب الأحيان على جانب كبير من البلاغة ، بل ان البلاغيين
يعدونه من المحسنات في بعض وجوهه وقد يكون في أحيان أخرى بعيدا
عن البلاغة ان لم يعدوه من المستهجنات .

والسبب في ذلك يرجع الى الاعتبارات التي بينها البلاغيون ، وحفظ
الشاعر أو الأديب من الاحساس بها بحيث يتمكن في نهاية الأمر
من وضع كلماته في مواضعها المناسبة التي لا يشوبها نبوء أو شذوذ .
فمن المستحسن منه قوله تعالى ﴿ فُلْكَوْاْ شَرِيْهِ وَقَرِّ عَيْنًا ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ اتخذوه وكانوا
ظالمين ﴿ (٢) . فلما طال الفصل كرر الفعل : اتخذوه .

ومنه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ . . ﴾ (٣) .

====
كان معنى الوفاء والبران حيا
كان زين الندى في العلم والآ
كان بدر النهر فحان أفول
ل زمان فوده ما يحول
داب ترمي رياضهن العقول
كان شمس الحجى فحان أصل
بتيمة الدهر للثمالهي ٣٧٧/٤ .

(١) الآية ٢٦ من سورة مريم .

(٢) الآية ١٤٨ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٥ من سورة التوبة .

ومع أن البلاغيين قد اشترطوا في فصاحة الكلام عدم تتابع الأفعال
إلا أنهم أخرجوا هذه الآية منه ، والسبب في ذلك يعود لـ (توسط
الواو وتعلق كل بفعل مع زيادات في الابتداء والانتها) (١) .

ويشرح "ابن الأثير" أسباب سهولة الآية وخفتها فيقول :
(ألا ترى أنها لما وردت ألفاظها على صيغة واحدة فُرق بينها بواو
المطف ، ثم مع التفريق بينها بواو المطف لم يرد التكرير فيها إلا بين
ثنتين وهما "خذوهم" و "احصروهم" .

وأما الصيغة الأولى فإنها أضيف إليها كلام آخر ، فقل * اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم * ولم يقل : اقتلوا المشركين وخذوهم ،
ثم لما جاءت الصيغة الرابعة أضيف إليها كلام آخر أيضا ، فقل :
* واقعدوا لهم كل مرصد * .

لا جرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارد صيغة
الأمر فيها أربع مرار . وهذه رموز ينهض أن يتخبر بها في استعمال
الألفاظ إذا جاءت هكذا (٢) .

ويذهب "السكاكي" أبعد من ذلك فيشير إلى أن في تكرار الفعل
بلاغة بل إيجازا فقله تعالى * فَفَشَّيْهِمْ مِنْ أَلِيمٍ مَا غَشَّيْهِمْ * (٣) (أظهر
من أن يخفى حاله في الإجازة .. وانظر إلى الفاء التي تسمى فاء فصيحة
في قوله تعالى * فَتَوَّأُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ غَيْرُ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ
غَتَابٌ عَلَيْكُمْ * (٤) كيف أفادت : فامثلتهم فتأب عليكم .. وقسدر

(١) ش التلخيص ج السبكي ١١٧/١ .

(٢) المثل السائر ت : أحمد الحوفي ٤٠٦/١ ٤٠٧ .

(٣) الآية ٧٨ من سورة طه .

(٤) الآية ٥٤ من سورة البقرة .

صاحب الكشاف^(١) رحمه الله قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله ﴾^(٢) نظر الى الواو في - وقالوا - : ولقد آتينا داود وسليمان علماً فعملوا به وعلماء وعرفوا حق النعمة فيه والفضيلة وقالوا : الحمد لله ، ويحتمل عندي أنه أخبر تعالى عما صنع بهما وأخبر عما قالاً كأنه قال : نحن غمنا ايها العلم وهما فعلا الحمد تفويضاً استفادة ترتب الحمد على ايها العلم الى فهم السامع مثله في - قم يدعوك - بدل : - قم فإنه يدعوك - ، وإنه فن من البلاغة لطيف المسلك^(٣) .

ومن الحسن منه في الشعر ما وضعه النقاد في باب " التقسيم " ^(٤) بعد أن امتدحوه وأثنوا على قائله قول الاسمر الجعفي يصف فرساً^(٥) :

أما إذا استقبلته فكانه	باز يكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه	ساق قوم الوق عارية النساء ^(٦)
أما إذا استمرضته متطعرا	فتقول : هذا مثل سرهان الغضا ^(٧)

(١) الكشاف ١٣٩/٣ .

(٢) الآية ١٥ من سورة النحل .

(٣) مفتاح العلوم ١٢١ .

(٤) عرفه قدامة بقوله : أن يبتدىء الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها ولا يخلو رقسما منها . نقد الشعر ١٣٩ ويوجد كذلك في التجزئة في البديع في نقد الشعر لأسماء بن منقذ ص ٦٣ ويمكن أن يوجد المتابع أيضا في الترصيع والتسجيع والتسميط وفي أنواع أخرى في كتب النقد .

(٥) في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١٤٠ وفي المدة ٢٢/٢ والابيات في الاصحيات ١٤١ ، ١٤٢ ، ورواية البيت الثاني : " وإذا هو استدبرته وفيها " رجل " بدل " ساق " والبيت الثالث " وإذا هو استمرضته " .

(٦) عارية النساء : النساء عرق من الورك الى الكعب .

(٧) السرهان : الذئب . الغضا : نوع من الشجر .

(ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادة تدريجاً وترتيباً
فصعب لذلك على مخاطبه وقلَّ جداً ، فأحسنه قول زهير بن أبي سلمى :

يطعنهم ما ارتحوا حتى إذا اطمعوا

(١) ضارب حتى إذا ما ضاربوا احسنوا

.. ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ويليه في بابه قول

"عنترة" :

إن يلحقوا أكرز ، وإن يستلحقوا أشد ، وإن يلفوا بضنك أنزل (٢)

فهذا من التتابع الحسن ، ومن التكرير الطبع ، ومنه ما كان أكثر تتابعا

وأشد تقارباً ، وهو ما أدخله العولدون في هذا الباب وعدوه تقطعها

وتقسيماً - كما يقول ابن رشيق (٣) - ومنه قول أبي الحمير الأعرابي :

فاصدق وعف وجد وأنصف واحتمل واصف ودار وكاف واحلم واشجع

والطف ولن وتأن وارفق واتئد واحزم وجد وحام واحمل وادفع (٣)

ثم جاء من قلده وأساء ، وتكلف ونا ، بشمره من الفصاحة ، فمن التتابع

السيء الذي لا يخلو من المعاطلة قول "القاضي الأرجاني" (٤) :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل رؤى (٥)

(١) ديوان زهير : ٥٤٠

والبيت

(٢) المدة ٢/٢٣ وفي ديوانه ٢٤٨

(٣) المدة ٢/٣٠

(٤) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني الملقب ناصح الدين ،

كان قاضي تستر وعسكر مكرم ، وله شعر رائق في نهاية الحسن ، ذكره

المعاد الكاتب في الخريدة .

(٥) البيت في وصف شجرة يقول : انه ألف الحمل وهو أخوه الذي روى

معه في بيت واحد وان النار فرقت بينه وبينه ، وأنه نذر أن يقتل نفسه

بالنار أيضاً من ألم الفراق وقال عنه ابن الأثير : انه معنى متدع ولم

يسمع من غيره ، المثل السائر ١/٤٠٤

ومنها قول أبي الطيب :

أَقْلُ أَنْلَ أَقْطَعَ أَحْمَلُ عَلَّ سَلَّ أَعْدُ

(١) زِدْ هَشَّ هَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سَوَّصِلِ

ففي هذه الألفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الأمر ، كأنه قال :
 " افعل ، افعل ... هكذا إلى آخر البيت " وهذا تكرار للصيغة ،
 وإن لم يكن تكريرا للحروف إلا أنه أخوه ، ولا أقول ابن عمه .

وهذه الألفاظ متراكبة متداخلة ، ولوعطفها بالواو لكانت أقرب

حالا ، كما قال عبد السلام بن رغبان (٢) :

(٣) أَحْلُ وَأَمْرٌ وَضُرٌّ وَانْفَعٌ وَلِنْ وَاخْ . شَنْ وَأَبْرٌ ثُمَّ انْتَدَبٌ لِلْمَعَالِي

ألا ترى أنه لما عطفها هنا بالواو لم تتراكب الألفاظ كترাকبها غسي

(٤) بِيَتِ الْهَيْتِ الْطَيْبِ

(١) ديوانه ٨٥/٣ من قصيدة في مدح سيف الدولة مطلعها :

أجابه دمعى وما الداعي سوى طلل * دعا قلباه قبل الركب والاهل
 أمره بأربعة عشر أمرا في بيت واحد .

أقطع : من الاقطاع ، أحمل : من قولهم : حملته على فرس .

سر : من السرور . ومراد أبي الطيب من التسرية .

(٢) هو المصروف بديك الجن الحمصى .

(٣) البيت في ديوانه ص ١٢٠ وهذه روايته :

أحل وأمر وضر وانفع ولن واخشن ورش وأبر وانتدب للمعالي

(٤) جاء في التبيان للمكبرى ٨٩/٣ : " ولما أنشد (أقل ، أنل)

رأهم يمدون ألفاظه ، فقال وزاد فيه :

أقل ، أنل ، أن ، صن ، أحمل ، عل ، سل ، أعد

زد هَشَّ هَشَّ هَبَّ ، اغفر ، أدن ، سر ، صل

فراهم يستكثرون الحروف فقال :

(١) المتقدم ذكره

وقد أورد "أسامة بن منقذ" بيت "أبي الطيب" هذا في سلب

"المسند" (٢).

وهو كذلك إذ ليس المصيب في التتابع نفسه ولكنه في بناء
الأفعال، وأبنيتها وفي صيغتها أو في ثقل تركيبها أو غموض معانيها،
وقد يعود للتكلف المصطنع، وذلك أبعد ما يكون عن الفصاحة .

====
عش ابق اسم سد قد جد مرانه رف اسر نل

فظ ارم صب احم اغز اسب رع ذل اثن نل

وقال عنه ابن رشيق انه : " زاد وتباغض حتى صنع .. فهذه رقيقة

المقرب كما يقول ابن وكيع .. وهذه غاية العقت والبفاضة ، وأصل

هذا كله من قول امرئ القيس :

أفاد فجاد ، وشاد غزاد * وقاد فذاد ، وعاد فأفضل

العمدة ٢ / ٣٠ / ٣١ وفي ديوانه ٤٧٢ .

وقال حازم : " ان بيت المتنبي انما قبح لقصر كلماته المتوالية

على حرفين ، وينبغي أن يذكر هذا في شروط فصاحة الكلام .

ش التلخيص ح السبكي ٩٣ / ١ .

(١) المثل السائر أحمد الحوفي ٤٠٥ / ١ .

(٢) البديع في نقد الشعر ١٨١ .

ب - أنواع التكرار

أولا - الترييد :

هو تفعيل من قولهم : رد الثوب من جانب الى جانب ، ورد
الحديث تريدا أى : كره .

عرفه " ابن رشيق " بقوله (أن يأتى الشاعر بلفظة متعلقة
بمعنى ، ثم يودها بعينها متعلقة بمعنى آخر فى البيت نفسه أوفى
قسيم منه) (١) .

قال أبو تمام (٢) : لا أعرف أحدا أحسن صنعة فى الترييد

من قول زهير :

من يَلْقَ يوما على علاته هريما يَلْقَ السحابة منه والندى خلُقا (٣)

فملق " يلق " بهم ثم علقها بالسحابة ، وكذلك قوله أيضا :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولم رام أسباب السما بسلم (٤)

فردد " أسباب " مرتين ، وعلق الأولى بـ " المنايا " والثانية بـ " السما " .

وقد أجمع العلماء بالشعر على تقديم " أبى هبة النميرى " وتسليم

فضيلة هذا الباب اليه فى قوله :

ألا حق من أجل الحبيب المَنانِيا

لهسنِ الهلى معاً ليسن الليالِيا

(١) العمدة لابن رشيق ٣٣٣/١ .

(٢) نضرة الاغريض فى نضرة القريض للعلوى : ١٢٣ .

(٣) شرح ديوان زهير لثعلب ص ٥٣ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٣٠ .

إِذَا مَا تَقَاضَى الْحَرَّ يَوْمَ وَلِيلَةٍ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَهْلُ التَّقَاضِيَا (١)

ويخلط قوم بين التردد والتكرار : فقد حللوا قول امرئ القيس :

فثوبها ليست وثوبها أجبر (٢) .

على أنه تكرار لا تردد فيه ، (وهذا هو الخطأ البين ، وأى تردد أحسن

من هذا ؟ وقد أفاد الثاني غير إفادة الأول حسب ما شرطوا) (٣) .

والملاحظ أن " ابن رشيق " لم يستشهد بأمثلة من النشر ، فكانه

قصر التردد على الشعر ، يؤكّد ذلك تصريحه المتقدم للترديد بقوله :

أن يأتي الشاعر . . ، وتابعه على ذلك " ابن حجة " حيث قال :

(التردد هو أن يعلق الشاعر لفظة في بيت واحد . . .) (٤) لكنه

استشهد بقوله تعالى * لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب

الجنة هم الفائزون * (٥) .

(١) البيتان في الممددة ٣٣٤/١ ونصب فيه يوما وليلة . وفي الهيان وا

والتيبين ٢٢٩/٢ روى الشطر الأول من البيت الأول :

ألا هي أطلال الرسوم البواليا .

والبيت الأول موجود في بديع ابن الممتز ٧٦ ، وفي الموشح

للعرزاني ٣٢٧ ، ألا هي من عهد الحبيب ، والبيتان في طبقات

ابن الممتز ١٤٤ ألا هي من عهد بدلا من أجل ، وفي أمالي

القالبي ١٨٥/٢ ، وفي الشعر والشعراء ٦٥٩/٢ وفي الكامل

للبرد ٢١٨/١ وفي الموءتلف للأمدى ١٠٣ ، وفي الحماسة

البصرية ٤٢٤/٢ .

(٢) يروى صدره : فأقبلت زحفا على الركبتين ، ويروى : فلما دنوت تسديتها

وهو هكذا في ديوانه ٣٠٧ و " نسيت " بدل " ليست " .

(٣) الممددة ٣٣٥/١

(٤) خزانة الأدب لابن حجة ٢٠٤ .

(٥) الآية ٢٠ من سورة الحشر .

أما " ابن أبي الأصبع " فقد أتى بتصريف أجمع وأمنع حيث قال :
(.. أن يخلق المتكلم ..) (١) .

وكذلك فعل " ابن مالك " فجعل التردد في الكلمة (.. في
المصراع أو مثله نثرا ..) (٢) .

وقد مثل كل منهما بقوله تعالى * حتى نوءتئ مثل ما أوتس
رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته * (٣) .

وزاد " ابن أبي الأصبع " قوله تعالى * ولكن أكثر الناس لا يعلمون
. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا * (٤) .

ومثل " المرشدي " له بقوله تعالى * الله نور السموات والأرض
مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها
كوكب درى * (٥) .

وبقوله صلى الله عليه وسلم (السخى قريب من الله ، قريب من
الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخل بعيد من الله ،
بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار) (٦) .
هذا ، وقد جاء في كلام " الجاهظ " تردد كثير (٧) ، وقصد

(١) بديع القرآن ٩٦ ، تحرير التكميل ٢٥٣/٢

(٢) المصباح لابن مالك : ٧٥ .

(٣) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

(٤) الايتان ٦ ، ٧ من سورة الروم .

(٥) الآية ٣٥ من سورة النور .

(٦) الجامع الصحيح للترمذي في أبواب البر والصلة ٢٠٢٧ .

وزاد بعده : والجاهل السخى أحسب إلى الله من عابد بخل .

(٧) سيأتي ذكر ذلك في مكانه .

روى لبعض العرب :

(كان والله لا يضلّ حتى يضلّ النجم ، ولا يحطش حتى يحطش

البحير ، ولا يهباب حتى يهباب السيل ، وكان والله غير ما يكون حين لا
تظن نفس بنفس خيرا) (١) .

الفرق بين التصدير والترديد

ومنهم من يسمى الترديد التصدير كـ " أسامة بن منقذ " حيث قال :

(اعلم أن الترديد هو ردّ أعجاز البيوت على صدورها ، أو تردّد كلمة من
النصف الأول في النصف الثاني) (٢) ومثل له بقوله " الأقيشر الأسدى " :

سريع إلى ابن العم يجبر كثره

وليس إلى داعى الندى يسريع (٣)

واستشهد أيضا بأبيات " زهير " و " أبي حية " المتقدمة .

وسماه مرة أخرى بـ " التسهيم " واستشهد بهيت " أبي حية " :

هأبيات أخرى وقال في تعريفه :

(٤) (التسهيم هو أن تعلم القافية لما يدلّ عليه الكلام في أول البيت)

(١) البيان والتبيين ٥٤/١ والقاتل هو : جبار بن سلمى بن مالك

ابن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل . وقد وفد على

النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم . . وهو الذى قتل عامر بن فهيرة يوم

بئر معونة وقصة اسلامه غريبة ذكرها ابن الأثير في " أسد الغابة "

٠٣١٥/١

(٢) البديع في نقد الشعر : ٥١ .

(٣) البيت موجود في سر الصناعتين ٤٠١ " يلطم وجهه " والوفى بدل

الندى وفي بديع ابن المعتز : يشتم عرضه ٤٨ وفي خزانة البغدادى

٠٤٨٨/٤ وفى معاهد التنصيص ٢٤٢/٣ " يلطم وجهه " .

(٤) البديع في نقد الشعر ١٢٧ .

والجقيقة : أن التصدير/مع الترديد في أشياء* ويفترق عنه في

أشياء* :

أولا : التصدير خاص بالشعر ، والترديد عام في النثر وفي الشعر .
ثانيا : يشترط في التصدير أن تكون الكلمة الأولى في صدر الشطر
الأول أو في وسطه أو في آخره وأن تكرر الكلمة الثانية في قافية
الشطر الثاني حتى يصح تسميته تصديرا ، ولا يشترط ذلك في
الترديد ، فإذا اجتمعت الكلمتان في شطر فلا يكون تصديرا بل
هو ترديد .

ثالثا : إذا أمكن استخراج الكلمة قبل سماعها فهو تسهيم ، وكثيرا
ما يكون في التصدير تسهيم قال " الشريشي " : (التصدير
هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت ثم يميدها في عجزه ،
أو في النصف منه ، ثم يرددها في النصف الآخر عنه ، فإذا نظم
الشعر على هذه الصفة أمكن استخراج قوافيه قبل أن يطرق
اسماع مستمعيه) (١) .

وذكر " ابن رشيق " فرقا آخر بين التصدير والترديد ، قال :
(والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي
تكرر على الصدور ، فلا تجد تصديرا إلا كذلك حيث وقع من كتب الموفلين ،
وان لم يذكروا فيه فرقا ، والترديد يقع في أضعاف البيت إلا ما ناسب
بيت " ابن الحميد " المقدم) (٢) ، والبيت الذي يعنيه " ابن
رشيق " هو :

فان كان مسخوطا فقل : شعر كاتيب
وان كان مرضيا فقل : شعر كاتيب (٣)

(١) شرح مقامات الحريري ١٤٢/٣ .

(٢) المعنى ٣/٢ . (٣) المصدر السابق ٣٣٥/١ .

وقد علق عليه — في موضعه — بقوله (وهو داخل عندى في باب

الترديد ان كان قوله : عند السخط — شعر كاتب — انما معناه

التقصير به ، وسط المذرله ، ان ليس الشعر من صناعته ، . . . وقوله :

عند الرضا — شعر كاتب — انما معناه التعظيم له ، وبلغ النهاية في الظرف

والملاحظة ، لمعرفة الكتاب باختيار اللفاظ وطرق البلاغات ، فقد ضاع

وطابق في المعنى ، وان كان اللفظ تجنباً مردداً (١) .

وقد علق " ابن رشيق " على قول " أبي الاسود " :

وما كلُّ ذى لبٍّ بمؤتيك نصحه وما كلُّ مؤتٍ نصحه بلبيب (٢)

بقوله : (هذا تصدير ، وان كان ظاهره في اللفظ ترديداً لليلة التي

ذكرتها) (٣) .

وأقول : ان بيت " أبي الاسود " ليس من الترديد في شئ بل

هو الى " العكس " أقرب . (٤)

هذا ، ويكون المردد جملة ومفرداً اسماً أو فعلاً أو حرفاً ،

وأقله تكرير الكلمة مرتين .

الفرق بين الترديد والتكرير :

ذكر " ابن أبي الاسود " (٥) جملة فروق بينها :

فاللفظة التي تكرر في التكرار لا تفيد معنى زائداً ، بل الأولى هي

تبيين للثانية ، وبالعكس . واللفظة التي تتكرر تفيد معنى غير معنى

الأولى منها .

(١) الممدة ٣٣٥/١ .

(٢) اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلى : الممدة ٤/٢ وفي

ديوانه ص ٩٩ .

(٣) الممدة ٤/٢ .

(٤) سياىي ذكره وتعرفه .

(٥) تحرير التهذيب ٢٥٥/٢ .

واشتقاقها مشعر بذلك ، لأنَّ الرائد من وجه لا يبلغ الا الموضع

الذى أراد .

والكارّ هو الذى انتهى الى الموضع المراد وكررا جملة ومنه

الكر والفر . وقول امرئ القيس :

(مكر مفر) (١) وأنه لا يكر الا بعد الفرار ،

وبيت "أبي نواس" - ويقصد به قوله - :

(٢) صفراء لا تنزل الا حزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

ما جاء التردد في مجزه دون صدره . وأما ما جاء في الصدر دون المجز

فكقول "أبي الطيب" :

(٣) أمير أمير عليه النّدى جواد بخيل بأن لا يجودا

ومثال ما جاء في الصدر والمجز معا قول أبي نواس :

(٤) قل لمن ساد ثم ساد أبوه قبله ثم قبل ذلك جده

من أنواع التردد :

ذكر "ابن أبي الاصب" (٥) نوعين للترديد :

أولهما : التردد المتعدد : وهو أن يتردد حرف من حروف المعاني

أما مرة أو مرارا ، وهو الذى يتغير فيه مفهوم المسمى لتغير الاسم : أما

لتغير الاتصال أو تغاير ما يتعلق بالاسم ، ومثل له بقوله تعالى :

* ومن يتولهم منكم فإنه منهم * (٦)

(١) هو قوله : مكر مفر مقل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من حل

ديوانه ص ٨٣ .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٦ .

(٣) ديوان المتنبي ٣٦٧/١ .

(٤) ديوان أبي نواس ٤٩٣ .

(٥) تحرير التعبير ٢٥٣/٢ ٢٥٤٠ وبديع القرآن ٩٦ .

(٦) الآية ٥١ من سورة المائدة .

فإن اتصال " من " بضمير المخاطبين الغائبين في الموضعين مع ما تضمنت " من " " من " معنى الشرط أصارت الموتين كافرين عند وقوع الشرط.

وقد يرتد حرف الجر في الجملة من الكلام ، والبيت من الشعر مرارا عدة في جمل متفاوتة المعاني . وربما كان المتروك غير حرف الجر ، كحرف النداء أو غيره . ومثل له بقول المتنبي :

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ليت الشرى يا حمام يا رجل^١ (١)

ومثال المتروك من الجمل غير المتعددة قول " أبي نواس " :

صفراء لا تنزل إلا حزان ساحتها

لومسها حجر مسته سـرا^٢ (٢)

فقوله : مسها ، ومسته ترديد حسن .

ثانيهما : ترديد الحيك : ويسمى بيته " المحبوك " وهو أن تنقش

البيت من جمل ترد فيه كلمة من الجملة الأولى في الثانية ، وكلمة

من الثالثة في الرابعة ، بحيث تكون كل جملة في قسم ، والجملة

الأخيرة غير الجملتين الأولى في الصورة ، والجملة كلها سواء في

المعنى ، وذلك كقول " زهير " :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقوا^٣ (٣)

(١) ديوان المتنبي ٢١٥/٣ الشرى : هو طريق في سلى كبير

الأسد تنسب إليه الأسود ، والحمام : الموت .

(٢) ديوانه ص ٦٠

(٣) شرح ديوان زهير للإمام شعلب ص ٥٤ يقول : " إذا رموا عن

مدى بعيد غشيتهم بالرمح ، فإذا اطعنوا دخل تحت الرماح بالسيف

فضارب ، فإذا ضاربوا دخل تحت السيف فاعتنق ، وإنما أراد أن

يخبر أنه أقر بهم إلى القتال ص ٥٤

فقد رد كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية ، وورد كلمة من الجملة الثالثة في الجملة الرابعة ، شتان في كل قسم ، وكل جملتين متفقان في الصورة غير أنهما مختلفتان ، اذا نظرت الى كل قسم وجملته ، وان اشتركا في المعنى ، فان صورة الطعن غير صورة الضرب ، ومعنى الجميع واحد ، وهو الحساسة في الحرب .

قال " ابن أبي الأصبغ " . . () والبيت أعنى بيت زهير مع كونه من شواهد الترديد المحبوك ، فانه يصلح أن يكون من شواهد " صحة التقسيم " لأنه استوفى فيه أقسام حالات المحارب ، وان جاءت " صحة التقسيم " مدججة في الترديد (١) .

ومن شواهد قوله صلى الله عليه وسلم (ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) (٢) .

ومنه قول " الحسن البصري " (٣) رحمه الله : (رحمه الله رجلا نظروفتكر ، وتفكر فاعتبر ، واعتبر فأبصر ، وأبصر فصبر) (٤) .

-
- (١) تحرير التحرير ٢٥٥/٢ ٢٥٦٠ .
 (٢) سنن أبي داود : كتاب الأدب ٢٤٩/٤ .
 (٣) يكنى أبا سعيد ، كان أبوه من أهل بيسان فسبى فهو مولى الأنصار ولد في خلافة عمرو حنكة بيده ، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تملله به الى أن تجىء أمه ، فيدر عليه ثديها فيشربه فكانوا يقولون : فصاحته من ذلك . قالوا : مكث ثلاثين سنة لم يضحك وأرهمين سنة لم يعزح . وقال إبراهيم بن عيسى البشكري : ما رأيت أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت الا حسبته حديث عهد بمصيبة . عاصر كثيرا من الصحابة فأرسل الحديث عن بعضهم وسمع من بعضهم . توفي سنة عشر ومائة . صفة الصفوة لابن الجوزي

وقال "يزيد الرقاشي" (١) : (ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذا خلقنا لم نمض ، وليتنا إن عصينا لم نمت ، وليتنا إذا متنا لم نبعث ، وليتنا إن بعثنا لم نحاسب ، وليتنا إن حوسبنا لم نعذب ، وليتنا إن عذبنا لم نخلد) (٢) .

و "سهل بن هارون" (٢) : (.. لأن الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلما كان أطرف ، كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبعد) (٢) .

ثالثا : من أنواع الترديد : ايهام التوكيد :

لم يذكر ابن أبي الأصبح " هذا النوع ولكن وجدته عند غيره ، ورأيت قريبا من الترديد . وهو (تكرير لفظ لتأسيس المعاني فيوهم التأكيد) (٣) . ومن أمثلته قوله تعالى :

* ^{٩٩}لَسَجْدٌ ^{٩٩}أَسْسَ عَلَى التَّقْوَى ، مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رَجُلٌ يَجْعَلُ أَنْ يَتَطَهَّرُوا * (٤) .

(١) هو أبو عمرو يزيد بن ابان الرقاشي البصري القاصي الزاهد الواظع الهكاه ، روى عن أبيه وأنس بن مالك والحسن البصري ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن ابان وقادة والأعشى ، صفة الصفوة ٢١٠/٣ ، عيون الأخبار ٢٩٥/٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، والخبر في البيان والتبيين ٢٦٢/١ .

(٢) هو سهل بن هارون بن راعوي الدستيمساني ، كان متحققا بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له ، وكان حكيما فصيحاً شاعرا ، فارسي الأصل ، شعوبي المذهب شديد المصيبة على العرب وله كتب ورسائل كثيرة . الفهرست لابن النديم ١٧٤ والخبر في البيان والتبيين ٨٩/١ - ٩٠ .

(٣) الوسيلة الأدبية : حسين المصطفى ١٤٩/٢ .

(٤) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

ومن الشعر قول بعضهم (١) :

ألا حل بي عجب عاجب تقاصر وصفي عن كنهه

رأيت الهلال على وجه من رأيت الهلال على وجهه

(وهذا في غاية الحسن ، يظن السامع له من أول وهلة أنه من باب التكرار ،

وتحصيل الحاصل الى أن يشحن ذهنه ، ويتأمل غرض الشاعر في ذلك ،

فيرقص له طربا) (٢) . ومنه أيضا :

تمشقت أحوى لى إليه وسائل وإصلاح أحوالى لديه لديه

أمر به مستعظفا متلطفا فيثقل تسلمي عليه عليه

فلا كان واش كدر الصفو بيننا وبغض تحببى إليه إليه (٣)

ثانيا : التمعطف :

التمعطف في اللغة : مصدر تعطف الشيء اذا تشبَّه ومال بعضه

الى بعض .

عرفه " العسكري " بقوله : (أن تذكر اللفظ ثم تكرر المعنى

مختلف) (٤) ، ومثل له بقول امرى القيس :

ألا إني بال على جعل بال يقود بنا بال ويتبنا بال (٥)

(١) هو أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزنى والابيات والترجمة

في بتيمة الدهر ٤/٤٤٦ .

(٢) الفيت المسجى للصفدى ٢/٤٤٠ .

(٣) زين الدين عمر بن منظر الوردى وهو الذى سماه ابهام التوكيد

كما قال الصفدى ٢/٤٤١ .

(٤) الصناعتين للعسكري ٤٣٨ .

(٥) الصناعتين ٤٣٨ ، معاسن النثر والنظم أو الكتابة والشعر للعسكري

١٣٥ . والبيت في ديوانه ص ٣٧٣ وفي نقد الشعر لقدامة ص ٨٧ .

وقال : (وليس هذا من التعطف على الأصل الذى أصلوه ،
 وذلك أن الالفاظ المكررة في هذا البيت بمعنى واحد يجمعها البلى ،
 فلا اختلاف بينها ، وانما صار كل واحد منها صفة لشيء ، فاختلقت
 لهذه الجهة ، لا من جهة اختلافها في معانيها (١) ثم مثل
 للتعطف على أصلهم بقول " الشماخ " :
 كادت تساقطنى والرحل إن نطقت
 حمامة فدعت ساقاً على ساق (٢)
 أى دعت حمامة ، وهو - ذكر القمارى ويسى الساق عندهم - على ساق
 شجرة .

ومثل له أيضا بقول " الأثوه " :
 وأقطع الهوجل ستانسا بهوجل عيرانية فنتريس (٣)
 أما بيت امرئ القيس فهو مثال للترديد والتعطف معا ، وحتى يكون مثالا
 جيدا للتعطف وحده فنبغى أن تكون كل كلمة في قسم ، وألا يتكرر
 فيه التعطف حتى لا يلتبس بالترديد .
 وأما بيت " الشماخ " فلا يصلح لأن يكون مثالا للتعطف أيضا ،
 فلا بد أن تكون احدى كلمتيه فى احدى مصراعي البيت والاخرى فى
 الآخر ، ليشبه مصراعا البيت فى انعطاف أحدهما على الآخر بالمصطفين
 فى كون كل عطف منهما يميل الى الجانب الذى يميل اليه الآخر .

- (١) الصناعتين للمسكوى : ٤٣٨ .
 (٢) ديوانه ص ٢٥٦
 (٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ١٦٢ ، سر الفصاحة ١٨٢ والعمدة
 ٣٢٢/١ ، والصناعتين ٤٣٨ ، والهوجل الأول : الأرض
 البعيدة الاطراف والهوجل الثانى : الناقة المغليمة الخلق ،
 والميراث : الناجية من الابل ، والمنتريس : الناقة الصلبة .

وأما بيت "الأفوه" فهو أدخل في الجنس ، وأقرب إليه من
 التعطف ، وقد جمعه "قدامة بن جعفر" من "المطابق" وهو (ما يشترك
 في لفظة واحدة بمعنيها) (١) ، أما "ابن رشيق" فقد جمعه في باب
 "التجنيس" (٢) .

وما يدل على أن "المسكوي" يريد بالتعطف "الجناس"
 إيراده للأبيات التالية (٣) :

- (٤) أتعرف أطلا لا شجونا بالخال وعيش ليال كان في الزمن الخالي
 (٥) ليالى ريمان الشباب مسلط على عصيان الإمارة والغال
 (٦) وإن أنا خدن للفؤى أخى الصبا وللرح الذيال واللهو والغال
 (٧) إذا سكنت ربما رمت رباعها كما رثم السيثاء ذو الرثية الغالى

- (١) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ص ١٦٢ .
 (٢) المحدة لابن رشيق ٣٢٢/١ .
 (٣) الصناعتين للمسكوي ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، قال : أنشدنا أبو
 أحمد ، قال : أنشدنا أبو عبد الله الطنجع قال : أنشدنا أبو
 المباس شعلب ، والأبيات موجودة في اللسان مادة خيل
 (٤) الخال : موضع والخالى من الخلوة وفي اللسان (وعيش زمان
 كان في العصر الخالى) فتكون بمعنى : الماضي .
 (٥) يعنى أنه يرمى أمر من يلي أمره وأمر من ينصحه ليصلح حاله ،
 وهو من قولهم : فلان خال مال ، إذا كان يقوم به ويصلحه ،
 وفي اللسان : الخال : اللوا .
 (٦) الخال هاهنا : من الخيلاء وهو الكبر ورواية اللسان (وللنزل المريج
 ذى اللهو والخال) والمريج : الكثير المراح والنشاط ، والذيال :
 الطويل الذيل .
 (٧) رثمت الناقة ولدها ، إذا عطف عليه ولزته ، والسيثاء : الأرض
 اللينة . والرثية : الحمق والفتور والضعف . والخالى : الذى
 لا أهل له . وفي اللسان : المزب . وروايته :
 إذا رثمت ربما رثمت رباعها .

ويستمر "العسكري" في سرد القصيدة، ويذكر أخرى مثلها ثم يمثل

بقول أبي تمام :

(١) السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكذبِ في حدِّه الحدَّ بين الجدِّ واللعبِ
ويقوله تعالى * ويومَ تقومُ الساعةُ يقسمُ المجرمونَ ما لَبِثُوا غيرَ ساعةٍ * (٢)

وليس فيما ذكره "تعطف" وإنما التعطف (أن يأتي الشاعر

في المصراع الأول من البيت بلفظة ويعيدها /، أو بما ^{بمعناها} يتصرف منها في

المصراع الثاني، فشيء مصراع البيت في انعطاف أحدهما على الآخر

بالمطفين، في كون كل عطف منها يميل إلى الجانب الذي يميل إليه الآخر (٣)

وقد سماه قوم "المشاركة" واختار "ابن أبي الأصبع" (٤) التسمية

الأولى لأنها أولى، والتعطف عنده لا يختص بالشعر، وقد مثل له

بقوله تعالى * قل هل تترهبون بنا إلا إحدَى الحُسَيْنَيْنِ ونحن نترهبُ

بكم أن يصيبكم الله بعدابٍ من عندهِ أو بأيدينا، فترهبوا إنما ممكم

ترهبون * (٥)

ويقوله عز وجل * وأوفُوا بعهدي أوفٍ بعهديكم * (٦)

ويقوله تعالى * وهم عن الآخرة هم غافلون * (٧)

(١) ديوان أبي تمام ٤٠/١

(٢) الآية ٥٥ من سورة الروم . ههنا ترديد وإنما التعطف في قوله

تعالى * ويوم تقوم الساعة يسلس المجرمون ، ولم يكن لهم من شركائهم

شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ، ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون *

— الايات ١٢، ١٣، ١٤ من سورة الروم . والتعطف لا يكون الا

بالجمل غالبا .

(٣) أنوار الريح ١٤٤/٦

(٤) بديع القرآن ٩٧

(٥) آية ٥٢ من سورة التوبة .

(٦) آية ٤٠ من سورة البقرة .

(٧) آية ٧ من سورة الروم .

ومن الشعر قول أبي تمام :

فلقيت بين يديك حلوة عطائه ولقيت بين يدي مرسو^١ إليه (١)

ويقول المتنبي :

فساق^٢ التي^٣ العرف غير مكدّر وسقت^٤ إليه المدح غير مذمّم (٢)

ويرى " ابن أبي الأصبع " أن بيت " المتنبي " أفضل بيت سمعه في باب التعطف : فإنه انعطفت فيه ثلاث كلمات من صدره على ثلاث كلمات من عجزه ، ففيه بهذا الاعتبار ثلاث تمطفات ، وذلك قوله :

(فساق ، فإنها انعطفت على قوله في العجز ، وسقت ووقوله :

التي فإنها انعطفت على قوله في العجز : إليه ، وقوله : غير ، فإنها انعطفت على قوله في العجز : غير) (٣)

الفرق بين الترديد والتعطف :

التعطف شبه بالترديد في إعادة اللفظة بمعنىها في البيت ،

والفرق بينهما بموضعهما وباختلاف المتردد . وقد أوضح ذلك " ابن أبي الأصبع " (٤) بمعدة فروق :

١ - الترديد يكون في احدى قسمي البيت تارة وفيهما معا مرة ،

ولا تكون احدى الكلمتين في قسم والاخرى في آخر . والمراد بقريبهما

أن يتحقق الترديد والتعطف وإن كان ترديد الكلمة بمعنىها فهو

لا يكون إلا متباعدة ، بحيث تكون كل كلمة في قسم .

(١) ديوان أبي تمام ٦٠/٣ .

(٢) ديوانه ١٤٠/٤ ورواية الديوان :

وسقت إليه الشكر غير مجمم . والمجمم الذي لا يفهم ولا يأتي

على الوجه وجمجم كلامه x اذا عناه وستره .

(٣) تحرير التعبير ٢٥٨/٢ .

(٤) المصدر السابق ٢٥٤/٢ .

- ٢ — التردد يتكرر والتعطف لا يتكرر.
- ٣ — يكون التردد بالاسماء المفردة والجمل الموصلة والحروف ،
والتعطف لا يكون الا بالجمل غالبا .
- وزاد ابن معصوم (١) شرطا رابعا هو :
- ٤ — أن التردد يشترط فيه إعادة اللفظة بصيغتها ، والتعطف لا يشترط فيه ذلك ، بل يجوز أن تعاد اللفظة بصيغتها وما يتصرف معها .

ثالثا : الترجيع :

وهذا النوع ذكره السيوطي " في عقود الجمان " (٢) وأشار
" المرشدي " الى أن " السيوطي " نبه على أنواع خاصة من التكرير منها :
الترديد ، والتعطف ، والترجيع . وقال " المرشدي " في تعريفه :
(هو أن يكون المعنى مهتما بشأنه فاذا شرع في نوع من الكلام نظر الى
ما يتخلص اليه ، فاذا تمكن من ايراده كرأيه) (٢) ومثل له بقوله
تعالى * ولا تمجِّبكم أموالهم وأولادهم ، إنما يريد الله أن يعذبهم
بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * (٣) .
وقد قال الله عز وجل قبل هذه الآية * فلا تمجِّبكم أموالهم
ولا أولادهم إنما يريد الله ليُعَذِّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم
وهم كافرون * (٤) .

(١) أنوار البهيح في أنواع البديع ١٤٤/٦ .

(٢) عقود الجمان للسيوطي بشرح المرشدي ٢٤١/١ ٢٤٢٠ .

(٣) الآية ٨٥ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٥٥ من سورة التوبة .

ويذكر "الزمخشري" علة هذا الترجيع بقوله (لأن تجدد
النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده ، وإرادة أن يكون على بال من
المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه ، وأن يعتقد أن العمل به مهم
يفتقر الى فضل عناية به ، لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين ، فأشبهه
الشيء الذي أهتم صاحبه ، فهو يرجع اليه في أثناء حديثه
ويتخلص اليه ، وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر
منه) (١) .

أما "الفخر الرازي" (٢) فقد جعل علة هذا "الترجيع"
المبالغة في التحذير ، فان أشد الأشياء جذبا للقلوب وجلبا للخواطر
الى الاشتغال بالدنيا ، هو الاشتغال بالأموال والأولاد ، وما كان
كذلك ، يجب التحذير منه مرة بعد أخرى .
(٣)
وقيل أيضا : انما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الاولى قوما
من المنافقين لهم أموال وأولاد في وقت نزولها ، وأراد بهذه الآية
أقواما آخرين ، والكلام الواحد اذا احتيج الى ذكره مع أقوام كثيرين
في أوقات مختلفة لم يكن ذكره مع بعضهم مغنيا عن ذكره مع الآخرين .

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٢/٢٠٧ .

(٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ١٦/١٥٥ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

جـ - أقسام التكرار

ينقسم التكرار عدة أقسام باعتباراً مختلفة :

فينقسم من حيث ألفاظه الى : تكرار حرف ، وتكرار اسم أو فعل ،
وتكرار جملة أو شطر أو بيت كامل ، وفي القرآن الى آية ، أو بعض آية
أو فاصلة .

وينقسم باعتبار آخر الى : تكرار في اللفظ والمعنى ،

وتكرار في المعنى دون اللفظ ،

وتكرار في اللفظ دون المعنى .

كما ينقسم باعتبار فائدته الى قسمين : مفيد ، وغير مفيد ،

وباعتبار بلاغته الى : جسن ، وقيح .

ويمكن أن ينقسم أقساماً أخرى باعتبارات أخرى .

وقد انفرد " ابن الأثير " من بين العلماء الذين تحدثوا عن التكرير ،

انفرد بتفصيل أقسامه ، وبيان ضروره وفروعه ، وتبيان أمثله ، فوفّاه

حقه من الشرح والايضاح والتشيل ، كما تعرض في كتابه " المثل السائر "

لآراء العلماء السابقين - وان لم يشر الى ذلك صراحة - كما تناول بعضها

بالنقد والتحليل ، ورجح ما يراه بالأدلة والأمثلة ، وسأتناول بحثه هذا

ينسى من الاقتضاب ، وأذكر أقسامه التي قسمها ، وبعض أمثله التي جاء

بها ، لأن رأيه أحسن قسمة ، وأعدل تبويباً :

تقسيم "ابن الاثير" :

قسم ابن الاثير " التكرار " (١) قسمين :

- ١ — قسم في اللفظ والمعنى .
 - ٢ — والاخر في المعنى دون اللفظ .
- ثم قسم التكرير في اللفظ والمعنى الى ضربين :
- أ — مفيد ،
 - ب — غير مفيد .

وجعل المفيد فرعين :

الاول : اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان .

الثاني : اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد .

ثم قسم التكرير في المعنى دون اللفظ قسمين :

- أ — مفيد .
- ب — وغير مفيد .

وقسم المفيد الى نوعين :

الاول : اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين .

الثاني : اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير .

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير ت: د .

أحمد الحوفي ود . بدوى طبانة ط . نهضة مصر ٣ / من ص

١ - ٤ . وقد حده بقوله : هو دلالة اللفظ على المعنى

مرددا .

فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه : "أسرع ،

أسرع " ، ومنه قول أبي الطيب : :

ولم أر مثلاً جيرانى ومثلنى ليمثلنى عند مثلهم مقام (١)

وأما الذي في المعنى دون اللفظ ، فكقولك " أطمئنى ولا تعصنى " فان

الأمر بالطاعة نهى عن المعصية ، ثم شرع في تفصيل ذلك :

أما الأول ، وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى ، فإنه ينقسم

الى ضربين :

أ - مفيد . ب - وغير مفيد .

فالأول : المفيد ، وهو فرعان :

الأول : اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود

به غرضان مختلفان .

ومثل له بقوله تعالى * قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ،

وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب

يوم عظيم ، قل الله أعبد مخلصاً له ديني ، فاعبدوا ما شئتم من دونه

... * (٢)

(١) ديوانه ٧٣/٤

بيت

وقد علق " ابن الأثير " على هذا البيت في موضع آخر بقوله :

فهذا هو التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصاً . المثل

السائر ٢٥/٣

(٢) الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، وبعض آية ١٥ من سورة الزمر .

فكرر قوله تعالى * قل اني اُمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين *
وقوله * قل الله أعبد مخلصا له ديني * والمراد به غرضان مختلفان ،
وذلك أن الأول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والاخلاص
في دينه ، والثاني اخبار بأنه يخلص الله وحده دون غيره بعبادته ،
مخلصا له دينه ، ولدلالته على ذلك قدّم المصوب على فعل العبادة
في الثاني ، وآخره في الأول ، لأن الكلام أولا واقع في الفعل نفسه
وايجاده ، وثانيا فيمن يفعل الفعل من أجله ، ولذلك رتب عليه :
* فاعبدوا ما شئتم من دونه * .

ومما ورد في القرآن الكريم مكررا قوله تعالى * كذبت قوم نوح
المرسلين ، إن قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين * ،
فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الا على رب
المالعين ، فاتقوا الله وأطيعون * (١) . فكرر قوله * فاتقوا الله
وأطيعون * ليؤكد أنه عندهم ، ويقرره في نفوسهم ، مع تعليق كل
واحد منهما بحلة ، فجعل حلة الأول كونه أمينا فيما بينهم ، وجعل
حلة الثاني حسم طمعه فيهم ، وغلوه من الأغراض فيما يدعوه اليه .
الفرع الثاني من الضرب الأول : أى التكرير المفيد .

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد ، والمراد
به غرض واحد ، ومثل له بقوله تعالى * فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف
قدر * (٢) والتكرير دلالة التعجب من تقديره ، واصابته الغرض ، وهذا
كما يقال : " قتل الله ما أشجمه ! أو ما أشعره " .

(١) الايات من ١٠٥ - ١١٠ من سورة الشعراء .

(٢) الايتان ١٩ ، ٢٠ من سورة المدثر .

وعليه ورد قول الشاعر :

ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى (١)

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة ، وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد اثباته . وعليه ورد الحديث النبوي ، وذاك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال " ان بنى هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليا ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن ، الا أن يطلق علي ابنتي وينكح ابنتهم " (٢) .

فقوله : " لا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن " من التكرير الذي هو أشد موقفا من الإيجاز لانصباب العناية الى تأكيد القول في منع " علي " رضي الله عنه - من التزويج بابنة أبي جهل بن هشام . وهذا مثل قوله تعالى * أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * (٣) .

(١) لحميد بن ثور الهلالي كما في ديوانه صنعة عبد العزيز الميموني

وعجزه : " ثلاث تحيات وان لم تكلمي " ص ١٣٣ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجه في كتاب النكاح

وروايته في ابن ماجه ١٩٩٨ (ان بنى هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم الا أن يريد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم . فانما هي بضعة مني يربطني ما رابها ويؤذيها ما آذاها) .

(٣) سورة القيامة الايتان ٣٤ ، ٣٥ " أُولَىٰ لَهُ " أي دانه الهلاك .

قال " ابن فارس " في " الصحابي " ٢٨٥ :

وأصحابنا يقولون : " أُولَى " تهدر ووهيد ، وهو قريب من ذلك ، وأنشدوا : " لعمر بن ملقط الطائي " :

ألفيتنا عيناك عند القفا أُولَى فَأُولَى لَكَ ذَا واقية

والبيت في نوادر أبي زيد ٦٢ ، وألفيتنا سابلنا للمجهول :

وجدنا وهذا على لغة الكونى البراغيث ، والواقية : مصدر بمعنى

ثم نبه على أن من هذا النوع قسما يكون الممضى فيه مضافا الى نفسه مع اختلاف اللفظ ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة . فمنه قوله تعالى * والذين سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أولئك لهم عذاب من رجزٍ أليم * (١) ، والرجز هو المذاب ، أي عذاب مضاف من عذاب .

التكرير لطول الفصل :

ولهما أدخل / التكرير من هذا النوع ما ليس منه ، فمنه قوله تعالى : * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * (٢) .
فلما تكرر " ان ربك " مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة ،

=== الوقاية كالكاذبة بمعنى الكذب . يصفى بالهروب ويقول : أنت ذو وقاية من عينيك عند فراقك ، وتحترس بهما ، ولكثرة تلفتك حينئذ صارت عيناك كأنهما في قفاك . وقال قوم " أولى " دانه الهلاك فليحذر . قال زهير :

أولى لكم ثم أولى أن يصيبكم

منى نواقر لا تبقى ولا تذر

شرح ديوان / للشعلب ص ٣٠٧ .

والبيت في ديوانه ٣٠٧ والنواقر المصائب وفي اللسان " النواقر : الحجاج المصيبات كالنبل المصيبة " .
ويريد بها هنا قصائده . وقال عوف بن عطية بن الخزع :

(١) فكادت فزارة تصلى بنا فأولى فزارة أولى فزارا
البيت في الفضليات قصيدة رقم ١٢٤ ص ٤١٦ .
سورة سبا الآية ٥ ، معاجزين أي سابقين ، يقال : ما أنت

بمعاجزي ، أي بمسابقني ، وما أنت بمعجزي ، أي سابقني ،

وفائتي . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٣ .

(٢) الآية ١١٩ من سورة النحل .

وكذلك قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ، ومثل هذا قوله تعالى :
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُعَذِّبُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٢) وهذه الآيات يظن أنها من باب التكرير وليست كذلك .

ويعد أن أنعم نظره فيها وجدها خارجة عن حكم التكرير ، وذلك أنه أطال الفصل من الكلام ، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به ، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ، ليكون مقارنا لتمام الفصل ، كي يجرى الكلام منتورا لا سيما في " أن وأخواتها " وكذلك يجرى الأمر إذا كان خبر " إن " عاملا في معمول يطول ذكره ، فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن . قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ مَشْرَكُوكَ إِذَا قَامَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٣) فلما قال : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ ﴾ ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرواية فيقول ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ .

(١) الآية ١١٠ من سورة النحل .

(٢) الآية ١٨٨ من سورة آل عمران . ومقابلة أي بمنجاة ، ومنه يقال : فاز فلان ، أي نجا . غريب القرآن لابن قتيبة ١١٢ .

(٣) الآية ٤ من سورة يوسف .

الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى ، وهو : غير المفيد :

فمن ذلك قول " مروان الأضرع " :

سقى الله نجداً والسلام على نجدٍ

(١) ويا حبذا نجدٌ على النأي والمعد

نظرت إلى نجد وفقدت دونها

لعل أرى نجداً وهيئات من نجد

وقد عاب عليه " ابن الأثير " تكريره هذا واتهمه بالمق ، أما البيت الأول

فيحمل على الجائز من التكرير ، لأنه مقام تشوق وتحزن وموجدة بفراق نجد ،

ولما كان كذلك أجز فيه التكرير ، على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى

الوارد في البيتين معاً من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات .

وعلى هذا الأملوب ورد قول " أبي نواس " :

(٢) أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحل خامس

ووصف " ابن الأثير " هذا البيت بالسخف الدال على الصي الفاحش .

وأما القسم الثاني من التكرير ، وهو الذي في المعنى دون اللفظ ،

فذلك ضربان : أ - مفيد ، ب : وغير مفيد .

الضرب الأول : المفيد ، وهو نوعان :

الأول - إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين :

وهو موضع من التكرير مشكل ، لأنه يسبق إلى الوهم أنه تكرير

يدل على معنى واحد ، ومثل له بقوله تعالى :

البيتان في الأغاني ٢٠٨/٢٣

(١)

وبعدهما :

بلاد بها قوم هواهم زيارتى ولا شئ أشهى من زيارتهم عندي

(٢) ديوانه ٣٧ من جملة أبيات من غمريات أولها :

ودارند امی عطلوها وأدلجوا بها أثرهم جديد ودارس

ورواية الديوان لهذا البيت :

أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يوم الترحل خامس

* وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * (١) . فان الأمر بالمعروف خير ، وليس كل خير أمراً بالمعروف ، وذلك أن الخير أنواع كثيرة من جعلتها الأمر بالمعروف ، ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله ، كقوله تعالى : * حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى * (٢) وكقوله تعالى : * فيهما فاكهة ونخيل ورمّان * (٣) .

ومما ورد منه شعرا قول " المقنع الكندي " :

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عسى لمختلف جدا (٤)
إذا أكلوا لحمي وقرت لحومهم وإن هدوا مجددي بنيت لهم مجدا
وإن ضيّموا غيبس حفظت غيبهم وإن هم هؤوا غيبس هويت لهم هودا
فهذا من الخاص والعام ، فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضيع لغيبه ،
وليس كل تضيع لغيبه أكلا للحمة .

الفرع الثاني : إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير :

كقولك : أطمئن ولا تعصني ، فان الأمر بالطاعة نهى عن المعصية ،
والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب .
والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ
والمعنى إذا كان الفرض به شيئا واحدا ، ولا نجد شيئا من ذلك يأتي

(١) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٦٨ من سورة الرحمن .

(٤) من ديوان الحماسة من جملة أبيات أولها :

يعاتبني في الدين قوم وانما * ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
حماسة أبي تمام بشرح المازني ١١٧٨/٣ وفيها " فان يأكلوا لحمي "
وفي أمالي القالي كذلك و " أن يهدوا مجددي " بدلا من و " ان
هدوا مجددي " مع اختلاف في ترتيب الأبيات ٢٨٠/١ ، ٢٨١ .
واسم المقنع : محمد بن غفر بن عميرة . وهو من شعراء الدولة الأموية
الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٢٥/٢ .

في الكلام الا لتأكيد الغرض المقصود به " كقوله تعالى " : * يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم * (١) . علق عليها بقوله : فإنه إنما كرر العفو والصفح والمغفرة ، والجميع بمعنى واحد . للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزوج عن زوجته .

وهذا وأمثاله ينظر في الغرض المقصود به ، وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الإيجاز وأولى بالاستعمال ، وجعل منه قوله تعالى * قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * (٢) فإن البث والحزن بمعنى واحد ، وإنما كرره هاهنا لشدة الخطب النازل به ، وتكاثر سبابه النافذة في قلبه ، وهذا المعنى كالذي قبله . وكذلك ورد قوله تعالى :

* قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبآبائنا وبينكم المداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده . . * (٣) ، فإن البغضاء والمداوة بمعنى واحد ، وإنما حسن إيرادها معاً في معرض واحد ، لتأكيد البراءة بين إبراهيم - صلوات الله عليه - والذين آمنوا به ، وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده .
ثم استشهد من الشعر بقول " الأُفشى " في قصيدته المشهورة التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) الآية ١٤ من سورة التغابن .

(٢) الآية ٨٦ من سورة يوسف .

(٣) الآية ٤ من سورة المتحنة .

فَأَلَيْتَ لَا أَرْضِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجَسٍ حَتَّى تَلَاقِيَ مُحَمَّدًا (١)
فان الوجس والكلالة معناهما سواء ، وانما حسن تكريره ها هنا للإشعار
ببعد المسافة .

الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد :

كقول أبي تمام :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبَّوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَوْلِهَا وَدَهْوِهَا أَثْلَاشًا (٢)
فان الصبا هي القول ، وأشار " ابن الأثير " الى أن هذا الضرب من التكرير
قد خبط فيه علماء البيان خبطا كبيرا ، والا فكم منهم أجازه ، فقالوا :
ان كانت الألفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس استعمال ذلك
بحميم ، وهذا القول فيه نظر عنده ، فهو يرى : أن النثر يعاب على
استعماله مطلقا اذا أتى لغيره فائدة ، أما الناظم فانه يعاب عليه
في موضع دون موضع .

أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية
وما والاها ، وأما الموضع الذي لا يعاب فيه فهو الاعجاز من الأبيات ، لمكان
القافية ، وعلل ذلك بقوله : وانما جاز ذلك وان لم يكن عيبا لأنه

(١) البيت في قصيدته التي مطلعها :

أَلَمْ تَفْتَضِ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمُ مَسْهَدَا
وفي الديوان " ولا من حَفَى " بدل " وجى " و " تزور " بدل " تلاقى "
ديوانه ص ١٣٥ .

(٢) ديوانه ٣١٢/١ . قال العسكري في الصداعتين ١٢٧ : ومن الخطأ

قول أبي تمام : وذكر البيت ثم ذكر عن الأصمعي : مهيب الجنوب
من مطلع سهيل الى طرف جناح الفجر ، وما يقابل ذلك من ناحية
المغرب فهي الشمال ، وما يجى ^{من} وراء البيت الحرام فهي دهور ، وما
يقابل ذلك فهي القول ، والقول والصبا واحدة . والجيد ما قاله
البحترى :

مروكة للريح بين شمالها وجنوبها ودهورها وقبولها
ديوان البحتري ١٨٤ .

قافية ، والشاعر مضطرب اليها ، والمضطر يحل له ما حرم عليه ، ومثل له
بقول " الحطيئة " :

قالت أُمَامَةُ لا تجزع فقلت لها ان المزاء وان الصبر قد غلبا (١)
هَلَّا التمسْتِ لَنَا إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً مَا لَّا نَمِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبَا
وعاب البيت الأول ، لأنه كرر " المزاء " والصبر " ان معناهما واحد ، ولم
يردا قافية ، لأن القافية هي الياء ، وأما البيت الثاني فليس بحبيب ،
لأن التكرير جاء في " النشب " وهو قافية .

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يتعرض لـ " تكرير اللفظ دون المعنى " ،
لكننا نجد هذا القسم عند التنوخي (٢) في " الأقصى القريب " (٣) .

تقسيم التنوخي :

قسم التكرار ثلاثة أقسام .

١ - تكرير اللفظ والمعنى .

٢ - تكرير اللفظ دون المعنى .

٣ - تكرير المعنى دون اللفظ .

وسأذكر بعض ما جاء من كلامه ومن أمثله .

قال : " ومن البيان " : " التكرير " (٣) ثم ذكر أقسامه ، و بدأ :

(١) ديوانه ١٤ ، ١٥ ورواية البيت الثاني : - ما لا فيسكننا بالخرج -

والخرج بالضم x أسفل الصمان ، وبالفتح : قرية من قرى اليمامة .

وبين البيتين في الديوان قوله :

ان امرأ رهطه بالشام منزله برمل يهين جاراً شدا ما اغتربا

(٢) زين الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عمرو التنوخي ،

أحمد أعيان المائة السابعة للهجرة النبوية .

(٣) كتاب " الأقصى القريب " ص ٩٠ .

١ — بتكرير اللفظ والمعنى :

إذا لم يكن بين أفراد المكرر تفاوت أصلاً فهو لمجرد التوكيد ، وجمل

منه قسمين :

أ — تكرير الكلمة الواحدة كقولك جاء زيد زيد ، والتوكيد لرفع اللبس : فقد يكون بالنسبة الى ما في نفس السامع ، أو الى ما في نفس السميع أو الى ما في نفسيهما : أما في نفس السامع فهو أنه لم يسمع ، وأما في نفس السميع وهو ذاته أن السامع لم يسمع وقد سمع ، وأما في نفسيهما فهو أن يكون اللفظ محتملاً للمجاز والحقيقة ، فيكون التكرار لمثل ذلك ، لأن المجاز والحقيقة يكونان بالنسبة الى كل واحد منهما وما يناسب ذلك .

ب — تكرير أكثر من كلمة ومثل له بقوله تعالى * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك له العزيز الرحيم * (١) وجعل التكرير للوعظ : فإنه قد يتأثر بالمكرر من لم يتأثر بالمرة الواحدة ، ثم ذكر مناسبة قوله * إن في ذلك لآية * : لظهور آيات الأنبياء — عليهم السلام — والتعجب من تخلف من لم يؤمن بآياتهم مع ظهورها ، وأما مناسبة قوله تعالى * العزيز الرحيم * فإنه تعالى نفى الايمان من الأكثر ودل بالمفهوم على ايمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن ، وهما مرتبان كترتيب الفريقين .

(١) الايات ٨ ، ٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، وبعض آية ١٣٩ ، ١٤٠ ، وبعض آية ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ و ١٩٠ ، ١٩١ من سورة الشعراء .

ومثل ذلك ما في سورة "الرحمن" من قوله تعالى ﴿فِي أَيِّ آلٍ يَكْمُلُ﴾^(١) فهو استفهام على سبيل التوضيح ، ومثل ذلك أيضا ما في سورة "المرسلات" من قوله تعالى ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٢) ، جملة للتهديد .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، إن مع العسر يسرا^(٣) . فقد تكرر العسر مرتين ، واليسر مرتين ، . وقال النحوي - صلى الله عليه وسلم - " لن يغلب عسر يسرين " (٤) وشرح معنى ذلك بقوله : ان اليسر كرر تأكيدا لكونه مع العسر ، وأما العسر فكرر ضمنا لليسر ، فلفظ العسر مكرر ومعناه ليس مكررا فهو عسر واحد ، ولذلك عُرف باللام ، واللام للطبيعة ، وليس تكراره للتوكيد بخلاف اليسر فانه كرر تأكيدا لكونه مع العسر حيث وجد ، وذلك من لطف الله ورأفته بخلقه .

وما يدل أيضا على تكرير لفظ اليسر ومعناه معا كونه نكرة لأن النكرة تتطابق آحادا كثيرة ، وطبيعة الجنس لا ثاني لها^(٥) .

٢ - تكرار اللفظ دون المعنى : ومثل له بقوله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٦) ها هنا اللفظ مكرر ، وانتصار السفي عليه بإن الله تعالى عدل ، وانما سميت سيئة لكونها جزاء السيئة فقوله تعالى :

-
- (١) سورة الرحمن وقد تكررت احدى وثلاثين مرة .
 (٢) سورة المرسلات وقد تكررت عشر مرات .
 (٣) الايتان ٥ ، ٦ من سورة الشرح .
 (٤) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير ، لجلال الدين السيوطي : " لن يغلب عسر يسرين ، ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا " حديث حسن ، رواه الحاكم في مستدركه عن الحسن مرسل .
 (٥) الأقصى القريب : ص ٩٠ ، ٩١ .
 (٦) بعض آية ٤٠ من سورة الشورى .

* سيئة مثلها * - لا يقوم ههنا غيرها مقامها لأن مراده تعالى :
 المماثلة في الجزاء من كل وجه فلو قال "سيئة" ولم يقل "مثلها"
 لم تفهم المماثلة التي هي عين العدل ، ولو قال "مثلها" ولم يقل "سيئة"
 احتمل أن تكون المماثلة من غير جنس أو في بعض الأوصاف كقوله تعالى :
 * يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا
 فجزاؤه مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم * (١) . فهذه المماثلة
 من كونها جزاء ومماثلة في بعض الأشياء ، وكذلك أسندها إلى حكم العدلين
 لتطرق المنازعة في المثلية بخلاف ما إذا قطع إنسان يمين إنسان فإن قبالة
 ذلك قطع يمين القاطع ولا يفتقر إلى عدلين . ومثل له من الشعر بقول :
 "الشعاليبي" :

وإذا الهابل أفصحت بلغاتها فانف الهابل باحتسا بلابل (٢)
 لأن الأول جمع : بلبل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع : بلبال وهو
 السم يخلج في الضمير ، والثالث جمع بليلة الأبريق يشرب منه الخمرة
 فأطلق اسمها على الخمرة وقال : هذا من طبع التجنيس وجعل من قبيح
 التكرار قول "المتنبي" :

فقلقت بالهم الذي قلل الحشا قلاقل ههش كهن قلاقل (٣)

-
- (١) بعض آية ٩٥ من سورة المائدة .
 (٢) هو صاحب البيتية وقد ورد هذا البيت في "التبيان في شرح الديوان"
 ديوان المتنبي لشا ربه أبي المقام المكي ١٧٦/٣ .
 (٣) ديوانه ١٧٥/٣ وفيه : قلاقل عيس . وقد وصف البيت بالقبح غير واحد من
 البلغاء .

لأن كل قلعة فيه واحدة (١) .

٣ - تكرير المعنى دون اللفظ : كقول القائل : أطمعني ولا تمصني ،
الجلطتان أمر ونهى معناهما واحد لأن الأمر بالشئ نهى عن ضده ،
والمعصية ضد الطاعة ، لكن النهى يستغرق والأمر لا يستغرق ، وقد
يستغرق ، فإذا أراد بقوله : أطمعني للاستغراق كان قوله بمد ذلك :
ولا تمصني تبييناً لهذا المعنى ونفياً لطلب الطاعة الجزئية في الأمر
المخصوص (٢) انتهى ما قاله " التنوخي " .

أما " ابن الأثير " الحلبي المتوفى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة
للهجرة فقد قسم التكرار في كتابه " جواهر الكنز " (٣) إلى نفس الأقسام
التي قسمها " ابن الأثير الجزري " وذكر بعض أمثله ولم يزد على
ذلك شيئاً ..

وكذلك فعل " ابن قيم الجوزية " المتوفى سنة إحدى وخمسين
(٤) وسبعمائة للهجرة في كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " .
إلا أنه زاد بعض الأمثلة وذكر أغراضها .

أما تقسيم التكرار إلى مفيد ، وغير مفيد فقد نقله عن " ابن الأثير
الجزري " كما نص على ذلك ومثل لها بنفس الأمثلة . ثم تكلم عن تكرار
الأسماء والأفعال والحروف والمعاني وذكر الحسن من ذلك والقبح .

(١) الأقصى القريب ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) جواهر الكنز تلخيص كنز المراجعة في أدوات ذوى البراعة " لنجم

الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي . ت : د . محمد

مخلول سلام . منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٠ من ص ٢٥٢ حتى

ص ٢٥٩ .

(٤) مؤلفه : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي

المعروف بابن القيم - دار الكتب العلمية بيروت من ص ١١١ إلى ص ١١٦ .

الباب الثالث

أسرار تكرار القصص، وأغراضه، وآراء العلماء فيه

الفصل الأول

أ — أسرار التكرار في القصص القرآني

قص القرآن العظيم كثيرا من الأنباء العظيمة ، والقصص البليغة ، عن الأقسام السابقين ، وأعلمنا مواقف أولئك الأقسام مع رسلهم ، وذكر لنا مآلهم ، وذكرنا بمصيرهم ، وكسر لنا ذلك ليحذرنا ويخوفنا من جهة ، وليعلمنا ويهدينا من جهة أخرى ، وقد كرر القرآن قصصهم فأبدأ وأعاد ، وأجمل وفصل ، في أسلوب معجز في تشابهه ونظمه ، قوى في تأثيره وفعله ، شديد في رادعه وزجره ، لطيف في دعوته واستمالته ، وقد أثبت القرآن ذلك التشابه والتكرار ، وقرنه بأسبابه فقال عز من قائل :

* الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ثانياً تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد * (١) . وقال :
* ولقد ضلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون * (٢) .

قال "الزمخشري" في معنى "متشابها" : (مطلق في مشابهة بعضها بعضا ، فكان متاولا لتشابه معانيه في الصحة والأحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق ، وتناسب ألفاظه وتناسفها في التخيير والإصابة ، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيث ، ويجوز أن يكون "ثاني" بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون الا متشابها ، والثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبيائه وأحكامه وأوامره ونواهيها

(١) الآية ٢٣ من سورة الزمر ، واقشعر الجلد : اذا تقهض تقهضا شديدا ، وهو مثل في شدة الخوف .

(٢) الايتان ٨٧ ، ٢٨ من سورة الزمر .

ووعده ووعيده ومواعظه ، وقيل لأنه يشنى في التلاوة فلا يعمل ... ويجوز أن يكون جمع شنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة ... فان قلت : ما فائدة التثنية والتكرير ؟ قلت : النفوس أنفر شى * من حديث الوعظ والنصيحة ، فما لم يكرر عليها عودا من بد * لم يرسخ فيها ولم يعمل عظه ، ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعمد به وينصح ثلاث مرات وسبعا لتركيزه في قلوبهم ويفرسه في صدورهم (١) .

والقصة : الخبر . والقَصص : بكسر القاف : جمع القصة التي تكذب والقَصص : البیان .

قال تعالى * نحن نقص عليك أحسن القصص * (٢) أى " نبين لك أحسن البیان " (٣) .

والقصص على وجهين " يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص ، تقول : قصى الحديث يقصه قصصا ، كقولك : شله يشله شلا اذا طرده ، ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقص والحسب ، ونحوه : النبأ والخبر فى معنى النبأ به والمخبر به ، ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد ، وان أريد المصدر فعنائه : نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (٤) .

وفى " لسان العرب " : " قصّ على خبره يقصه قصا وقصصا : أورد . والقَصص : الخبر المقصوص بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه . وتقصص كلامه : حفظه ، وتقصص الخبر : تتبعه ، والقصة : الأمر والحديث .. وقص آثارهم يقصها قصا وقصصا وتقصصها : تتبعها بالليل ، وقيل : هو تتبع الأثر أى وقت كان . قال تعالى * فارتدّا على آثارهما قصصا * (٥) .. أى رجعا من الطريق الذى سلكاه يقصان الأثر أى يتبعانه ..

(١) الكشف للزمخشري ٣/ ٣٩٥ . (٢) الآية ٣ من سورة يوسف .

(٣) لسان العرب لابن منظور " قصص " (٤) الكشف للزمخشري ٢/ ٣٠٠ .

(٥) الآية ٦٤ من سورة الكهف .

وقيل * القاص يقص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا^(١).
ومن هذا يتبين أن "القصص" هو اسم للأخبار والأخبار الواردة في
القرآن ، ويطلب من قارئها أن يتبينها ، وأن يتتبع أهدافها ، ويتقصص
آثارها ، ويصن توجيهاتها ، لأن هذا القصص لم يأت لتسلية القارى ،
وانما جاء لتعليمه وتقويمه ، وتربيته وتهذيبه ، وتخفيفه وترغيبه ،
ولكي يسمن له الصراط المستقيم فيتبعه ، والسبل الضلة فيتجنبها ،
فهو قصص حقيقى ، وأخبار واقعة ، لا حكايات تروى . قال تعالى :
* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ * (٢) .

وإذا تتبعنا هذا القصص وتبعنا في أسرارهِ ، وتأملنا في طرق تكراره
وجدناه يدور حول أربعة محاور :

الأول : ما يتعلق بالخالق - عز وجل - وأحقية بالمعبادة وإثبات صفاته
كوحديانيته وقدرته وعلمه وعظمته ورحمته وعقابه ، وأنه هو الذى خلق
الخلق وأمرهم بعبادته ، وهو الذى أرسل الرسل بالكتب والآيات المعجزة
بنصرتهم .

الثاني : ما يتعلق بالرسل عامة وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
من تسلية لغو أده ، وإثبات لنبوته ، وأمره بالصبر واليقين ، وأن ما فعله
كفار قرىش ما هو الا خلق الأولين .

الثالث : ما يتعلق بالكتاب نفسه وكونه منزلا من عند الله ، ما هو بالسحر
ولا بالأساطير ، ولذلك كان بليغا معجزا يتحدى البلغاء ، ومن أبرز
سمات هذا الكتاب قصصه الحقيقى ، كما أن من أبرز سمات هذا القصص
تكراره المعجز .

(١) لسان العرب لابن منظور "قصص" .

(٢) الآية ٦٢ من سورة آل عمران .

الرابع : ما يتعلق بالخلق وتحذيرهم وترغيبهم ، وأمرهم بعبادة الله وحده ، ونهيهم عن عبادة غيره ، ودعوتهم الى التفكير والاعتبار والى التصديق الرسل ، وأن هلاك الأُمم السابقة كان بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم بالرسول .

وسأفصل القول في مظاهر التكرار في هذه الحاور :

أولاً : أمّا ما يتعلق بالخالق عز وجل فهذه بعض أسرار التكرار فيها :

١ — إثبات وحدانية الله عز وجل وأحقّيته بالعبادة كما في الآيات

التالية :

* لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره * (١)

* وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره * (٢)

* وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره * (٣)

* وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره * (٤)

وقال — عز من قائل — في سورة الشعراء :

* إن قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجرى إلا على رب العالمين ، فاتقوا الله وأطيعون * (٥)

* إن قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجرى إلا على رب العالمين . . فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذى أمّركم بما تعملون ، أمّركم بأنعامٍ ونenin * (٦)

(١) بعض الآية ٥٩ من سورة الأعراف . (٢) بعض الآية ٦٥ من سورة الأعراف .

(٣) بعض آية ٧٣ من سورة الأعراف . (٤) بعض آية ٨٥ من سورة الأعراف .

(٥) الآيات ١٠٦ حتى ١١٠ من سورة الشعراء .

(٦) الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الشعراء .

* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . . . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ * (١)

* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * (٢)

* إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . . . وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ * (٣)

وقال — سبحانه — في سورة "المنكوت" —

* وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * (٤)

وقد أجمل القرآن ذلك في قوله تعالى * إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَتَّقُونَ * (٥)

٢ — اثبات صدق الله في وعده ، وبيان استجابته ونصره لرسوله — عليهم

السلام ولا أوليائه — قال تعالى :

* وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ، وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْمَظِيمِ . . . سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٦)

وقال عن إبراهيم — عليه السلام :

* فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأُسْقَلِينَ . . . سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * (٧)

(١) الآيات ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ من سورة الشعراء .

(٢) الآيات ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ من سورة الشعراء .

(٣) الآيات ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ١٦ من سورة المنكوت .

(٥) بعض آية ١٤ من سورة فصلت .

(٦) الآيات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ من سورة الصافات .

(٧) الآيات ٩٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ من سورة الصافات .

وقال جل شأنه : * ولقد مَنَّا على موسى وهارون ، ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ، ونصرناهم فكانوا هم الغالبين . . سلام على موسى وهارون ، إنا كذلك نجزي المحسنين * (١) وقال عز شأنه : * سلام على آل ياسين ، إنا كذلك نجزي المحسنين * (٢) وقال عن لوط — عليه السلام :

* وإن لوطا لَمِنَ المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين ، إلا عجوزا في الفاهرين * (٣) .

وقال أيضا * وإن يونسَ لَمِنَ المرسلين . . فنبذناه بالعماء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرةً من يقطين ، وأرسلناه إلى مائة ألف أبوزهدون * (٤) .

ثم كرر في آخر السورة وعده بأن ينصر رسله ، وأن يجعل الخليفة لجنده :

* ولقد سبقَتْ كلُّنا لعبادنا المرسلين إنيهم لهم الأنصرون ، وإن جندنا لهم الغالبون * (٥) .

٣ — صدق وعيده في تدمير أعدائه واهلاك كل من كبره وكذب برسله :

قال تعالى * ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * (٦) . وقال — جل شأنه — * وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، وكنا نحن الوارثين * (٧) .

(١) الايات ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ من سورة الصافات .

(٢) الايتان ١٣٠ ، ١٣١ من سورة الصافات .

(٣) الايات ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ من سورة الصافات .

(٤) الايات ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ من سورة الصافات .

(٥) الايات ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ من سورة الصافات .

(٦) الاية ١٠٠ من سورة هود .

(٧) الاية ٥٨ من سورة القصص .

وقال — عز شأنه — * ثم دسونا الآخرين ، وانكم لتحرّون عليهم —
مُصْبِحِينَ ، وبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ * (١) .

٤ — اثبات قدرته القناهية ، وعظمته المطلقة في انزال الايات ، وصنع
المعجزات ، لتمكين الرسالات ونصرة الأنبياء ، ولهداية الناس وتثبيت
الحجة عليهم ، قال تعالى :

* وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لِمَلَكْمَ تَهْتَدُونَ * (٢) وقال جل
شأنه : * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ * (٣) ، وقال :
* فَأَلْقَى هَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمَآن مِائِينَ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّازِرِينَ * (٤) ، وقال : * وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ * (٥) وقال : * وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ
وَمُضَدًّا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * (٦) .
وقال فز وجل : * فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ
مُلْكًا عَظِيمًا * (٧) . وقال * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى
إِبْرَاهِيمَ * (٨) ، وقال * وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * (٩) وقال :
* وَآتَيْنَا شُوعَ النَّاقَةِ مِصْرَةَ فَظَلَمُوا بِهَا * (١٠) ، وقال :
* وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّائِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * (١١) .

(١) الايات ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ من سورة الصافات .

(٢) الآية ٥٣ من سورة البقرة .

(٣) بعض الآية ١٠١ من سورة الاسراء .

(٤) الايتان ٣٢ ، ٣٣ من سورة الشعراء .

(٥) بعض الآية ٨٧ من سورة البقرة وبعض آية ٢٥٣ منها .

(٦) الآية ٤٦ من سورة المائدة .

(٧) بعض الآية ٥٤ من سورة النساء .

(٨) الآية ٦٩ من سورة الأنبياء .

(٩) بعض الآية ٥٥ من سورة الاسراء .

(١٠) بعض الآية ٥٩ من سورة الاسراء .

(١١) الآية ٨٧ من سورة الحجر .

٥ - بيان نعمه التي أنعم بها على الأقوام السابقة ^(١) : قال تعالى
عن قوم "موسى" :

* فأخرجناهم من جنّات وعيون ، وكوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها
بنى إسرائيل * ^(٢) ، وقال عن قوم عاد :

* أتبنون بكلّ ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تغلدون ،

وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي أمركم بهاتعلمون
أمّكم بأنعام ونعمين ، وجنّات وعيون * ^(٣) .

وقال عن قوم "ثمود" :

* أتتركون في ما هاهنا آمنين في جنّات وعيون ، وزروع ونخل طلمها
هضيم ، وتتحتون من الجبال بيوتا فارحين * ^(٤) .

٦ - بيان نقمهم فقال عن قوم "نوح" : * وأغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا * ^(٥) ، وقال عن قوم "عاد" :

* وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا * ^(٦) . وقال عن قوم

"ثمود" : * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين * ^(٧)

وعن قوم "لوط" : * وأمطرنا عليهم مطرا * ^(٨) وعن قوم "مدّين" :

* فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين * ^(٩) ، وعن

قوم موسى :

(١) ومن هذا الباب تكرار قوله عز وجل في سورة "الرحمن" * فبأى آلاء
ربكما تذكبان *

(٢) الايات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ من سورة الشعراء .

(٣) الايات من ١٢٨ حتى ١٣٤ من سورة الشعراء .

(٤) الايات ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ من سورة الشعراء .

(٥) بعض الاية ٦٤ من سورة الاعراف .

(٦) بعض الاية ٧٢ من سورة الاعراف .

(٧) الاية ٧٨ من سورة الاعراف .

(٨) بعض الاية ٨٤ من سورة الاعراف .

(٩) الاية ٩١ من سورة الاعراف .

* ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصي من الثمرات لعلهم يذكرون ^(١)
 وقال أيضا : * فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقملَ والضفادعَ
 والدمَ آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ ^(٢) وقال : * فانتقمنا منهم فأغرقناهم
 في اليمِّ ^(٣) ، وقال : * ودبرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
 وما كانوا يعرشون ^(٤) .

وفي ذلك بيان لتنوع عقابه كما تنوع نعمه وأفضاله وقد أجمال
 القرآن ذلك في قوله :

* فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنُفِثْنَا مِنْ أَرْضِنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَهُمْ مِنْ أَخَذَتِ
 الصَّيْحَةُ وَهُمْ مِنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَهُمْ مِنْ أَغْرَقْنَا ^(٥) .

وبين النعم والنقم دليل على قدرة الله عز وجل ، فهو القادر على أن
 يرسل السيل مدرارا ينتفع به الناس ، أو أن يجعله مطرا من عذاب
 وهو القادر على أن يجعل الرياح بشرا بين يدي رحمته أو يجعلها
 ريحا تدمر كل شيء ، وهو القادر على أن يجعل الشمس والقمر
 والنهار والليل والجمال وسائر المخلوقات نعمة بفضله ورحمته ، أو
 أن يجعلها عذابا ونقمة ، يعدله وحكمته .

٧ - بيان عظم عقابه ، وشدة أخذه للكافرين ، قال تعالى :

* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ
 شَدِيدٌ ^(٦) .

(١) الآية ١٣٠ من سورة الأعراف .

(٢) بعض الآية ١٣٣ من سورة الأعراف .

(٣) بعض الآية ١٣٦ من سورة الأعراف .

(٤) بعض الآية ١٣٧ من سورة الأعراف .

(٥) بعض الآية ٤٠ من سورة العنكبوت .

(٦) الآية ١٠٢ من سورة هود .

وبيان رحمته ورأفته بالموءنين ، قال تعالى : * وَأَوْفُقْنَا
القومَ الذين كانوا يُستضعفون مشارقَ الأرضِ ومغاربِها التي باركنا
فيها * (١) ، وقال جل شأنه :

* قال عذابي أصيبُ به من أشاءُ ورحمتي وسعت كلَّ شئٍ ، فساكنيها
للذين يتقون ويؤتون الزكاةَ والذين هم بآياتنا يؤنون * (٢)
ومن هذا الباب تكرار قوله تعالى * فكيف كان عذابي ونذر * (٣)

٨ - نفى الظلم عنه عز وجل ، وأن سبب هلاك القصص عنهم

كان بسبب ظلمهم وكفرهم وذنوبهم . قال تعالى * ذلك من أنباء
القرى نَقَصْنا عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا

أنفسهم * (٤) ، وقال جل شأنه * وما أهلكنا من قريةٍ إلا لهما
مُذْنُون ، ذِكْرِي وما كنا ظالمين * (٥) ، وقال * وما كان ربك
مهلكَ القرى حتى يبعثَ في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا
مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون * (٦) . وقال جل شأنه :

ولو أن أهلَ القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض
ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون * (٧)

٩ - بيان سمة علمه عز وجل ، واحاطته بجميع أعمالهم ونواياهم ،

وأنه لا يخيب عنه شئٌ من سرهم وعلانياتهم ، قال تعالى :

(١) بعض الآية ١٣٧ من سورة الأعراف .

(٢) بعض الآية ١٥٦ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٦ وبعض الآية ١٨ ، ٢١٠ ، ٣٠٠ من سورة القمر .

(٤) الآية ١٠٠ وبعض الآية ١٠١ من سورة هود .

(٥) الايتان ٢٠٨ ، ٢٠٩ من سورة الشمرا .

(٦) الآية ٥٩ من سورة القصص .

(٧) الآية ٩٦ من سورة الأعراف .

* فلنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلِنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ، فلنَقْصُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ * (١) .

قال الامام "الفخر الرازي" : " المراد أنه تعالى يكررونها للقوم ما أعلنوه وما أسروه من أعمالهم ، وأن يقص الوجوه التي لا جملها أقدوا على تلك الأعمال ، ثم بين — تعالى — أنه إنما يصح منه أن يقص تلك الأحوال عليهم لأنه ما كان غائبا عن أحوالهم ، بل كان عالما بها ، وما خرج عن علمه شيء منها . . . ويدل قوله تعالى * فلنقصن عليهم بعلم * أنه تعالى عالم بالعلم ، وأن قول من يقول : انه لا علم لله قول باطل " (٢) .

١٠ — ومن أسرار تكرار القصص بيان سنن الله في خلقه ، وكيفية تدبير أمورهم :

أ — كأخذهم بالأساء والضراء ، والرخاء بعد الشدة ، والآن من بعد الخوف .

ب — أن كثيرا من عباده قد حققت عليهم كلمة العذاب * وما وجدنا لا نُكَرِّهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وإن وجدنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ * (٣) .

ج — استدراجهم والاملاء لهم ، وفتح أبواب النعم لهم ليزدادوا بطرا وانهاكا في الفساد ، وتماديا في الفضيحة .

د — العذاب لا يأتي الا بغتة ، ولا ينفع ساعته الايمان ولا التضرع * وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْطَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * (٤) .

(١) الايتان ٦ ، ٧ من سورة الاعراف .

(٢) التفسير الكبير للامام الرازي ٢٣/١٤ .

(٣) الاية ١٠٢ من سورة الاعراف .

(٤) بعض الآيات ٥٣ من سورة العنكبوت .

هـ - لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

* ولولا أجل مسمى لجاءهم المذاب * (١)

و - * ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين

إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأن سجنهم

من الجنة والناس أجمعين * (٢)

ز - * ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ،

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميرا * (٣)

ح - * وما ضلنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ،

وآتينا شوبق الناقة مصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا

تخويفا * (٤)

ط - * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد

فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

الكاذبين * (٥)

ي - * ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا * (٦)

هذه بعض مظاهر سنن الله في خلقه ، وطرق تدبير أمره فيهم ،

وقد جاء أكثرها في ثنايا القصص القرآني ، قبل القصة أو في وسطها

أو بعدها ، وفيها آيات أخرى ، وحكم عظمى ، وعبر لا تنتهى .

(١) بعض الآية ٥٣ من سورة العنكبوت .

(٢) الايتان ١١٨ ، ١١٩ من سورة هود .

(٣) بعض الآية ١٥ والاية ١٦ من سورة الاسراء .

(٤) الآية ٥٩ من سورة الاسراء .

(٥) الايتان ٢ ، ٣ من سورة العنكبوت .

(٦) بعض الآية ٩٩ من سورة يونس .

ثانياً — أما ما يتعلق بالرسول وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، فهذه بعض أسرار التكرار فيها :

١ — اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ، واثبات نزول الوحي عليه ، قال تعالى : * إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده * (١) وقال : * ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلًا لم نقصصهم عليك * (٢) ثم قال بعدها * لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، أنزله بحكمه واللائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً * (٣) . وقال عز وجل : * ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون * (٤) .

٢ — ارسال الرسول رحمة لقومه ، وطاعته منجاة ، وعصيانه مهلكة ، ولذلك كان تكرار قصص الأنبياء عليهم السلام — مع أقوامهم ، ليوكد أن سبب عذابهم في الدنيا والآخرة كفرهم بالله ، وتكذيبهم بالرسول ، وهذا من رحمة الله بالناس عامة وبأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان في التكرار انذار وتبشير ، ودعوة إلى الإيمان بالله وبالرسول ، وبالكتاب والآيات المعجزات ، وباللائكة وباليوم الآخر . قال تعالى : * يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا * (٥) ، وقال : * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله * (٦) .

-
- (١) بعض الآية ١٦٣ من سورة النساء .
 (٢) بعض الآية ١٦٤ من سورة النساء .
 (٣) الآية ١٦٦ من سورة النساء .
 (٤) الآية ١٠٢ من سورة يوسف .
 (٥) بعض الآية ١٣٠ من سورة الأنعام .
 (٦) بعض الآية ٢٢ من سورة غافر .

- ٣ — إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن جميع الأُقوام قد كذبت رسلها ، وأن قومه ليسوا أول من كذب ، وأن تكذيبهم لا يمنع أن ما جاء به باطل ، قال تعالى * وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * (١) .
- وقال : * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبي المرسلين * (٢) ، وقال * ما يُقال لك إلا ما قيل للمرسل من قبلك * (٣) .
- ٤ — تسليية فؤاده ، وتشبيته قلبه — صلى الله عليه وسلم — :
 * قل نعم إنه ليحزنك الذين يقولون فأنهم لا يكذبونك ، ولكن الغالمين بآيات الله يجحدون * (٤) ، وقال : * وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين * (٥) .
- ٥ — كما أن في تكرار/ فوائد أخرى للنبي — صلى الله عليه وسلم —
 خاصة ، وللمؤمنين عامة ، منها : إبعاد الشك عن نفسه ، وأن يتحقق من عبادة ربه ، ومن نصرته ، وأن يتحقق من بطلان آلهتهم قال تعالى * فلا تك في مربة مما يعبد هو لا ، ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل * (٦) *

(١) الآية ٦٦ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٣٤ من سورة الأنعام .

(٣) بعض الآية ٤٣ من سورة فصلت .

(٤) الآية ٣٣ من سورة الأنعام .

(٥) الآية ١٢٠ من سورة هود .

(٦) بعض الآية ١٠٩ من سورة هود .

* ومن هذا الباب تكرار قوله تعالى * قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنا عابد ما عبدتم... * .

ثالثاً : ما يتعلق بالكتاب نفسه عامة وبالقصة خاصة :

١ — اثبات أن هذا القصة حق وصدق ، وأن الخبر به صادق فيما
قضى ، وأن المقصود عنهم أمم كانت موجودة ثم أهلكها الله ، فأصبحوا
لا يرى إلا مساكنهم ، فلم تكن هذه القصة نتاج خيال ، أو بقايا
أساطير ، أو افتراء سحر . قال تعالى :
* إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * (١) ، وقال :
* كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا * (٢) ، وقال جل شأنه : * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ * (٣)
وقال في ختام سورة يوسف : * مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ * (٤) .

٢ — أن هذا القصة ليس من عند — محمد صلى الله عليه وسلم —
بل لم يكن يعلفه من قبل أن يوحى إليه ، وقد تكرر في قصة القرآن
آيات تنفي علم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القصة ، وتنفي
وجوده في أماكنه ، قال تعالى : * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا * (٥) وقال بمعد
قصة " يوسف " : * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
لَدَيْهِمْ إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * (٦) .

(١) بعض الآية ٥٧ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٩٩ من سورة طه .

(٣) بعض الآية ١٣ من سورة الكهف .

(٤) بعض الآية ١١١ من سورة يوسف .

(٥) بعض الآية ٤٩ من سورة هود .

(٦) الآية ١٠٢ من سورة يوسف .

وقال في سورة "القصص" بعد قصة "موسى" :

* وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى ألاٰ مروا كنت من
الشاهدين * (١) * وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم
آياتنا ولكنا كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن
رحمةً من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذيرٍ من قبلك لعلهم
يتذكرون * (٢) ، وقال : * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك إذ لاٰ رتاب المطلون * (٣) .

وفيما سبق أدلة أخرى تفيد اثبات النبوة وتعزيز الرسالة ، وصدق القصص
لأن أكثر تكذيب الكفار كان يتجه إلى القصص وأن محمدا قد
اختلفه أو اكتبه أو سافر إلى أماكنه ، أو أن يعلمه بشر ساحره
أو كاهن يدعى علم الغيب أو جان يسترق السمع ، فلذلك تكرر
في ثنايا القصص نفي هذه الأكاذيب .

٣ — إثبات بلاغة الكتاب العزيز : إن تكرار القصص أمر يدعو إلى
الاعجاب والتسليم ، حيث يعرض القرآن القصة أكثر من مرة ،
في أكثر من موضع ، بأساليب شتى من الفصاحة والبيان ، وصور
مختلفة من البلاغة ، ولا يكون الاعجاز في واحدة منها بأقل من
الاعجاز في الثانية ، وقد ثبت أن القرشي لا يستطيع أن يأتي بسورة
واحدة من مثله ، فكيف يكون في مقدور بشر أن يكرر ما عجز عنه مرة
واحدة .

(١) الآية ٤٤ من سورة القصص .

(٢) بعض الآية ٤٥ والآية ٤٦ من سورة القصص .

(٣) الآية ٤٨ من سورة المنكوت .

قال " ابن فارس " عن تكرير الأُنباء والقصص في كتاب الله — جمل
 ثناؤه — : " أصح ما يقال فيه : ان الله — جل ثناؤه — جعل
 هذا القرآن وعجز القوم عن الاتيان بمثله آية لصحة نبوة "محمد"
 صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأُمر في عجزهم بأن كسر
 ذكر القصة في مواضع ، وإعلاما أنهم عاجزون عن الاتيان بمثله ،
 بأى نظم جاء ، وبأى عبارة عبر عنه ، فهذا أولى ما قيل فى
 هذا الباب (١) .

وقال " الهاطلنى " : " وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر
 القصة الواحدة ، فتفاوتها ، ويختلف اختلافا كبيرا . ونظرنا القرآن
 فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأينا غير مختلف ولا متفاوت ،
 بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة . فعلما بذلك أنه مما
 لا يقدر عليه البشر ، لأن الذى يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت ،
 الكثير ، عند التكرار وعند تبين الوجوه واختلاف الأسباب التى
 يتضمن (٢) .

وصدق الله حيث يقول : * أفلا يتدبرون القرآن ! ولو كان من عند
 غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * (٣) .

٤ — ومن أغراض التكرار في القرآن عامة ، وتكرار القصص خاصة ، تبين
 آيات الله وحكمه ، وتوضيح دلائله ، عن طريق تصرف القرآن ، وتكرار
 الآيات ، واعادة القصص حتى يتذكر الناس ، ويعتبروا بما فيها
 من وعد ووعد ، وتبشير وتخويف ، ومواعظ واحتجاج ، واعذار وانذار ،

(١) الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس ص ٣٤٣ .

(٢) اعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الهاطلنى ص ٣٧ ، ٣٨٠ .

(٣) الآية ٨٢ من سورة النساء .

وتلطف في دعائهم ، واستمالة في دعوتهم للإيمان ، قال الله تعالى :

* ولقد صرفنا في هذا القرآن لِيَذْكُرُوا وما يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا * (١) وقال :

* ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل خَلٍّ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * (٢) ، وقال :

* ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * (٣) ، وقال :

* وصرفنا فيه من الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * (٤) ،

وقال : * ولقد صرفناه بينهم لِيَذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * (٥) .

وهذه الآيات لا خلو من تكرار وتشابه ، كى يؤكّد القرآن من خلالها الى التكرار في سائر آياته ، ويلجج بوجوده وبالتأمل فيه ، فجعلها مكررة متشابهة حتى تذكره بذلك التكرار المتناثر في القرآن عامّة وفي القصص خاصّة ، كما أوضح القرآن في هذه الآيات سبب هذا التكرير أكثر من مرة ، وبأساليب مختلفة .

قال "الزمخشري" : " ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير .. " لِيَذْكُرُوا " : أى كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمثوا الى ما يحتاج به عليهم " (٦) . فمعنى " صرفنا " عنده " ردّدنا وكررنا " (٧) .

قال " ابن منظور " " وصرفنا الآيات أى بيّناها ، وتصريف الآيات تبينها " (٨) .

(١) الآية ٤١ من سورة الاسراء .

(٢) الآية ٨٩ من سورة الاسراء .

(٣) الآية ٥٤ من سورة الكهف .

(٤) بعض الآية ١١٣ من سورة طه .

(٥) الآية ٥٠ من سورة الفرقان .

(٦) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٤٥٠ .

(٧) الكشاف ٢ / ٤٦٥ . (٨) لسان العرب مادة : صرف .

ومن هذا الباب تكويره * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر* (١)
قال الامام " الرازي " : (أى للحفظ فيمكن حفظه ويسهل ، ولم
يكن شئ * من كتب الله يحفظ على ظهر القلب غير القرآن .
وقوله تعالى * فهل من مدكر * أى هل من يحفظ ويتلوه ، وفيه
وجه آخر : أى سهلناه للاتعاظ حيث أتينا فيه بكل حكمة ، أو :
جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ، ويستلذ بسامعه . . . ولا يسأم من
سمعه وفهمه . . .

والوجه الرابع وهو الاظهار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر
بحال نوح عليه السلام وكان له معجزة قيل له ان معجزتك القرآن
* ولقد يسرنا القرآن للذكر * تذكرة لكل أحد وتتحدى به في
العالم ويبقى على مر الدهور ، ولا يحتاج كل من يحضرك الى دعا
وسألة في اظهار معجزة ، وبمدك لا ينكر أحد وقوع ما وقع كما
ينكر البعض انشقاق القمر (٢)

٥ - ومن دواى تكرار القصص شموله على كثير من الامم والنواهي
التي جاءت في القصص للأقوام السابقين ، وشرع من قبلنا شرع
لنا ، وقد أمروا بعبادة الله وحده ، وبالتقوى وبالاستغفار والتوبة ،
وبالايان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، كما تضمنت الامر
بتصديق الآيات ، واتباع الرسل وتنفيذ أوامره ، كما أن فيها تبشيرا
بالجنة لمن آمن ، وانذارا بالنار لمن كفر .

(١) الآيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ من سورة القمر .

(٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ٤٢ / ٢٩ .

كما تضمن القصص كثيرا من النواهي التي يجب أن تنتهى عنها : فيجب أن تنتهى عما نهى عنه قوم نوح وقوم عاد وثمود ، وقوم لوط وقوم مدائن ، فالكفر بالله ومهاداة الأصنام والطغيان والعناد ، وتطفيف الكيل ، وقطع السبيل وإتيان الضكر ، وجحد الآيات ، وتكذيب الرسل ، كلها نواهٍ يمكن لأى فرد من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يقرؤها ، إذ أن القصص لم ينته بانتها أولئك الأقوام ، وإنما ظل حيا وسيظل كذلك يفعل فعله ، لأن الله عز وجل واحد ، أمر بدين واحد ، وإن اختلفت الرسل ، وتباينت الكتب ، كما أن بنى آدم تشملهم طبيعة واحدة ، تتشبه في مواقف المؤمنين والكافرين من أنبيائهم على مر العصور ، كما أن النتائج واحدة ، فالقوة ضون مصيرهم الجنة ، والكافرون مصيرهم النار ، ومن هذا يظهر أن تكرار القصص يدعونا في النهاية الى مبدأ الوحدة ، ووحدة الخالق ، ووحدة الدين ، ووحدة الخلق ، ووحدة النهاية ، ووحدة الكون ، ووحدة الزمان والمكان ، ووحدة الغاية .

وفي تكرار القصص تأكيد وتنبيه على أن الطامات تحقق السعادة والطمأنينة ، وتخلق للناس نظاما يتسم بالمدالة وبالحكمة ، وبأن الحياة الدنيا صورة مصفرة للحياة الأخرى .

كما أن في تكراره دليلا على أن المعاصى موجبة للشقاء في الدارين ، وأن الكفر والطغيان والإفساد فى الأرض يخلّ بنظام الحياة ، ويهطل مصالح الناس ، ويضع الأشياء فى غير مواضعها ، فيحصل التشاخص وتحلل البغضاء ، وتضطرب موازين الحياة ، فيكون ذلك موجبا لنزع الرحمة من السماء ، وحقق البركة من الأرض ، ومقدمة لانتقام موته . فالقصص إذن يحمل فى طياته شرائع ينظم بها الحياة ، ويصلح بها المجتمعات ، ولو أن القرآن اكفى بالأوامر والنواهي المجردة دون

قص القصص ، لساور الشك الكثيرين ، ولقامت الحاجة الى وجود دليل يفتح
الانسان أو أثر يردعه ويعتبره ، فكان القصص بمثابة أدلة قوية
تدعو الى العبرة سواء كان ذلك متلوا في القرآن ، أو قاثما في آثار السابقين ،
ولعل هذا السبب الذي جعل " القصص " مصحوبا بذكر الأمثلة وتعدد دلائلها .
ومن هنا كان كل رسول يدعو قومه الى التفكير في مصير الأقوام الذين
سبقوهم ، ويدعوهم الى تقصص آثارهم ، فهذا " هود " يذكر " عاد " ^(١)
بقوم " نوح " * واذكروا إن جعلكم خُلُفَاءَ من بعد قومِ نوحٍ * ، وهذا
" صالح " يذكر " ثود " بقوم " عاد " : * واذكروا إن جعلكم خُلُفَاءَ من
بعد عادٍ وثوآكم في الأرضِ * ^(٢) ، وهذا " شعيب " يذكر قومه
" مدين " بما أصاب الأقوام السابقين :

* ويا قوم لا يَجْرِيَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نوحٍ
أَوْ قَوْمَ هودٍ أَوْ قَوْمَ صالحٍ ، وما قوم لوطِ نكَمَ بِهِمْ * ^(٣) .

ومن رحمة الله بأمة محمد صلى الله عليه وسلم — أن جاءها القصص
وافيا غير منقوص ، فكان داحضا لكل شك ، مستوفيا لكل دليل ، قال
تمالى : * ولقد أهلكنا القرونَ من قبلك لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات
وما كانوا ليوثوا ، كذلك نجزي القومَ المجرمين ، ثم جعلناكم خُلَافَ في الأرضِ
من بعدهم لِنَنْظُرَ كيفَ تعملون * ^(٤) .

(١) بعض الآيات ٦٩ من سورة الأعراف .

(٢) بعض الآية ٧٤ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٨٩ من سورة هود .

(٤) الآيتان ١٣ و ١٤ من سورة يونس .

رابعاً : ما يتعلق بالخلق :

١ - جاء تكرار القصص في القرآن الكريم مناسبة لا اختلاف حالات الناس ، فمنهم من يتأثر لأول وهلة بالآية والآيتين ، ومنهم من يحتاج إلى أكثر من ذلك ، ومنهم من يتأثر به سريعاً ، ومنهم من لا يستجيب إلا بعد فترة وطول مداودة ، ومنهم من يصدق به ومنهم من يكذب ، ومنهم من يستولي عليه الشك والامتراس ، ومنهم من ينسى بعد تذكره ، ويقتسو قلبه بعد رقبته ، ومنهم من يبعد به المهد عن كتاب الله ، ومنهم من يكون أسيراً لشهواته ، سجيناً لغرائزه ، سادراً في قيئه ، ومنهم من يتمكن منه شيطانه فيزين له الباطل ويبطل له الحق ، ومنهم من يغلبه العناد ، وأفهام الناس مختلفة ، ومداركهم متباينة ، وطبائع عقولهم متفاوتة ، وحالات قلوبهم متقلبة ، كما أنهم يختلفون في درجات قوتهم وبطشهم ، ومقادير شهواتهم ، ودرجات عنادهم ، وتركيبات نفوسهم وعواطفهم ، وتعلقهم بأسباب دنياهم .

فجاء تكرار القرآن ليحيي القلب الميت ، ويشحذ الإدراك القاصر ، وينشط الذهن البليد ، وينبه الغافل ، ويذكر الناسي ، ويخلص الأسير ، ويطرد الوسواس ، ويهذب الغرائز ، ويرقق القلوب ، ويربي النفوس ، فيزداد المؤمن إيماناً ، ويرتدع الشاك التحير ، ويصدق المعاند ، وجاءت آياته مستوفية لجميع حالات العقول والأفئدة ، فمن آية تصور المعقول وتقرب البصير إلى آية تخاطب الفؤاد ، ومن آية يشعر الإنسان معها أنه في قعر الجحيم ، إلى آية يحس معها أنه يجلس في روضات النعيم ، والنفوس الإنسانية متقلبة في طبيعتها ومراحل أطوارها فما تستجيب له الآن قد لا تستجيب له بعد آن ، وما لا يورث فيها في طور ما ، قد يورث فيها في طور آخر .

فاختلفت لذلك صور التكرار وتشعبت لتناسب أحوال النفوس وتقليباتها .
فلتكرار القصص إذن وظائف ومهام غير الإخبار ، ولو كانت مهمة
القصص تنحصر في مجرد الإخبار لا يكفي بذكر القصة مرة واحدة ،
لكنه ذكر " قصة موسى في كتابه في مائة وعشرين موضعا ، وقصة
نوح في خمسة وعشرين موضعا " (١) .

قال تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (٢) .

٢ - تحذير الكفار وتهديدهم وتخويفهم ، قال تعالى :
﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاظمون ، وانتظروا
إنا منتظرون ﴾ (٣) ، وقال جل شأنه : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ (٤) .

(١) مشترك الأقران في اعجاز القرآن للسيوطي ١/٢٤٧ .

(٢) الآية ٥٢ من سورة يونس .

(٣) الايتان ١٢١ ، ١٢٢ من سورة هود .

(٤) الآية ١٣ من سورة فصلت . وهي الآية التي ارتدع بها " عتبة ابن
ربيعة " حين انتدب نفسه لأن يكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأن
يعرض عليه أمورا لعلمه يقبل بعضها . . . فلما جاءه ، وكلمه قال له
الرسول صلى الله عليه وسلم : " أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ،
قال : فاسمع مني ، قال : أفعل : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم .
تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون .
بشيرا ونذيرا فاعرض أكرهم ، فهم لا يسمعون ، وقالوا : قلوبنا فسى
أكنة ما تدعونا إليه ﴾ فصلت ١ - ٥ ، الروض الأنف للإمام السهيلي
١٢٠/٣ ، ١٢١ وفي تفسير ابن كثير ٩٠/٤ ، ٩١ : انه قرأ حتى
بلغ : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة . . ﴾ فأمسك عتبة على فيه
وناشده الرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم . ثم
قاله أبو جهل وقص عليه القصة ثم قال : فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن
يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم
العذاب . هـ . وقد ذكر ابن كثير ثلاث روايات لهذه القصة .

ومن هذا الباب تكرر قوله تعالى * ويل يومئذ للمكذبين * (١) .

٣ — ترغيب المؤمن وتبشيرهم . قال تعالى * وما نرسل المرسلين

إلا مبشرين ونذيرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * (٢) ، وقال جل شأنه * يا بني آدم إنما يأتيناكم رسل

منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * (٣) ، وقال : * إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجوع له الناس وذلك يوم مشهود * (٤) .

٤ — تنبيه الخلق الى بطلان عبادة الأصنام والطواغيت والمخلوقين ،

أو أن يعبدوا كما عبد آباؤهم الضالون ، أو أن يتخذوا شركاء . قال تعالى * وإن أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا من هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المظلون * (٥) ، وقال جل شأنه * فما أغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تشبيب * (٦) .

وأبلغ من ذلك أن الله تعالى أخبر في كتابه أن الاسلام دين الأنبياء كنوح وإبراهيم وإسماعيل وأتباعهم الى الحواريين ، وهذا تحقيق لقوله تعالى * ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه * (٧) ، وإن الدين عند الله الاسلام في كل زمان ومكان * (٨)

(١) الايات ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ من سورة المرسلات .

(٢) الاية ٤٨ من سورة الأنعام . (٣) الاية ٣٥ من سورة الأعراف .

(٤) الاية ١٠٣ من سورة هود . (٥) الايتان ١٧٢ ، ١٧٣ من سورة الأعراف .

(٦) بعض الاية ١٠١ من سورة هود . (٧) بعض الاية ٨٥ من سورة آل عمران .

(٨) دقائق التفسير لابن تيمية ١/١٠٤ .

قال تعالى * عن "نوح" أول رسول بعثه الله الى الأرض :
 * وأمرت أن أكون من المسلمين * (١) ، وقال عن "الخليل" وعن
 "اسماعيل" * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك * (٢)
 وقال تعالى * عن "يوسف" * توفني مسلماً وألحقني بالصالحين * (٣)
 وقال عن "موسى" * فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين * (٤)
 وقال عن "سليمان" * وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين * (٥)
 وقال عن أنبياء "بنى اسرائيل" : * إنا أنزلنا التوراة فيها هدى
 ونور يحكم بها النعمون الذين أسلموا للذين هادوا * (٦)
 وقال عن الحواريين : * وإن أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي ورسولي
 قالوا آتوا واشهد بأننا مسلمون * (٧)
 قال "ابن تيمية" : (وقوله : * إن الدين عند الله الاسلام * (٨)
 لا يختص بمن بعث اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو حكم عام
 في الأولين والآخرين ، ولهذا قال تعالى * ومن أحسن ديناً ممن
 أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، واتخذ الله
 إبراهيم خليلاً * (٩) ، وقال تعالى * وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم
 صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا
 خوف عليهم ولا هم يحزنون * (١٠) (١١)

-
- (١) بعض الآية ٧٢ من سورة يونس .
 (٢) بعض الآية ١٢٨ من سورة البقرة .
 (٣) بعض الآية ١٠١ من سورة يوسف .
 (٤) بعض الآية ٨٤ من سورة يونس .
 (٥) بعض الآية ٤٢ من سورة النمل . (٦) بعض الآية ٤٤ من سورة المائدة .
 (٧) الآية ١١١ من سورة المائدة . (٨) بعض الآية ١٩ من سورة آل عمران .
 (٩) الآية ١٢٥ من سورة النساء . (١٠) الايتان ١١١ ، ١١٢ من سورة البقرة .
 (١١) دقائق التفسير " الجامع لتفسير الامام ابن تيمية ١/ ١٠٧ .

٥ — ومن أبرز أسرار التكرار في قصص القرآن : الاعتبار والتذكر ، تحقيقا

لقوله تعالى : * فاقصص القصص لعلهم يتفكرون * (١) ولقوله

تعالى * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب * (٢) .

ولذلك جاءت أوامر القرآن بالسير في الأرض ليتعظ الخلق بمصائر

المجرمين ، وعواقب المكذبين ، قال تعالى * قد خلّت من قبلكم

سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا

بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين * (٣) وقال * قل سـيـروا

في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين * (٤) ، وقال

جل شأنه * وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من

أهل القرى ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

من قبلهم * (٥) ، وقال * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا

الله واجتنبوا الطغافوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ،

فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * (٦) ، وقال :

* وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وآباءنا أئنا لمخرجون ، لقد

وعدنا هذا نحن وآباءنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ،

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين * (٧) ، وقال

جل ثناؤه * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ،

ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ، إن الله على كل شئ قدير * (٨) .

(١) بعض الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .

(٢) بمعنى الآية ١١ من سورة يوسف .

(٣) الايتان ١٣٧ ، ١٣٨ من سورة آل عمران .

(٤) الآية ١١ من سورة الأنعام .

(٥) بعض الآية ١٠٩ من سورة يوسف .

(٦) الآية ٣٦ من سورة النمل .

(٧) الايات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ من سورة النمل .

(٨) الآية ٢٠ من سورة العنكبوت .

وقال : * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشدّ منهم قوة وآثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * (١) وقال في نفس السورة * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين * (٢) .

وقال : * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ففى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا * (٣) . وقال سبحانه * أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا هم أشدّ منهم قوة وآثاراً فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ ، ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله ، إنه قوى شديد العقاب * (٤) وقال فى نفس السورة * أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أكثر منهم وأشدّ قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * (٥) ، وقال : * أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، دمر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها * (٦) .

-
- (١) الآية ٩ من سورة الروم .
 (٢) الآية ٤٢ من سورة الروم .
 (٣) الآية ٤٤ من سورة فالجر .
 (٤) الايتان ٢١ ، ٢٢ من سورة غافر .
 (٥) الآية ٨٢ من سورة غافر .
 (٦) الآية ١٠ من سورة محمد .

قال "الكرمانى" : (قوله تعالى * أولم يسيروا في الأرض * ٩ " هنا = يعنى فى سورة الروم = وفى فاطر " ٤٤ " وأول المؤمن من (١) بالواو ، وفى غيرهن بالفاء ، لأن ما قبلها فى هذه السورة * أولم يتفكروا * ٨ " وكذلك ما بعدها * وأثأروا الأرض * ٩ " بالواو ، فوافق ما قبلها وما بعدها ، وفى " فاطر " أيضا وافق ما قبله وما بعده ، فان قبله * ولن تجد لسنة الله تحويلا * ٤٣ " وبعدها * وما كان الله ليُمجِّزه من شئ * ٤٤ " وكذلك أول " المؤمن " من " قبله : * والذين يدعون من دونه * ٢٠ " .

وأما فى آخر " المؤمن " فوافق ما قبله وما بعده وكانا بالفاء ، وهو قوله * فأى آيات الله تنكرون * ٨١ " وبعده * فما أغنى عنهم * ٨٢ " .

قوله * كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة * ٩ " ، * من قبلهم * متصل بكون آخر ضمير (٢) ، وقوله * كانوا أشد منهم قوة * اخبار عما كانوا عليه قبل الاهلاك .

وخصت هذه السورة بهذا النسق لما يتصل به من الآيات بعده ، وكله اخبار عما كانوا عليه وهو : * وأثأروا الأرض وعصوها * ٩ " ، وفى " فاطر " * كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا * ٤٤ " بزيادة الواو ، لأن التقدير : فينظروا كيف أهلكوا وكانوا أشد منهم قوة .

(١) تسمى سورة غافر سورة المؤمن لاشتغالها على حديث مؤمن من آل فرعون

— أغنى خربيل — فى قوله * وقال رجل مؤمن من آل فرعون *

وتسمى سورة الطول لقوله * ذى الطول * وتسمى "هم الأولى"

لأنها أولى ذوات هم . بصائر ذوى التمييز ١/٤٠٩ .

(٢) يعنى والتقدير : كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم .

وخصت هذه السورة به لقوله * وما كان الله ليُجزه من شيء *
 " ٤٤ " الآية .

وفى " المؤمن " * كيف كان عاقبة الذين كانوا من قلوبهم كانوا هم
 أشد منهم قوة * " ٢١ " فأظهر (كان) العاطل فى (من قلوبهم)
 وزاد (هم) ، لأن فى هذه السورة وقعت فى أوائل قصة
 " نوح " ، وهى تتم فى ثلاثين آية ، فكان اللائق المبسط ، وفى آخر
 " المؤمن " * كيف كان عاقبة الذين من قلوبهم كانوا أكثر منهم
 وأشد قوة * " ٨٢ " فلم يبسط القول ، لأن أول السورة يدل عليه (١) .
 — تنبيه الخلق إلى عداوة الشيطان .

وقد ذكر الله قصة آدم عليه السلام مع قصة إبليس فى القرآن ففى
 سهمة مواضع :

أولها : فى سورة البقرة ، وثانيها : فى سورة الأعراف ، وثالثها : فى
 سورة الحجر ، ورابعها : فى سورة بنى إسرائيل " الأسراء " ،
وخامسها : فى سورة الكهف ، وسادسها : فى سورة طه ، وسابعها :
 فى سورة : ص .

وذكر الله عز وجل فى بداية سورة الأعراف — وبين يدي قصص الأنبياء
 مع أقوامهم — ذكر قصة أبينا آدم مع إبليس ، حتى يشعرونا بالعداء
 الممكن ، وبحقيقة الصراع المستمر بين الإنسان والشيطان ، كما
 أنه يذكرنا بذلك الوعد الذى قطعه إبليس على نفسه من اغواء
 للناس ، فإبليس عليهم دينهم ، ويزين لهم الفساد والمقابح حينما
 قال * لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن
 خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * (٢)

(١) أسرار التكرار فى القرآن : محمود بن نصر الكرمانى ص ١٦٦ ، ١٦٧ ،
 وقد نقله " الفيروز آبادى " بنصه فى كتابه بصائر ذوى التمييز فى لطائف
 الكتاب العزيز — فى سورة الروم — ٣٦٦/١ ، ٣٦٧ .
 (٢) بعض الآية ١٦ والاية ١٧ من سورة الأعراف .

ثم كانت البداية مع "آدم" وزوجه فوسوس لهما وزين لهما
المعصية * وناداهما رُسُهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكم
إن الشيطان لكما عدو مبين * (١)
وتحذير الابن تحذير لابن .

ثم كرر القرآن هذا التحذير مرة أخرى في خطاب عام حيث قال *
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة
ينزع عنهما لباسهما ، ليريهما سوءا تهما إنه يراكم هو وقبيله من
حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون * (٢)
قال الامام الفخر الرازي : " والمقصود من ذكر قصص الانبياء عليهم
السلام حصول العبرة لمن يسمعها ، فكأنه تعالى لما ذكر قصة
آدم وبين فيها شدة عداوة الشيطان لآدم وأولاده أتبعتها بأن
حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان ، وذلك لأن الشيطان لما
بلغ أثر كيدته ولطف وسوسته وشدة اهتمامه الى أن قدر على
القاء آدم في الزلة الموجبة لإخراجه من الجنة فبأن يقدر على
أمثال هذه المضار في حق بني آدم أولى . فبهذا الطريق
حذر تعالى بني آدم بالاحتراز من وسوسة الشيطان فقال :
* لا يفتننكم الشيطان * فيترتب عليه أن لا تدخلوا الجنة كما
فتن أبويكم فترتب عليه خروجهما منها (٣)
ثم ذكر القرآن في نهاية السورة كيفية الاحتراز عن الشيطان والالتقاء

(١) بعض الآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الأعراف .

(٣) التفسير الكبير للامام الرازي ١٤ / ٥٣٠ .

من وساوسه . قال تعالى * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ٩٩
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُنْتَبِهُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْفَاسِقِ
ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ * (٢) .

و هذا الخطاب ليس خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو تأديب
عام لجميع المكلفين .

وقال في بداية سورة يوسف * قال : يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُ رَوْءَ يَاكَ
عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * (٣) .
وقال في وسطها * وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ
بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي * (٤)
وقال في سورة الحجر قبل أن يذكر قصص الأنبياء * إِنَّ عِبَادِي
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * (٥) .

(١) النزغ : ان تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم . .
والنزغ : الكلام الذي يفرى بين الناس ، ونزغته : حركته أدنى
حركة ، ونزغ الشيطان بينهم ينزغ وينزغ نزغا : أى أفسد
وأغوى . وقوله تعالى * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاستعذ بالله *
نزع الشيطان : وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المصاى
، يعنى : يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه . وقال الزجاج :
معناه : ان نالك من الشيطان أدنى نزغ ووسوسة وتحريك يصرفك عن
الاحتمال فاستعذ بالله من شره وامض على حكمك . لسان العرب : نزغ .

(٢) الايات ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ من سورة الاعراف .

(٣) الاية ٥ من سورة يوسف .

(٤) بعض الاية ١٠٠ من سورة يوسف .

(٥) الايتان ٤٢ ، ٤٣ من سورة الحجر .

وقال في سورة الشعراء * فَكَبِّوْا فِيهَا رُءُوسَهُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ * (١) .

وقال في نهايتها * هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على
كل أفاك أثيم * (٢) .

وفي كل ذلك تحذير من اتباع خطوات الشيطان ، ومن الافتتان بتزيينه
ووسوسته . كما أن فيها علاجا لتلك الوسوسة ، وأنها لا تتمكن
الا حينما يعتمد الانسان عن ذكر ربه عز وجل .

-
- (١) الايتان ٩٤ ، ٩٥ من سورة الشعراء ، وفي أساس البلاغة للزمخشري ،
أكب لوجهه وعلى وجهه فانكب ، وكبته وهو مكبوب و مكبوت ، وكبته
في الهوى وكبته وكذلك اذا رمى به من رأس جبل أو هائط .
- (٢) الايتان ٢٢١ ، ٢٢٢ من سورة الشعراء .

ب - آراء العلماء في تكرار القصص خاصة

أولا - ابن قتيبة :

قال (١) : وأما تكرار الأنبياء والقصص ، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة ، بفرغ بعد فرض : تيسيرا منه على العباد ، وتدريباً لهم إلى كمال دينه ، ووعظ بعد وعظ : تنبيها لهم من سنة الغفلة ، وشعذا لقلوبهم بتجدد الموعظة ، وناسخ بعد منسوخ : استعبادهم واختباراً لمصائرهم .

ثم استشهد بقول الله عز وجل * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً * (٢) .
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالثبوت هو الواسع .
وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم ، أي يتعهدهم بها عند الغفلة ودثور القلوب .
ولو أناهم القرآن نجما واحداً لسبق حدوث الأسباب التي أنزله الله بها ، ولثقلت جملة الفرائض على المسلمين ، وعلى من أراد الدخول في الدين ، ولبطل معنى التنبيه ، وفسد معنى النسخ ، لأن المنسوخ يعمل به مدة ثم يعمل بناسخه بعده .
ثم يتعجب " ابن قتيبة " من نزول القرآن في وقت واحد : افعلوا كذا ولا تفعلوه .

(١) تأويل مشكل القرآن : ت : السيد أحمد صقر ط ٣ - ١٤٠١ هـ ص ٢٣٢ .

(٢) الآية ٣٢ من سورة الفرقان .

ولم يفرض الله على عباده أن يحفظوا القرآن كله ، ولا أن يختصوه في التعلم ، وإنما أنزله ليعطوا بحكمه ، ويؤمنوا بمتشابهه ، ويأتسروا بأمره ، وينتهوا بزجره : ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة ، ويقرءوا فيها الميسور . ثم ذكر ^(١) : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — ورضي عنهم — وهم مصابيح الأرض وقادة الأنعام ومنتهى العلم — إنما يقرأ الرجل منهم السورتين والثلاث والأربع ، والبعض والشطر من القرآن ، إلا نفرًا منهم وفقهم الله لجمعه وسهل عليهم حفظه . وقال بعد هذا ^(٢) :

وكانت وفود العرب ترد على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — للاسلام ، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن ، فيكون ذلك كافيًا لهم . وكان يسمعون إلى القائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلو لم تكن الأنبياء والقصص مشناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم . فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير .

وليست القصص كالفروض ، لأن كتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كانت تُنفذ إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة ، وعدد ساعاتها ، والزكاة وسنتها ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وهذا ما لا تُعرف كيفيته من الكتاب ، ولم تكن بقصة ^{تنفذ} موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء . وكان هذا في صدق الاسلام قبل إكمال الله الدين ، فلما نشره الله

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٤ .

عز وجل في كل قطر ، وبهته في الآفاق ، وعلم الأَكْبَر الأَصْغَر ، وجمع القرآن بين الدّٰثِنين : زال هذا المعنى ، واجتمعت الأنبياء في كل صر وعند كل قوم ^(١) ١٠ هـ

ثانياً — رأى الامام الفخر الرازي :

قال الامام الفخر الرازي في " التفسير الكبير " ^(٢) :

اعلم أنه تعالى لما ذكر قصص الأولين قال * ذلك من أنباء القرى ^{نَقَّصَهُ} عليك * ^(٣) والفائدة في ذكرها أمور :

أولها : أن الانتفاع بالدليل العقلي المحض إنما يحصل للإنسان الكامل ، وذلك إنما يكون في غاية الندرة ، فأما إذا ذكرت الدلائل ثم أكدت بأقاصيص الأولين صار ذكر هذه الأقاصيص كالموصل لتلك الدلائل

المقلية إلى العقول .

الوجه الثاني : أنه — تعالى — خلط بهذه الأقاصيص أنواع الدلائل التي كان الأنبياء — عليهم السلام — يتسكون بها . ويذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل وشبهاتهم في دفعها ، ثم يذكر عقيبها أجوبة الأنبياء عنها ، ثم يذكر عقيبها أنهم لما أصروا واستكبروا وقموا في هذاب الدنيا وبقي عليهم اللعن والعقاب في الدنيا والآخرة ، فكان ذكر هذه القصص سبباً لا يصلح الدلائل والجواب عن الشبهات إلى قلوب الضَّكِرِينَ ، وسبباً لإزالة القسوة والغلظة عن قلوبهم ، فثبت أن أحسن الطرق في الدعوة إلى ^{الله} تعالى ما ذكرناه .

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٨ / ٥٥٠ .

(٣) بعض الآيات ١٠٠ من سورة هود .

الفائدة الثالثة : أنه — عليه السلام — كان يذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلمذ لأحد ، وذلك معجزة عظيمة تدل على النبوة كما قررناه .

الفائدة الرابعة : أن الذين يسمعون هذه القصص يتقرر عندهم أن عاقبة الصديق والزنديق ، والموافق والضايق ، التي ترك الدنيا والخروج عنها ، إلا أن الموت من يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا ، والثواب الجزيل في الآخرة ، والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والمقاب في الآخرة ، فإذا تكررت هذه الأقاصيص على السمع ، فلا بد وأن يلين القلب وتخضع النفس وتطول العداوة ، ويحصل في القلب خوف ^{يحملة} على النظر والاستدلال ، فهذا كلام جليل من فوائد ذكر هذه القصص (١) .

ثم تكلم من جهة ثانية في بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التكرار والتطويل (٢) :

قال : — اعلم أن عادة الفصحاء جارية بأنهم يكررون القصة الواحدة في مواضع لا أغراض مختلفة تتجدد في المواضع ، وذلك من الفضائل لا من العيوب .

وإنما يعاب التكرار إذا كان في الموضع الواحد ، والله تعالى إنما أنزل القرآن على رسوله في نيف وعشرين سنة حالاً بعد حال ، وقد علم من حاله أنه كان يضيق صدره لما يناله من الكفار ، فكان — تعالى — يسليه — بما ينزل عليه من أقاصيص من تقدم من الأنبياء ، ويمعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح ، ولهذا قال سبحانه : * وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك * (٣) .

(١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ٥٦/١٨ .

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز للامام الفخر الرازي ص ١٦٧ .

(٣) الآية ١٢٠ من سورة هود .

وأيضاً فلأن ظهور الفصاحة ومزيتها في القصة الواحدة اذا أعيدت
أبلغ منها في القصص المتغايرة .

فهذا هو الفائدة فيما تكرر من كتاب الله في قصة موسى وفرعون وسائر
الأنبياء (١) . هـ .

ثالثاً - رأى الامام بدر الدين محمد الزركشى :

ذكر الامام " الزركشى " عدة فوائد في تكرار القصص في القرآن (٢) وفي
تكرار قصة موسى خاصة ، قال :

وانما كسررها لفائدة خللت عنه في الموضع الآخر وهي أمور :

أحدها : أنه اذا كرر القصة زاد فيها شيئاً ، ألا ترى أنه ذكر الحية (٣)

في عصا - موسى - عليه السلام - وذكرها في موضع آخر شعباناً ، (٤)

ففائدته أن ليس كل حية شعباناً ، وهذه عادة البلفاء ، أن يكرر

أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة ، لصفة زائدة .

الثانية : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ، ثم

يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ، وكان

أكثر من آمن به مهاجرين ، فلولوا تكرر القصة لوقعت قصة موسى

الى قوم ، وقصة عيسى الى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد

الله - سبحانه وتعالى - اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة

القوم ، وزيادة تأكيد وتهصرة لآخرين وهم الحاضرون ، وعبر عن هذا

- ابن الجوزي - وغيره .

(١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز للفخر الرازي ص ١٦٧ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشى ٢٥/٣ ٢٦٠ .

(٣) في قوله تعالى * فألقاها فاذا هي حية تسعى * الآية ٢٠ من سورة طه .

(٤) في قوله تعالى * فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين * الآية ١٠٧ من

سورة الاعراف والاية ٣٢ من سورة الشعراء .

الثالثة : تسليته لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - مما اتفق للاُنبياء مثله مع أممهم ، قال تعالى * وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ * (١) .

الرابعة : أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام ، فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

السادسة : أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم عن الإتيان بمثله آية ، لصحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا ، بأي عبارة عبّروا ، قال " ابن فارس " (٢) - وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سخر العرب بالقرآن قال * فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ * (٣) وقال في موضع آخر : * فَأَتُوا بِمِثْرِ سُورٍ * (٤) فلو ذكر قصة آدم مثلاً في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى * فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ * (إيتونا أنتم بسورة من مثله) ، فأنزلها سبحانه في تعداد السور ، دفعا لحجتهم من كل وجه .

(١) بمعنى الآية ١٢٠ من سورة هود .

(٢) قاله في " الصاحبي " ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ وسيأتي تفصيل رأيه .

(٣) بمعنى الآية ٢٣ من سورة البقرة .

(٤) بمعنى الآية ١٣ من سورة هود .

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ، كقصة موسى مع فرعون - وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى - فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ، فكأن الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها ، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكسب المتقدمة ، من انفراد كل قصة منها بموضع ، كما وقع في القرآن بالنسبة - ليوسف - عليه السلام - خاصة ، فاجتمعت في هذه الخاصة ، من نظم القرآن عدة معان عجيبه :

- منها : أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هجنة ، ولا أحدث طلا ، فهاين بذلك كلام المخلوقين .

- ومنها : أنه ألبسها زيادة ونقصانا وتقديما وتأخيرا ، ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها ، فيكون شيئا معادا ، فنزله عن ذلك بهذه التفسيرات .

- ومنها : أن المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد المبلغ - لما فيها من التغيير - ميلا إلى سماعها ، لما تجلبت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذات مستأنفة .

- ومنها : ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد ، وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم - يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأشياء مع تغاير

أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف ، فمرفهم الله سبحانه أن الأمر بما
يتمجبون منه مردود الى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد ،
لقله تعالى ﴿ قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ
كلمات ربى ولو جئنا بحثله مدداً ﴾ (١) ، وكقوله ﴿ ولو أن ما فى الأرض
من شجرة أقلام والبحر يمده . . ﴾ (٢) الآية .

ثم ذكر الزركشى (٣) رأى " القفال " (٤) فى تفسيره :

ذكر الله فى أقاصيص بنى اسرائيل وجوها من المقاصد :

أحدها : الدلالة على صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه أخير
عنها من غير تعلم ، وذلك لا يمكن الا بالوحي .

الثانى : تعديد النعم على بنى اسرائيل ، وما من " الله على أسلافهم من
الكرامة والفضل ، كالنجاة من آل فرعون ، وفرق البحر لهم ، وما أنزل
عليه فى التيه من المن والسلوى ، وتفجر الحجر ، وتظليل
الفمام .

الثالثة : إخبار الله نبيه بتقديم كرههم وخلافهم وشقاوتهم وتعنتهم على
الأنبياء ، فكانه تعالى يقول : إذا كانت هذه معاصيتهم مع نبيهم
الذى أعزهم الله به ، وأنقذهم من العذاب بسببه ، فغير بدع ما
يعامله به أخلافهم محمد ا - صلى الله عليه وسلم .

(١) الآية ١٠٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٢٧ من سورة لقمان وتامها ﴿ .. من بعده سبعة أبحر ما نفدت
كلمات الله ان الله عزيز حكيم ﴾

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٨/٣ .

(٤) هو محمد بن الحسين الشاشى القفال ، رئيس الشافعية فى عصره
المعروف بالمستظهرى . توفى سنة ٥٠٧ (ابن خلكان) وفيات

الأعيان ٢١٩/٤ ٢٢٠٠ .

الرابع : تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - من نزول العذاب بهم كما نزل بأسلافهم ١٠ هـ .

رابعاً - رأى الحافظ جلال الدين السيوطي : " الحكمة في عدم تكرير بعض القصص " .

ذكر " السيوطي " (١) جملة فوائد في تكرير القصص ونقل آراء كثير من العلماء في هذا الشأن ، كما ذكر آراء " البدر بن جماعة " في فوائد تكرير القصص وهي لا تختلف كثيراً عن الآراء السابقة ولذلك رأيت أن أكتفي بما قدمت .

لكنني سأنقل رأيه في الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص ، وقد أجاب من ذلك بوجه :

أحدها : أن فيها تشبيه النسوة به ، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالا ، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الاغصاء والستر . وقد صحح

الحاكم في مستدركه حديث النبي عن تعليم النساء سورة يوسف .

ثانيها : أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن مآلها إلى الوبال ، كقصة إبليس وقوم نوح وهو د وصالج وغيرهم ، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمة القصص .

ثالثها : قال الأستاذان (أبو اسحق السفرايني :
انما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب ، كأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم : ان كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلته في سائر القصص .

(١) مشترك الأقران في اعجاز القرآن للسيوطي ، ت : على البجاوي ط . دار الفكر ١ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

قال السيوطي : وظهر لي جواب رابع : وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم ، كما رواه الحاكم في مستدركه ، فنزلت مسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة ، وترويح النفس بها ، والإحاطة بطرفيها .

وجواب خامس : وهو أقوى ما يجاب به :

إن قصص الأنبياء إنما كررت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك لتكسير تكذيب الكفار للرسول - صلى الله عليه وسلم - فلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول المذاب ، كما حلّ على المكذبين ، ولهذا قال تعالى في آيات :
* فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولَى * (١) ، * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ * (٢) .

وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك ، وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أهل الكهف وقصة نبي القرنين ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة الذبيح .
فإن قلت : قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين ، وليست من قبيل ذلك ؟

قلت : الأولى في سورة كهيعص ، وهي مكية أنزلت خطابا لأهل مكة .
والثانية في سورة آل عمران ، وهي مدنية أنزلت خطابا لليهود والنصارى
نجران حين قدموا ، ولهذا اتصل بها ذكر الحاجة والمباهلة (٣) .

(١) بعض الآية ٣٨ من سورة الأنفال .

(٢) بعض الآية ٦ من سورة الأنعام .

(٣) مشترك الاقراء في اعجاز القرآن ١/٣٥٠ .

ج - آراء العلماء في التكرار بمعاملة

٢ - آراء النحويين :

١ - سيبويه :

ذكر سيبويه " التكرار ضمنا في مواضع من " كتابه " ، ويبدو في حديثه عنه في معرض كلامه عن إعادة الظاهر موضع الضم بأنه يستضعفه ، يقول :

(وتقول : ما زيد ذاهبا ولا محسن زيد ، الرفع أجود وإن كنت تريد الأول ، لأنك لو قلت ما زيد مطلقا زيد لم يكن حدّ الكلام ، وكان ههنا ضعيفا ، ولم يكن كقولك ما زيد مطلقا هو ، لأنك قد استغنيت عن إظهاره وإنما ينفي لك أن تضمره ، ألا ترى أنك لو قلت

ما زيد مطلقا أبوه ، لأنك قد استغنيت عن الإظهار ، فلما كان هذا كذلك أُجْرى مجرى الأجنبي واستوْءَ نف على حاله حيث كان هذا ضعيفا فيه . وقد يجوز أن تنصب (١) ثم استشهد بقول الشاعر سواد بن عدى (٢) :

لا أرى الموت يسبق الموت شيئا^١ نفّس الموت ذاك الغنى والفقيرا

(١) الكتاب ، ت ٤ ، عبد السلام هارون ٦٢/١ .

(٢) الخزائن ٣٨١/١ سواد بن عدى ويروى أيضا لابيه عدى بن زيد كما في حساسة البحري ٩٨ ولائمة بن أبي الصلت كما في الشنتمري وشرح شواهد المغنى للسيوطي .

وقال : (فأعاد الاظهار) (١) ويقول الجمدى (٢) :

إذا الوحش ضم الوحش في غللاتها سواقط من حر وقد كان أظهرا

وقال : (والرفع الوجه) (١) ، ويقول الفرزدق (٣) :

لمسرك ما ممن يتارك حقه ولا ضى من ولا متيسر

وبفصل " السيرافى " ما أجمله " سيبويه " فيقول : (اعلم أن الاسم الظاهر متى احتيج الى تكريره في جملة واحدة كان الاختيار ذكر ضميره نحو زيد ضربته وزيد ضربت أباه وزيد مررت به . ويجوز إعادة لفظه بمينه في موضع كايته . أما إذا أعدت لفظه في جملة أخرى فذلك جائز حسن نحو قوله تعالى * قالوا لمن نوء من حتى نوءتى مثل ما أوتيسى رسل الله ، الله أعلم * (٤) ومن إعادة الظاهر في جملة واحدة قولك : ما زيد ذاهبا ولا محسن زيد ، والاختار ولا محسنا هو بالضمير . ولذلك كان رفع محسن أجود حتى تكون جملة أخرى (٥) . ويتضح من كلام " سيبويه " السابق أنه يستضعف إعادة الظاهر موضع الضم إذا كان تكريره في جملة واحدة ، فلا يكاد يجوز الا ضرورة ، لكنه يجيز ذلك إذا كان في جملة أخرى .

ولكن البلاغى لا يقع بالضمير سوا كان ذلك في نفس الجملة او في جملة أخرى فاعادة الظاهر بمينه مطلب لديه ، لأن ذلك يحقق

- (١) الكتاب : ٦٣/١ .
- (٢) هو كذلك في لسان العرب وسقط الحر يسقط سقوطا يكتى به عن النزول . وسقط عنك الحر أقطع . كأنه ضده وفي ديوانه ٧٤ .
- (٣) ديوانه ٣١٠ الغزاة ١/١٨١ ، وأمالى القالى ٧٢/٣ منسى :
- يسو غر المدين بدينه ، متيسر : متساهل مع مدينه .
- (٤) الآية ١٢٤ من سورة الانعام .
- (٥) الكتاب ٦٢/١ .

له أغراض كثيرة في نفسه (رغم ما فيه من ثقل ، فاحتمال ما في التكرار من ثقل لا بد له من مقابل جمالي يخففه حتى لا نشمر به) (١) ، تقول

الخنساء :

وإن صخرًا لو ألينا وسيدنا
وإن صخرًا لتأتم الهداة به
وإن صخرًا إذا نشئوا لنحسار (٢)
كأنه علم في رأسه نـسـار

(فلو قالت : وأنه لتأتم الهداة به فأضرت لكان البيت مفتقرًا إلى ما قبله ، وغير مستغن بنفسه ، ولكنها لو أظهرت لكان البيت مستقلاً عما قبله ، وكأنه معنى جديد لا صلة له بمعنى البيت السابق ، فتتوهم أن صخرًا ليس واحداً فحسب ، وإنما هو متعدد ، فتتعدد لذلك المعاني وتكثر ، وإن كانت في واقعها شيئاً واحداً ولشخص واحد .

هذا - الوهم الذي يتراءى لنا بفعل تكرار اللفظ ، هو عند سبب جمال التكرار والعدول عن الضمير إلى الظاهر (٣) ، وهذا كلام صائب فإن البليغ يسترشد بذوقه ، ويأتمر لاحتسائه ولا يصر بالهلن يلقى عليه القواعد حتى يسير على نهجها .

والغريب أن بعض النقاد (٤) قد عاب "أبا سميذ المغزوي" في قوله :
أشيب ولم أقض الشباب حقوقه ولم يمض من عهد الشباب قديم (٤)
لأنه ذكر الشباب في هذا البيت مرتين (وكان يجب أن يغير الأول أو الثاني ، وتفسير الثاني أشبه لأن قوله " ولم يمض من عهد الشباب " قول من لم يذكر الشباب في صدر بيته . ولم يتكلم الحذاق في هذا إلا بورد ضمير عليه فيقال : ولم يمض منه ، أوله ، أو عليه . فلو قال : " من عهد عليه قديم " كان أشبه) (٤) .

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي ١٠٩ د . عبد القادر حسين .

(٢) ديوانها ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) هو المولى كما جاء في الموشح ط ٢ السلفية ص ٣١١ .

(٤) أثر النحاة في البحث البلاغي د . عبد القادر حسين ١٠٩ .

والأغرب من ذلك أن يوافق "المزبلي" فيشهد بيت آخر
لـ "يحترى" ويقول عنه "ولليحترى مثله" :
(١) صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت من جدا كل جيس
إن إعادة اللفظ أمر إن لم يطلبه السياق فإن الذوق أحيانا يطلبه ،
والنحو كالمصاغ الذي يصوغ الذهب جواهر ، أما البلاغى فهو الذى يعرف
كيف يطلبيها ويميز محاسنها ، وفى أى مكان يضعها ، وقد تمتد يده لتميز
جوهرة مخفية أو تبدل فصا باهتا ، أو تغير من مواضعها ، وقد يزيدها
فيها ، وقد يستغنى عن بعض أجزائها .

إن هذا الموضع - من جملة مواضع - تفرق فيه البلاغة عن النحو
افتراقا عجيبا ، وتذهب فيها مذاهب واسعة ومعاني بأن العطية
البلاغية تالية للعطية النحوية ، وأنهما صنوان لا يختلفان ، وفرسا رهان
لا يفترقان ، أرى أن البلاغى الحاذق هو من يستطيع أن يقرب صيغ النحو
ويتصرف فيها حتى يجعلها نافذة فى الألباب ، مشقة للأذان ،
سريعة فى وقعها ، ساحرة فى تأثيرها ، بعيدة عن قيد النحو والصرف
ولعل تجويز النحويين والنقاد عموما لكثير من الضرورات الشعرية - نحوية
كانت أم صرفية - وقولهم لها دليل على صحة ما ذهب اليه . وقد
أعجبني كلام "ابن سنان" من قول بعضهم :

ولولا دموعى كمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع
وقال انه ليس من التكرار المكروه (وذلك أن المعنى منى عليه ، ومقصود على
إعادة اللفظ بعينه ، وهذا حد يجب أن تراعيه فى التكرار ، فمتى وجدت
المعنى عليه ولا يتم إلا به لم تحكم بقبحه ، وما خالف ذلك قضيت عليه
بالأطراح ، ونسبته الى سوء الصناعة) (٢) وقد استجاد "ابن شريق" بيت

(١) ديوانه ١١٥٢/٢ ، والجيس : الجبان القديم .

(٢) سر الفصاحة لابن سنان ٩٦ . وقد نسب البيت أسامة بن منقذ / كتابه

"الهديع فى نقد الشعر" للرشيد .

(١)
 "سواد بن عدى" المتقدم وقال إنه (على سبيل التعظيم للمحكى عنه) .
 وقد أنحى بعض النقاد باللائمة على من عاب تكرار (السيف) أربع مرات
 قائلا : "لولم يعبده أربع مرات فقال :
 يَجْهَلُ كَجَهْلِ السِّيفِ وَهُوَ مُتَضَى وَحِلْمٌ كَحِلْمِ السِّيفِ وَهُوَ مُغْمَدٌ
 لفسد البيت" (٢) .

أى فسد طعمه لا وزنه ، ونقص مؤداه لا موسيقاه .

٢ - رأى النحويين البلاغيين "عبد القاهر الجرجاني" :

والسبب في ذلك يشرحه الامام الذواقه "عبد القاهر الجرجاني"
 (لا نك اذا حدثت عن اسم مضاف ثم أردت أن تذكر المضاف اليه فان
 البلاغة تقتضى أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمره ، وتفسير هذا أن الذى
 هو الحسن الجميل أن تقول : جاءنى غلام زيد وزيد ، ويصح أن
 تقول : جاءنى غلام زيد وهو) (٣) ، ثم يستشهد بقول دجيل :

أضيافُ عمرانَ فى خِصْبٍ وفى دَعَاةٍ وفى حِباةٍ وخيرٍ غيرِ منجوعٍ
 وضيفُ عمروٍ وعمروُ يسهرانِ مَعَا عمروُ لِبَطْنَتِهِ والضيفُ لِلْجُوعِ (٤)

(١) المصداق ٢/٧٥٠ .

(٢) حكى صاحب أن ابا الفضل "ابن العميد" كان يختار من شعر
 ابن الرومى وينقط عليه فدفع اليه قصيدة ابن الرومى فكان قد ترك
 خير بيت فيها وهو المذكور فسأله فقال : لعل القلم تجاوزه ثم رآه من
 بعد فاعتذر بعذر كان شرا من تركه قال : انما تركته لأنه أعاد
 السيف أربع مرات فقال صاحب : لولم يعبده أربع مرات . . لفسد
 البيت ، دلائل الاعجاز ٤٢٦ والبيت في ديوانه ٥٩٠/٢ .

(٣) دلائل الاعجاز ٤٢٧ .

(٤) هذان البيتان منسوبان في دلائل الاعجاز ص ٤٢٧ لدجيل ، وفي
 ديوانه ص ١٨٢ ، ورواية البيت الأول فيه :

ويقول المتنبي :

بِمَنْ نَضْرِبُ الْإِثْمَ أَمْ مِنْ نَقِيصِهِ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالْدَّهْرُ ؟^(١)
ثم يبين عبد القاهر في تحليل دقيق كيف أن هذا الذكر أبلغ بكثير
من الإضمار فلو قيل : وضيف عمرو وهو يسهران معا ، أو : وأهل الدهر
دونك وهو (لعدم حسن ومزية لا خفاء بأمرهما ، ليس لأن الشمر

== أضياف عمران في خفض وفي دعة * وفي شراب ولحم غير ممنوع
ثم استشهد السجرجاني بقول " الآخر " :
فإن طرة راعتك فانظر فرما * أمر مذاق المود والمود أخضر
وهو أيضا لدعل في ديوانه ص ٨١ ، والبيتان الأولان رواهما السرد
في الكامل - منسوبين أيضا لدعل - وهذه رواية البيت الأول :
أضياف سالم في خفض وفي دعة * وفي شراب ولحم غير ممنوع
الكامل ١٥٩/٣ ١٦٠٠ .

ومن هذا القبيل بيت طرفة :
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكة تحت الطراف الممدد
ديوانه ص ٣٤ شرح الأعلام الشنتري .
ويوم الدجن : يوم ندى ورش والباس غيم . وتقصيره : أن يلهو
فيه فيقصر ، ويسوم اللهو والسرور وليمه قصيران .
والبهكة : التامة الخلق الحسنة ، والطراف * البيت من آدم .
والممدد : الشدود بالأطناب ص ٣٤ ، ٣٥ .
(١) ديوانه ١٢٧/٢ وروايته : " بمن أضرب الإثم أم من أقيسه " .
قال الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين بيمين أو وصف بوصف
فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شئ * لم يمكن ضرب المثل بشئ * في
مدحه ، وهذا معنى قوله : " أم من أقيسه إليك " ووصل القياس
بالى لأن فيه معنى الضم والجمع ، كأنه قال : من أضرم إليك فسق
الجمع بينكما والموازنة ، وأهل الدهر دونك ، والدهر الذى يأتى
بالخير والشر دونك ، لأنه لا يتصرف إلا على مرادك ، وأنت تحدث فيه
النعمة والبؤس .

ينكسر، ولكن تنكره النفس) (١) وينفى "عبد القاهر" أن يكون هذا الإضرار سببا للبس، فحينما نقول: جاءني غلام زيد وهو، فقد يُظن أن الضمير للغلام ولكن هذا لا يحدث عند قولنا: جاءني غلمان زيد وهو ولذلك لم يسبب وضع الضمير في موضع الظاهر لیسا، بل السبب هائد الى سراجة هذا الأسلوب وأنه لا يوازي إعادة الظاهر في إشباع المعنى، وفي استقامته وتوكيده، إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية التي يحكمها الذوق.

ولهذا رد "عبد القاهر" هذه المسألة الى أصلها الذي ذكره "الجاحظ" حينما أورد جواب "قيس بن خزيمة": (عندى قري كل نازل ورضا كل ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب، أمر فيها بالتواصل، وأنهى فيها عن التقاطع.. فليل لا بني يعقوب) (٢): هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع؟ أوليس الأمر بالصلة هو النهي عن القطيعة؟ قال: أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يملكان في القول على الإفصاح والكشف) (٣). ثم أورد عبد القاهر قوله تعالى: ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا﴾ (٤)، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٢٧.

(٢) هو اسحق بن قوهى الغريسي، وأصله من خراسان من بلاد السند، وكان متصلا بغريم بن عامر المري فنسب اليه وله مدائح في محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما، والقصة أوردها الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ١١٢.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٤٢٨ والبيان والتبيين ١/ ١١٢.

(٤) الآية ١٠٥ من سورة الاسراء.

وبيت الحماسة :

(١) شَدَدْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ غدا والليثُ غضبان

وزاد فاستشهد بقول النابغة :

(٢) نفسُ عصامٍ سودتِ عصامًا وعلقتُ الكروا لإقداصًا

وقال : (لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار ، وأن له موقفا في النفس وباعثا للأريحية لا يكون إذا قيل : نفس عصام سودته : شئ منه البتة) (٣) .

٣ - رأى النحويين المفسرين " الفراء " ت ٢٠٧ هـ :

تحدث " الفراء " في كتابه " معاني القرآن " عن تكرار الحروف فأجاز الجمع بينها إذا اختلف المعنى وضعه إذا اتحد . ومعنى هذا : أنه لا يجيز التكرار في المعنى واللفظ إلا ما كان لتشديد المعنى . ومن ذلك جواز الجمع بين " ما " و " إن " وهما حرفا جحد (وذلك لاختلاف اللفظين بجعل أحدهما لفوا) (٤) ومثله قول الشاعر :

(٥) إلى نفر اللائذ الذين إذا هم تهاب اللئام حلقة الباب قمقموا

(١) قاله شهل بن شيبان الزماني ، ويلقب بالفند ، وهذه رواية التبريزي وفي حماسة المرزوقي : " مشينا مشية الليث " قال : كرر الليث ولم يأت بضميره تغفيما وتهويلا ، وهم يفعلون ذلك في أسماؤهم أجناس والأعلام ، قال عدى :

لا أرى الموت يسبق الموت شئ * نخص الموت ذا الفنى والفقير

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣٥ / ١ ٣٦٠ .

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٤٧ وعصام المذكور هو عصام بن شبيب الجوص حاجب النعمان بن الضمر .

(٣) دلائل الإعجاز ٤٢٨ .

(٤) معاني القرآن ١ / ١٧٦ .

(٥) ينسب هذا إلى أبي الريس ، أحد اللصوص ، انظر الخزانة ٢ / ٥٢٩ . وأنشده ابن منظور في لسان العرب مادة " لوى " وقال انه لا بى الرئيس عبادة بن طهفة المازني وقيل اسمه عباد بن طهفة ، وقيل عباد بن عباس وروايته " من نفر اللائذ الذين إذا هم * يهاب اللئام حلقة الباب ، قمقموا " =

(ألا ترى أنسه قال : اللاه الذين ، ومعناه للذين ، استجيز
 جميعهما لا اختلاف لفظهما ، ولو اتفقا لم يجز ، لا يجوز (ما ما قام زيد)
 ولا (مررت بالذين الذين يطوفون) (١) وأما إذا قال القائل :
 (ما ما قلت بحسن) فهو جائز لأن المعنى مختلف فالأولى نافية
 والثانية في مذهب الذي . وأما قوله تعالى * كَلَّا لَا وَزَرَ * (٢) فالأولى
 موصولة بالكاف كأنها كانت هي والكاف اسما واحدا ، ولم توصل الثانية
 فحسن اقترانهما (فإذا اختلف معنى الحرفين جاز الجمع بينهما) (٣)
 أما إذا اتحد في مثل قوله تعالى * أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَمَظَامًا
 أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ * (٤) فذلك حسن (لما فرقت بين (أَنْكُمْ) وبين خبرها
 بإذا ، وكذلك تفعل بكل اسم أوقعت عليه (أن) بالظن وأخوات
 الظن ، ثم اعترض عليه الجزاء دون خبره ، فإن شئت كررت اسمه وإن شئت
 حذفته أولا وآخرا (٥) فيجوز : أَظُنُّ أَنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ أَنَّكَ نَادِمٌ
 بثبوت الاثنين ، ويجوز حذف إحداهما ولكن لا يجوز ثباتهما دون أن
 تعرض بينهما بشئ ، فخطأ قولك أَظُنُّ أَنَّكَ نَادِمٌ (إلا أن تكرر
 كالتوكيد) (٥)

ومن قول الشاعر :

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَهَا كُنْمْكُمْ وَكَمْ (٦) .

== وقال : واللائي باثبات الياء في كل حال يستوي فيه الرجال والنساء .

(١) معاني القرآن ١٧٦/١ .

(٢) الآية ١١ من سورة القيامة .

(٣) معاني القرآن ١٧٧/١ .

(٤) الآية ٣٥ من سورة المؤمنون .

(٥) معاني القرآن ٢٣٥/٢ .

(٦) لم ينسبه الفراء وهو كذلك غير منسوب في الصداعتين ١٩٩ ،

وفي تأويل مشكل القرآن ٢٣٦ وفي الصاحبي ٣٤٢ وفي أمالي

الموتضى ١٢١/١ .

يقول "الفراء" (إنما هذا تكرير حرف ولو وقعت على الأول أجزاءك من الثاني ، وهو كقولك للرجل : نعم نعم تكررها ، أو قولك : اعجل اعجل تشديدا للمعنى وليس هذا من البابين الأولين في شيء) (١)
ثم استشهد بقول الشاعر :

هـلا سألت جوعاً كـ_____ سـدّة يوم ولوا أين أينفلا (٢)

هذا عن تكرار الحروف ، وفي الأسماء والظروف المتحدة لفظاً وشكلاً يشترط الفراء اختلاف المعنى كذلك ، فإذا قال القائل : " لم أراه منذ يوم يوم " فانه ينوي بالثاني غير اليوم الأول ، لأن معناه " لم أراه منذ يوم تعلم " . واجتماع " يوم يوم " و " بين بين " بمنزلة قولهم (هو جارى بيت بيت) ، ولقيته كفة كفة ، لأن الكفتين واحدة منك وواحدة منه ، وكذلك هو جارى بيت بيت معناه : بيتى وبيتى لصيقان (١) .

و " الفراء " يجيز تكرار الجمل بشرط أن يكون هناك غرض بلاغى كالتهليل مثلاً في قوله تعالى : * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* (٣)
(والكلمة قد تكررها العرب على التهليل والتخويف فهذا من ذاك) (٤)

وهو في هذا النوع يشترط اتحاد اللفظ على عكس ما اشترط في تكرار الحرف فهو لا يقل بقراءة من (٥) قرأ " لترون الجحيم " ثم لترونها (٦) بضم التاء الأولى وفتح الثانية لأن :

(١) معاني القرآن ١٧٧/١ .

(٢) لمبيد بن الأبرص في الأغاني ٨٥/١٩ وهو في ديوانه ص ١٤٢ .

(٣) الأيتان ٣ ، ٤ من سورة التكاثر .

(٤) معاني القرآن ٢٨٧/٣ .

(٥) هي عن علي رحمه الله ، معاني القرآن ٢٨٨/٣ .

(٦) الأيتان ٦ ، ٧ من سورة التكاثر .

(الاول أشبه بكلام العرب لأنه تغليظ ، فلا ينبغي أن يختلف لفظه ،
 ألا ترى قوله : * سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون * ؟ وقوله عز وجل
 * إن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا * (١) .

ومن التغليظ قوله في سورة الكافرون * قل يا أيها الكافرون لا أعبد
 ما تمبدون * (٢) مكرر ، كرر فيها وهو معنى واحد ، ولو رفعت التاء
 في الثانية ، كما رفعت الأولى كان وجهها جيدا (٣) .

وبهذا يكون " الفراء " قد تحدث عن " التكرار من وجهتين :
أولا : من وجهة نحوية حيث ضع بعض التراكيب التي تتم المعنى ،
 وتسبب اللبس ، فلا داعي لاستعمالها لأنها غير جائزة " نحو " ،
 وغير مفيدة " بلا غة " بل إنها ليست من البلاغة في شيء .
ثانيا : من وجهة بلاغية حيث تحدث عن " التكرار " بمفهومه البلاغي ، وذكر
 منه تكرار الحرف ، وتكرار الفعل وقياسا على هذين فلا مانع من
 إلحاق الاسم واسم الفعل ولا سيما أن الطريقة واحدة والفرض واحد
 وهو تشديد المعنى ، كما أنه أجاز تكرار الجملة إذا كان مسوقا لفرض على
 سنة العرب .

فهو إن يستحسن التكرار ولا يستقبحه ولست أدري كيف جاء القبح
 في قول بعض النقاد :

(التكرير عند " الفراء " في صورته العامة غاية في القبح) (٤)
 لا يوجد سر لهذه الصفة ، ولم أعر لها على مستنتج ولا عموم ، وإن كان

(١) الايتان ٥ ، ٦ من سورة الانشراح والأولى بالفاء " فان " .

(٢) الايتان ١ ، ٢ من سورة الكافرون .

(٣) معاني القرآن ٢٨٨/٣ .

(٤) أثر النحاة في البحث البلاغي د . عبد القادر حسين .

"الفراء" يستقبح شيئا فهو لا يستقبح الا صورتين — فقط — من تكرار الحروف لم يستحسنها أحد فضلا عن كونها منوعتين نحوا وعقلا ، وغير مستساغتين ولا مستعملتين في أساليب الكلام الفصيح ، وأما عن اشتراطه الفصل بين اللفظين فهو موجود عند البلاغيين أيضا ، يقول "الرازي" عن الآية ^(١) نفسها (ثنى — أى كرر — أنكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الأول والثاني بالظرف) ^(٢) . ولولم يكن ذلك الفصل لوقع إشكال نحوى وبلاغى ^(٣) .

وأما عن قوله في رأى "الفراء" في التكرار (إنه يميزه شئ من التحرير والدقة حيث أجاز التكرار فى نعم نعم ، وفى أعجل أعجل ، وأبطله فى الذين الذين يطوفون ، ولم يورد لنا سببا وجيبا نعتد عليه فى الفرق بين الوجهين من حيث الصحة والفساد ، ولماذا يكون فى الأول حسنا وفى الثانى قبيحا ، مع أنه يفيد التوكيد فى الموضعين .) ^(٤) ،

فأجواب كايلى :

(١) — الذين اسم موصول يتطلب صلة ، وكذلك حروف النسخ والنفى تتطلب عملا بالإضافة الى تأثيرها فى أحكام معانيها ، وكل ما كان هذا شأنه لا يجوز تكراره ، فرارا من :

(١) أيهدكم أنكم اذا تم وكتم ترابا ...

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٨/٢٣ .

(٣) قال الزمخشري : مخرجون خبر عن الأول أو جعل أنكم مخرجون مبتدا ، وأما تم خبرا على معنى اخراجكم اذا تم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كأنه قيل : اذا تم وقع اخراجكم ، ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم الكشاف ٣٢/٣ .

(٤) أثر النحاة فى البحث البلاغى ، د . عبد القادر حسين ص ١٤١ .

أ — تشابه الصلات أو العمل أو التأشير ، وصحة رد كل معمول وموصول إلى عامله وصلته .

ب — ما يسببه ذلك من تشابه في المعنى وتعقيد في الذهن .

ج — دخول العوامل بعضها على بعض وتتابع الموصولات قبل أن تستكمل صلاتها .

و على ذلك فإنه لا يجوز تكرار حروف الجر ولا حروف الشرط والجزاء لأنها تسبب نفس المشاكل السابقة .

أما ما كان مثل "نعم" (١) فهو يطمئنا دلالة للإيجاب والتصديق فقط ، كما أنها لا تتسلط على ما بعدها ، ولا تعمل فيه ، ولا تحتاج

إلى توابع . فإذا ما تكررت فإن الذهن ينصرف تلقائياً إلى إرادة

التأكيد والمخالفة دون أن يشكل تكريرها أى إشكال نحوي أو

التباس معنوي ، ومثل ذلك : اعجل اعجل .

٢ — "الفراء" زعيم الكوفيين ، ويمنع عند الكوفيين الإخبار بالذي

عن اسم في جملة مصدرية بالذي لأنهم (يأتون دخول الموصول

على الموصول إذا اتفقا لفظاً) (٢) .

٣ — هناك من يقول : اندخول الموصول على الموصول ليس من كلام

المرب ، لكنهم يجوزونه عند اختلاف (٣) لفظه .

٤ — يقول "البغدادى" : (وجمع من روى هذا البيت رواه

"من النفر البيض الذين" أو "من النفر الشم الذين" ولم

(١) حرف جواب وهي "عِدّة وتصديق لما قبلها" من كتاب : شرح كلاً وبلى

ونعم : مكى القيسى ص ١٠٧ وذكر أنها لم تقع في القرآن إلا في

أربعة مواضع الوقف عليها حسن جيد .

(٢) في شرح الكافية للرضى ٤٣/٢ "ويتمذر أيضا عند الكوفيين الإخبار

بالذي عن اسم . .

(٣) قاله "ابن السراج" في الأصول وأورده البغدادى في خزائنه ٧٧/٦

أر من رواه " من النفر اللائي الذين " إلا النحويين (١) وقال غيره (٢) : إن ذلك لم يجس في كلا منهم ، وإنما وضعه النحاة رياضة للمتعلمين وتدريباً لهم .

ولهذه الأسباب منع " الفراء " تكرار " الذين الذين " وأجازه في " نعم نعم " و " اعجل اعجل " ولهذه أيضاً كان التكرار فيها قبيها كما كان في غيرها حسناً ، وفي كل ذلك أكثر من دليل على دقة " الفراء " ؛ وهذا فضل يرجع به النحويون على البلاغيين إذ يرشدونهم إلى ما يقوم أساليبهم ، ويمنعونهم ما يصيب فصاحتهم ، ويساعدونهم على جعل كلا منهم مصفى من كل شوب .

٤ - رأى النحويين الصرفيين " ابن جنى " :

تحدث " ابن جنى " عن " التكرار " أكثر من مرة ، ولكن آراءه اختلفت فيه كما اختلفت المواضع التي كان يتحدث فيها عنه ، فتحدث أول ما تحدث

(١) خزانة الأثب للبغدادى ٨٣/٦ .

(٢) هو " ابن السراج " كما جاء في حاشية المقضب ٣٠/٣ ، وفي الخزانة للبغدادى ٧٧/٦ وقد روى البغدادى البيت كالتالى :
من النفر اللائي الذين اذا اعتزوا

وهاب الرجال حلقة الباب قمعقوا

وقد رواه أبو سعيد السكرى في (كتاب اللصوص) قال : أخبرنى رفيع ابن سلعة عن أبي عبيدة قال : زعم النقرى أن أبا الربيع الثعلبي ، من بنى ثعلبة بن سعد بن زهبان ، سرق ناقة عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب صنعها وعلقها فسرقتها أبو الربيع وقال عدة أبيات منها الشاهد ويحده :

إذا النفر السود اليمانون نطخوا

له حوك بُرديه أجادوا وأوسعوا

وقد أوردها " الجاحظ " في اليمان والتهيم ٣٩٦/١ وقال : يقول فيه الشاعر وهو في ٣٠٥/٣ قال بعض الأعراب .

من الكلام ، وأنه واقع على الجمل التَّوَامَّ والسَّرَكَة ، دون الآحاد المفردة ، ولا بد من كونه تاماً مفيداً ، واستشهد بقول "مالك بن أسماء" :

أذكرُ من جاراتي ومجلسيها طرائفاً من حديثها الحسن (١)
ومن حديث يزيدني مَقَّةً ما لحديث الموق من شمس

أما آحاد الكلام وفرداته وحروفه القليلة ، وما استغنى فيه بالحرف عن الجملة

، فهذا ونحوه ما يقل لفظه فلا يحمل حسناً ولا قبحاً ، ولا طيباً

ولا خبثاً ، لكن قول "مالك" المتقدم (أدل شئ " على أن هناك

إطالة وتاماً ، وإن كان بغير حشو ولا خلل ، ألا ترى إلى قوله :

" طرائفاً من حديثها الحسن " فذا لا يكون مع الحرف الواحد ، ولا الكلمة

الواحدة ، بل لا يكون مع الجملة الواحدة ، دون أن يتردد الكلام ، وتكرر

فيه الجمل ، فبين ما ضمه من العذوبة وما في أعطافه من

النسمة واللذونة (٢) .

فلا بد في الكلام من إطالة وتكرير حتى يمكن أن نسيه كلاماً ، وهذا

في الحقيقة كلام لغوي ، لأنه جاء في معرض حديثه عن ماهية الكلام

والفرق بينه وبين القول .

ثم كثر عليه من جهة لغوية بنائية ، وأتى بشواهد عديدة تدل على

إيثار القوم قوة إيجازهم وحذف فضول كلامهم فقال : (هذا مع أنهم

في بعض الأحوال قد يكونون ، ويحتاطون ، وينحطون في الشق الذي يؤمنون

وذلك في التوكيد نحو : جاء القوم أجمعون ، أكتمون ، أبصمون ، أبتعمون

وقد قال جرير :

تَزَوَّدَ مَلَّ زَادٍ أَبِيكَ فِينَا فَنَعَمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا (٣)

(١) الأُمالي ٩٠/٣ .

(٢) الخصائص ت : محمد علي التجار ط . دار الهدى ١/٣١ .

(٣) ديوانه ١٠٧ .

فزاد الزاد في آخر البيت (توكيدا لا غير) ^(١) فهو هنا يتكلم عن التوكيد من قبل أنه زيادة على بناء الجملة الأصلية ، وبعد استيفائها معناها ، وأما ما زاد على التمام زيادة غير متممة ، وزاد على البناء زيادة خرجت^{عن} من حد الإيجاز ، فكان مكررا في الفاظه أو معانيه فهو لتبليغ أمر جسيم ، وتأدية شيء ذي بال ، وهو ما شرحه "ابن فارس" بقوله عن "التكرار" : (إرادة الإيلاج بحسب العناية بالأمر) ^(٢) ، ولهذا عقب "ابن جنى" على ما سبق من قوله بجواب "أبي عمرو" حينما سئل : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبلغ . قيل : أفكانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها .

وما يدل على ذلك قوله بعد ذلك مباشرة (واعلم أن العرب - مع ما ذكرنا - إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد . ألا ترى أنها في حالة إطلاقتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملاها ، ودالة على أنها إنما تجشمتها لما عاها هناك وأهسا ، فجعلوا تحمل ما في ذلك على العلم بقوة الكفة فيه ، دليلا على إحكام الأمر فيما هم عليه) ^(٣) . فالإطالة ملة ، والتكرار ثقيل ، لكن العرب تلجأ إليها عندما يحزنها الأمر ، وليس بخاف أن "ابن جنى" يقصد التكرير اللفظي ، ولا يقصده كله بل ما تجاوزت حروفه ، وترادفت كلماته ، فقد تكلم بعد هذا عن ثقل تكرار : "أجمعون - أجمعون - أجمعون" وعدولهم عنها إلى تغيير بمعنى حروفها فقالوا : "أجمعون - أجمعون - أجمعون" ، ثم يستدل على كلفة التكرير عليهم بدليل آخر وهو التضمين نحو : شدد (فإذا سكن الأول من المثليين فوقع هناك خلاف ما سهل اللفظ بهما فقل : شدد ، وكذلك ان سكن الثاني قيل : شددت) ^(٤) .

(١) الخصائص ٨٣/١ (٢) الصاحبى لا بنى الحسين أحمد بن فارس ٣٤١
(٣) الخصائص ٨٣/١ (٤) المحتسب ٣٥٥/٢

ويستشهد أيضا على ثقل التكرار اللفظي التجاور بقوله تعالى :

* فَصَلِّ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُويِدَا * (١) فلما تجشم إعادة اللفظ مع

تكراره إياه انحرف عن الأول بعض الانحراف بتغييره المثال ، فانتقل من

فَصَلِّ الى أَفْعَل ، فقال : " أَهْلَهُمْ " فلما تجشم التثليث جاء بالمعنى

وترك اللفظ البتة ، فقال " رويِدَا " (٢) لأنه آثر التوكيد وكره التكرير .

وأما في قراءة " ابن عباس " " فصل الكافرين مهملهم رويِدَا " (١)

بغير ألف (فإنه كره اللفظ والمثال جميعا . . فجعل ما تكلفه تكرير اللفظ

والمثال جميعا عنوانا لقوة معنى توكيده ، إذ لو لم يكن كذلك لانحرف

في الحال بعض الانحراف ، وهذا كقول الرجل لصاحبه : قد عرفت

أننى لم آتكم في هذا الوقت ، وإلى هذا المكان ، وعلى هذا الحال

إلا لِدَاعٍ إِلَيْهِ قَوًى ، وأمرعان (٣) .

وهو في هذه يذهب مذهبا بلاغيا في أن التكرير يقوى المعنى

ويؤكد كده ، لكن ما سبقها من الأداة الثلاثة كان المنهاج الصرفي يحكمها .

وعن تكرار الجمل أو تكرار المعنى يستشهد " ابن جنى " بقراءة

" الضحاك " : " الحمد لله فَطَرَ السَّوَاتِ وَالْأَرْضَ " (٤) هذا على الشاء

على الله سبحانه ، وذكر النعمة التي استحق بها الحمد ، وأورد ذلك في

الجملة التي هي " جمل " بما فيها من الضمير (فكان أذهب في معنى

الثناء ، لأنه جملة بعد جملة ، وكلما زاد الإسهاب في الشاء أو الذم كان

أبلغ فيهما (٥) .

(١) الآية ١٢ من سورة الطارق .

(٢) المحتسب ٣٥٤/٢ .

(٣) نفسه ٣٥٤/٢ .

(٤) الآية ١ من سورة فاطر .

(٥) المحتسب ١٩٨/٢ .

ثم يستدل على ذلك بقول "خرنق" (١) :
 لا يَمَعِدُنْ قَوِيّ الذِّين هُم سَمَّ العُدَاةِ وَآفَةُ الجُزُرِ (٢)
 النازلين بكل مُعْتَرَك والطيبين معاقِدَ الأُزُرِ

ويروى : النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون ، والطيبين والنازلون ،
 والرفع على هم ، والنصب على أغنى . ويؤكد "ابن جنى" أن الجمل
 كما اختلفت كان الكلام أفانين وضروبا ، فكان أبلغ منه إذا ألزم شرحا
 واحدا (فقولك : أغنى على الله أعطانا فأغنى ، أبلغ من قولك : أغنى على
 الله المحطينا والمغنيننا ، لأن معك هنا جملة واحدة ، وهناك ثلاث جمل .
 ويدلّك على صحة هذا المبنى قراءة "الحسن" * جاعلُ الطلائع * (٣)
 بالرفع ، فهذا على قولك : هو جاعل الطلائع ، ويشهد به أيضا قراءة
 "خليد بن شبيب" : * جَمَلُ الطلائع * .

قال "أبو عبيدة" : إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب ،
 ومن النصب إلى الرفع ، يريد ما نحن عليه ، لتختلف ضروبه ، وتباین
 تراكيبه (٤) .

وبمثل (أبو الفتح) لتكرار الجمل بحال آخر وهو في قوله تعالى :
 * كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى * (٥) - بفتح اللام - فيقول إنها بدل من قولسـه :
 "وترى كل أمةٍ جاثيةً" ، (وجاز إبدال الثانية من الأولى لما في الثانية
 من الإيضاح الذي ليس في الأولى ، لأن جُثُوها ليس فيه شىء من شرح
 حال الجُثُو ، والثانية فيها ذكر السبب الداعي إلى جُثُوها ، وهو استدعاؤه
 إلى ما في كتابها فهي أشرح من الأولى ، فلذلك أفاد إبدالها منها ،

(١) في خزنة البغدادي ٥٥/٥ : امرأة شاعرة جاهلية وهي : خرنق بنت
 بدر بن هفان من بني سعد بن ضُبَيْمَة رهط الأَعْشى .

(٢) الخزنة للبغدادي ٤١/٥ والكتاب ٢٠٢/١ ، ٦٤/٢ ، والطيبون معاقِدَ
 الأُزُرِ : كناية عن العفة ، والبهتان كذلك في ديوانها برفع "النازلين" ص ٢٩ .

(٣) الآية ١ من سورة فاطر : الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الطلائع رسلا

(٤) المحتسب ١٩٨/٢ .

(٥) الآية ٢٨ من سورة الجاثية "وترى كل أمةٍ جاثيةً" ، كل أمة تدعى إلى كتابها .

ونحو ذلك : رأيت رجلا من أهل البصرة رجلا من الكلاء^١ (١) فإن قيل :
وترى كل أمة حاشية تدعى إلى كتابها : ألا يغني هذا عن الإطالة ! ويجيب
" أبو الفتح " بأن الإعادة — أي إعادة لفظ " كل أمة " — أفهم من الاختصار
على الذكر الأول ، ولأن الغرض هنا هو الإسهاب لأنه موضع اغلاظ ووعيد .
ويتلخص رأي " ابن جنى " فيما يلي :

- أ — ترديد الجمل وتكرارها يكسب القول صفة الكلام ويجعله تاما .
ب — التأكيد اللفظي وإطالة الكلام من طرق العرب كما كان الإيجاز
لهم طريقا .
ج — تكرار الكلمة بمعنىها ثقيل ، ويجوز في مواضع العناية والاهتمام
أوعند إرادة تقوية المعنى .
د — زيادة المعنى ، زيادة في المعنى ، وتكرار الكلام مع اختلاف أفانيه
من ضروب البلاغة .
هـ — تكرار الجمل وإسهاب الكلام مطلوب في مواضعه .
وهذا نجد أن النحويين قد اتفقوا على أن تكرار الجملة بنفس ألفاظها
جائز ، بل إن بعضهم قال ببلاغته وفخامته .
وتكرار الكلمة بمعنىها يلغى كذلك وبعضهم جعله واجبا ومنهم من جعله
جائزا ومنهم من جعله لفوا .
وتكرار الحرف المنفصل مضع ما لم يفد خلاف معناه . وتكرار الحروف
إن تجاوزت ثقيل وهو مع ذلك جائز .

(١) الكلاء : موضع بالبصرة . المحتسب ٢٦٢/٢ ٢٦٢٣٠ .

ب - رأى اللغويين :

هـ - ابن فارس * ٣٩٥ هـ :

أفرد " ابن فارس " للتكرار بها جاء به بعد بلبي - الحذف
والاختصار ، وباب الزيادة ، كي يدلل من خلال ترتيبه هذا أن التكرار
يقابل ذنبك ، وأن فيه بسطا وإطالة ، وأن فيه زيادة هدفها الإيلاج
والمبالغة والتكثير ، قال :

(ومن سمن العرب التكرير والإعادة ، وإرادة الإيلاج بحسب العناية
بالأمر) (١) ثم استشهد بقول " الحارث بن عباد " :
قربا مربط النعامة منى لقيت حرب وائل من حبال (٢)

(١) الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا السيد أحمد صقر
م . عيسى البابي الحلبي ص ٣٤١ .
(٢) البيت في الأُمالي لأبي علي القالي ١٣١/٢ ومعه :
ينو بمدره والرمح فيه ويخلجه خديبا كالصير
وفى الأُمالي ٢٦/٣ ذكر طرفا من قصة " اليوم " وهو يوم
التحاليق * وأنشد :

قربا مربط النعامة منى لقيت حرب وائل من حبال
لم أكن من جناتها علم الله وإني يحرقها اليوم صالى
قربا مربط النعامة منى إن بيع الكرام بالشسع غالى
وقد ذكر " البغدادي " في خزائنه ٤٧٢/١ ، ٤٧٣ القصة وذكر
بعدها أربعة أبيات وقال : هذا مثل ضربه ، لأن الناقة إذا هالت
وضربها الفحل كان أسرع للقاحها ، وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد
منها من الأمور التي لم تكن تحتسب .

والنعامة : فرسه . وفى اللسان : ناقة حائل : يحمل عليها فلم
تلقح ، وقيل : هي الناقة التي لم تحمل سنة أو سنتين أو سنوات ،

(فكرر قوله : " قربها مريب النعامة مني " في رموس أبيات كثيرة ، عناية
بالأمر ، وأراد الإيلاج في التنبيه والتحذير (١) (٢) .

ويقول الشاعر :

مهلاً بنو عينا ، مهلاً موالينا (٣) .

==== وكذلك كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل
والجمع حيال وحول . . وقال " الأُصمعي " : حالت الناقة فهي تحول
حيالا اذا ضربها الفحل ، ولم تحمل ، وناقة حائرة ونوق حيال وحول
وقد حالت حوالا وهو* ولا . والمعنى : أن الحرب لقت أي حطت
بعد أن كانت لا تحمل . وقد ورد البيت الأول في أدب الكاتب ٤٠٥ ،
والأقتضاب ٤٤٣ ، والاصمعيات ٧١ ، وأمالى المرتضى ١/ ١٢٦ .

(١) الصاحبى لا يبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : السيد أحمد صقر
م . جيسى الهادي الحلبي ص ٣٤٦ .

(٢) أورد " ابن فارس " بعد هذا البيت بيتا للأصمعي الجعفي " مرشد بن

أبي حمران " وقال عنه : انه كبر هذه الكلمة في رموس أبيات على

ذلك المذهب لكن المحقق استدرك عليه قائلا : ليس في

الأصمعيات ولا في الوحشيات تكرير لهذه الكلمة . . . ولعل القصيدة

ناقصة ، ولذلك رأيت أن لا أذكره ، والبيت هو :

وكتيبة ليستها بكتيبة حتى يقول نساؤه هم : هذا الفتى ا. هـ

(٣) عجزه : لا تنهشوا بيننا ما كان مدفونا .

وهو للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم ،

كما في النو* تلف والمختلف للأمدى ٣٥ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣١٠ ،

والكامل ١٢١٢/٣ وفي فقه اللغة للثعالبي ٣٧٣ . وفي حماسة أبو تمام

بشرح العزوقي ١/ ٢٢٥ :-

مهلا بنو عينا من نعمت أثلتنا سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا

وقال العزوقي " وروى بعضهم بدلا من الصراع الثاني :

مهلا بنو عينا مهلا موالينا .

ويحمل التكرار فيه على أنه تنويع وتأکید .

ويقول الآخر :

كم نعمةٍ كنتَ له كم كم وكـم (١)

(فكر لفظ "كم" لغوياً العناية بقصد تكثير الممدد) (٢)

ويروى "ابن فارس" كما يروى علماؤه - "أن ما جاء في كتاب الله عز وجل من التكرار، من مثل قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣) جاء على هذه السنة من سنن العرب .

وعن تكرير الألف والقصص في كتاب الله عز وجل فقد قبلت فيه وجوه ، وأصح ما يقال فيه :

١) أن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بحثله آية لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بيّن وأوضح الأمر في مجزئهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلالاً أنهم عاجزون عن الإتيان بحثله ، بألفٍ نظم جاء ، وبألفٍ عبارة صر منه ، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب (٤) .

فالتكرار موجود في اللغة لم ينكره أحد من أهلها ، ولم يتجنبه أحد من العرب فهو طريق من طرق تمبيرهم ومسلك من مسالك لغتهم ،

(١) غير منسوب في الصاحبي ولا في الصناعتين ١٩٩ ، ولا في تأويل

مشكل القرآن ٢٣٦ ، ولا في أمالي المرتضى ١٢١/١ ، ولا في

معاني القرآن للفراء ١٧٧/١ . وروايته في الصناعتين :

كم نعمة كانت لكـم كم كم وكـم كانت وكـم

وروايته في "تأويل مشكل القرآن" : " كم نعمة كانت لكم كم كم وكـم "

وكذلك رواية أمالي المرتضى ، ورواية معاني القرآن للفراء :

" كم نعمة كانت لها كم كم وكـم "

(٢) الصاحبي ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣) سورة الرحمن .

(٤) الصاحبي ٣٤٣ .

وهو فن لغوى أصيل قبل أن يكون فناً بلاغياً محدثاً ، وكان مجيئه في اللغة طبيعياً حتى يكون قسيماً للحذف والاختصار ، بل إن الزيادة نفسها فن من فنون العرب ، فهم يزيدون بعض الحروف المنفصلة أو المتصلة ، ويزيدون في حروف الفعل - مبالغة - فيقولون : " حلا الشيء " فإذا انتهى قالوا : " اخلوئى " وفعلوا نفس الشيء في بعض الصفات فقالوا : ضراب وممطار ، ومذكّار ، وكذلك فعلوا في بعض الأبنية فقالوا : طرّاح ، ووهشن ، ووزقم وكبار وكذاب .

ثم تلجأ الوضع اللغوى فعمدوا إلى الترادف والمتوارد ، وقد يزيدون كلمة لتأكيد البناء فيقولون : ساقب لاغب ، وخياب تياب ، وقد تكون الكلمة الثانية (ذات معنى مصروف إلا أنها كالاتباع لما قبلها ، أو أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بيئة الاشتقاق) (١) .

ثم انهم لم يجدوا غضاضة بعد ذلك في أن يعمدوا شطرا بأكله بل إنهم قد يعمدون البيت برمته ، ومن شواهد إعادة الشطر بأكله قول " مهلهل بن ربيعة " (٢) :

على أن ليس عدلاً من كُيبِ
إذا طرد اليتيم عن الجزور (٣)

(١) الإتياع والمزاوجة لابن فارس ٢٨٠ .

(٢) هو عدى بن ربيعة أخو كليب وائل الذى هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب ، وسمى مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أى أرقه ، وكان فيه خنث ، ويقال إنه أول من قصّد القصائد ، وهو خال امرئ القيس ، وجد عمرو بن كلثوم أسمو أمه ليلى . . وكان مهلهل القائم بالحرب ورئيس تغلب . الشعر والشعراء ٢١٥ / ١ .

(٣) القصيدة في أمالى الموتضى ١٢٣ / ١ ، ١٢٤ ، ومطلعا منها :

أهلنا بذى حسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا ضَمِ جِيرَانُ الْمُجِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا رَجَفَ الْعِضَاهُ مِنَ الدَّبُورِ (١)
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا خَرَجَتْ مُخْبِئَةُ الْخُدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوَى الْأُمُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا خِيفَ الْمَخُوفُ مِنَ الثَّقُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	غَدَاةَ تَلَاتِلِ الْأُمُورِ الْكَبِيرِ (٢)
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا خَامَ جَارُ الْمُسْتَجِيرِ (٣) (٤)

== ومعنى الشطر الأول المكرر: ليس همام عدلا من كليب ، ويقال عندى غلام عدل غلامك (بكسر العين) وهذا المال عدل غلامك أى قيمته . قال الفراء : العدل (بالفتح) ما عادل الشئ من غير جنسه ، والعدل (بالكسر) المثل .

- (١) رجف : تحرك حركة شديدة ، والعضاه : كل شجر له شوك .
 (٢) قال أبو علي فى الأمالي - وقد روى البيت : بلابل ، والبلابل : الاضطراب ، وروى بعضهم : التلاتل ، وهو الانزعاج والحركة ، وروى أيضا : اذا علنت نجيات الأمور ، وقال : النجيات السرائر ، وقد ذكر بعض أطراف القصة وزاد فى أبياتها ونقص . الأمالي

١٢٩/٢ - ١٣٣ .

- (٣) خام : نكص وجبن ، وكذلك اذا كاد يكد كيدا فوجع عليه ولم يرفيه ما يحب ، ونكل ونكص ، وكذلك خاموا فى الحرب فلم يظفروا بخير وضعفوا . لسان العرب : خيم .

- (٤) ترجم البخدادى فى الخزائن ١٦٢/٢ - ١٧٤ لمهلhel وذكر القصة والأيام الاربعة وذكر أبياتا أخرى له فى رثاء أخيه كليب :
 يا ليكر أنشروا لي كليبيا يا ليكر أين أين الفرار
 يا ليكر اظمنوا ثم حلوا صرح الشر وباح الشرار

٦ - "الشعالي" ت ٤٢٩ :

قال مثل قول "ابن فارس" : إن التكرار من سنن العرب ، ومثل له
بالأمثلة الشعرية السابقة ، وزاد فاستشهد بقول الله عز وجل :
* أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ^(١) * ^(٢)

ثم تكلم في موضع آخر في "فقه اللغة" من التكرار باعتبار حشوا
أو زيادة في الكلام ، وقسم تلك الزيادة إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - زيادة بغية لا تفيد شيئاً ومن المستحسن حذفها .
- ٢ - زيادة يتم الكلام بدونها ولكن لا بأس بها في موضعها لما فيها
من تغخيم اللفظ وتأکید النراد .

(١) الأيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة القيامة * ثم أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * .
(٢) قال شعلب : "أُولَىٰ له" أي دانه الهلاك . قال "ابن فارس"
"وأصحابنا يقولون : "أُولَىٰ" تهدد ووعيد . وهو قريب من ذلك
وأنشدوا :

ألفيتا عيناك عند القفا أُولَىٰ فَأُولَىٰ لَكَ ذَا واقية .
وهذا البيت لعسروين ملقط الطائي أحد شعراء الجاهلية ، رواه
أبو زيد في نواره ٦٢ وهو غير منسوب في تأويل مشكل القرآن وفي
أمالى ابن السجري . قال "الصاحبي" :

"وقال قوم - وأنا أبرأ من عهده - إن "أُولَىٰ" مأخوذ من الويل .
قالوا : وكان للويل فعل وتصريف دج ، ولم يبق منه إلا الويل
قط . قال جرير - في قصيدة له يهجو بها غسان بن ذهل السليطي
في ديوانه ٤٨٥ :-

يحملن بالأكباد ويلا وآثلا .

وعجزه . " رعين بالصلب ندى شلاشلا .
"فقوله : "أُولَىٰ" أفضل من الويل ، إلا أن فيه القلب . وقال قوم "أُولَىٰ"
دانه الهلاك فليحذر " قال دهير : "ديوانه : ٣٠٧ *
أُولَىٰ لَكُمْ ثم أُولَىٰ أن تصيبكم * متى تواقع لا تبقي ولا تذر .
١٠ هـ الصاحبي ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

٣ - زيادة تعتبر حشوا مستغنى عنه في نظم الكلام ولكنه حسن في مكانه .

وقد سى كل ذلك حشوا . قال : (العرب تقيم حشو الكلام مقام الصلة والزيادة ، وتجريه في نظام الكلمة) (١) .

وقد مثل للزيادة الأولى بـ " صداع الرأس " (٢) ومثل للثانية

بقول النابغة :

لَعَسَى - وَمَا عَمِيَ عَلَيَّ بِهِنَّ لَقَدْ نَطَقْتُ بِطُلٍّ عَلَى الْإِقَارِ (٣)

(فقله : - وما عمى علي بهن - حشويتم الكلام بدونه) (٤) .

وأما الزيادة الثالثة فكقول طرفة (٥) :

فَسَقَى دِيَارَكَ - غَيْرَ مُسَدِّهَا - صَوْبُ الرِّبْعِ وَدِيْمَةٌ تَهْمِسُ

و " الثمالى " يؤيد مذهب التكرار لأنه كما قال : سنة (من سنن

العرب في إظهار العناية بالأمر) (٦) فهو لا يستقبحه . ومعروف أن

التكرار غير الحشو ، وليس كل تكرار حشوا ، ولكن صادف في بيت " النابغة "

المقدم أن جاء التكرار معترضا بين القسم وجوابه فكان حشوا - لأنه

يسمى كل ما كان خارجا عن بناء الجملة الأساسية كالاقتراض والتكميل

والاحتباس والحشو القبيح . مسمى كل ذلك حشوا ، وحتى لا يتبادر إلى

ذهن أحد أن كل تكرار حشو أو أن كل حشو قبيح أو ينبغي حذفه

استدرك بقوله - من بيت النابغة - : (ولكنه محمود لما فيه من تفخيم اللفظ

وتأكيد المراد) (٤) .

(١) فقه اللغة للثمالى ٣٨٧ .

(٢) ذكرت أغنى فعاودنى . . صداع الرأس والوصب .

والبيت لا بهي العيال الهذلى ، الصداعتين ١١٣ ، الموشح ٩٠ وفي

ديوان الهذليين للسكرى ٢٤٢ . والوصب : الوجد وهو النصب والتعب أيضا .

(٣) ديوان النابغة ص ١٦٥ .

(٤) فقه اللغة ٣٨٧ . (٥) ديوانه ص ٩٧ . (٦) فقه اللغة ٣٧٣ .

وإنما يستقبح الثعالي من التكرار ما تداخلت حروفه ، وغضت معانيه
لأن ذلك يؤدى إلى " استكره اللفظ وتعقيد المعنى " (١) ولذلك عاب
المتنبي في هذا المسلك بقوله :

(وهو أحد مراكمه الخشنة التي يتسنىها ، ويأخذ عليها في الطرق
الوعرة ، فيضل ويضل ، ويتعب ويتعب كولا ينجح) (١)

ونذكر من ذلك قوله :

فَتَبَيْتُ تُسَدُّ مُسَدًّا فِي نَيْبِهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ (٢)

وكذلك انتقده في تكراره لحرف السين في هذا المطلع :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيمًا ثُمَّ أَنْشَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيمًا (٣)

(فذكر الرسيم والنسيم فأخذ بطرفي الثقل والبرود) (٤)

كما أخذ عليه أكاره من قول " ذا " في قوله :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أُرِدْتَ مِنَ الْمَرْءِ رِيًّا مِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ (٥)
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فَيَوْقُوكَ ذَا خَفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ

وقوله :

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى لَدُنْكَ هُوَ

عَقِمْتُ بِبَوْلٍ نَسْلَهَا حَسًّا (٦)

(١) بيتية الدهر ١٥٣/١ .

(٢) ديوانه ١٧/١ ، الإِسَادُ : الإسراع في الليل خاصة ، والنسي :

الشحم ، والنسيم : الأرض الواسعة البعيدة ، والإنضاء : مصدر

أنضأ ، يتضيه إذا هزله والمعنى : ان المصم ينهشها كما تنضيه .

(٣) ديوانه ١٩٣/٢ : الرسيم والرس : من الحصى وأولها : وهو ما

يقول عنها من الضعف ، والرسيم : ما رس في القلب من الهوى .

أي شئت ، والنسيم : بقية النفس .

(٤) أبو الطيب المتنبي وماله وما عليه ص لا شعالي ص ٤٠ .

(٥) ديوانه ٣٨٤/٢ (٦) ديوانه ٣١/١ .

(فهو — كما تراه — سخافة وضمف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفا ، والحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفسط والنبرة أو على سبيل الغلط والفلتة) (١) .

وعاب عليه أيضا " تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين " (٢) .

كقوله :

لك الخَيْرُ غيرُ رامٍ من غيرِكَ الغِنَى
وغيرُي بغيرِ اللانقيَّةِ لا حق (٣)

وقوله :

إنما الناسُ حيثُ أنتَ وما النَّاسُ
سُ بنا من في موضعٍ منك خالي (٤)

وقوله :

أراه صغيراً قدرها عظمُ قدره
فما لعظيمٍ قدره عنده قدر (٥)

وقوله :

ونهبُ نفوسِ أهلِ النهبِ أولى
بأهلِ النهبِ من نهبِ القماشِ (٦)

وقال عن هذا البيت (إنه لم يحسن في تكرير لفظ النهب) (٧) .

وفي كل ما سبق دليل على أن " الثعالبى " — شأنه شأن غيره من العلماء — يستحسن التكرار ما لم يؤد إلى استكراه اللفظ أو تعقيد المعنى ، ويستقيم إذا كان في البيت الواحد بغير تحسين ، وأما إذا كان بتحسين

(١) يتيمة الدهر ١٦٣/١ ١٦٤٠ .

(٢) يتيمة الدهر ١٦٥/١ .

(٣) ديوانه ٣٥٠/٢ .

(٤) ديوان المتنبي ٢٠١/١ .

(٥) ديوانه ١٢٥/٢ .

(٦) ديوانه ٢١٠/٢ وروايته : " بأهل الجد " بدل " بأهل النهب " .

(٧) أبو الطيب وماله وما عليه للثعالبى ص ٢٧ .

فهو حسن ، كقول مروان بن أبي الجنوب : (١)

سلام على جمل وهيئات من جمل ويا حبذا جمل وإن صرمت حبل (٢)
وكقول يحيى بن أبي حفصة (٣) :

يا ليت يا ليت لذات الصبا رجعت هيهات ذلك شئ ليس مؤثجما
وقد أورد الثعالبي هذين البيتين في "لطائف المعارف" دون أن يذكرهما .
ويؤخذ منه أنه يريد بالتحسين أن يكون هناك داع يحسنه كالتلذذ في
الأول ، أو التنى في الثاني ، أو يكون فيه جناس كقول "الثعالبي" نفسه :
وإذا البلاه أفضحت بلفاتها فانف البلاه باحتسا بلا بيل (٤)

(١) قال ابن خلكان في ترجمة مروان بن أبي حفصة : وحفيده مروان
الأصغر وهو أبو السط مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر
المذكور — يعني مروان بن حفصة . . وفيات الأعيان ١٩٣/٥ .
كما ترجم له المزياني في معجمه ٣٢١ ، وابن الممتر في الطبقات
٣٩٢ وفي تاريخ بغداد ١٥٣/١٣ نتف من أخباره ، وفي
الأغاني ٢٠٥/٢٣ قال الأصفهاني : مروان بن أبي الجنوب ابن
مروان الأكبر بن أبي حفصة ، ويكنى مروان الأصغر أبا السط ،
وكان يتشبه بجدّه في شعره ، ويمدح المتوكل ، ويتقرب إليه بهجاء
آل أبي طالب فتمكن منه وقرب إليه .

(٢) قال الأصفهاني : دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل
فأنشده قوله :

سلام على جمل وهيئات من جمل ويا حبذا جمل وإن صرمت حبل
الأغاني ٢٠٥/٢٣ . وله أخبار في الموشح ٢٧٢ — ٢٧٤ ، وذكره
ابن رشيقي في المصدا ٧٩/١ .

(٣) جاء في الشعراء في ترجمة مروان بن أبي حفصة ص ٦٤٩ — ٦٥١ :
ويقال إن يحيى بن أبي حفصة كان يهوديا أسلم على يد عثمان بن عفان
رضي الله عنه . . وتزوج خولة بنت مقاتل بن طلحة بن قيس بن عاصم
سيد أهل الوبر . والبيت في لطائف المعارف للثعالبي ص ٧١ .

(٤) التبيان في شرح الديوان — ديوان المتنبي — للمعكزي ١٢٦/٣ .

جـ - رأى الأديب :

٧ - الجاحظ :

الجاحظ : عالم أديب ، ملك زمام اللغة ، واستأثر بخاصية البيان ، وله في ذلك أساليب فريدة في كتاباته ، اختصر بها دون غيره من الأدباء ، وتفنن في ذلك تفننا عجيبا حتى غدا إماما من أئمة البيان ؛ والذي يهمننا في أسلوب " الجاحظ " ترديد الألفاظ وتكرارها ، واشتقاق بعضها من بعض ، والاستطراد البليغ في نسج محكم ، فيه قوة ودقة ، وترابط وانسجام .
أولا - في كتابه الحيوان : فمن ذلك قوله في كتابه " الحيوان " :

(وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأُم ، وتتشابه فيه العرب والمجم ، لأنه وإن كان عربيا أعرابيا ، وإسلاميا جماعيا ، فقد أخذ من طُرف الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة ، وإحساس الغريزة ، ويشتهيه الفتيان كما تشتهيه الشيخوخ ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك ، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه المجدّد ذو الحزم ، ويشتهيه الثفل كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الخبيث كما يشتهيه الفطن) (١) .

ومنه قوله في " نعت الكتاب " والدفاع عنه :

(فعبت الكتاب ، ونعم الذخر والعقدة هو ، ونعم الجليس والمعدة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفة بهلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء مليّ علما ، وغرف حشى غرفا ، وانا شعن مزاحا

(١) الحيوان : ج ١ ، ص ١١ تحقيق : عبد السلام هارون ، دار احياء

التراث العربي ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٩ م .

وَجَدًّا ، اِنْ شِئْتَ كَانَ لُبَيْنٌ مِنْ سَحَابٍ وَاثِلٍ ، وَاِنْ شِئْتَ كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ،
وَاِنْ شِئْتَ ضَحِكْتَ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وَاِنْ شِئْتَ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَاِنْ شِئْتَ
أَلْهَيْتَكَ طَرَائِفُهُ ، وَاِنْ شِئْتَ أَشْجَيْتَكَ مَوَاعِظُهُ ، وَمِنْ لَكَ بِمَوَاعِظِهِ مُلْهُ ، وَبِزَاجِرِهِ
مُغْرٌ ، وَبِنَاسِكَ فَاتِكٌ ، وَبِنَاطِقِ أَخْرَسٍ ، وَبِبَارِدِ حَارٍ . . . وَمِنْ لَكَ بِطَبِيبٍ
أَعْرَابِيٍّ ، وَمِنْ لَكَ بِرُومٍ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارَسٍ يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيِّتٍ
مُتَّعٍ ، وَمِنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ
وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْفَائِبَ ، وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالْفَتَّ وَالسَّمِينِ ، وَالشَّكْلَ
وَالْخِلَافَةَ ، وَالْجَنَسَ وَضَدَّهُ (١) .

وَعَلَى هَذَا النَّمطِ مِنَ التَّكْرَارِ الْمَدِيدِ جَاءَ قَوْلُ "ابْنِ يَسِيرٍ" (٢) فِي

صِفَةِ "الْكَتَبِ" :

اِنْ شِئْتُ مِنْ حَكَمِ الْآثَارِ يَرْفَعُهَا إِلَى النَّبِيِّ ثَقَاتٌ خَيْرَةٌ نَجِيبٌ (٣)
أَوْ شِئْتُ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بِأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْتَهَى بِهِ الْعَرَبُ
أَوْ شِئْتُ مِنْ سَيْرِ الْأَمْلاكِ مِنْ عَجَمٍ تَنْتَهَى وَتُخْبِرُ كَيْفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ
وَهَكَذَا تَرَى أَنَّ "الْجَاهِظَ" يَرُدُّ الْأَفْظَاظَ بِعَيْنِهَا دُونَ أَنْ يَشْمَعَ الْقَارِئُ
بِطَلٍّ ، وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الطَّلُّ مَعَ هَذَا الْأُسْلُوبِ الْحَكَمِ الَّذِي إِذَا قَرَأَهُ الْجَاهِلُ
ظَنَّ أَنَّهُ يَحْسُنُ مِثْلَهُ وَأَنَّهُ لَهُ التَّنَاضُوحُ ، فَهُوَ أُسْلُوبٌ يَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ اللَّفْظِ
الْجَزَلِ الْمَكْرَرِ ، وَالْمَعْنَى الْمَعَادِ الْفَخْمِ ، فِي أَدَاءِ مُوسِيقَى جَمِيلٍ ، وَرَبْطِ
لَفْظِيٍّ بَارِعٍ . وَمِنْ الْغَرِيبِ جَدًّا أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ مَجْنُونًا التَّكْرَارَ
وَالْتِّرَادَ فِي أُسْلُوبِ الْجَاهِظِ (٤) (أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُبُهُ لَكَ يَطْلُ . . .
وَيَطْبَعُ هَذَا الْإِمْلَاءَ كَتَبَهُ بِطَابَعِ الْحَاضِرَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ طَبَعَهَا بِطَابَعِ التَّكْرَارِ
وَالْتِّرَادِ ، كَمَا طَبَعَهَا بِطَابَعِ كِتَابِ الْإِمْلَاءِ تَاتٍ مِنْ حَيْثُ الْخِلَلُ وَالْإِسْتِطْرَادُ

(١) الحيوان ٣٨/١ ٣٩٠ .

(٢) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال انه مولى لبني ريان ، كان شاعرا
ظريفا من شعراء الحديثين مقلدا ، لم يفارق البصرة ، ولا وفد الى
خليفة ، ولا تجاوز بلده ، وكان ماجنا هجاء خبيثا .

(٣) الحيوان : ٩٥/١ .

والايجاز في بعض الاشياء المهمة ، والاطناب والتفصيل في بعض الاشياء
(١) (التافهة) .

و هذا إجحاف بحق الكاتب الكبير ، وإنقاص من جمال أسلوبه البديع ،
ولا يشفع للباحث قوله بعد ذلك : (ومهما يكن فقد كان " الجاحظ ")
يعني بأساليبه عناية توفرها ضرورها من التقطيع الصوتي ، وقد ذهب
يستمين في ذلك بتكراره وترداده حتى تستوفي أساليبه كل ما يمكن
من هذا التلوين الصوتي ، الذي يكسب تعبيره جمالا خاصا يتفوق به
على جميع الكتاب في عصره (٢) . بل على من قبله ومن بعده كـ فالجاحظ
لم يكن يكرر عن عي ، وإنما كان يكرر من فصاحة وبيان ، وسواء كتب بنفسه
أو ألقى ، فإن النزعة الفنية سمة من سمات أسلوبه لا تنسلخ عنه ، ولا نلن
أن أدبها عظيما مثله يكتب في أصول البيان ومناهجه ، وطرق الفصاحة
ومذاهبها ، لا يحسن بالتكرار في أسلوبه ، وإن أحسن لا يحسن أن يتخلص
منه ، ! بل إن هذا الدليل على أنه كان يتعمده ، ويبحث عنه ويتصيد ،
ولو كان عيبا لفرّقه فرار " واصل " (٣) من حرف الراء . كيف لا وهو
القائل : (وينبغي لمن كتب كتابا ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له
أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د . شوقي ضيف : (١٧٢ ، ١٧٣) .

(٢) المرجع السابق ، : ١٧٢ .

(٣) أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي الطقب بالغزال ، مولى بني ضبة
وقيل مولى بني مخزوم ، أحد الأئمة الملقبوا " المتكلمين " في علوم
الكلام وغيره ، كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا . قال عنه الصرد :
انه أحد الأعاجيب . . فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفتن لذلك
لاقداره على الكلام . ولد سنة ثمانين وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة
للمهجرة ١٠ هـ وفيات الأعيان ٧/٦ وما بعدها .

يدع كتابه غفلا ، ولا يرضى بالرأى الفطير ، فإن لا بتدأ الكتاب فتنة وعُجبا ،
فإذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة ، وتراجعت الاغلاط ، وعادت النفس
وافرة ، أعاد النظر فيه ، فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طعمه
في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويتفهم معنى قول
الشاعر (١) :

إن الحديث تغرّ القوم خلوته حتى يلجّ بهم عي وإكثار (٢)
و (مسألة التكرار عند " الجاحظ " أكبر من أن تكون نتيجة للظروف ، إذ لو
كان الأمر كذلك لوقع منه التكرار حيث لا يحسن موقعه كما يحدث ذلك
لغيره ، ولما كان له هذا الرونق الذي نلاحظه ، ثم ان " الجاحظ " الذي
مرفناه قته في اختبار كلماته ، وحرصه على أن تأتي كل كلمة في مكانها ،
لا يمكن أن يكون مجرد الاملاء هو الذي جره الى هذا التكرار ، بل لا
بد أن يكون لذوقه الفني اعتبار كبير في هذا السبيل . .

على أن التكرار ليس خاصا بأسلوب الحاضرات ، وإنما هو أسلوب
أدبي عام مألوف في شتى الفنون الأدبية ، وقد شاع أسلوب التكرار بكثرة
عند كتاب القرن الرابع وما بعده ، وهو " لا " كانوا يكتبون بأيديهم (٣) .
ولنترك " الجاحظ " يدافع عن نفسه بهذا الأسلوب الساحر الذي
يسمين فيه طريقة كتابته ، وما يهدف اليه من تنويع لكي يطرد السآمة
والملل عن قارئه ، ولولم يكن للجاحظ إلا مراعاته لمقام التكلم والخطاب
لكفاه ذلك بلاغة ، بل انه يضع القارئ نصب عينيه ويشمرك أنه يتحدث
اليك مشافهة ، ويقدر على شدة الى قراءته شدا لطيفا :

(١) هو ابن هرقة كما في البيان ٢٠٣/١ ، أدب الكتاب للصولي ١٥٧ .

(٢) الحيوان : ٨٨/١ .

(٣) النشر الفني وأثر الجاحظ فيه . د . عبد الحكيم يلبيح ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(ولولا أني أتكل على أنك لا تملّ باب القول في البعير
حتى تخرج إلى الفيل ، وفي الدّرة حتى تخرج إلى البهوضة ، وفي
المقرب حتى تخرج إلى الحيّة ، وفي الرجل حتى تخرج إلى المرأة ،
وفي الذّبان والنحل حتى تخرج إلى الفريان والمقمان ، وفي الكلب
حتى تخرج إلى الديك ، وفي الذئب حتى تخرج إلى السبع ، وفي
الظّلف حتى تخرج إلى الحافر ، وفي الحافر حتى تخرج إلى الخفّ ، وفي
الخفّ حتى تخرج إلى البرثن ، وفي البرثن حتى تخرج إلى المخلب ؛
وكذلك القول في الطير وعامة الأُصناف ، لرأيت أن جطة الكتاب وإن
كثر عدد ورقه ، أن ذلك ليس ما يُجِلّ ، ويُمتدّ على فيه بلا طالة ،
لأنه وإن كان كتابا واحدا فإنه كتب كثيرة ، وكل مصحف منها فهو أمّ على
حدة ، فإن أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول حتى يهجم
على الثاني ، ولا الثاني حتى يهجم على الثالث ، فهو أبدا مستفيد ومستطوف ،
وبعضه يكون جَمَما لبعض ، ولا يزال نشاطه زائدا ، ومتى خرج من آي
القرآن صار إلى الأثر ، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر ، ثم يخرج من
الخبر إلى شمر ، ومن الشمر إلى نوادر ، ومن النوادر إلى حكم عقلية ، ومقاييس
سداد ، ثم لا يترك هذا الباب ، ولعلّسه أن يكون أثقل ، واللال إليه
أسرع ، حتى يفضي به إلى مزج وفكاهة ، وإلى سخر وسخرافة ، ولست
أراه سخفا ، إذ كنت إنما استعملت سيرة الحكماء ، وآداب العلماء (١) .
فالتكرار عند " الجاحظ " فن جميل ، يطيه عليه ذوقه الرفيع ،
ومنطقه البديع .

ثانياً — في " البيان والتبيين " : لا يختلف الجاحظ في بيانه في كتابه

" البيان والتبيين " عن أسلوبه في كتابه " الحيوان " فنجد فيه ترديدا

للالفاظ ، وتكرارا للمعاني ، في قالب محكم ونسيج متقن . يقول :

(وفي الخطباء من كان أشقى ^(١) ، ومن كان أشدق ^(٢) ، ومن كان أروق ^(٣))

ومن كان أضجم ^(٤) ، ومن كان أفقم ^(٥)) . وقال فسي

الوصف :

(وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللأعراب

عمة ، وللصوص عمة ، وللأيتام عمة ، وللروم والنصارى عمة ، ولأصحاب التشاخي

عمة .

(١) شفا : الشفا : اختلاف الأسنان ، وقيل : اختلاف نبتة الأسنان

بالطول والقصر والدخول والخروج . لسان العرب .

(٢) الأشدق : المريض الشدق الواسعه المائله ، أى ذلك كان .

وشفة شدقاء : واسمة مشق الشدقين .

(٣) الرّوق ، بالتحريك : طول وانثناء في الأسنان ، وقيل : الرّوق :

طول الأسنان واشراف الملا على السفلى ، روق يروق روقا فهو أروق

إذا طالت أسنانه .

(٤) الضّجم : الموج . الليث : الضجم : عوج في الأنف يميل الى

أحد شقيه . . والضّجاجم : المعوج الفم ، والضجم : عوج في الفم

ويميل في الشدق ، وقد يكون عوجا في الشفة والذقن والعنق الى أحد

شقيه ، ضجم ضجما وهو أضجم .

(٥) الفقم في الفم : أن تدخل الأسنان الملا الى الفم ، وقيل : اختلافه

وهو أن يخرج أسفل اللحي ويدخل أعلاه ، فقم يفقم فقما وهو أفقم . .

وقيل : الفقم في الفم أن تتقدم الشاى السفلى فلا تقع عليها الملا

إذا ضم الرجل فاه — لسان العرب .

(٦) البيان والتبيين ١ / ٥٥ .

(٧) التشاخي : التمتع والتحايز من الشجى ، وهو الحزن . تشاجت :

تمنعت وتحايزت . وقيل : أول التشاخي : التباهر والقرملة في الشى .

ولكل قوم زى :، فللقضاة زى ، ولا أصحاب القضاة زى ، وللشروط
زى ، وللكتّاب زى ، وللكتاب الجند زى ، ومن زيمهم أن يركبوا الحمير
وإن كانت الهماليج ^(١) لهم معرصة .

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فضهم من يلبس
المطّنة ، ومنهم من يلبس الدّراعة ^(٢) ، ومنهم من يلبس القبا ، ومنهم من
يلبس الباز ^(٣) ، يكند . . . ^(٤) .

موقف الجاحظ من التكرار :

وضع الجاحظ " قاعدة بيانية عظيمة ، توضح معنى البيان وأهدافه
وبيّن فيها أن المغزى الأول من البيان هو الإفهام وعليه مدار الأمر
والغاية التي يجرى إليها القائل والسامع : (البيان اسم جامع لكل شيء
كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفيض
السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محموله كاشفاً ما كان ذلك البيان ، ومن
أى جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى
القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام و
وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع) ^(٥) .

فالتكرار على هذا الأساس بيان إذا أردت إفهام المخاطب ،
بل إن الجاحظ يستحسن التكرار ويدعو إليه إذا لم يفهم السامع عن المتكلم ،

(١) المهلاج من البراذين واحد الهماليج . . ودابة هلاج : واحد

الهماليج ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، وهلاج الرجل : مركبه
ونحو ذلك . وأمر مهلاج : مدلل - لسان العرب .

(٢) الدراعة : حبة مشقوقة المقدم .

(٣) يبدو أنه كساء يلقي على الكتف . و "باز" بالفارسية بمعنى الكتف

(٤) البيان والتميين ١١٤/٣ ، ١١٥٠ .

(٥) نفسه ٧٦/١ .

يقول : (.. وليس له أن يهذبه جدا ، وينقصه ويصفيه ويروقه ، حتى لا ينطق الا بلب اللب ، وباللفظ الذي قد حذف فضوله ، وأسقط زوائده ، حتى عاد خالصا لا شوب فيه ، فإنه إن فعل ذلك ، لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهاما مرارا وتكرارا ، لأن الناس كلهم قد تمودوا المسوط من الكلام ، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها ..) (١) .

كما أنه يرى أن البلاغة لا تكون في خالص الإيجاز ، ولا في فضول الإطالة ، فقد يكون الكلام مطولا وهو مع ذلك موجز ، وقد يعذف من المطول ما يكون سببا في الإغلاق ، والترديد مسوح به حتى تصل إلى إفهام السامع فما زاد فهو الخطل (والإيجاز ليس يُعنى به قلة عدد الحروف واللفظ ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار (٢) فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاقه ، ولا يردد وهو يكتفى في الإفهام بشبطه ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل) (٣) .

موقف الجاحظ من الإعادة :

روى " الجاحظ " قال : (جمل " ابن السمك " يوما يتكلم ، وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه ، لولا أنك تكررت داءه . قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملته من فهمه) (٤)

(١) الحيوان ٩٠/١ .

(٢) صحيفة ويقال : طامور .

(٣) الحيوان ٩١/١ .

(٤) البيان والتبيين ١٠٤/١ .

وقد روى " الجاحظ " هذه القصة في معرض حديثه عن التلقى والقبول ،
أو الرفض من قبل السامع للتحكم ، وأنه ينبغي له أن يسترسل في ذلك
طالما كانت الاُنظار حادثة ، والأُسماع مصفية ، والا فلا عراض من قبل
المتكلم أولى .

وفي هذه القاعدة يستوى الكلام المشتمل على ترديد مع المجرد منه ،
وقد تحدث " الجاحظ " عن هذا الطل من قبل التلقى ، فذكر أنه استطاع
أن يعالجسه وأن يتغلب عليه ، بالتنوع في كتابه ، والمخالفة بين مواضعه ،
والترفيه عنه وما إلى ذلك من طرق من شأنها أن تطرد الطل من نفس القارىء .

هذا ؛ وإن للترديد حدا كما قال " الجاحظ " في كلامه المتقدم
فإذا تمّ الفهم للمخاطب أصبح التردد من فضول الكلام كما كان السمع
بالنسبة للسامع من فضول السمع ، ولهذا كان إعادة الحديث " المفهوم "
أشد من نقل الصخر ، لانتفاء علة التردد ، وقد روى " الجاحظ " خطبة
لـ " محمد بن سليمان " (وكان لا يغيرها) (١) لأن العلة هنا ليست
في عدم الفهم وإنما في تذكيرهم على العمل بها ، مع اختلاف المقام أيضا .
فـ (التكرار نوع من الإيحاء ولا بد منه في الخطابة) (٢) .

وأما ما قيل في " التوراة " من أنه (لا يُعاد الحديث مرتين) (٣)
فهو قول لا يؤخذ على إطلاقه ولذلك استدرك " الجاحظ " بقوله :
(وجملة القول في الترداد ، أنه ليس فيه حدٌ يُنتهى إليه ، ولا يؤتى
على وصفه ، وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوام
والخواص) (٤) .

(١) البيان والتبيين ١٢٩/٢ .

(٢) فن الخطابة د . أحمد العوفى ١٧٢ .

(٣) البيان والتبيين ١٠٤/١ .

(٤) نفسه ١٠٥/١ .

وهذه قاعدة جلييلة من قواعد البيان ، وهى فوق ذلك علم نافع لا يستغنى عنه كل كاتب وخطيب ، ولا يقدر على تطبيقها إلا من وهب ذوقا خالصا ، وبلاغة ثاقبة ، ثم يستطرد الجاحظ ويذكر طرفا من علل التريد :

(وقد رأينا الله عز وجل ردّ ذكر قصة موسى وهود ، وهارون وشمعيب ، وإبراهيم ولوط ، وعاد وثمود ، وكذلك ذكر الجنة والنار ، وأمر كثيرة ، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف المعجم ، وأكثرهم غبيّ غافل ، أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب .

وأما أحاديث القصص والرقّة فإنى لم أر أحدا يميم ذلك) (١)

فالترداد عند " الجاحظ " أمر دقيق لا يؤتى على وصفه ، فتارة

يكون سبيلا للفهم ، وتارة يكون طريقا الى قلوب العوام ، ومرة من فنون البلاغة وضروب الكلام ، كما فعل " الجاحظ " في كتبه — ، ويكون تارة أخرى باعنا للتلل والسآسة إذا تم الفهم ، وعلم المراد ، أو يكون ضربا من ضروب المعنى كأن يكون فضولا بلا غرض ولا علة .

ثم يقول : (وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيبا إلا ما كان من " النّخارين أو العذري " ، فإنه كان إذا تكلم في الحسالات وفى الصفح والاحتمال ، وصلاحيات الهين ، وتخويف الفريقين من التفانى واليوار ، كان ربّما ردّ الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر) (٢) .

وهذا موقف آخر يسمح فيه " الجاحظ " بالإعادة والتريد — وهو المخطابة — ولم يره عيبا ، لا هو ولا غيره من الخطباء ، بل ان معظم البلغاء يتفقون على كونه فصاحة وبيانا في هذه المواضع .

(١) البيان والتبيين ١/ ١٠٥ .

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٠٥ والنّخر : صوت الأنف ، ومد الصوت والنفس في غياشيمه .

فهذا قدامة بن جعفر * يوافقه على قوله : (وأما الإطالة ففسي
مخاطبة العوام ومن ليس من ذوى الأفهام ، ومن لا يكفى من القول
بمسيره ، ولا يفتق ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره ، ولهذا استعمل
الله عز وجل في مواضع من كتابه تكرير القصص وتصريف القول ليفهم من
بعد فهمه ، ويعلم من قصر علمه ، واستعمل في موضع آخر ألا يجاز
والاختصار) (١) .

ومن خلال أقوال " الجاحظ " ، السابقة يظهر أنه لا يريد بالإعادة
الترداد ، بالإعادة هي أن تعيد الحديث برقة من أوله الى آخره ،
وليس في هذا بلاغة ولا مزيد بمان ، وإنما فيه مزيد فهم .

وإذا أراد بالإعادة أن يعيد التكلم أكثر فقر الكلام أو بعض
مقاطعته دون أعادته جملة فهو غير الترداد ، لأن الترداد أصل في الكلام
المنشأ ، والإعادة عرضية ، فإذا كانت من أصل الكلام ومترابطة معه ترابطا
حسنا بحيث لو أنها حذفتم لاختل الكلام فهي ترداد وليست إعادة ،
والعرب تكره الإعادة لأنهم يرون فيها عجزا عن الإبانة .

روى " الجاحظ " قال : (كان جعفر (٢) بن يحيى أنطق الناس
قد جمع الهدوء والتسهل ، والجزالة والحلاوة ، وافهما ما يفنيه عن الإعادة ،
ولو كان في الأرض ناطق يستغنى بمنطقة عن الإشارة ، لاستغنى جعفر
عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة) (٣) .

ويؤيد هذا ما روى عن " المتأبى " حينما سئل عن البلاغة فقال
(كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حيسه ولا استعانة فهو بليغ) (٤) .

-
- (١) نقد النثر : قدامة بن جعفر ص ٩٦ .
(٢) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد .
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٤) نفسه ١/ ١١٣ .

وأغلب الظن أن الإعادة أكرما تطلق على الحديث المسدوع دون المكتوب ، وعليه فإنى أرى أنه لا إعادة في القرآن الكريم ، بل هو ترداد وتكرار ، فليس فيه سورة أعيد موضوعها أو الفاظها . والإعادة سهلة لا مشقة فيها ، وليست فنا من فنون الكلام ، وإنما الصنعة والانشاء في الترداد الفنى والتكرار المبين ، وفيهما خفة لا توجد في الإعادة .

والإعادة من قبل المتكلم بعد تمام الفهم ليست من البلاغة ، وقد تكون مطلوبة للإفهام ، أو مستحبة حسب المقام ، فإن لم يكن المقام يتطلبها ، أو كان السامع في غنى عنها ، أو كان المتكلم من الصنف بحيث لا يستطيع أن يستغنى عنها ، لعدم وضوح الفكرة عنده ، أو لعدم طواعية اللغة له ، إما لجهله بها أو بالموضوع أو بالمقام : فذلك هو المسمى الذى حذر منه البلغاء .

ثالثا — (التاج في أخلاق الملوك) :

أورد " الجاحظ " في كتابه " التاج في أخلاق الملوك " قواعد معينة تحكم إعادة الحديث عند الملك وليس هذا مما نحن فيه ، ولكن لا بأس من إيراد بعض تلك الروايات لاشتمالها على مواطن الإعادة المحمودة والمذمومة . قال (ومن حق الملك أن لا يهاد عليه الحديث مرتين ، وإن طال بينهما الدهر وغبرت بينهما الأيام ، إلا أن يذكره الملك ، فإن ذكره ، فهو إن من منه في إعادته .

وكان روح بن زنباع يقول : أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة من أيامه ، ما أعدت عليه حديثا . وكان الشميبي يقول : ما حدث بحديثٍ مرتين لرجل بعينه قط .

وكان أبو العباس — يعنى السفاح — يقول : ما رأيت أحدا أغزر علما من أبي بكر الهذلي لم يعد على حديثا قط .

وكان ابن عباس يقول : حدثت المنصور أكثر من عشرة الاف حديث ،

فقال لي ليلة وقد حدثته عن يوم ذى قار : قد اضطرت الى التكرار يا ابن عباس ! ، قلت : ما هذا منها يا أمير المؤمنين ، قال : أما تذكر ليلة الرد والامطار ، وأنت تحدث عن يوم ذى قار ! ، فقلت له : ما يوم ذى قار بأصعب من هذه الليلة (١) .

وهذا أمر لا يقاس عليه ، ولا يؤخذ به كنه ، فهو من خاص الخاص ، لا يصلح تطبيقه على العامة ، كما لا يستغنى عنه بعض الخاصة ، ولا سيما إذا كان الحديث شيرا للبهجة مسرا للنفس ، أو كان المطلوب من الإعادة حفظ الحديث ، قال " أبو عثمان " :

(وكان الشرقى بن القطامي يعيد الحديث مرارا ، وذلك أن أكثر أحاديثه مضاحك ، وكانت تعجب المهدى فيستعيده . وكان ابن راب إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث ، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه ، ويقال : إنه لم يسامر الخلفاء أحد كان أنهل من عيسى بن راب ، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألفاظا ولا أفكه مجلسا ولا أعظم أبهة وقدرًا منه ، وكان عيسى بن راب يتكىء في مجلس أمير المؤمنين ، ولم يكن هذا لأحد . غير أنه يحكى أن روح بن زئاع مرض فكان يدعو له عبد الطك بن مروان بقتل (٢) .

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ت : أحمد زكي باشا ص ١١٣ .

(٢) نفسه ص ١١٥ .

الفصل المثنى

أ - أفراض التكرار في القرآن

ذكر " الزركسى " في كتابه " البرهان في علوم القرآن " (١) عدة فوائد للتكرير في القرآن :

أولاً * " التأكيد " : كقوله تعالى * كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون * (٢) .

وكذا قوله تعالى : * وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين * (٣) .

وقوله تعالى * ففعل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر * (٤) .

وقوله تعالى : * يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * (٥) .

وقوله : * فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم * (٦) ويحتمل أن يكون " اصطفاً " من " و " ذكرين " ، وهو الأقرب

في الذكر ، لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر .

وكقوله تعالى حكاية عن موسى * كى نُسَبِّحَكَ كثيراً ، ونذكرك كثيراً * (٧)

وقوله * أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك

أصحاب النار * (٨) كرر " أولئك " .

(١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجزء الثالث من ص ١١ حتى

ص ٢٥ ، الطبعة الثانية عيسى البابي الحلبي .

(٢) الايتان ٣ ، ٤ من سورة التكاثر . (٣) الايتان ١٧ ، ١٨ من سورة الانفطار

(٤) الايتان ١٩ ، ٢٠ من سورة المدثر . (٥) الآية ٤٢ من سورة آل عمران .

(٦) الآية ١٩٨ من سورة البقرة . (٧) الايتان ٣٣ ، ٣٤ من سورة طه .

(٨) الآية ٥ من سورة الرعد .

وكذا قوله : * فلما أن أراد أن يبطش بالذين ... الى قوله
... من الصالحين * (١) كبرت " أن " في أربع مواضع تأكيداً .
وقوله * قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . وأُمرت لأن
أكون أول المسلمين * (٢) .

الثاني : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقى الكلام
بالقبول ، ومنه قوله تعالى * وقال الذي آمن : يا قوم اتَّبِعُون أَهْدِيكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا مَتَاعٌ * (٣) ، فانه كسر فيه
النداء لذلك .

الثالث : اذا أطلال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانياً
تطرية له ، وتجديداً للعهد ، كقوله تعالى : * ثم إن ربك للذيين
عطوا السوءَ بجهالةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها
لغفور رحيم * (٤) .

(٥)
وقوله : * ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ... الآية
وقوله * ولما جاءهم كتابٌ من عند الله * (٦) ثم قال :
* فلما جاءهم ما عَرَفُوا * (٦) فهذا تكرار للأول ، ألا ترى أن لما لا
تجسّء بالفاء !

ومثله * لا تحسبن الذين يفرحون * (٧) ثم قال * فلا تحسبنهم * (٧)
وقوله * ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم * (٨) ثم قال :
* ولو شاء الله ما اقتتلوا * (٨) .

-
- (١) سورة القصص الآية ١٩ ، وتماشها * فلما أن أراد أن يبطش بالذي
هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأسلحة
ان تريد الا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من الصالحين *
- (٢) الايتان ١١ ، ١٢ من سورة الزمر . (٣) الايتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة غافر .
(٤) الآية ١١٩ من سورة النحل . (٥) الآية ١١٠ من سورة النحل .
(٦) الآية ٨٩ من سورة البقرة . (٧) الآية ١٨٨ من سورة آل عمران .
(٨) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

- وقوله * أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا نَزَّكُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَمَعَالِمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ* (١)
- فقوله " أَنْكُمْ " الثاني بناء على الأول ، إِنْكَارًا بِهِ خَشْيَةٍ تَنَاسِيهِ .
- وقوله * وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ* (٢) وكذلك قوله :
- * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَقَدْ بَيَّنَّا
- بِذِيحٍ عَظِيمٍ* (٣) إِلَى قَوْلِهِ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ* (٤) .
- بِغَيْرِ " إِنَّا " وَفِي غَيْرِهِ مِنْ مَوَاضِعَ ذَكَرَ " إِنَّا كَذَلِكَ " ، لَا نُسَمِّيهِ
- بِمَعْنَى عَلَى مَا سَبَقَهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ قَوْلِهِ " إِنَّا كَذَلِكَ " ، فَكَأَنَّهُ
- طَرَحَ فِيمَا اكْتَفَى بِذِكْرِهِ أَوَّلًا مِنْ ذِكْرِهِ ثَانِيًا ، وَلِأَنَّ التَّأَكُّدَ بِالنِّسْبَةِ ،
- فَاعْتَبَرَ اللَّفْظَ مِنْ حَيْثُ هُوَ دُونَ تَوْكِيدِهِ (٥) .
- الرَّابِعُ : فِي مَقَامِ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى * الْحَاقَّةُ
- مَا الْحَاقَّةُ* (٦) . * الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ* (٧) ، * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
- فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* (٨) .
- وقوله * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ* (٩) .
- وقوله * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ
- مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ* (١٠) .
- وقوله * لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ* (١١) .

-
- (١) الآية ٣٥ من سورة المؤمنون . (٢) الآية ٧ من سورة الروم
- (٣) الآيات ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ من سورة الصافات .
- (٤) الآية ١١٠ من سورة الصافات . (٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٥/٣ .
- (٦) الايتان ١ ، ٢ من سورة الحاقة .
- (٧) الايتان ١ ، ٢ من سورة القارعة .
- (٨) الايتان ١ ، ٢ من سورة القدر . (٩) الآية ٢٧ من سورة الواقعة .
- (١٠) الايتان ٨ ، ٩ من سورة الواقعة .
- (١١) الآية ٣١ من سورة المدثر .

الخامس : في مقام الوعيد والتهديد ، كقوله تعالى : * كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون * (١) . وذكر " ثم " في المكرر دلالة على أن الانذار الثاني أبلغ من الأول ، وفيه تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأُمنية لا يتطرق اليه تغيير ، بل هو مستمر دائما .

السادس : التعجب ، كقوله تعالى * فقتل كيف قدر . ثم هل كيف قدر * (٢) ، فأعيد تعجبا من تقديره وإصابته الفرض ، على حد : قاتله الله ما أشجع !

السابع : لتعدد المتعلق ، كما في قوله تعالى * فبأي آلاء ربكما تكذبان * (٣) ، فإنها وإن تعددت ، فكل واحد منها متعلق بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن ، وهدد عليهم نعمه التي خلقها لهم ، فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاها هم الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة ، وصور شتى .

فإن قيل : فإذا كان المعنى في تكريرها عد النعم واقتضاها الشكر عليها ، فما معنى قوله * يرسل عليكم سُوطاً من نارٍ ونحاساً فلا تَنْتَصِرَانِ * (٤) ؟ وأى نعمة هنا ! وإنما هو وعيد .

قيل : إن نعم الله فيما أنذر به وهدد من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها ، نظير أنعمه على ما وعده ، وبشر من نوابه على طاعته ، ليرغبوا فيها ، ويحرصوا عليها ، وإنما تتحقق معرفة الشئ بأن تمتبه بضده ، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما ، فإنهما متقاربان

(١) الايتان ٦ ، ٧ من سورة التكاثر .

(٢) الايتان ١٩ ، ٢٠ من سورة المدثر .

(٣) الآية ١٣ من سورة الرحمن وما بعدها .

(٤) الآية ٣٥ من سورة الرحمن .

في موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها ، وعليه قول بعض حكماء
الشعراء :

والحادثات وإن أصابك به سبها فهو الذي أنباك كيف نصيبها
وإنما ذكرنا هذا ، لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة ، ولو كان عائدا
لشيء واحد لما زاد على ثلاثة ، لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة .
فإن قيل : فإذا كان المراد بكل ما قبله ، فليس ذلك باطناب ،
بل هي ألفاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر .

قلت : إن قلنا : المبرة بعموم اللفظ ، فكل واحد أريد به
غير ما أريد بالآخر . وقد تكلف لتوجيه المدة التي جاءت عليها هذه
الآية مكررة ، قال " الكرمانى " :

جاءت آية واحدة في هذه السورة كُرت نيفا وثلاثين مرة ، لأن
ست عشرة راجعة الى الجنان ، لأن لها ثمانية أبواب ، وأربعة عشر ضها
راجعة الى النعم والنقم ، فأعظم النقم جهنم ، ولها سبعة أبواب ،
وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب ، وسبعة عقب كل نعمة ذكرها
للتثمين (١) .

(١) هذه عبارة " الكرمانى " : (قوله : " فبأى آلاء ربكما تكذبان * " ،
كرر الآية احدى وثلاثين مرة ، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها
تعداد عجائب خلق الله ، وبديائع صنعه ، ومبدأ الخلق ومعادهم ،
ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب
جهنم . وحسن ذكر الآلاء عقبها لأن في صرفها ودفنها نصا
توازي النعم المذكورة ، وأول أنها حلت بالأعداء وذلك يمد أكبر
النعماء . وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على
عدد أبواب الجنة ، ثمانية أخرى بعدها للجنة اللتين دونهما ،
فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من
الله ، ووقاه السبعة السابقة ، والله تعالى أعلم) أسرار التكرار في
القرآن للكرمانى ص ١٩٨ .

وقال غيره : ^١نفسه في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة أصناف النعم ، وأفرد سبعا منها للتخويف ، وإنذارا على عدة أبواب المخوف منه ، وقُصِّلَ بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء ، حيث اتصلت بقوله :- * كَلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ * ^(١) فكانت خمس عشرة ، أتبعث بشانية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها ، ثم بشانية أخرفني وصف الجنتين اللتين من دون الأوليين لذلك أيضا فاستكملت إحدى وثلاثين . ومن هذا النوع قوله تعالى :- * وَيَلْزَمُ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ * ^(٢) في سورة "المرسلات" عشر مرات . لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصا ركأنه قال عقب كل قصة : وييل للمكذبين بهذه القصة ! وكل قصة مخالفة لصاحبها ، فأثبت الويل لمن كذب بها .

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنات بعشر أمثالها ، وجعل للكفار في مقابلة كل مثل من الثواب ويل ^(٣) . ومنها في سورة "الشعراء" :- * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مَوْءِنِينَ . وَإِنْ يَكُ لَكُمْ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * ^(٤) في ثمانية مواضع لأجل الوعظ ، فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحدة . وأما قوله * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ * فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام ، والمعجب من تخلف من لا يتأملها مع ظهورها .

-
- (١) الآية ٢٦ من سورة الرحمن .
 (٢) الآية ١٥ وما بعدها من سورة المرسلات .
 (٣) لم يقل بهذا الاحتمال غيره فيما قرأت وهو احتمال غير وجهه لأنه لا أساس له ، ولأن الله ليس بظلام للعبيد ، فكيف وهو الغنى عن عذابهم ، والقادر على أن يرحمهم .
 (٤) سورة الشعراء الايتان ٨ ، ٩ وما بعدها .

وأما مناسبة قوله * العزيز الرحيم * فإنه تعالى نفى الإيمان من الأكثر ، فدلّ بالفهم على إيمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يؤمن ، والرحمة لمن آمن ، وهما مرتبتان كترتب الفريقين .
ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى * كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون * (١) الآية ، لأن علمهم يقع أولاً وثانياً على نوعين مختلفين بحسب المقام ، وهذا أقرب للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه ؛ فإن المعاملات الإلهية للطائع والمعاصي متغيرة الأنواع الدنيوية البرزخية ، ثم العشرية ، كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع في الغاية ، بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة ، وفي " ثم " دلالة على الترقى ، وإن لم يجعل الزمان مرتباً في الانذار على التكرار ، وفي المنذار به على التنويع .

ومنه تكرر * فذوقوا عذابي ونذر * (٢) قال " الزمخشري " (٣)
كُرر ليجدوا عند سماع كل نبأ منها اتعاضاً وتنبيهاً ، وأن كلا من تلك الأنباء مستحق باعتبار يختص به ، وأن ينتبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة .

ومنه قوله تعالى * قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تمبدون . . * (٤)

إلى آخرها .

(١) الايتان ٦ ، ٧ من سورة التكاثر .

(٢) بعض آية ٣٧ وآية ٣٩ من سورة القمر ، ولكن الذي تكرر أكثر قوله

تعالى * فكيف كان عذابي ونذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من

مذكر * وهي الآيات ١٦ ١٧ ٢١ ٢٢ ٣٠ ٣٢ ٤٠

(٣) عبارته في الكشاف (فائدته أن يجدوا عند استماع كل نبأ من أنباء

الأولين التكاثر واتعاضاً وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً إذا سمعوا

الحث على ذلك والحث عليه ، وأن يقرع لهم المصامير ويقعق لهم

الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة . .) الكشاف ٤ / ٤٠

يحكى أن بعض الزنادقة سأل "الحسن بن علي" رضى الله عنه
عن هذه الآية فقال : إني أجد في القرآن تكرارا وذكر له ذلك ، فأجابه
"الحسن" بما حاصله : ان الكفار قالوا : نعبد إلهك شهرا ونعبد
آلهتنا شهرا ، فجاء النفي متوجها إلى ذلك . والمقصود أن هذه ليست
من التكرار في شيء ، بل هي بالحذف والاختصار أليق ، وذلك لأن قوله :
* لا أعبد ما تعبدون * أى لا أعبد في المستقبل ما تعبدون فـ في
المستقبل ، وقوله : * . ولا أنا عابد ما عبدتم * أى ولا أنا عابد في الحال
ما عبدتم في المستقبل ، * ولا أنتم عابدون * في الحال ما أعبد فى
المستقبل .

ويرى "الزركشى" (١) أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الزمّة
الثلاثة : الحال ، والماضى ، والاستقبال ، والمذكور في الآية
النفي في الحال والاستقبال ، وحذف الماضى من جهته ومن جهتهم ،
ولا بد من نفيه ، لكنه حذف لدلالة الأولى وليس عليه .
وفيه تقدير آخر ، وهو أن الجطة الأولى فعلية ، والثانية اسمية ،
وقولك " لا أفعله " و " لا أنا فاعله " أحسن من قولك " لا أفعله "
، " ولا أفعله " ، فالجطة الفعلية نفي لإمكانه ، والاسمية نفي لاتصافه ،
كما في قوله تعالى * وما أنت بهادى الضّى عن ضلالتهم * (٢) ،
* وما أنت بسميع من في القبور * (٣) . والمعنى أنه تبرأ من فعله
ومن الاتصاف به ، وهو أبلغ في النفي ، وأما المشركون فلم ينتف عنهم إلا
بصفة واحدة ، وهي قوله * ولا أنتم عابدون ما أعبد * في الموضعين .

(١) البرهان في علوم القرآن ٢١ / ٣ .

(٢) الآية ٥٣ من سورة الروم .

(٣) الآية ٢٢ من سورة فاطر .

وفرق آخر ، وهو أنه قال في نفيه الجملة الاسمية : * ولا أنا عابد
ما عديتم * وقال في النفي عنهم : * ولا أنتم عابدون ما أعبد * عاكف في
حقه بين الجملتين ، وقال : * لا أعبد ما تعبدون * بالمضارع ، وفي
الثاني : * ولا أنا عابد ما عديتم * بالماضي ، فإن المضارع يدل على
الدوام ، بخلاف الماضي ، فأفاد ذلك أن ما عديتموه ولو مرة ما أنا عابد
له البتة ، ففيه كمالُ براءته ودوامها مما عبدوه ولو مرة ، بخلاف قوله :
* لا أعبد ما تعبدون * ، فإن النفي من جنس الاثبات ، وكلاهما
مضارع يظهران جملة ومنفردا ^(١) . هـ .

(١) البرهان في علوم القرآن ٢١/٣ ٢٢٠ هـ .

ب - أغراض التكرار في الشعر

للتكرار أغراض عديدة تلبيها ظروف الأديب واحتياجاته النفسية ،
فيحبر بالتكرار اللفظي عما يجيش في نفسه من حب أو بغض ، أو مدح أو هجاء ،
أو أمن أو خوف ...

وتكرار الألفاظ في : نداء الموضع ، ومناجاة الأحبة ، وهجاء
الأعداء ، والخوف من المكروه ، ومدح العظيم ، والنداء للحرب ، والدفاع
من النفس بكل ذلك وما مثله يتم في عفوية وتلقائية لا يسأل عنها الشاعر ،
ولا تعد عيبا في كلامه ، ولا قدحا في عاطفته ، فهو يعبر عما يضطرم فؤاده
فوائد من أشجان ، وما يعتل فيه من لواعج ، ولذلك كان التكرار في
هذه المواضع تكرارا بيانيا محضا لا يقل شأنًا عن باقي ضرب البيان ، ولا تفوقه
أبواب المعاني في شئ ، لأنه ليس فنا من فنون البديع مصطنعا ، ولا محسنا
زائدا من محسنات الألفاظ أو المعاني .

فالشاعر في هذه المواضع لا يطلق التكرار من طرف لسانه ، بل من

أعماق فؤاده .

ولذلك استحسنه النقاد وقلوه ، بل إنهم يضعونه في بعض المواقف

في قمة الفصاحة وذرا البيان ولا سيما إذا كانت هناك أغراض أدبية

تدعو إليه ، أو دواع نفسية تحض عليه . قال " ابن رشيق " : -

(وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقيح فيها ، فأكثر ما يقيح

التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ،

فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه ، ولا يجب للشاعر

أن يكرر اسما إلا على جهة التشوق والاستمذاب ، إذا كان في تغزل أو نسيب .

أو على سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر . . أو على سبيل التقرير

والتوبيخ . . . أو على سبيل التعظيم للمحكى عنه . . أو على جهة الوعيد
والتهديد ان كان صواب موجه . . أو على وجه التوجع ان كان رثاء
وتأبيناً . . أو على سبيل الاستغاة - وهي في باب المديح . . ويقع
التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيح بالصهو . . ويقع
أيضاً على سبيل الازدراء والتهمك والتنقيص . . (١)

ولنبداً بذكر الأغراض العامة للتكوير وذكروا من أشعار العرب

فيها :

أولاً - الغزل : وذلك مثل قول "أمرئ القيس" :

ديار سلمى عافيات يذى الخال ألح عليها كل أسحم^(٢) هطال
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادى الخزامى أو على راس أو قال^(٣)
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلاً من الوحش أو بيضا^(٤) بيضا^(٤) محال
ليال سلمى إذ تحرك منضداً وجيداً كجيد الرثم ليس بمعطال
ومثل قول "عنتره" وفيه تكرار لاسم محبوبته وأسماء مواضعها التي كان يلقاها
بها :

يا دار علة بالجواء تكلمى وعسى صباحا دار علة واسلمى
دار لآنية غصيص طرفها طوع العناق لذبة التيسم
فوقفت فيها ناقى وكأنها فدن لا تقص حاجة التلوم^(٥)

- (١) العمدة لابن رشيق ٧٣/٢ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ .
(٢) أسحم : السحاب الأسود ، لسان العرب ج ٢ / ١١١ .
(٣) الرس : البئر .
(٤) مينا : الأرض اللينة من غير رمل ، وتصينت الأرض : اذا مطرت فلانت
وبردت . لسان العرب ج ٢ ، والطلا : هو الولد الصغير من
كل شئ . وقيل : ولد الظبية ساعة تضعه ، لسان العرب ج ٢ / ١١١ .
وحده الجوهري بأن يكون من ذوات الغلف ، الصحاح ج ٢ / ١١١ .
والأبيات في ديوانه ٩٩ - ١٠١ .
(٥) الفدن : القصر المشيد ، لسان العرب ج ٢ / ١١٠ ، والأبيات في ديوانه
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

وتَحُلُّ مَهْلَةً بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا
حُيِّيتَ مِنْ طَلَلِ تَقَادَمِ عَهْدِهِ
وَتَحُلُّ مَهْلَةً فِي الْغَدُورِ تَجْرُهَا
وَقُولُ " قَمِيسٌ مِنْ ذِي الْحِجَابِ " (١) :

أَلَا لَيْتَ لَيْتِي لَمْ تَكُنْ لِي خَلَّةً
وَقُولُ " كَثِيرُ عَزَّةٍ (٢) !

خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْهِكَا
وَكُنْتُ لِقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلِّ مَصِيبَةٍ
فَلَيْتَ قَلْبِي عِنْدَ عَزَّةٍ قَبْدَتْ
قَلْبُوصِيكُمَا ثُمَّ ابْهَكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ
وَلَا مَوْجَعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ
كَأَنَّ ذِرَّةً نَذَرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتِ
إِذَا وَكُنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ
بِحَبْلِ ضَمِيفٍ غَرَّ نَبْهَا . . فَضَلَّتِ

وقد تتكرر الألفاظ في موضع الغزل وليس فيها ذكر اسم المحبوبة أو شيء
من مواضعها ، ولكنه مع ذلك يظل لطيفا وطيحا ، وذلك كقول ابن المعتز : (٣)

لِسَانِي لَيْسَ بِي كَتُومٍ كَتُومٍ
وَلِي مَالِكٌ شَفَنِي حَبْنُومٍ
لَهُ مَقْلَتَا شَادِنٍ أَحْمُورٍ
فَدَمَعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٍ
وَدَمَعِي بَحْبِي نَوْمٌ نَوْمٌ
بَدِيعُ الْجَمَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ
وَلَفْظُ سَحُورٍ رَخِيمٌ رَخِيمٌ
وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

(١) ديوانه ص ١٦٠ .

(٢) ديوانه ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

ورواية عجز البيت الثالث :

" وَفَتْ فَأَحَلَّتْ " .

(٣) العمدة لابن رشيق ٧٨/٢ والأبيات في ديوانه ٣/٣٦٥ .

ثانياً — التنويه بالمدوح وإعلاؤه شأنه بذكر اسمه عدة مرات أو بذكر شئ من صفاته أو أفعاله ، كقول "أبي الأسد" (١) :

ولا ثمة لأمك يا فيض في الندى فقلت لها : هل يقدح اللوم في البحر؟
أرادت لتثنى الفيض من عادة الندى ومن ذا الذي يثنى السحاب عن القطر؟
كأن فوهة الفيض يوم . . تحطوا إلى الفيض لا قواً عنده ليلة القدر
مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء الحزن في البلد القفر
(فتكرير اسم المدوح ههنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتغميم له في القلوب
والأسماع) (٢) ومنه قول "الخنساء" (٣) :

وإن صغراً لوالينا وسيدنا وإن صغراً إذا نشئوا لنحسار
وإن صغراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نزار
ومن التغميم قول الفنوي (٤) يرثي أخاه أبا السفوار :
أخي ما أخى لا فاحش عند بيتي ولا ورع عند اللقاء هيب
ومنه قول "ليلى الأخيلية" (٥) :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفة والمستنفر الممدد
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقيت وأنت للناس نور في الدجى يقيد

(١) الحمدة لابن رشيق ٧٤/٢ والأبيات في الأغاني ١٣٤/١٤ ،
ورواية عجز البيت الأول : "لن يقدح" .

ومصدر البيت الثاني "أرادت لتثنى" .
(٢) الأبيات في الأغاني ١٣٤/١٤ ورواية عجز البيت الأول : "لن يقدح" ، ومصدر
البيت الثاني : "أرادت لتثنى" .

(٣) ديوانها : ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) البيت لكعب بن سعد الفنوي ورد في الأسمعيات ص ٩٥ وفي

الحماسة البصرية ٢٣٣/١ .

(٥) الورع : بفتحتين : الجبان .

(٦) الأملح : لا يبي على القالى ٨٧/١ .

ثالثا - الاستغاثة : وهي في باب المديح ونحو قول " العديل بمن
الفرخ " (١) :

بنى مِسَعٍ لولا الإلهُ وأنتمُ بنى مِسَعٍ لم ينكرِ الناس منكمِرا
ونحو قول " ليلن الأُخيلة " تستفيث بالحجاج (٢) :

أَحْجَاجٌ لَا يُقَلِّلُ سِلَاحُكَ إِنِّهَا أَلْ مَنَامَا يَكْفُ اللَّهُ حَيْثُ تَرَاهَا
أَحْجَاجٌ لَا تَعْطِي الْعَصَاةَ مَنَاهُمْ وَلَا اللَّهُ يَعْطِي لِلْعَصَاةِ مَنَاهَا
إِذَا مَهَبَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

رابعا - الفخر : كقول عمرو بن كَثُوم (٣) :

ونحن العازمون إِذَا أَطْعَمْنَا ونحن العاصون إِذَا أَطْعَمْنَا
ونحن التاركون لما سَخَطْنَا ونحن الآخذون لما رَضِينَا
وقوله :

بِأَنَا الْعَاصُونَ بِكُلِّ كَهْلٍ وَأَنَا الْبَازِلُونَ لِمُجْتَدِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا يَلِينَا وَإِذَا مَا الْبِغْضُ زَالِمَتِ الْجُفُونَا
وَأَنَا الْمَنْعُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمَهْلِكُونَ إِذَا أُتِينَا
وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَرًا وَطِينَا

خامسا - التعظيم للمهكي عنه : كقول " سودة بن عدي " (٤) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

(١) العمدة ٢/٧٦ .

(٢) الأُمالي لأبي علي القالي ١/٨٦ .

(٣) شرح القصائد العشر للتهريز ٢٣١ - ٢٣٥ وكهل : سنة شديدة

والمجتدي : الطالب .

(٤) الخزانة ١/١٨٣ ، الكتاب لسيبويه ١/٦٢ .

سادسا - التقرير والتوبيخ : كقول بعضهم (١) :

إلى كم وكم أشياء منكم تُرْسِنُنِي لَغِيضٍ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بِذِي عَمَى

سابعا - الوعيد والتهديد : كقول "الأحشى" (٢) ليزيد بن مسهر

الشيحاني :

أبا ثابتٍ لَا تَمَلِّقْكَ رِمَاحُنَا أبا ثابتٍ أَقْصِرْ وَعِزُّكَ سَالِمٌ
وَذَرْنَا وَقَوْمًا إِنْ هُمْ عَمَدُوا لَنَا أبا ثابتٍ واقعد فإنك .. طاعم
وكقول "عمرو بن كلثوم" (٣) :

بأى مشيئةٍ عمرو بن هندٍ تطيع بنا الوشاة وتزدرينا ؟
بأى مشيئةٍ عمرو بن هندٍ نكون لِقَلِّكُمْ فيها قَطِينَا ؟

إلى أن يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ثامنا : التوجع والتحسر : كقول "الحارث بن حلزة" (٤) :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْـَٔلُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّـَٔلَاثُ
أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا ثُمَّ وَلَّتْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ اللَّقَا !
وكقول "مالك بن الربيع" (٥) :

ألا ليت شعري هل أبهتن ليلةً بِجَنْبِ الْغَضَا أَرْجَى الْقَلَاصِ النَّوَاجِيَا

(١) العمدة لابن رشيق ٢/٢٥٠.

(٢) ديوانه : "٧٩" ورواية المجز من البيت الثاني "أبا ثابت واجلس فانك ناعم"

(٣) شرح القصائد العشر للتبريزي ٢٢٥، ٢٢٦ . والقطين : الخدم والاتباع

(٤) قال النحاس : وينشد بعد هذا البيت بيت ليس من رواية ابن السكيت

وهو : "أذننا بيننا ثم ولت .. ليت شعري ..."

شرح القصائد العشر للتبريزي ٣٧٠.

(٥) نيل الأمل والنوادر لأبي علي القالي ١٣٥، ١٣٦.

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضَه وليت الغضا مائى الركاب لياليها
لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا مزار ولكن الغضا ليس دانيها
الى أن يقول :

فلله درى يوم أترك طائعا بنى بأعلى الرقتين .. وماليها
ودر الثبا السانحات عشيّة يخبّرن أنى هالك من ورائيها
ودر كبرى اللذين .. كلاهما على شفيق ناصح لو .. نهانيها
ودر الرجال الشاهدين تفتكي بأمرى ألا يقصروا من وثاقيها
ودر الهوى من حيث يدع وصحابتي ودر لجاجاتي ودر انتهائيها

تاسعا - الرثاء : كقول الحسين بن مطير (١) :

ألمّا على مّمن ثم قولا لقهره سقّك الفوادى مويما ثم مريما
فما قهر مّمن أنت أول حفرة من الأرض خطّت للحكّارم مضجعا
ويا قهر مّمن كيف وارىت جسوده وقد كان منه البر والبحر .. مّرععا

وقول جميل الأخيلية (٢) ترثى توبة بن الحمير :

ولنعم الفتى ياتوب كنت إذا ألقت صدور الأعالى واستشال الأسافل (٣)
ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوما كنت فيه .. تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت ليخاف أذاك لكنى يحس .. ونعم المجال (٤)

(١) ديوانه ص ٦٠ وفيه " ألمّا على مّمن وقولا لقهره " وفي الأغاني

٢٤٠ ٢٣/١٦ " سقّيت الفوادى " .

(٢) أمالي المرتضى ١٢٤/١ ١٢٥٠ .

(٣) صدر القفا : أعلاها ، والعالية : أعلى القناة وجميعها الموالى - وهو

كذلك في ديوانها ، والسافلة : نقبض العالية في الرمح ، وهو نصفه الذى

يلى الزجج ، وشالت الناقة بذنبا أى : رفعت ، وكل ما ارتفع شائل .

(٤) وفى بعض النسخ " المحامل " من العمالة وهي الدية .

- ونعم الفتى يا توبَ جاراً وصاحباً
لعمري لانتَ المرءُ أبكى لفقدِهِ
لعمري لانتَ المرءُ أبكى لفقدِهِ
لعمري لانتَ المرءُ أبكى لفقدِهِ
لعمري لانتَ المرءُ أبكى لفقدِهِ
أبى لك ذمَّ الناسِ يا توبَ كلما
أبى لك ذمَّ الناسِ يا توبَ كلما
فلا يُحمدنك اللهُ يا توبَ .. انما
ولا يحمدنك اللهُ يا توبَ .. إنها
ولا يحمدنك اللهُ يا توبَ والتقت
وقال * مروان بن أبي حفصة* (٥) يرثى
معن بن زائدة الشيباني :
- مكارمَ لن تبيدَ ولن تُنالا
من الإِظلامِ مُلَسَّةٌ هـلالا
وقد يُروى بها الأسَلُ النهالا
- مضى لسبيله معن وأبقسى
كأن الشمسَ يومَ أُصيبَ معن
وهطلتِ الشُّغورُ لفقدِ معن
- (٦) مكارمَ لن تبيدَ ولن تُنالا
(٧) من الإِظلامِ مُلَسَّةٌ هـلالا
(٨) وقد يُروى بها الأسَلُ النهالا

- (١) السهاد : الأرق ، واول : لجأ ، واول : أى طلب النجاة .
(٢) الملتحم : الذى أشرف على القتل فكَأَنه جعل لحماً ، والتلاتل : الأُمور
المعظام ، جمع تلتلة ، وهى ضاعف من الرباعي ، يقال : تلة وتلتلة ،
كما يقال : كبة وكبكبة . قال تعالى * فكبكها فيها هم والغاؤون * .
(٣) سباح : السباح : الجود ، والمسامحة : المساهلة .
(٤) المدجنات : السحائب المظلمة ، والهطلان : تابع المطر والدمع .
(٥) تدويانه ص ٢٩ ، ٨٢ .
(٦) تبيد : تفتى ، الجلال : جمع الجبل ، وهو الخطاء الذى تلبسه الدابة
لتصان به .
(٧) الأسَلُ النهال : الرماح المتعطشة الى الدماء وهذا البيت يمد
البيتين الأولين ببيت في ديوانه .

ثم قال :

أصاب الموت يوم أصاب معنا
وكان الناس كلهم لِمَعِينٍ
الى أن قال :

فلَهْفُ أبي عليك إذا المطايا
ولَهْفُ أبي عليك إذا الأسارى
ولَهْفُ أبي عليك إذا اليتامى
ولَهْفُ أبي عليك إذا المواشى
ولَهْفُ أبي عليك لكل هيجاً
ولَهْفُ أبي عليك إذا القوافى
ولَهْفُ أبي عليك لكل أمرٍ

(٢) جَعَلَنِي مَنْ كَوَانِبَ وَأَعْتَبِلَا
(٣) شَكُوا حَلَقًا بِأَسْوَقِهِمْ ثِقَالَا
(٤) غَدَوَا شُعْنًا كَأَنَّ بِهِمْ سَلَالَا
(٥) قَرَّتْ جَدْبًا تَمَاتُ بِهِ هَزَالَا
(٦) لَهَا تَلْقَى حَوَاطِلُهَا الْمَسْخَالَا
لِمَتَدَحٍ بِهَا نَهَبَتْ ضَالَالَا
(٧) يَقُولُ لَهُ النَجِيُّ أَلَا احْتِبَالَا

عاشرا - الوعظ : قال أبو المتاهية . (٨) :

أَتَنَاسَيْتَ أَمْ نَسَيْتَ الْمَنَاسِيَا
أَنَسَيْتَ الْقُورَ إِذْ أَنْتَ فِيهَا
أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ السَّاقِ وَإِذْ أَرِ
أَنَسَيْتَ الْفِرَاقَ لِيْلًا وَلَا
بَيْنَ ذَلٍّ وَوَحْشَةٍ وَأَنْفَرَا
تَتَنَادَى فَمَا تَجِيبُ الْمَنَادَى

(١) الفَعَال : اسم الفعل الحسن من الكرم والجود .

(٢) الاعتلال : الماطلة .

(٣) الحلق : القيود .

(٤) الشعث : جمع أشعث ، وهو المتلبد الشعر الفخبر الوجه ، التفتير اللون

السلال : داء الصدر القاتل .

(٥) المواشى : اسم يقع على الابل والغنم وأكثر ما يستعمل في الغنم ،

قرت جدبا : تتبعت الأرض المقفرة تبحث عن بقايا الأعشاب اليابسة .

الهزال : الضعف والنحول .

(٦) الهيجا : الحرب . السخال : الأولاد الذين لم يكمل خلقهم .

(٧) النجى : المتناجون المتسارون .

(٨) ديوان أبي المتاهية : شكرى فيصل من قصيدة طويلة ص ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الْفِرَاقِ وَإِذْ نَفَسَ	سَكَ تَرَقَّى عَنِ الْحَشَا وَالْفُؤَادِ
أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الْفِرَاقِ وَإِذْ أَنْ	تَ مِنَ النَّزَعِ فِي أَشَدِّ الْجِهَادِ
أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الصَّرَاحِ وَإِذْ يَدُ	عِلْمَنْ حَرَّ الْوُجُوهِ وَالْأَجْيَادِ
بَاكِاتٍ عَلَيْكَ يَنْدُبِينَ شَجَوَا	خَافَقَاتِ الْقُلُوبِ . . . وَالْأَكْبَادِ
يَتَجَاوِسْنَ بِالرَّغْنِ وَيَذْرِفْنَ	مِنْ دُمُوعًا تَفِيضُ فِيهِ الْمَزَادِ
أَيُّ يَوْمٍ نَسِيتَ يَوْمَ التَّلَاقِ	أَيُّ يَوْمٍ نَسِيتَ يَوْمَ التَّنَادِ
أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الْوُقُوفِ إِلَى اللَّهِ	يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْإِشْهَادِ
أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الْمَرَعَى النَّاسِ	رِ وَأَهْوَالِهَا الْمَظَامِ الشَّدَادِ
أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُ الْخَلَاصِ مِنَ النَّاسِ	رِ وَهَوْلِ الْمَذَابِ وَالْأُصْفَادِ
كَمْ وَكَمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ أَهْلِ طُكٍ	كَمْ وَكَمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ قُؤَادِ
كَمْ وَكَمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ أَهْلِ دُنْيَا	كَمْ وَكَمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ زُهَّادِ
لَوْ بَذَلْتُ النَّصَحَ الصَّحِيحَ لِنَفْسِي	لَمْ تَذُقْ مُقْلَتَايَ طَعْمَ الرِّقَادِ
لَوْ بَذَلْتُ النَّصَحَ الصَّحِيحَ لِنَفْسِي	هَمَّتْ أُخْرَى الزَّمَانِ فِي كُلِّ وَادِ

حادى عشر — الهجاء :

(ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيح بالمهجو ،

كقول ذى الرمة ^(١) يهجو المهرثي ^(٢) :

- تسمى امرؤ القيس بن سعد إذا اعتزت
ولكنما أصل امرؤ القيس معشر^{٩٩}
نصاب امرؤ القيس المبيد وأرضهم
تخطى إلى الفقر امرؤ القيس . أنه
تحب امرؤ القيس القرى أن تناله
هل الناس إلا — يا امرأ القيس — غادر
إذا انتمت الأجداد يوماً إلى العلوي
- وتأبى السبال الصهب والآنف الحمور^(٣)
يحل لهم لحم الخنازير والخمر^(٤)
مجر الساعي لا فلاة ولا ممر^(٥)
سواء على الضيف امرؤ القيس والفقر^(٦)
وتأبى مقاربها إذا طلع النسر^(٧)
وواف وما فيكم وفاً ولا غدر^{٩٩}
وسدت لآيام الحافظة الأزر^(٨)

(١) ديوانه ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢) وهي أيضا في العمدة ٧٦/٢ ، قال ابن برى : المهرثي منسوب الى امرؤ القيس على غير قياس .

(٣) يريد : تأبى السبال الصهب وآنفها الحمور أن يكون ذلك ، لأنها من العجم وليست من العرب ، وذلك أن سبال العجم صهب حمور . والسيلة : ما على الشارب من الشعر ، وقيل : طرفه ، والجمع : سبال .

(٤) أراد أنهم نصارى يستحلون لحم الخنازير وشرب الخمر .

(٥) يقول : أصلهم عبيد . وأصلهم حراثون . وسحا الطين : قشره وجرفته .

والمسحاة : ما سحى به .

(٦) تخطى : أى جاوز الى الفقر .

(٧) مقاربها : مستضافها . والنسر : نجم يطلع في الشتاء خاصة .

(٨) انتمت : اعتزت . والحافظة في الحرب وغير العرب ، من الحفاظ . يقال للرجل اذا عزم على الأمر : شدّ لذاك ازاره .

علا باع قوم كل باع وقصرت بأيدي امرى القيس المذلة والعقر
تفوت امرأ القيس المعالي ودونها إذا ائتمرا لا أقوام يحضر الا مر (١)
فما لا مرى القيس الحصى إن عددتهم وما كان يعطيها بأوتارها القسر (٢)
أرغم جرت بالود بين نسائككم وبين ابن حوط يا امرأ القيس أم صهر (٣)

وكذلك فعل "جرير" في هجائه ففى قصيدته "الدماغه" كسر "بنى نجر"
فى كثير من أبياتها ، وقال فى (٤) قصيدة له يهجو "الأخطل" :

ترك الأخطل أمه وكأنها منحة سانية تدير حبالا (٥)
ورجا الأخطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينالا (٦)
خل الطريق فقد رأيت قرومنا تنفى القروم تخطا (٧) وصيالا
تنت تسمى يا أخطل . . فاحتجز خزي الأخطل حين قلت وقال

هذه هي الأغراض العامة للتكرير ، وقد ذكر النقاد بعضها ، وأغفلوا بعضها
الآخر ، لدخولها فيها وبعضهم زاد وبعضهم نقص ، وبعضهم جزأ وفصل
وجعل لكل جزء اسما . ولكن كل ذلك لا يخرج عن أغراض الشعر الكبرى

(١) الاشارة : المشاورة . يقول : لا يشاركون فى أمر ولا يشاورون .
(٢) الحصى : المد والكثرة . الوتر : هو الذحل . يقول : هم كثير
ان عددتهم ، ثم لا يأخذون حقوقهم الا بسلطان وقاض ، لا أنهم أنلا
والقسر : القهر ، وكذلك القسر .

(٣) قال بعضهم : ابن حوط رجل من بنى امرى القيس . يقول : أبين
نسائك وبين ابن حوط قرابة أم صاهرة نكاح . وابن حوط مولى لبنى
تسيم .

(٤) ديوانه ص ٣٦٢ .

(٥) منحة سانية : طريق السانية ، أى ما يعرف بالساقية أو : الناعورة
المحال : بكرة الناعورة .

(٦) وأب : هو الجيد القد - وقيل هو المقعب ، والأب : البعير العظيم .

(٧) التخط : الهدير .

وهي : المدح والهجاء ، والغزل والرشا ، والفخر والوصف ، وما يتفرع
عن ذلك . وهناك غرض آخر ذكره " السيوطي " .

ثاني عشر - قصد الاستيهاب :

(والعرب تكرر الشيء مرتين لتستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار
المعنى الذي دل عليه اللفظ المكرر كقولك : بينت له الكتاب كلمة كلمة أى مفصلاً
باعتبار كلماته ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ ^(١) أى كرة بعد
كرة ^(٢) .

ولا أرى هذا الغرض إلا خارجاً عن فنون البلاغة ، فضلاً عن كونه
مجرداً من التأثير المماطفي ، والصفة الأدبية ، أمّا ما ذكره " ابن حجة
العموي " فمقول وهو :-

ثالث عشر - الذم : وذلك كقول سهل بن ربيعة أخى كليب :

يَا لَيْكِرٍ أَنْشِرُوا لِي كَلِيمَا يَا لَيْكِرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارِ ^(٣)
وكذلك ما ذكره " ابن معصوم " فقد جعل التوكيد أول أغراض التكهير .

(١) سورة الطك آية رقم ٤٠ .

(٢) عقود الجمان للسيوطي شرح ^{اوش} المرشدي ١/٢٤٠ .

(٣) وهو أول أبيات ثلاثة ثالثها بعد أن أخذ بشار أخيه كليب . رواهما

البغدادي في خزائنه ١٦٢/٢ ١٦٣ :

تلك شيمان تقول لَيْكِر صرّح الشرّ وباح الشرار

وبنو عجل تقول لَقِيَس ولتيم الله سيروا فساروا

وفي العقد الفريد ٦/٦٥ : " صرّح السّرّ وبان السرار " و " لتيم اللات "

قال الأعلام : والمستغاث من أجله في البيت هو المستغاث به ،

والمعنى : يا لَيْكِر ادعوكم لأنفسكم مطالباً لكم في انشار كليب وأهليائه ،

وهذا منه استطالة ووعيد ، وكانوا قد قتلوا كليباً أخاه في أمر البسوس . هـ

رابع عشر - التوكيد : ومثل له بقول كثير عزة :

فوالله ثم الله ما حلَّ قَلْبُهَا ولا بعدها مخلوقٌ حيث حلَّتْ^(١)

وذكر أيضا :

خامس عشر - زيادة الاستبعاد : كقول الشاعر :

هيهات هيهاتَ المقيقُ وأهلُه وهيهاتَ خلَّ^(٢) بالمعيقِ نواصلُه^(٣)

سادس عشر - التلذذ بذكر المكرر : كقول مروان الأصفري ابن أبي الجنوب :

سقا اللهُ نجدًا والسلام على نجد ويا حبذا نجدٌ على النأي والبعد
نظرتُ إلى نجدٍ وهنداءٍ دونها لعلَّ أرى نجدًا وهيهاتَ من نجد^(٤)

(فكرر لفظة نجد خمس مرات لتلذذه بذكرها كما قيل :

أعدْ ذكرَ نعمانٍ لنا إن ذكرَه هو السكُّ ما كررته يتضوَع^(٥)

وقد ذكر " ابن رشيق " غرضاً آخر للتكرار ولم يسمه ولم يتعرض له النقاد ،

وهو إعادة بيت كامل بعد مجموعة من الأبيات كما كرر أبو كبير الهذلي قوله :

فإذا وذلك ليس إلا ذكره^(٦) وإذا مضى شيءٌ كان لم يفعل^(٧)

== ما قاله الأعلام - الخزانة ١٦٢/٢ ، وضح الشيء بالضم صراحةً وصراحةً :

خلص من تعلقات غير . ويأج الشيء . يسوع من باب قال ظهر ، والشرار :

ما تطاير من النار ، الواحدة شرارة . والبيت في الكتاب لسيبويه ٢/٢١٥ ،

وفي الخصائص لابن جني ٣/٢٢٩ .

(١) ديوانه ص ١٠٢ ورواية عجزه فيه : " ولا قلبها من خلّة حيث حلّت " .

والخلّة : الخليل يستوى فيه المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر قولك :

خليل بين الخلّة و " الخلولة " مختار الصحاح للرازي .

(٢) قائله : جرير بن عطية الخطفي . ديوانه ص ٣٨٥ . والمعيق واد .

(٣) البيتان في الأغاني ٢٣/٢٠٨ .

(٤) أنوار الريح لابن معصوم ٥/٣٤٨ .

(٥) " شرح أشعار الهذليين " للسكري ورواية الصدر فيه :

" فإذا وذلك ليس إلا حينه " ٣/١٠٨٠ ، وقد استشهد به الأُخفش على

زيادة الواو - لسان العرب .

وقد كرر هذا البيت في سبعة مواضع من قصيدته التي أولها :

أزهرو هل عن شبيهة من معدل أم لا سبيل إلى الشباب الأول (١)
(كلما وصف مفصلاً وأتمه كرر هذا البيت) (٢) .

و هذا الغرض لا يقل عما سبقه من الأغراض شأناً ، ولا ينقص عنها مرتبة ، بل إنه يزيد من ترابط المعاني ويقويها ، ويصيد إلى الذهن ما اهتم به الشاعر ويؤكد كده ، ولا يفعله إلا شاعر قوي ، وربما كان هذا بداية لشعر الموشحات الأندلسية ، وسأناقل هنا قصيدة لابن جمل هذا التكرار وروعة ما فيه من تقسيم وتزيين بديع بالإضافة إلى ما يحمله من أغراض أخرى كالدماء والتلذذ بذكر المحبوب والمدح ، ومن بديع هذا النوع هذا التغميس " لابن الجنان " (٣) :-

الله زاد محمداً تكريماً
وحباً فضلاً من لدنه عظيماً
واختصه في المرسلين كريماً
ذا رافة بالمؤمنين رحيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً
حللت معاني الهاشمي المرسل
وتجلت الأنوار منه لمجتلي
وسما به قدر الفخار المعتلي
فاحتل في أفق السماء مقيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً
حاز الحامد والمدح أحمد
وزكت مناسبه وطاب المعتد
وتأثلت عليها والسوء دور
مجد اصمياً حادثاً وقد يميماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١) شرح أشعار الهذليين للمسكري ١٠٦٩/٢ .

(٢) العمدة لابن رشيق ٧٥/٢ .

(٣) نفح الطيب للتلصاني ٤٣٢/٧ - ٤٣٨ .

شمس الهداية ، بدرها الطلح

قطب الجلالة ، نورها الوضاح

غيث الساحة للندى يرتاح

يروى بكوشه الظمآن البهيماء صلوا عليه وسلموا تسليماً

وهكذا يستمر في قصيدته الطويلة . وقد سار على نهجه كثير من الشعراء من بعده .

ومن ذلك هذا التسديس الذي التزم فيه الشاعر (١) الدعاء في كل

بيت :

صلُّوا على البدر الضير الساطع صلوا على الروض الأنيق اليانع

صلوا على الصبح الخمر اللا مع صلوا على المسك الفتيق الذامع

ووقاه في وهج الهجير مفيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا على النور الأعم السابغ صلوا على البدر الأثم البانغ

صلوا على المسك الذكي البالغ صلوا على الورد المعين السائغ

للواردين به غدا تميماء صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا على من بالتقرب يوصف صلوا على من بالمحبة يحرف

صلوا على من بالعلم يتشرف صلوا عليه به الكمال يزخر

الحجد فخم ذكره تفخيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المطار الجزائري

ومن أغراض التكرار أيضا :

سابع عشر في الاعتذار : وذلك كقول النابغة (١) :

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ	أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّرَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَمِيلَةً	مِنَ الرُّقْسِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
أَتَانِي - أَمِيتَ اللَّمْنَ - أَنتَ لَتَنِي	وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ
مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قَنَلْتَ : سَوْفَ أَنَا لَهُ	وَذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ . . رَائِعٌ
لَعَمْرِي - وَمَا عَمْرِي عَلَى بَهْمٍ -	لَقَدْ نَطَقْتُ بِطِلَالٍ عَلَى الْأَقَارِعِ
أَتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لِي بِفَضَّةٍ	لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلُ ذَلِكَ . . شَافِعٌ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسَجِ كَاذِبٍ	وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ	وَلَوْ كُفِّتَ فِي سَاعِدِي الْجَوَامِعُ

وكقول " كعب بن مالك " حين اعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (٢) :

أُنْهَيْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي	وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مِهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَدَّ	قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ	أُذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فَيَا أَلْقَاوِيلَ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ	أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
لِظِلِّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ	مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ

الأغراض الجزئية للتكرار :

ذكر " الدكتور عز الدين السيد " في كتابه : " التكرير بين الشيماء والتأثير " (٣) أغراضا جزئية تمتد كالعناصر اللاحقة لهذه الأغراض العامة

(١) ديوانه ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦ .

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير للسكري ص ١٩ ، ٢٠ .

(٣) ص ١١٥ - ١٣٧ .

(وهي مراكز القوى العاطفية ، التي تنطلق منها الاثارة ، لقسوة السامع على المشاركة الوجدانية ، التي هي الغاية من القول في كثير من فنونه ، ولذلك نراها موقع التكرار ، فلنسم التكرار باسم هذه الجزئيات ، ممثلين لها بما يزيد ها تقررا) (١) .

١ - تكرار الصلوة كقول الناهية في آباء مدوحيه :

خَمْسَةُ أَبَا هَمْ مَا هَمْ
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

أَكْرُمُ مَنْ يَشْرِبُ صَوْبَ الْغَمَامِ (٢)

هذا رجائي و هذى مصر ممرضة
 وأنت أنت وقد ناديت من كعب (٣)
 عليق عليه أبو هلال العسكري بقوله (أنت أنت مشا ربه الى
 نعوت من المدح ككيرة) (٣) .

٢ - تكرار القسم ، كقول أبي صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي
لقد تركتني أغبط الوحش أن أرى
فما هو إلا أن أراها بخلسوة
وأقول كثير :

فَوَاللّٰهِ شَمَّ اللّٰهَ مَا حَلَّ قَهْلُهَا وَلَا بَعْدَهَا مَخْلُوقَةٌ حَيْثُ حَلَّتِ (٥)

وقول أبي العتاهية :

وَأَمَّا وَرَبَّ الْمَسْجِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
وَأَمَّا وَرَبَّ الْبَيْتِ ذِي الْأُسْتَارِ وَالْ
إِنْ الذِّي خُلِقَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا

وَأَمَّا وَرَبَّ مَنْ وَرَبَّ الصَّافَاتِ (١)
مَسْمَى وَزَمَزَمَ وَالْهَدَايَا الْمُسْتَعَارَاتِ
فِيهَا لِنَازِلَةٍ تَجِلُّ عَنْ الصَّافَاتِ

٣ — تكرير التحذير، كقول أبي تمام :

الْحَقُّ أَلْجُ وَالسَّيْفُ عَوَارِ
فَعَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارِ (٢)

٤ — تكرير الاغراء، كقول ابن المعتز :

لَا صَاحِبَتْنِي يَدٌ لَمْ تُغْنِ أَلْفَ يَدٍ
بَادِرٌ بِجُودِكَ بَادِرٌ قَهْلُ عَائِقَةٍ
وَكَقَوْلِ قَطْرِ بْنِ الْفَجَاءَةِ :

وَلَمْ تُرِدَّ الْقَنَا حُمَرَ الْخِيَاشِيمِ (٣)
فَإِنْ وَقَدَ الْفَتَى عِنْدِي مِنَ اللَّوْمِ

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا
فَمَا نِيلَ الْخُلُودِ بِمِسْطَطَاعِ (٤)

٥ — تكرار التعليل، كقول أحيحة بن الجلاح :

يَا بَنِيَّ التَّخَوُّمَ لَا تَطْلُبُوهُمَا
نَمْ مَالُ الْيَتِيمِ لَا تَأْكُلُوهُ
إِنْ ظَلَمَ التَّخَوُّمَ ذُو عَقِيَالِ (٥)
إِنْ مَالَ الْيَتِيمِ يَرَعَاهُ وَال

٦ — تكرار البَيان والتصويب، كقول عسر بن أبي ربيعة :

وَمَدَّ طَلِبُهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا
فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا ! غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا
عَلَى عَجَلٍ تَبَايُهَا وَالْخَوَادِمُ
عَشِيَّةَ رَاحَتِ كَفِّهَا وَالْمَعَاصِمِ
مَعَاصِمُ لَمْ تُضْرَبْ عَلَى الْبَهْمِ بِالضُّعَى (٦)
عَصَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تُلْعَ السَّحَائِمِ

(١) ديوان أبي العتاهية وفيه الراقات بدلا من : الصافات ص ٧٢.

(٢) ديوانه ١٩٨/٢.

(٣) ديوانه ٢٢٨/٢.

(٤) الحاسة البصرية ١٣٠/١.

(٥) البيت الأول فقط موجود في ديوانه ص ٨٠. والتخوم : جمع تخم مثل فلوس

وفلس وهي الحدود ، والمقال : ظلم يأخذ في قوائم الداية ، وداعقال لا

يهرأ منه. (٦) ديوانه ص ٣٤٨ والسجف : الستر ، والسحمة : السواد ، أو السحاب أو

ضرب من الشجر. يريد : لم تلوح الشمس وجهها .

٧ — تكرير التعجب ، كقول بشار :

يا عَجَبًا لِلْخِلَافِ يا عَجَبًا — في فَمٍ مِّنْ لَّامٍ في الهوى حجر^(١)

٨ — تكرير التهويل والتغخيم ، كقول كبر :

وأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتَنِي — بقول يَحْلُ العَصَم سَهْل الأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ مِنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ — وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٢)

٩ — تكرار التحسر والتحنن ، كقول ابن الرومي :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ أَتَيْتُهَا الْبَصْرَةَ لَهْفًا كَيْثُ لَهْبِ الضَّرَامِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يَا مَعْدِنَ الْخَيْرَاتِ لَهْفًا يُعْضِنِي إِيَّاهَا مَيِّ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يَا قُبَّةَ الْإِسْلَامِ لَهْفًا يَطْلُو مِنْهُ غَرَامِي
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يَا فَرْشَةَ الْبِلَادِ لَهْفًا يَبْقَى عَلَى الْأَعْوَامِ
لَهْفَ نَفْسِي لِجَمْعِكَ الْمُتَفَانِي لَهْفَ نَفْسِي لِعِزِّكَ الْمُسْتَضَامِ^(٣)

١٠ — تكرار التهكم ، كقول حماد عجرد " لابن نوح وكان يتمرب :

يَا بَنَ نُوْحٍ يَا أَخَا الْوَحْدِ — حِلْسٍ وَيَا ابْنَ الْقَتَبِ
وَمِنْ نَشَا وَالْوَدْدِ — بَيْنَ الرَّبَا وَالْكُتَبِ
يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي — يَا عَرَبِي^(٤)

(١) ديوانه ١٥٤/٣ وروايته "بغى الذى لام في الهوى الحجر" وتقول

العرب : بفيه الحجر اذا قال كلاما مكروها أو متشائما به .

(٢) البيتان لمجنون ليلى " قيس بن الطوح " في ديوانه ص ٩٤ : ورواية

الصدر من البيت الأول :

"وأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي" .

ورواية عجز البيت الثاني :

" وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ " .

(٣) ديوانه ٤٢٢/٣

(٤) العمدة ٧٧/٢

- ١١ - تكرر التحدى كقول ابن الرومي :
- أَرِنِي صَدِيقًا لَا يَنْوُوْهُ بِسَقَطَةٍ
 مِنْ عَيْبِهِ فِي قَدْرِ صَدْرِ نَهَارٍ !
 أَرِنِي الَّذِي عَاشَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ
 مُتَفَاضِيًا لَكَ عَنْ أَقْلٍ عِشَارٍ^(١)
- ١٢ - تكرر التشريك والموافقة كقول ابن الرومي أيضا x
- وَرَقٌّ تُفْنِقُ عَلَى حُضْرٍ مُبَدَّلَةٍ
 تَسْوِيهَا وَتَمَسُّ الْأَرْضَ أَحْيَانًا
 تَخَالُ طَائِرَهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرِبٍ
 وَالْغَصْنُ مِنْ هَزَّةٍ عِطْفِيهِ نَشْوَانٌ^(٢)
- ١٣ - تكرر المفارقة ، كقول بشار :
- وَضَيْفٌ عَمِرُوْهُ وَعَمِرُوْهُ يَسْهَرَانِ مَعًا
 وَكَقَوْلِ الْقَتْنِيِّ :
 كَمَا يُوْجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ
 كَمَا يُوْجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ^(٣)
- ١٤ - تكرر التشبيه كقول مروان بن أبي
- أَيَادِي بَنِي الْمُبَاسِ بَعْضُ سَوَابِغٍ^{٩٩}
 هُمْ يَمْدِلُونَ الشَّمْلَ مِنْ قُبَّةِ الْهُدَى^(٥)
 وَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :
 فِي النَّاسِ أَمْثَلَةٌ تَدُوْرُ حَيَاتُهَا^{٩٩}
 كَمَاتِهَا وَهَوَ مَاتِهَا كَمَاتِهَا^(٦)

(١) ديوانه ت : د . حسين نصار ١٠٣٨/٣ .

(٢) ديوانه ٣٣٥/٣ تصنيف كامل كيلاني .

(٣) ديوانه ١١٢/٤ وروايته :

" وضيف عمرو وعمرو ساهران معا "

والبيت منسوب مع آخر الى دحل في دلائل الاعجاز .

(٤) ديوانه بشرح العكبري ٣٢٢/٢ .

(٥) السمك : سمك الله السرا . رفعها وبابه نصر . وسمك الشئ : ارتفع

وبابه دخل وسمك البيت - بالفتح - سقفه . مختار الصحاح للرازي

(٦) ديوانه جمع وتحقيق د . حسين عطوان ص ٢٧ .

(٧) ديوانه ٢٣٥/١ .

وكقوله :

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ (١)

(هذه أنواع من الأغراض الجزئية يكثر فيها أن تعتمد على التكرير ،
وقد نسبتها الى الجزئية لأنها كما رأيت ، تندرج في سياق الأغراض
الخطابية الكبرى للكلام : كالمدح والفضل والفخر والهجاء والرشا-
ء وغيرها) (٢) .



(١) ديوانه ١١٩/٤ .

(٢) التكرير بين المثير والتأثير د . عز الدين علي السيد ١٣٧ .



الخاتمة

خاتمة البحث

التكرار مصدر موضوع للتكثير والمبالغة ، ولا يجوز كسرتائه ، وقد بينت أصله واشتقاقه ، وأنه يعنى الربط والجمع والإثارة ، كما لاحظت أن هناك فرقا حسيا بين " التكرار " و " التكثير " ، ولذلك فضلت الصيغة الأولى .

وذكرت - كما قرّر العلماء - : أن التكثير أبلغ من التأكيد ، وأنه يجامعه ويفارقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ، ولذلك تحدثت عن التأكيد بصفة مستقلة ، وبينت أنواعه وفوائده ، حتى يتضح أمر التكرار ، فوجدت أنه أهم وأوسع مجالا من التأكيد اللفظي .

وذكرت - كذلك - أن التكرار جزء من الاطناب ، وإذا كان لغير نكسة كان تطويلا ، كما نقلت آراء " القزويني " و " ابن الأثير " في ذلك ، وقلت رأى " ابن الأثير " في تعريف التكرار وعلاقته بالاطناب والتطويل ، لكن لم أقبل ما قاله عن " المسكرى " ، كما لم أقبل اخراج " العلوى " التكرار من الاطناب ، وبينت أن التأكيد والتكثير لا يخرجان من الاطناب .

ثم فصلت القول في علاقة التكرار بعلم البديع ، وأوضحت اعتماد كثير من أنواع البديع على تكرار كلمة أو كلمتين ، أو حرف أو حرفين وذكرت من ذلك : ردّ العجز على الصدر ، والتجنيس ، والعكس ، وتشابه الأطراف ، والإحصاء ، والمشاكلة ، والمزاوجة ، والتفريق ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والتفريق ، والتفريع ، والمجاورة ، والتطريع ، والسلب والإيجاب ، والتذييل ، والمراجعة ، والشارحة ، والسجع ، والتسجيع ، وتضمين المزدوج ، والتصريح ، والتوزيع ، ولزوم ما لا يلزم ، وذكرت تعريفات العلماء لهذه الأنواع ودعوتها بأثلة من القرآن والحديث ومختارات الشعر .

ثم بحث في تاريخ التكرار ووقع في حدسي أن تكون هناك أشرطة معادة ، وحمل متكررة ، وافتقدت في هذا الحدس على ارتباط العربي القديم بالتكرار الطبيعي في كل المظاهر حوله ، كما عقدت صلة قديمة بين التكرار والعداء ، وبين التكرار والسجع ، وأشارت إلى التلازم بين التكرار وبين الغناء والتأثير العاطفي ، وبينت أثر الأهمية في توثيق هذه العلاقات ، وأثر الصوت في إحداث تلك التأثيرات . ثم استعرضت رأي من يفسر الظواهر الأدبية عن طريق ربطها بالمؤثرات الطبيعية كقولهم : إن الصحراء تفسر ظاهرة التكرار ، ووصلت كما وصلوا إلى أن هذا التفسير يحمل طابع الاجتهاد أكثر مما يحمل طابع العلم .

ثم ناقشت قول من يرى أن التكرار إكمالاً " للطقوس الجنائزية " ودللت واستشهدت على ما أقول . وفي موضوع " الدلالة الصوتية للتكرار " أسهب في القول في مظاهر قبحها ، وذكرت آراء العلماء في ذلك ، واستشهدت بما استشهدوا به ، وذكرت ما أراه من علل قبحها منطلقاً من القواعد الجمالية والصوتية التي ذكرها العلماء كسيمويه ، والخليل ، وابن دريد ، وابن جنى ، وابن سيده ، الذين تحدثوا كثيراً عن طبيعة الحروف وأجراسها ومخارجها وأنواع ذلك .

وشفعت ذلك بأقوال العلماء الذين طبقوا هذه القواعد الصوتية في دراستهم لها كالجاحظ ، وابن طباطبا ، ^{وعلى} الحرجاني ، وابن سنان ، والقرطاجني ، وشرح التلخيص ، كما استعنت ببعض الكتب الصوتية الحديثة ، واستفدت من بعض الإحصائيات والنتائج التي توصلوا إليها . ثم قسمت تلك المراتب ، فوضعت في المرتبة الأولى الحروف الأشد ثقلًا ووعورة ، وفي الثانية ما دون ذلك ، وفي الثالثة ما لم يصل إلى درجتيهما .

وعللت هذه الأبيات ، وبينت أوجه تنافرها وثقلها ، وذكرت آراء العلماء ومناقشاتهم لهذه الأبيات ، وقبلت بعض الآراء ، ورفضت بعضها الآخر ، واعتمدت في بعض الأحوال على التفسيرات النفسية . ثم وضعت الحروف الحلقية في المرتبة الثانية ، وتحدثت قليلا عن مخارجها ، وكثيرا عن بيت " أبي تمام " : [كَرِيمٌ مَّحْيٍ أَمَدَهُ ..] ، وبينت أسباب قبحه وصعوبته ، وتأثير التنافر على النطق والسمع والفهم ، ثم بينت - أثناء ذلك - فصاحة قوله تعالى : * فسبحه * ، وتقصيت أمثالها في القرآن ، ودرستها في نطاق السورة لكي أبين طريقة القرآن في تأليفه ، ومنهجه في نظامه ، وشرحت كيفية انتشار الألف الحلقية في تلك السورة - سورة الطور - . ثم وصلت الى نتيجة خلاصتها : أنه قد يوجد في القرآن ما يخالف القواعد التي وضعها علماء النحوي والصوت والبلاغة .

وفي " المعاملة والتكرار " اعتمدت مصطلح " المعاملة " ، وأطلقته على كل ما تداخل من حروف الهياطات ، والأسماء ، والصفات ، والإضافات ، والأفعال ، وأفضت القول في هذه الأنواع الخمسة ، وذكرت أقوال النقاد واستشهاداتهم ومناقشاتهم ، وطرق مداواتهم لهذه المصوب ، كما ذكرت الوجه الحسن لهذه التراكيب مبينا السبب في حسن الحسن وقبح القبح .

وبعد ذلك ، ذكرت أنواع التكرار كالترديد ، وذكرت الفرق بينه وبين التصدير ، وبين الترديد والتكرير ، وبين الترديد والتعطيف ، وذكرت أنواع الترديد ، كما أضفت " الترجيع " إلى أنواع التكرير اعتمادا على رأى " السيوطي " ، كما اعتمدت على " ابن الأثير " في أقسام التكرار ، فقسته - كما قسّمه - إلى قسمين : قسم في اللفظ والمعنى ، وقسم في المعنى دون اللفظ ، ثم أضفت اليه تقسيم التنوخي ، حيث أتى بالقسم الثالث :

في اللفظ دون المعنى ، وأشرت اشارة بسيطة الى تقسيم " ابن قيم
الجوزية " .

أما في موضوع " التكرار في القصص القرآني " فقد تأملت فيه
فوجدته يدور على أربعة محاور : ذكرتها وفصلت القصة فيها ، واستشهدت
بكثير من الآيات ، مما حال دون الحديث عن الآيات والتضمن في أسرار
تكرارها ، لأنني وجدت غنية بالدلائل والاشارات ، مٌغنية عن كل تعليق ،
مستغنية عن أى إضافة .

وكذلك الحال في " آراء العلماء في تكرار القصص " ، فقد نقلت
تلك الآراء ، لأنني لم أجد مجالاً للتعليق أو الإضافة ، وقد ذكرت فيه
آراء العلماء : ابن قتيبة والفخر الرازي و بدر الدين الزركشي ، كما ذكرت
رأى " السيوطي " في الحكمة في عدم تكرير بعض القصص .

ثم استعرضت آراء العلماء في التكرار بعامة ، فبيّنت آراء :
سيبويه ، وعبد القاهر الجرجاني ، والفراء من النحويين ^{ومن النحويين} / الصرفيين :
ابن جنى ، ومن اللغويين : ابن فارس ، والثعالبي ، ومن الأدباء :
الجاحظ ، وناقشت رأى من يقول : إن التكرار في أسلوب الجاحظ عائد
إلى أنه لم يكن يكتب بل كان يلقى ، فطبع الاطلاع كنه بطابع المحاضرة
ومن ثم طبعها بطابع التكرار .

كما فعلت مثل ذلك مع " الفراء " وناقشت رأى من قال : إن التكرير
عنده في صورته العامة - غاية في القبح . وقد كان هذا الاستمرار في
صورة مقننة ويتناول جزئيات صغيرة ، وإنما أردت بذلك أن أستضئ
بوجهات نظرهم وأنقل بعض آرائهم ، ولو حاولت أكثر من ذلك لاتسع
نطاق هذا الفصل لكثرة ما كتبوا من آراء ، وما ألفوا من كتب .

وفي " أغراض التكرار " فصلت أغراض التكرار في القرآن عنها في
الشعر ، لأنني وجدت أن هذا أصوب من جعل الحديث عنهما معاً دون

فصل بينهما ، لأن أغراض التكرار في القرآن تختلف اختلافا كبيرا عن أغراضه في الشعر ، لاختلاف القول والقاتل ، والخلق والمقام والغرض .
والتكرار في القرآن باب عظيم من أبواب البلاغة العالية ، ومفتاح كبير لكثير من كنوز المعاني ، وأسرار المعارف ، لا شتاله على عدة أنواع من التكرير ، منها على سبيل المثال :

تكرار الحروف المتصلة في اللفظة الواحدة أو أكثر ،

تكرار الحروف المنفصلة ، كأحرف الجر والربط ،

تكرار الحروف المقطعة في بدايات السور ،

تكرار اللفظة الواحدة ، تكرار أكثر من لفظة ، تكرار آية أو أكثر ،

تكرار الفواصل ، ومنه ما تعدد تكراره واختلفت وجوهه .

وهناك التكرار المتجاور في نفس السورة ، والتكرار المتباعد — بشتى

أنواعه — في كافة سور القرآن ، وهناك البابان الأعظمان : تكرار المعنى ، وتكرار القصص .

وغني عن البيان أن نقول : إن جميع حالات التكرار في القرآن قد

جاءت في أروع نظم وأسهله ، وفي أفصح لفظ وأبينه .

وإن هذه الأبواب تحتاج إلى دراسات علمية / مستقصية ، وتحتاج

فوق ذلك إلى أناة وتأمل ، لأن كل ما ألف فيها من كتب لم يقع إلا على

بعض أسرارها ، بينما اكتفى في البعض الآخر بالإشارة السريعة ، واللحظة

الموجزة دون التعمق في مكوناتها .

أما عن تقييم التكرار في غير القرآن فاني لم أستطع أن أخرج بأي

قاعدة تحكم هذا الفن ، أو قانون ينظمه ، شأنه شأن غيره من موضوعات

البلاغة — ، فالذوق فيها نسبي ، واستغراق مظاهرها بقاعدة أو بمعدة

قواعد أمر مهال .

لكن وصلت إلى ما يلي :

أن تكرار الحروف المتقاربة - غالبا - ما يكون سببا في صعوبة اللفظ ، وكما تباعدت خف ذلك . وتكرار الحروف المنفصلة وأشباهها غالبا ما يكون سببا في تمقيد المعنى ؛ وينطبق هذا على تكرار الألفاظ ، إلا أنه يكون في بعض الأحيان مقبولا إذا كانت الألفاظ مستوفية لشروط السهولة والخفة ، وأن يكون هناك غرض بلاغي أو نحوي لهذا التكرار ، أو أن المعنى لا يتم إلا به ، ومع هذا فإنه يكون حسنا في بعض الأحوال وقيحا في بعضها الآخر .

أما التكرار في المعنى فلا ينطبق عليه ما ذكرت ، لكن ينبغي أن يكون في الحدود التي يمتنع فيها اللفاء . كما أوضحت في ثنايا البحث أن التكرار غالبا ما يكون في المواقف العاطفية ، والمقامات الخطابية ، ويستهدف التأثير في العاطفة كما يكون للتقرير والتأكيد والتنبيه . وفي ختام هذه الخاتمة أحمد الله عز وجل على توفيقه وهونه ، وأصلى وأسلم على رسوله خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله أولا وآخرا .

فَائِزَةُ الْمَصَّادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

قائمة المصادر والمراجع

- ١ — الإبدال : ابن السكيت .
ت . د . د . حسين محمد شرف م . الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية ١٣٩٨ هـ .
- ٢ — أبو الطيب الخنسي وما له وما عليه — الثعالبي — م الجمالية ١٣٣٣ هـ .
- ٣ — أدب الكاتب — ابن قتيبة .
ت . محمد محي الدين عبد الحميد م . السعادة .
- ٤ — الإتياع والمزاوجة — ابن فارس — ت . كمال مصطفى م . السعادة .
- ٥ — أثر النهضة في البحث البلاغي — د . عبد القادر حسين م . نهضة مصر .
- ٦ — أساس البلاغة للزمخشري — ط . دار الكتب .
- ٧ — أسد الغابة لابن الأثير — منشورات دار الفكر .
- ٨ — أسرار التكرار في القرآن — الكرمانى .
ت . عبد القادر عطا — ط . دار العلوم .
- ٩ — الأسس الجمالية في النقد العربي — د . عمز الدين اسماعيل .
ط . دار الفكر العربي .
- ١٠ — الإشارة إلى الإجاز — عز الدين عبد السلام — ط . دار الفكر دمشق .
- ١١ — الأشباه والنظائر — للسيوطي .
- ١٢ — ت . طه سعد . ط . شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٩٥ هـ .
الأصصيات .
- ١٣ — ت . أحمد شاكر ، عبد السلام هارون . ط . دار المعارف .
الأصوات اللغوية — د . ابراهيم أنيس .
الطبعة الخامسة ١٩٧٥ م مكتبة الأنجلو المصرية .
- ١٤ — إيجاز القرآن للباقلاني .
ت . السيد أحمد صقر الطبعة الثالثة ، دار المعارف .
- ١٥ — الأطلاق النفيسة — بن رسته — ط . ليدن ١٨٩١ م .
- ١٦ — الأغاني — لأبي الفرج الأصفهاني .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . دار إحياء التراث العربي
بيروت .
- ١٧ — الاقتضاب . في شرح أدب الكاتب — ابن السيد البطليوسي .
دار الجيل — بيروت .
- ١٨ — الأقصى القريب في علم البيان — للتونخي .
الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هـ م . السعادة .
- ١٩ — الإمتاع والمؤانسة — للتوحيدي .
ت . أحمد أمين ، أحمد الزين — مكتبة الحياة بيروت .
- ٢٠ — أمالي القائل — نشر دار الآفاق الجديدة بيروت .
- ٢١ — أمالي المرتضى .
ت . محمد أبو الفضل ابراهيم . دار إحياء الكتب العربية .
- ٢٢ — إطلاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب للمكبري .
ت . ابراهيم عطوة عوض الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ م . مصطفى
البابي الحلبي .
- ٢٣ — أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني .
ت . شاكر هادي شكر م . النصفان كربلاء ١٣٨٩ هـ .

- ٢٤- الإيضاح للقزويني، شرح وتعليق د. محمد خفاجي -
الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ دار الكتاب اللبناني .
- ٢٥- البحر المحييط لأبي حيان الأندلسي .
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٢٦- بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري .
ت. د. حفني محمد شرف - الطبعة الثانية دار نهضة مصر .
- ٢٧- البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ .
ت. د. أحمد بدوي ، د. حامد عبد المجيد ، ط. مصطفى
البابي الحلبي ١٣٨٠ هـ .
- ٢٨- البديع لابن المعتز .
نشر: كراتشوفسكي - دار الحكمة دمشق .
- ٢٩- البرهان - للزركشي .
ت. محمد أبو الفضل إبراهيم - ط. عيسى الحلبي .
- ٣٠- بمائر ذوى التحيز في لطائف الكتاب العزيز - للفيروزآبادي .
ت. محمد علي النجار - المكتبة العلمية بيروت .
- ٣١- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح - عبد القمال الصمدي .
مكتبة الآداب ومطبعتها .
- ٣٢- بغية الوعاة للسيوطي .
ت. محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى م. عيسى
البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ .
- ٣٣- البلاغة الفنية - علي الجندي .
- ٣٤- البيان والتبيين - للجاحظ .
ت. عبد السلام هارون الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ - مكتبة الخانجي .
- ٣٥- التاج في أخلاق الملوك للجاحظ .
ت. أحمد زكي باشا - الطبعة الأولى المطبعة الأميرية ١٣٣٢ هـ .
- ٣٦- تاريخ بغداد للجاحظ البغدادي .
المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
- ٣٧- تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان -
نقل: د. عبد الحليم النجار - الطبعة الرابعة - دار المصارف .
- ٣٨- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة .
شرح السيد أحمد صقر الطبعة الثانية - دار التراث ١٣٩٣ هـ .
- ٣٩- التبيان في إعراب القرآن - للمكبري .
ت. علي النجاوي - عيسى البابي الحلبي .
- ٤٠- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع .
ت. د. حفني شرف م. شركة الاطلاعات الشرقية ١٣٨٣ هـ .
- ٤١- تسهيل الفوائد ، وتكميل المقاصد لابن مالك .
ت. محمد كامل بركات ط. دار الكاتب العربي ١٣٨٧ هـ .
- ٤٢- تفسير ابن كثير . ط. دار احياؤ الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي .
- ٤٣- التفسير الكبير للفخر الرازي .
الطبعة الثانية . دار الكتب العلمية طهران .
- ٤٤- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا .
دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية بالانجليزية .

- ٤٥ - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة .
ت . السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ٤٦ - التكريير بين المشير والتأثير - د . عز الدين السيد .
الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ دار الطباعة المحمدية .
- ٤٧ - التوجيه الأدبي : طه حسين ، أحمد أمين ، د . عبد الوهاب
عزام ، د . محمد عوض محمد . م . دار الكتاب العربي بصرى ١٩٥٤ م
- ٤٨ - تيسير الوصول إلى جامع الأصول - عبد الرحمن الزبيدي الشافعي .
ت . محمد حامد الفقي . دار المعرفة بيروت ١٣٩٧ هـ .
- ٤٩ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - للرماني والخطابي ، وعبد القاهر
الجرجاني . ت . محمد خلف الله أحمد ، د . محمد زغلول
سلام - الطبعة الثالثة - دار المعارف .
- ٥٠ - الجامع الصحيح للترمذى .
ت . عبد الوهاب عبد اللطيف - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ
دار الفكر بيروت .
- ٥١ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي .
الطبعة الرابعة - دار الكتب العلمية - القاهرة .
- ٥٢ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنشور لابن الأثير الجزري .
ت . د . مصطفى جواد ، د . جميل سعيد ، م . المجمع العلمي
العراقي ١٣٧٥ هـ .
- ٥٣ - جوهرة اللغة لابن دريد - ط . دار صادر بيروت .
- ٥٤ - جواهر الألفاظ . قدامة بن جعفر .
ت . محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ
دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- ٥٥ - جواهر الكنز لابن الأثير الحلبي - د . محمد زغلول سلام .
منشأة المعارف بالاسكندرية .
- ٥٦ - حاشية الصبان على شرح الأشعرون على ألفية ابن مالك .
م . دار احياء الكتب العربية عيسى الباهي الحلبي .
- ٥٧ - الحماسة للبحترى .
ت . الأ ب لويس شيخو اليسوعي - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ
دار الكتاب العربي بيروت .
- ٥٨ - الحماسة البصرية - صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري .
ت : د . عادل جمال سليمان - مطابع الاهرام .
- ٥٩ - الحيوان للمجاهد .
ت . عبد السلام هارون الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ط . المجمع
العلمي العربي الاسلامي بيروت .
- ٦٠ - خزانة الأرب وغاية الأرب لابن حجة الحوى - المطبعة العامرة ١٢٤١ هـ .
- ٦١ - خزانة الأرب للبغدادي .
ت . عبد السلام هارون - الطبعة الثانية ١٩٧٩ م الهيئة المصرية
العامّة للكتاب .
- ٦٢ - الخصائص لابن جني .
ت . محمد علي النجار - الطبعة الثانية - دار الهدى بيروت .
- ٦٣ - دراسة الصوت اللغوي - د . أحمد مختار عمر .

- ٦٤ - دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية .
ت . د . محمد السيد الجلند م . التقدم .
- ٦٥ - دلائل الاعجاز للجرجاني .
ت . السيد محمد رشيد رضا - دار المعرفة بيروت ١٣٩٨ هـ
- ٦٦ - دلالة الألفاظ - د . ابراهيم انيس .
الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م . مكتبة الانجلو المصرية .
- ٦٧ - ديوان ابن الرومي - اختيار وتصنيف كامل كيلاني .
مطبعة التوفيق الأدبية ٢٤٢ هـ - ١٩٢٤ م .
- ٦٨ - ديوان ابن الرومي -
ت . د . حسين نصار م . دار الكتب ١٣٩٣ هـ .
- ٦٩ - ديوان ابن المعتز صنعة الصولي .
ت . د . يونس السامرائي - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٣٩٨ هـ .
- ٧٠ - ديوان أبو الأسود الدؤلي .
ت . محمد حسن آل ياسين - الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ -
مطبعة المعارف - بغداد .
- ٧١ - ديوان أبي الطيب الطنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان
في شرح الديوان - ت . مصطفى السقا ، ابراهيم البياري ،
عبد الحفيظ شلبي . م . مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥ هـ .
- ٧٢ - ديوان أبي العتاهية .
ت . د . شكري فيصل مكتبة دار الطلاح دمشق .
- ٧٣ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي .
ت . محمد عبده عزام ١٩٦٤ م دار المعارف .
- ٧٤ - ديوان أبي نواس .
تحقيق وشرح احمد عبد المجيد الفزالي دار الكتاب العربي
لبنان .
- ٧٥ - ديوان أحيعة بن الجلاح .
ت . د . حسن محمد باجودة - شركة مكاللطباعة والنشر -
من مطبوعات نادي الطوائف الأدبي ١٣٩٩ هـ .
- ٧٦ - ديوان الأعشى .
شرح وتعليق د . م . محمد حسين - المطبعة النموذجية
نشر مكتبة الآداب بالجمايز .
- ٧٧ - ديوان البحتري .
تحقيق وتعليق وشرح : حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية
دار المعارف .
- ٧٨ - ديوان بشا ربن برد .
ت . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الشركة التونسية للتوزيع تونس .
- ٧٩ - ديوان جرير .
١٣٩٨ هـ دار بيروت - بيروت .
- ٨٠ - ديوان الحسين بن مطير .
جمع وتحقيق د . معسن غياث ١٣٩١ هـ - دار الحرية
للطباعة - بغداد .
- ٨١ - ديوان الحطيئة دار
شرح السكري/ صادر ١٤٠١ هـ - بيروت .

- ٨٢- ديوان حميد بن ثور - صنعة عبد العزيز المينى .
الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٤ هـ القاهرة .
- ٨٣- ديوان خزنق بنت بدر .
ت . د . حسين نصار ١٩٦٩ م مطبعة دار الكتب .
- ٨٤- ديوان الخنساء .
دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٣ هـ .
- ٨٥- ديوان دريد بن الصمة .
جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي - دار قتيبة ١٤٠١ هـ دمشق .
- ٨٦- ديوان دهل الخزاعي .
جمع وتحقيق د . محمد يوسف نجم - مطبعة عيتاني الجديدة ١٩٦٢ م بيروت .
- ٨٧- ديوان ديك الجن .
ت . د . أحمد مطلوب ، عبدالله الجبوري - مطبعة المتنبي نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت .
- ٨٨- ديوان ذى الرمة .
الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ المكتب الاسلامي للطباعة والنشر دمشق .
- ٨٩- ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس .
ت . عبد العزيز المينى - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- ٩٠- ديوان الشماخ بن ضرار .
تحقيق وشرح : صلاح الدين الهادى ١٩٦٨ م دار المعارف .
- ٩١- ديوان طرفة بن العبد .
بشرح الأعلام الشنتمرى - ت . درية الخطيب ، لطفي الصقال ١٣٩٥ هـ من مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق .
- ٩٢- ديوان عبدالله بن الزبير .
جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ١٣٩٤ هـ . دار الحرية للطباعة - بغداد .
- ٩٣- ديوان حميد بن الأبرص .
دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٧ هـ .
- ٩٤- ديوان العجاج بشرح الأصبهى .
ت . د . عزة حسن - مكتبة دار الشرق بيروت .
- ٩٥- ديوانا عروة بن الورد والسؤال بن عاديا .
١٣٨٤ هـ دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .
- ٩٦- ديوان علقمة الفحل . شرح الأعلام الشنتمرى .
ت . لطفي الصقال ، درية الخطيب ، مراجعة د . فخر الدين قباوة - الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ دار الكتاب العربي حلب .
- ٩٧- ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٣٨٥ هـ
دار صادر - دار بيروت - بيروت .
- ٩٨- ديوان عمرو بن معدى كرب صنعة هاشم الطمان .
منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية .
- ٩٩- ديوان عنتره .
ت . محمد سعيد مولوى - المكتب الاسلامي - دمشق .

- ١٠٠ — ديوان الفرزدق ١٤٠٠ هـ. دار بيروت — بيروت.
- ١٠١ — ديوان قيس بن ذريح
- جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصار — دار مصر للطباعة.
- ١٠٢ — ديوان قيس بن الطوح
- تحقيق وشرح عبد الستار وأحمد فراج — دار مصر للطباعة.
- ١٠٣ — ديوان كثير عزة
- جمع وشرح د. احسان عباس ١٩٧١ م — نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت.
- ١٠٤ — ديوان مروان بن أبي حفصة
- جمع وتحقيق د. حسين عطوان — دار المعارف ١٩٧٣ م.
- ١٠٥ — ديوان مسلم بن الوليد
- ت. د. سامي الدهان — الطبعة الثانية ١٩٧٠ م دار المعارف.
- ١٠٦ — ديوان النابغة الجعدي . عبد العزيز رباح .
- الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ منشورات المكتب الاسلامي — دمشق.
- ١٠٧ — ديوان النابغة الذبياني
- جمع وشرح وتعليق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور —
- مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع تونس .
- ١٠٨ — ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت .
- ت. د. شكوى فيصل دار الفكر دمشق .
- ١٠٩ — ديوان نصيب بن رباح
- جمع وتقديم د. داود سلوم ١٩٦٧ م — مطبعة الارشاد بغداد .
- ١١٠ — ديوان الهذليين
- الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٣٨٥ هـ.
- ١١١ — الرسالة الموضحة للحاتمي
- ت. د. محمد يوسف نجم — دار صادر دار بيروت ١٣٨٥ هـ.
- ١١٢ — الروض الأثف للسهيلى
- ت. عبد الرحمن الوكيل الطبعة الاولى ١٣٨٧ هـ دار الكتب الحديثة .
- ١١٣ — زهر الآداب للحصري
- شرح د. زكي مبارك دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م.
- ١١٤ — سر الفصاحة لابن سنان
- ت. عبد القمّال الصعدي م. محمد علي صبيح ١٣٨٩ هـ.
- ١١٥ — سر صناعة الاعراب لابن جنى
- ت. مصطفى السقا وآخرون — الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١١٦ — سنن ابن ماجه
- ت. محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر .
- ١١٧ — سنن أبي داود
- ت. محمد محي الدين عبد الحميد — دار احياء التراث العربي — بيروت.

- ١١٨ — شرح أشعار المهذلين للسكري .
ت . عبد الستار فراج . مراجعة محمود شاكر مطبعة المدني
القاهرة .
- ١١٩ — شرح ديوان امرى القيس للأعلم الشنتمرى . تصحيح الشيخ ابن أبي
شنب ١٣٩٤ هـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
- ١٢٠ — شرح ديوان الحماسة للمرزوقي .
نشر : أحمد أمين ، عبد السلام هارون الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ
لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ١٢١ — شرح ديوان زهير لثعلب .
الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- ١٢٢ — شرح ديوان كعب بن زهير صنعة الامام السكري .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ الدار القومية
للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ .
- ١٢٣ — شرح شواهد سيبويه للسيرافي .
ت . د . محمد علي الريح هاشم .
- ١٢٤ — شرح الصولي لديوان أبي تمام .
ت . د . د . خلف رشيد نعمان — الطبعة الاولى دار الطليعة
بيروت — منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية .
- ١٢٥ — شرح قطر الندى .
ت . محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الحادية عشرة
١٣٨٢ هـ م . السعادة .
- ١٢٦ — شرح القصائد العشر للتبريزي
١٣٤٣ هـ المطبعة السلفية بمصر .
- ١٢٧ — شرح القصائد العشر للتبريزي .
ت . د . د . فخر الدين قباوة — الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ
دار الأضواء على حلب .
- ١٢٨ — شرح كلاوتنعم . مكي القيسي .
ت . د . د . أحمد فرحات الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ دار المأون
للتراث دمشق .
- ١٢٩ — شرح الفصل لابن يعيث .
عالم الكتب بيروت مكتبة التنزي القاهرة .
- ١٣٠ — شرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي .
ت . محمد أبو الفضل ابراهيم م . المدني .
- ١٣١ — شروح التلخيص — مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- ١٣٢ — الشعر الجاهلي .
منهج في دراسته وتقويمه . د . محمد النويهي — نشر الدار القومية
للطباعة والنشر القاهرة .
- ١٣٣ — شعر الراعي النميري .
دراسة وتحقيق د . نوري القيسي ، هلال ناجي — مطبعة
المجمع العلمي العراقي ١٤٠٠ هـ .
- ١٣٤ — شعر مروان بن أبي حفصة .
ت . د . د . حسين عطوان دار المعارف ١٩٧٣ م .

- ١٣٥- الشعراء والشعراء لابن قتيبة دار الثقافة بيروت.
- ١٣٦- الصاحبي لابن فارس .
- ت . السيد احمد صقر م . عيسى الباهي الحلبي ١٩٧٧ م .
- ١٣٧- الصحاح للجوهري .
- ت . أحمد عبد الخفور عطار م . دار الكتاب العربي .
- ١٣٨- صحيح مسلم .
- ت . محمد فواز عبد الباقي - دار احياء التراث العربي بيروت .
- ١٣٩- الصراع الأدبي بين القديم والجديد د . علي الصمري .
- م . دار التأليف ١٣٨٤ هـ .
- ١٤٠- صفة الصفوة لابن الجوزي .
- ت . محمود فاخوري الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - دار المعرفة بيروت .
- ١٤١- الصنائع للمسكوي .
- ت . علي البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الثانية م . عيسى الباهي الحلبي .
- ١٤٢- الصورة الفنية في شعرا أبي تمام . د . عبد القادر الرباعي .
- شركة المطابع النموذجية الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ .
- ١٤٣- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - د . علي البطل - الطبعة الاولى دار الاندلس .
- ١٤٤- طبقات ابن المعتز .
- ت . عبد الستار فراج - الطبعة الثالثة ١٩٧٦ م دار المعارف .
- ١٤٥- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجعفي .
- شرح محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة .
- ١٤٦- الطراز للعلوي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٤٧- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم - د . عبد النعم السيد حسن .
- الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ دار المطبوعات الدولية .
- ١٤٨- عطف الألف المألوف على اللام المعطوف للدبلج .
- ت ج ك . فاديه م . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٦٢ م .
- ١٤٩- العقد الفريد لابن عبد ربه .
- ت ، محمد سعيد العربيان - دار الفكر .
- ١٥٠- عقود الجمان للسيوطي بشرح المرشدي .
- الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ م . مصطفى الحلبي .
- ١٥١- الحمد لابن رشيق .
- ت . محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م دار الجيل بيروت .
- ١٥٢- حيار الشعراء لابن طباطبا .
- ت . د . محمد زغلول سلام م . الجزيرة ١٩٨٠ م .
- ١٥٣- العين للخليل بن أحمد .
- ت . د . عبد الله درويش م . الماني بغداد ١٣٨٦ هـ .

- ١٥٤- عيون الأخبار لابن قتيبة .
الموسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة .
- ١٥٥- الغيث المسجم في شرح لامية المعجم للصفدي .
الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٥٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للامام المسقلاني .
مراجعة طه عبد الرؤوف سعد وآخران - مكتبة الكليات الأزهرية .
- ١٥٧- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للمجيلي .
م . حجازي ١٣٥٣ هـ .
- ١٥٨- فجر الاسلام . أحمد أمين .
الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥ م مكتبة النهضة المصرية .
- ١٥٩- فقه اللغة للثعالبي .
ت . مصطفى السقا ، ابراهيم البياري ، عبد الحفيظ شلبي .
م . مصطفى الباشي الحلبي .
- ١٦٠- فن الخطابة د . احمد الحوفي - الطبعة الرابعة م . نهضة مصر .
- ١٦١- الفن ومذاهبه في النثر العربي د . شوقي هيف .
الطبعة السادسة دار المعارف .
- ١٦٢- الفهرست لابن النديم .
دار المعرفه بيروت ١٣٤٨ هـ .
- ١٦٣- الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية .
دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٦٤- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر للبغدادي .
ت . د . محسن غياض عجيل - الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .
موسسة الرسالة بيروت .
- ١٦٥- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي - د . بدوي طبانة .
الطبعة الثالثة ١٣٨٤ هـ مكتبة الانجلو المصرية .
- ١٦٦- القرآن الكريم .
- ١٦٧- الكامل للمبرد .
ت . محمد أبو الفضل ابراهيم ، السيد شحاته - ط . نهضة مصر .
- ١٦٨- الكتاب لسيبويه .
ت . عبد السلام عارون ج ١ ط ١ ، دار القلم ١٣٨٥ هـ
ج ٢ دار الكاتب العربي ١٣٨٨ هـ ، ج ٣ الهيئة المصرية العامة ١٣٩١ هـ .
- ١٦٩- الكشف للزمخشري . دار المعرفه للطباعة والنشر بيروت .
- ١٧٠- الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب بن عباد .
ت . محمد حسن آل ياسين - الطبعة الاولى م . المعارف بغداد ١٣٨٥ هـ .
- ١٧١- الكليات لأبي البقاء الكفوي -
دار الطباعة الحامزة بولاق ١٢٥٣ هـ .
- ١٧٢- لسان العرب لابن منظور ، اعداد يوسف خياط - دار لسان العرب بيروت .
- ١٧٣- لطائف المعارف للثعالبي .
ت . ابراهيم البياري وحسن الصيرفي - دار احياء الكتب عيسى الباشي الحلبي .

- ١٧٤ — اللزومات .
 ت. أمين عبد العزيز الخانجي — مطبعة التوفيق الأهلية ١٣٤٢ هـ
 منشورات مكتبة الهلال — بيروت ، الخانجي : القاهرة .
- ١٧٥ — مالك وشمس ابنا نويرة اليربوعي . تأليف ابتسام مرهون الصفار —
 مطبعة الارشاد ١٩٦٨ م بغداد .
- ١٧٦ — الموءتلف والمختلف للأمدى .
 الطبعة الثانية نشر مكتبة القدسي — تصحيح د. ف. كرنكو ٨٢ م
- ١٧٧ — المثل السائر لابن الاثير الجزري — د. أحمد الحوفي ، د. بدوي
 طباعة ، الطبعة الاولى ١٣٧٩ هـ ط. نهضة مصر .
- ١٧٨ — محاسن النثر والنظم أو الكتابة والشعر للمسكوي .
 مكتبة محمود علي صبيح .
- ١٧٩ — المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لأبي الفتح
 عثمان بن جنس .
 ت. علي النجدي ناصف ، د. عبد الفتاح شلبي ، د. عبد الحليم
 النجار — مطبوعات لجنة احياء التراث الاسلامي ١٣٨٦ هـ .
- ١٨٠ — المحكم لابن سيدة .
 ت. د. مراد كامل الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ م. مصطفى الباهي الحلبي
- ١٨١ — مختار الصحاح للرازي . ترتيب محمود خاطر ط. دار الفكر بيروت .
- ١٨٢ — المزهري في علوم اللغة للسيوطي .
 شرح محمد جاد الحولي ، علي البجاوي ، محمد أبو الفضل
 ابراهيم — دار الفكر .
- ١٨٣ — المصباح لابن مالك — الطبعة الاولى — الطبعة الخيرية .
- ١٨٤ — المعارف لابن قتيبة .
 ت. د. ثروت عكاشة الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر .
- ١٨٥ — معاني القرآن للفراء .
 ت. أحمد نجاتي ، محمد النجار الطبعة الثانية ١٩٨٠ م
 ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ١٨٦ — معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي .
 ت. محمد محي الدين عبد الحميد . عالم الكتب بيروت ١٣٦٧ هـ .
- ١٨٧ — معترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي .
 ت. علي البجاوي ط. دار الفكر العربي .
- ١٨٨ — معجم الادباء لياقوت . دار احياء التراث العربي بيروت .
- ١٨٩ — معجم الشعراء للمزباني .
 الطبعة الثانية نشر مكتبة القدسي ٨٢ م ، تصحيح د. ف. كرنكو .
- ١٩٠ — معجم شواهد العربية — عبد السلام هارون .
 الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ مكتبة الخانجي .
- ١٩١ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . وضع محمد فؤاد عبد الباقي
 دار احياء التراث العربي بيروت .
- ١٩٢ — ملقة عمرو بن كلثوم بشرح أبي الحسن بن كيسان .
 ت. د. محمد ابراهيم البنا ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ — دار
 الاعتصام — القاهرة .

- ١٩٣ — المغنى للقاضي عبد الجبار .
ت . أمين الخولي الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ مطبعة دار الكتب .
- ١٩٤ — مفتاح العلوم للسكاكي . — دار الكتب العلمية بيروت .
- ١٩٥ — المفردات للأصفهاني . ت . محمد سيد كيلاني — دار المعرفة بيروت .
- ١٩٦ — الفضليات .
ت . أحمد شاكر ، عبد السلام هارون — الطبعة السادسة ١٩٧٩ م
دار المعارف .
- ١٩٧ — المقضب للمبرد .
ت . محمد عبد الخالق عضيمة ، من مطبوعات لجنة احياء التراث
الاسلامي ١٣٩٩ هـ .
- ١٩٨ — منهاج البلغاء وسراج الأديباء للقرطاجني .
ت . محمد الحبيب بن الخوجة المطبعة الرسمية التونسية
١٩٦٦ م .
- ١٩٩ — الموازنة للأمدى .
ت . محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة العلمية بيروت .
- ٢٠٠ — موسيقى الشعر — د . ابراهيم أنيس الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .
مكتبة الانجلو المصرية .
- ٢٠١ — الموشح للمرزباني مراجعة : محب الدين الخطيب الطبعة الثانية
١٣٨٥ هـ المطبعة السلفية .
- ٢٠٢ — النشر الفني وأثر الجاعظ فيه — د . عبد الحكيم بليغ .
الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ م . الاستقلال الكبرى .
- ٢٠٣ — نضرة الإغريض ، في نضرة القريض للعلوي .
ت . د . نهى عارف الحسن م . طبعين ١٣٩٦ هـ دمشق
- ٢٠٤ — نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلساني .
ت . د . احسان عباس — دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ .
- ٢٠٥ — النقد الجمالي وأثره في النقد العربي — روز غريب .
الطبعة الاولى ١٩٥٢ م دار العلم للملايين بيروت .
- ٢٠٦ — نقد الشعر قدامة بن جعفر .
ت . د . محمد عبد المنعم خفاجي الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ
مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٢٠٧ — نقد النشر قدامة بن جعفر .
ت . د . طه حسين — عبد الحميد العبادي مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٧ هـ .
- ٢٠٨ — نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز للفخر الرازي .
مطبعة الاداب والمؤيد ١٣١٧ هـ .
- ٢٠٩ — النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري .
ت . سعيد الخوري الشرتوني دار الكتاب العربي بيروت .
- ٢١٠ — الوساطة بين القنبي وخصومه للجرجاني .
ت . محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي الجاوي م . عيسى البابي الحلبي
- ٢١١ — الوسيلة الأدبية للعلوم العربية — حسين المرصفي الطبعة الاولى
م . المدارس الملكية ١٢٩٢ هـ .
- ٢١٢ — وفيات الأعيان لابن خلكان .
ت . د . احسان عباس — دار صادر بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ٢١٣ — يتيمة الدهر للشعالبي — دار الكتب العلمية الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ .

الفهرس

الصفحة

الموضوع

أ — هـ

المقدمة

الباب الأول

١ — ٩٣ التكرار : أصله واشتقاقه ، وموقعه من علوم البلاغة

الفصل الأول :

- أ — أصل التكرار واشتقاقه ٢
— أصل صيغة "تفعال" ٥
— هل يجوز الكسوفي تاء "التكرار" ٧
ب — الفرق بين التأكيد والتكرار ١٢
— التأكيد ١٢
— التأسيس ١٣
— أنواع التأكيد ١٨
— توكيد الضمائر ١٩
— توكيد الفعل المتصل بالمتصل ٢٠
— توكيد المتصل بالمتصل ٢١
— توكيد المنفصل بمنفصل ٢٢
— التأكيد المعنوي ٢٤
— فائدة التوكيد ٢٥
— الفرق بين التأكيد والتكرار ٢٧
ج — التكرار والاطناب ٣٠
— التكرار والتطويل ٣٤

الفصل الثاني :

- أ — علاقة التكرار بملم الديدع ٤٥
— رد المعجز على المصدر ٤٥
— التجنيس ٤٨
— العكس ٥١
— القرب ٥٣
— تشابه الأطراف ٥٤

الصفحة	الموضوع
٥٦	— الارصاد أو التسهيم
٥٧	— المشاكلة
٥٨	— المزوجة
٥٩	— التفريق
٥٩	— الجمع مع التفريق
٦٠	— الجمع مع التقسيم والتفريق
٦٢	— التفريع
٦٣	— المجاورة
٦٤	— التطريز
٦٦	× السلب والايجاب
٦٧	— التذييل
٦٩	— المراجعة
٧٠	— المشا ركة
٧١	— السجع
٧١	— تضمين المزدوج
٧٢	— التسجيع
٧٥	— التوزيع
٧٧	ب — تاريخ التكرار
٧٩	— ارتباط التكرار بالحد ^١
٨١	— صلة التكرار بالسجع
٨٢	— صلة الأُمِّ بالتكرار الصوتي
٨٥	— البنية تفسر تاريخ التكرار
٨٧	— الصلة بين التكرار والحرب والموت

الباب الثاني

٩٤ — ٢٧٢ الدلالة الصوتية للتكرار بين الجمال والقبح

الفصل الأول :

٩٥	أ — الدلالة الصوتية للتكرار بين الجمال والقبح
١١٢	ب — مراتب القبح
١١٥	— المرتبة الأولى (الحروف المتنافرة)
١٥١	— المرتبة الثانية (الحروف الحلقية)

الموضوع	الصفحة
— فصل قوله تعالى (فسبحه)	١٦٧
— المرتبة الثالثة (ألفاظ مكررة)	١٨٢
<u>الفصل الثاني :</u>	
أ — المماثلة والتكرار	١٩٠
— حروف الرباطات	١٩٣
— تكرار الإضافات	٢٠٨
— تكرار الصفات	٢١٥
— تكرار الأسماء	٢٢٧
— تكرار الأفعال	٢٣٣
ب — أنواع التكرار	٢٤٠
أولا — الترديد	٢٤٠
— الفرق بين التصدير والتريد	٢٤٣
— الفرق بين التريد والتكرير	٢٤٥
— من أنواع التريد	٢٤٦
أولا — التريد المتعدد	٢٤٦
ثانيا — تريد الحبك	٢٤٧
ثالثا — ايهام التوكيد	٢٤٩
ثانيا — التمطيف	٢٥٠
— الفرق بين التريد والتمطيف	٢٥٤
ثالثا — الترجيع	٢٥٥
ج — أقسام التكرار	٢٥٧
— تقسيم ابن الأثير	٢٥٨
— تقسيم التنوخسي	٢٦٨

الباب الثالث

٣٨٨ — ٢٧٣ أسرار تكرار القصص ، وأغراضه ، وآراء العلماء فيه

الفصل الأول :

أ — أسرار التكرار في القصص القرآني	٢٧٤
— ما يتعلق بالخالق عز وجل	٢٧٧
— ما يتعلق بالرسول وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم	٢٨٦

- ٢٨٨ — ما يتعلق بالكتاب نفسه عامة وبالقصص خاصة
- ٢٩٥ — ما يتعلق بالخلق
- ٣٠٦ ب — آراء العلماء في تكرار القصص خاصة
- ٣٠٦ — رأي ابن قتيبة
- ٣٠٨ — رأي الامام الفخر الرازي
- ٣١٠ — رأي الامام بدر الدين محمد الزركشي
- ٣١٤ — رأي الحافظ جلال الدين السيوطي
- ٣١٦ ج — آراء العلماء في التكرار بعامة
- ٣١٦ — آراء النحويين :
- ٣١٦ — سيبويه
- ٣٢٠ — عبد القاهر الجرجاني
- ٣٢٣ — الفراء
- ٣٢٤ — ابن جنبي
- ٣٣٥ — آراء اللغويين :
- ٣٣٥ — ابن فارس
- ٣٤٠ — الشمالي
- ٣٤٥ — رأي الأرباء :
- ٣٤٥ — الجاحظ

الفصل الثاني :

- ٣٥٨ أ — أغراض التكرار في القرآن
- ٣٦٧ ب — أغراض التكرار في الشعر
- ٣٦٨ — الغزل
- ٣٧٠ — الثنويه بالمدح
- ٣٧١ — الاستغاثه
- ٣٧١ — الفخر
- ٣٧١ — التمجيم
- ٣٧٢ — التقرير والتوبيخ
- ٣٧٢ — الوعيد والتهديد
- ٣٧٢ — التوجع والتحسر
- ٣٧٣ — الرثاء

الموضوع	الصفحة
— الوعد	٢٧٥
— الهجاء	٢٧٧
— قصد الاستعجاب	٢٧٩
— الذم	٢٧٩
— التوكيد	٢٨٠
— زيادة الاستعداد	٢٨٠
— التلذذ بذكر المكرر	٢٨٠
— الاعتذار	٢٨٢
— الاغراض الجزئية للتكرار :	٢٨٢
— تكرار المعالفة	٢٨٤
— تكرار القسم	٢٨٤
— تكرير التحذير	٢٨٥
— تكرير الاغراء	٢٨٥
— تكرار التحليل	٢٨٥
— تكرار الهيان والتصويب	٢٨٥
— تكرير التمجيد	٢٨٦
— تكرير التهويل والتفخيم	٢٨٦
— تكرار النحسر والتحنن	٢٨٦
— تكرار التهكم	٢٨٦
— تكرار التحدى	٢٨٧
— تكرار التشريك والموافقة	٢٨٧
— تكرار المفارقة	٢٨٧
— تكرار التشبيه	٢٨٧
الخاتمة	٢٨٩ — ٢٩٤
قائمة المصادر والمراجع	٢٩٥ — ٤٠٥
الفهرس	٤٠٦ — ٤١٠